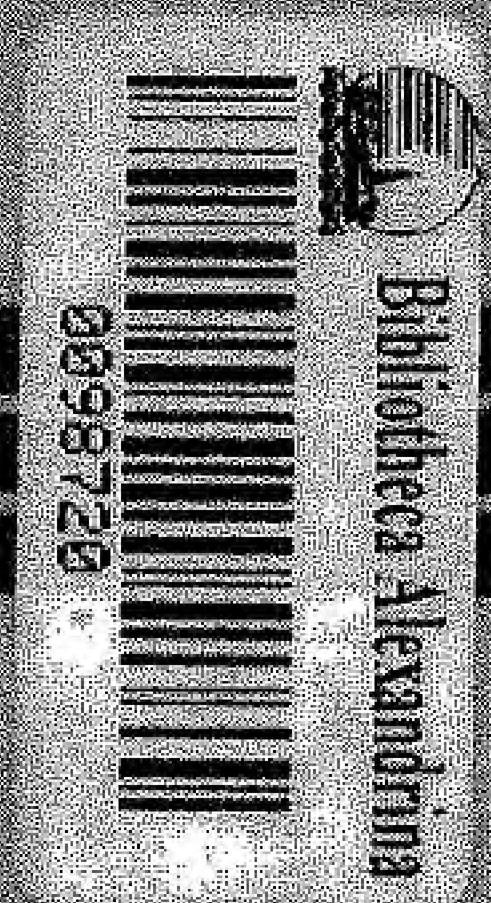
تذكرة الخواص

للعلامة سبط ابن الجوزي



تذكرة الخواص

للعلامة سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

المعروف بـ (تذكرة خواص الأمة)

(في خصائص الأئمة عليهم السلام)

تأليف

يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي ـ سبط الحافظ

أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ـ الحنفي

المولود سنة ٥٨١ والمتوفى ٦٥٤ هـ

قدم له

العلامة الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم

اصدار

مكتبة نينوى الحديثة

طهران ناصر خسرو مروي

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف :

بقلم : السيد محمد صادق بحر العلوم

شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي (١) بن عبدالله البغدادي ـ سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ـ الحنفي (٢)

ولد سنة ٥٨١ هـ ببغداد ، وقد أورد له محمد عبد الحي اللكنوي الهندي في كتابه (الفوائد البهية) في تراجم الحنفية (ص ٢٣٠) ترجمة مفصلة ، قال : (تفقه وبرع وسمع من جده لأمه ابن الجوزي ، وكان بتربيته في صغره حنبلياً ثم رحل الى الموصل ودمشق وتفقه على جمال الدين محمود الحصيري فصار حنفياً وكان عالماً فقيهاً واعظاً ، حسن المجالسة ، مليح المحاورة ، فارساً في البحث مفرطاً

(١) ـ فرغلي : بضم الفاء ثم الراء ثم الغين المعجمة بعدها اللام والياء ويضبط هذه اللفظة بعض المترجمين قزاغلي : بالقاف ثم الزاي بعدها الألف ثم الغين المعجمة بعدها اللام والياء .

(٢) ـ ابن الجوزي هذا هو أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد البكري الحنبلي الفاضل المتتبع المولود سنة ٥٠٨ هـ ، كان له اليد الطولى في التفسير والحديث وصناعة الوعظ وفي كل العلوم ، صنف في فنون عديدة ، يقال إنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها الحديث فحصل منها شيء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته فكفت وفضل منها ، وكان رأس الاذكياء وله حكايات طريفة (منها) ما يحكى أنه وقع النزاع بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر (رض) وأمير المؤمنين علي عليه السلام فرضي الكل بما يجيب به أبو الفرج عن ذلك فاقاموا شخصاً سأله عن ذلك ـ وهو على الكرسي في مجلس ـ

فى الذكاء ، له تصانيف ، منها شرح الجامع الكبير ، وكتاب إيثار الإنصاف وتفسير القرآن ، ومنتهى السؤول فى سيرة الرسول ، واللوامع فى أحاديث المختصر والجامع ، ومرآة الزمان (١) مات ليلة الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة ٦٥٤ هـ ، وتفقه عليه ابنه عبد العزيز ودرس بعده ، مات فى شوال سنة ٦٦٦ هـ (ثم قال اللكنوى) : « ذكر ابن خلكان فى ترجمة الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة المتوفى سنة ٥٧٠ هـ : أن فرغلى كان مملوك عون الدين بن هبيرة وتزوج بنت الشيخ جمال الدين ابن الجوزى فولد له شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلى بن عبد الله سبط ابن الجوزى صاحب التاريخ الذى سماه مرآة الزمان رأيته بدمشق فى أربعين مجلداً ، وجمعه بخطه ، ثم قال : « وفى مرآة الجنان : العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين يوسف التركى ثم البغدادى ، سبط الشيخ جمال الدين ابن الجوزى ، أسمعه جده منه ومن جماعة ، ووطن دمشق من سنة بضع وستمائة ، وحصل له القبول التام ، وله تفسير فى تسعة وعشرين مجلداً وشرح الجامع الكبير ، ومجلد فى مناقب أبى حنيفة ، ثم قال : « وفى طبقات مجد

ـ وعظه ـ فقال : أفضلهما بعد النبى ﷺ من كانت ابنته تحته ، ونزل فى الحال حتى لا يراجع فى ذلك ، وله ثلاثمائة مصنف ذكر بعضها الزركلى فى الاعلام وغيره ، توفى ببغداد سنة ٥٩٧ هـ ، والجوزى : بفتح الجيم وسكون الواو نسبة الى فرضة الجوز ، وهو موضع مشهور .

(١) ـ مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، طبع القسم الأول من الجزء الثامن منه فى وقائع سنة ٤٩٥ هـ الى سنة ٥٨٩ هـ ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٧٠ هـ ، فى (٤٣٦) صفحة ، وطبع القسم الثانى من الجزء المذكور فى وقائع سنة ٥٩٠ هـ الى سنة ٦٥٤ هـ بالمطبعة المذكورة سنة ١٣٧١ هـ من صفحة (٤٣٧) الى صفحة (٧٩٥) ، ولم يطبع غيرهما حتى الآن .

الدين الشيرازى (١) : كان والده مملوكاً للوزير عون الدين بن هبيرة بمنزلة الولد فاعتقه ، وخطب له ابنة الشيخ جمال الدين فلم يمكنه إلا إجابته فولدت له يوسف المذكور فاشغله جده وفقهه وطلع أوحـــد زمانه فى الوعظ ، ترق له القلوب وتذرف لسماع كلامه العيون ، وفاق فيه من عاصره وكثيراً ممن تقدم ، وكانت مجالسته نزهة للقلوب والأبصار ، يحضرها الصلحاء والملوك والأمراء والوزراء ولا يخلو مجلس من مجالسه من جماعة يتوبون ، وفى كثير من مجالسه يسلم أهل الذمة ، وكان الناس يبيتون فى مسجد دمشق من ليلة يعظ من غدها يتسابقون إلى مواضع الجلوس ، وكان حنبلى المذهب فلما تكرر اجتماعه بالملك المعظم عيسى اجتذبه اليه ونقله الى مذهب أبى حنيفة ، وكان الملك المعظم شديد التغالى فى المذهب » .

وذكر (المترجم له) أيضاً محى الدين أبو محمد عبد القادر بن أبى الوفاء القرشى الحنفى المصرى فى كتابه (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية) ص ٢٣٠ - ج ٢ - فقال : « روى عن جده ببغداد وسمع من أبى الفرج بن كليب وأبى حفص بن طبرزد ، سمع بالموصل ودمشق وحدث بها وبمصر ، وأعطى القبول

(١) - مجد الدين - هذا - هو أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازى - الفيروز آبادى صاحب القاموس فى اللغة ، برع فى العلوم كلها سيما الحديث والتفسير واللغة ، دخل بلاد الروم واتصل بخدمة مراد خان ونال عنده رتبة وجاهاً وأعطاه السلطان المذكور مالا ؛ ثم جال البلاد شرقاً وغرباً ، وله تصانيف تنيف على أربعين ، وأجلها اللامع العباب ، وكان تمامه فى ستين مجلداً ثم لخصه وسماه (القاموس) وهو المطبوع طبعات عديدة ؛ وله أيضاً تفسير القرآن وشرح البخارى ؛ وشرح المشارق ، كانت ولادته بكازرون من بلاد إيران سنة ٧٢٩ هـ وتوفى - قاضياً - بزبيد سنة ٨١٧ هـ أو سنة ٨١٦ هـ ، وهو آخر من مات من الرؤساء الذين أنفرد كل منهم بفن على رأس القرن الثامن .

من الملوك والامراء والعلماء والعامة فى الوعظ وغيره ، ذكر فى (مرآة الزمان) له : « أن الشيخ موفق الدين بن قدامة الحنبلي حضر مجالس وعظه ، وله تصانيف شرح الجامع الكبير ، وله إيثار الإنصاف ، مات ليلة الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة ٦٥٤ هـ بجبل قاسيون ، وصلى عليه بباب جامع جبل قاسيون الشمالى ، وصلى عليه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد ابن الملك الطاهر غازى بن يوسف بن أيوب » .

(وذكره أيضاً) الذهبي فى ميزان الاعتدال (ج ٣ - ص ٣٢٣) فقال : « روى عن جده وطائفة ، والف كتاب مرآة الزمان فتراه يأتى فيه بمنا كير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يبخس ويجازف ثم أنه يترفض ، وله مؤلف فى ذلك (١) نسأل الله العافية (ثم قال) : « قال الشيخ محي الدين السوسى : لما بلغ جدى موت سبط ابن الجوزى قال : لا رحمه الله كان رافضياً » .

وأورد ابن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان) - ج ٦ - ص ٣٢٨ - طبع حيدر آباد كلام الذهبي وزاد قوله : « وقد عظم شأن مرآة الزمان القطب موسى فقال فى الذيل الذى كتبه بعده - بعد أن ذكر التواريخ - قال : « فرأيت أجمعها مقصداً ، وأعذبها مورداً ، وأحسنها بياناً ، وأصحها رواية ، تكاد جنة ثمرها تكون عياناً ، مرآة الزمان » .

وذيل مرآة الزمان - هذا - هو لقطب الدين أبى الفتح موسى بن محمد بن

---

(١) - هذه هى سيرة الذهبي - المنحرف عن أهل البيت عليهم السلام - فى الطعن على من يشم منه رائحة المحبة لمن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ولعله أراد بقوله (وله مؤلف فى ذلك) هو هذا الكتاب الذى مثل للطبع لأنه فى فضائل أهل البيت عليهم السلام ، ولم يشأ أن يذكر اسمه ولا يروق للذهبي وأضرابه المنحرفين - طبعاً - مثل هذه المؤلفات ، وكل أمرىء مجزى بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

أحمد بن قطب الدين اليونيني البعلبكي الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٦ ﻫ ، يقع في أربع مجلدات ، طبع المجلد الأول منه - الذي هو من وقائع سنة ٦٥٤ﻫ إلى أثناء سنة ٦٦٢ ﻫ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٧٤ﻫ في (٥٥٧) صفحة ، عن نسختين قديمتين محفوظتين في مكتبة أيا صوفيا باستانبول ، رقم (٣١٤٦) و (٣١٩٩) ، وطبع المجلد الثاني منه من وقائع سنة ٦٥٨ ﻫ الى سنة ٦٧٠ ﻫ بالمطبعة المذكورة سنة ١٣٧٥ ﻫ في (٤٩٠) صفحة وقد صحح عن النسختين القديمتين المحفوظتين في اكسفورد واستانبول ، تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية ، وطبع المجلد الثالث منه من وقائع سنة ٦٧١ ﻫ الى سنة ٦٧٧ ﻫ ، في « ٤٤٣ » صفحة ، وطبع المجلد الرابع منه من وقائع سنة ٦٧٨ ﻫ ، الى ٦٨٦ ﻫ ، في « ٣٣٣ » صفحة وكلاهما في المطبعة المذكورة سنة ١٣٨٠ ﻫ وقد جاء في أول المجلد الأول « الحمد لله مصرف الدهور » الخ ، قال ماملخصه : (رأيت أن أجمع التواريخ مقصداً ، وأعذبها مورداً (مرآة الزمان) فشرعت في اختصاره فوجدته قد انقطع الى سنة ٦٥٤ ﻫ ، وهي التي توفي المصنف في أثنائها ، فآثرت أن أذيله بما يتصل بهسببه الى حيث يقدره الله تعالى من الزمان ، ولعل بعض من يقف عليه ينتقد الإطالة في بعض الأماكن والاختصار في بعضها ، وانما جمعت هذا لنفسي ، وذكرت ما اتصل بعلمي وسمعته من أفواه الرجال ، ونقلته من خطوط الفضلاء والعمدة في ذلك عليهم لا عليّ) .

وذكر الجلبي صاحب كشف الظنون لمرآة الزمان - هـذا - ذيولا واختصارات أخرى عديدة فراجعها في (ج ٢) حرف الميم .

(وترجم له أيضاً) ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) - ج ٥ - ص ٢٦٦) في حوادث سنة ٦٥٤ ﻫ فقال : (وفيها توفي سبط ابن الجوزي العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي (١) التركي ثم البغدادي

(١) - جاء في هامش (ص ٢٦٦) من الشذرات ما هذا نصه : (في -

المهيرى الحنفى سبط الشيخ أبى الفرج ابن الجوزى ، أسمعه جده منه ومن ابن كليب وجماعة ، وقدم دمشق سنة بضع وستمائة فوعظ بها وحصل له القبول العظيم للطف شمائله ، وعذوبة وعظه ، وله تفسير فى تسعة وعشرين مجلداً وشرح الجامع الكبير ، وكتاب مرآة الزمان ، وهو كتاب كاسمه ؛ وجمع مجلداً فى مناقب أبى حنيفة ، ودرس وأفتى ، وكان فى شبيبته حنبلياً ؛ وكان وافر الحرمة عند الملوك ؛ نقله الملك المعظم الى مذهب أبى حنيفة فانتقد عليه ذلك كثير من الناس حتى قال له بعض أرباب الأحوال ـ وهو على المنبر ـ : إذا كان الرجل كبيراً ما يرجع عنه إلا بعيب ظهر له فيه فأى شىء ظهر لك فى الإمام أحمد حتى رجعت عنه ؟ فقال له : اسكت ؛ فقال الفقير : أما أنا فسكت وأما أنت فتكلم فرام الكلام فلم يستطع فنزل عن المنبر ؛ ولو لم يكن له إلا كتابه مرآة الزمان لكفاه شرفاً ، فانه سلك فى جمعه مسلكاً غريباً ، ابتدأه من أول الزمان الى أوائل سنة أربع وخمسين وستمائة التى توفى فيها ؛ مات رحمه الله ليلة الثلاثاء العشرين من ذى الحجة بمنزله بجبل الصالحية ودفن هناك ، وحضر دفنه الملك الناصر سلطان الشام رحمه الله تعالى رحمة واسعة » .

(وترجم له أيضاً) اسماعيل باشا البغدادى فى (هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين) ـ ج ٢ ـ ص ٥٥٤ ؛ وعد من تصانيفه الانتصار لإمام أئمة الأمصار ـ يعنى أبا حنيفة ـ وإيثار الإنصاف ، والإيضاح لقوانين الاصطلاح ، وتذكرة الخواص من الأمة فى ذكر مناقب الأئمة (وهو كتابنا

ـ الأصل (قز على) وفى كثير من كتب التاريخ كالنجوم والاعلام وابن الجزرى (قز أوغلى) وكلاهما وما يتصحف منهما خطأ ، ويسعى بعضهم لتعليله تعليلا أعجمياً فاسداً والصواب (فرغلى) ـ أى بالفاء ثم الراء والغين المعجمة بعدها اللام والياء ـ كما فى نسخة قديمة من الوافى بالوفيات وابن خلكان وغيرهما من كتب الثقات) .

هذا) وتفسير القرآن فى سبعة وعشرين مجلداً ، وتلخيص الجامع الكبير للشيبانى فى الفروع ، وجوهرة الزمان . وشرح صحيح مسلم ؛ وكنز الملوك فى كيفية السلوك ، ومرآة الزمان فى تاريخ الأعيان فى أربعين مجلداً ، ومعادن الابريز فى التاريخ فى تسعة عشر مجلداً والمقتصر اللامع فى أحاديث المختصر والجامع ، ومنتهى السؤول فى سيرة الرسول ﷺ ونهاية الصنائع فى شرح المختصر والجامع ؛ شرح آخر .

كما أن البغدادى المذكور أورد كتابه (تذكرة الخواص من الأمة فى ذكر مناقب الأئمة) فى كتابه ايضاح المكنون ذيل كشف الظنون (ج ١ - ص ٢٧٤)

(وترجم له أيضاً) يوسف إليان سركيس فى (معجم المطبوعات) - ج ١ - ص ٦٨ ؛ ص ٦٩ ، وأورد من مؤلفاته المطبوعة (تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة) ومرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، وقال طبع من هذا التاريخ بالفوتوغراف الجزء الثامن فقط ، يبتدىء من حوادث سنة ٤٩٥ الى سنة ٦٥٤ هـ فى شيكاغو سنة ١٩٠٧ م باعتناء جامس ريشار جويت مدرس اللغات الشرقية فى كلية شيكاغو . وفى هذه النسخة ينسب الكتاب الى أبى الفرج ابن الجوزى فصححه الناشر بالمقدمة الانجليزية التى وضعها للكتاب المذكور ، وطبع منه منتخبات مع ترجمة فرنساوية للاستاذ باربيار دى مينار فى الجزء الثالث من مجموعة تواريخ الحروب الصليبية (باريس ١٨٧٢) .

(وترجم له أيضاً) جرجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية (ج ٣ - ص ٨٢) وعد من أهم مؤلفاته (مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان) وقال : « هو تاريخ عام من الخليقة الى سنة ٦٥٤ هـ فى أربعين مجلداً . . . وهو مرتب على السنين يذكر دخول السنة وخلاصة ما جرى فيها يوماً يوماً ثم يترجم من توفى فيها ، ويرتبهم على أحرف الهجاء نحو ما فعل جده ابن الجوزى المحدث فى كتاب المنتظم » ثم عد من مؤلفاته أيضاً (تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة)

وهو تاريخ الإمام علي والأئمة الاثنى عشر. طبع فى فارس سنة ١٢٨٨هـ ، وعد من مؤلفاته أيضاً (الجليس الصالح والأنيس الناصح) كتبه لموسى بن أبي بكر ابن أيوب صاحب دمشق المتوفى سنة ٦٣٥ ، بعضه فى مدحه والبعض الآخر فى أخباره ومناقبه ، وقال يوجد فى غوطا .

وبعد أن ذكر له من مؤلفاته (كنز الملوك فى كيفية السلوك) عرف الكتاب بانه مجموع حكايات وعظات مرتبة فى خمسة أبواب ، التفويض والتأسى والصبر ، والرضا ، والزهد ، وقال ، يوجد فى باريس .

(وقد ذكر المترجم له) فى كثير من المعاجم ، واليك أسماء بعضها ومؤلفيها : ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ؛ والذهبي فى ميزان الاعتدال وأبو الفداء فى المختصر فى أخبار البشر ؛ والمقريزى فى السلوك . وابن حجر فى لسان الميزان ، وابن كثير فى البداية والنهاية ؛ واليافعى فى مرآة الجنان ، والنعيمى فى الدارس ؛ وابن العماد فى شذرات الذهب ؛ والقرشي فى الجواهر المضية ؛ وابن قطلوبغا فى تاج التراجم ؛ وطاش كبرى فى مفتاح السعادة ، وحاج خليفة فى كشف الظنون ، واللكنوى الهندى فى الفوائد البهية ، والبغدادى فى هدية العارفين والبغدادى أيضاً فى إيضاح المكنون ، والجلبي فى فهرس مخطوطات الموصل وكوركيس عواد فى المخطوطات التاريخية ؛ وعباس العزاوى فى التعريف بالمؤرخين وكوبرلى زادة محمد باشافى كتبخانة سنده ، ولطفى عبد البديع فى فهرس المخطوطات المصورة والكتانى فى فهرس الفهارس ، وسيد فى فهرس المخطوطات المصورة والمكتبة البلدية فى فهرس الطب ، وأصحاب فهرس الخديوية ؛ وجعفر الحسنى فى مجلة المجمع العلمى العربى ، وصلاح الدين المنجد فى مجلة معهد المخطوطات وصاحب التبر المسبوك ؛ وصاحب تاريخ علماء بغداد ، وابن خلكان فى وفيات الاعيان ، وصاحب الفهرس التمهيدى ، وجرجى زيدان فى آداب اللغة العربية وفى دائرة المعارف الإسلامية ؛ والزركلى فى الاعلام ، وكحالة فى معجم المؤلفين

ويعقوب إليان سركيس في معجم المطبوعات ، والخوانساري في روضات الجنات وشيخنا الامام الطهراني في الذريعة ، والمحدث الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب .

يروى المترجم له في (كتابنا هذا) عن جملة من الاعلام اجازة وقراءة وسماعاً ، نوردهم هنا حسب ترتيب ذكرهم في الكتاب :

١ - عبد الله بن أبي المجد الحربي ، سماعاً ببغداد سنة ٥٩٦ هـ (ص ٤)
٢ - جده أبو الفرج ابن الجوزي (ص ٨)
جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ١١)
٣ - العلامة زيد بن الحسن بن زيد الكندي (ص ١١)
٤ - أبو محمد عبد العزيز بن محمود البزاز (ص ٢٣)
٥ - شيخه عمرو بن صافي الموصلي (ص ٣٣)
٦ - جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً سماعاً ببغداد سنة ٥٩٦(ص ٤٩)
٧ - أبو القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد الطوسي (ص ٤٩)
٨ - عبد الوهاب (بن عبد الله) المقرى (ص ٩٢)
٩ - أبو محمد البزاز أيضاً (ص ١٠٤)
١٠ - أبو طاهر الخزيمي (ص ١١٠)
١١ - عبد الملك بن مظفر بن غالب الجزي (ص ١١٢)
١٢ - احمد بن جعفر (ص ١١٣)
١٣ - عبد الوهاب بن علي الصوفي (ص ١١٦)
١٤ - عبد الرحمان بن أبي حامد الحربي (ص ١١٧)
١٥ - جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ١١٨)
١٦ - السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسيني (ص ١٢٠)
١٧ - أبو حفص عمر بن معمر الدار قطني قراءة عليه (ص ١٢٠)

١٨ - علي بن الحسين (ص ١٢٢)
١٩ - شيخه أبو القاسم النفيس الأنبارى (ص ١٢٤)
٢٠ - عبد الله بن أبي المجد الحربى أيضاً (ص ١٢٧)
٢١ - أبو طاهر الخزيمى أيضاً (ص ١٢٨)
٢٢ - عبد الوهاب بن عبد الله المقرى أيضاً (ص ١٤٠)
٢٣ - عبد الوهاب بن على الصوفى أيضاً (ص ١٤١)
٢٤ - أبو الحسن بن النجار المقرى (ص ١٥٠)
٢٥ - جده أبو الفرج ابن الجوزى أيضاً (ص ١٧٣)
٢٦ - جده أبو الفرج ابن الجوزى أيضاً (ص ٢١٣)
٢٧ - أبو محمد الجوهرى (ص ٢٣٣)
٢٨ - القاضى الاسعد أبو البركات عبد القوى بن أبي المعالى بن الجبار السعدى سماعاً فى جمادى الاولى سنة ٦٠٩ ﻫ بالديار المصرية (ص ٢٦٣)
٢٩ - زيد بن الحسن اللغوى (ص ٢٦٨)
٣٠ - أبو عبد الله محمد بن البنديجى البغدادى (ص ٢٧٢)
٣١ - جده أبو الفرج ابن الجوزى أيضاً (ص ٣٠٨)
٣٢ - أبو المجد محمد بن أبي المكارم القزوينى بدمشق سنة ٦٢٢ (ص ٣١٣)
٣٣ - جده أبو الفرج ابن الجوزى أيضاً سماعاً ببغداد سنة ٥٩٦ ﻫ (ص ٣١٧)
٣٤ - عمر بن معمر الكاتب أيضاً (ص ٣٢٦)
٣٥ - عبد الوهاب بن على الصوفى أيضاً (ص ٣٤٤)
٣٦ - أبو محمد البزاز أيضاً (ص ٣٤٨)
٣٧ - جده أبو الفرج ابن الجوزى أيضاً (ص ٣٦٢)
٣٨ - عبد الملك بن مظفر بن غالب الجزى أيضاً (ص ٣٦٧)
٣٩ - أبو محمد عبد الوهاب المقرى أيضاً (ص ٣٦٨)

٤٠ ـ جده أبو الفرج ابن الجوزى أيضاً (ص ٣٦٩)
٤١ ـ عبد الله بن أحمد المقدسى ؛ قراءة عليه سنة ٦٠٤ هـ (ص ٣٧٠)
٤٢ ـ عبد الله بن أحمد المقدسى أيضاً ، قراءة عليه سنة ٦٠٤ (ص ٣٧١
٤٣ ـ جده أبو الفرج ابن الجوزى أيضاً (ص ٣٧١)
٤٤ ـ جده أبو الفرج ابن الجوزى أيضاً (ص ٣٧٣)

ويروى المترجم له عن مشايخه الآخرين فى بقية مؤلفاته ، فراجعها .

وقد أورد المحدث أبو محمد عبد القادر بن أبى الوفاء القرشى الحنفى المصرى فى (الجواهر المضية) ـ ج ٢ ـ ص ٢٣١) أبيات شعرية للمترجم له ، قال أنبانى الإمام شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن أحمد الحلبى ؛ قال قرأت على شيخنا الإمام الحافظ كمال الدين أبى حامد محمد بن على بن محمود المحمودى الصابونى أنشدكم الامام بقية السلف أبو المظفر يوسف بن قزاغلى بن عبد الله البغدادى لنفسه فى يوم الخميس العشرين من شعبان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بزاويتنا ببرج الزجاج ظاهر دمشق المحروسة :

عليك اعتمادى يا مفرج كربتى ويامؤنسى فى وحدتى عند شدتى
ويا من نقضت العهد بينى وبينه مراراً فلم يظهر علىّ فضيحتى
أغثنى فانى قد عصيتك جاهلا أغثنى فقد طالت بذنبى بليتى
فلو أن لى عيناً تسح بادمع انحت على نفسى وطالت نياحتى
ولكن ذنوبى أرهقتنى جراحها فقلت دموعى من شقائى وقسوتى
فاصبحت مأسوراً بذنبى مقيداً فوا سوء حالى من بلائى وغفلتى

وولد المترجم له عبد العزيز بن يوسف بن فرغلى درس مكان أبيه من بعده بالمدرسة العربية التى تعرف بالميدان الكبير ، ومات فى سلخ شوال سنة ٦٦٦ هـ ودفن عند أبيه ، ترجم له محيي الدين القرشى فى الجواهر المضية ، ج ١ ـ ص ٣٢٢ .. (محمد صادق بحر العلوم)

بسم الله الرحمن الرحيم

كان السبب الموجب لطبع هذا الكتاب المستطاب الذى لو يباع بوزنه درّا لكان البايع مغبونا ان النّواب المستطاب الأشرف الاعظم ذا الحسب الباهر و النسب الزاهر و الأصل الطاهر و الشرف الظاهر ذو الهمة التى لوهمت بالدهر لما تصرفت بالاحراز صروفه و لا دارت عليهم دوايره نايب الايالة الباهرة معتمد الدولة القاهرة فرهاد ميرزا لا زال مؤيد الرفع قواعد العدل و الانصاف و هدم اساس الجور و الاعتساف ابن المرحوم المغفور نايب السلطنة عباس ميرزا ابن السلطان الأعظم فتحعلى شاه قاجار طيب الله ثراهما و جعل الجنة مثواهما و الى كردستان عن قبل السلطان العادل و الملك الباذل ناصر الدنيا و الدين ناشر الاحسان فى العالمين مالك رقاب الأمم مولى ملوك العرب و العجم ولى النعم السلطان ابن السلطان الخاقان ابن الخاقان ابن الخاقان السلطان ناصر الدين شاه قاجار لازال للدين ناصرا و للكفر كاسرا ما طلع طالع و لمع لامع فى شهر رجب سنة اربع و ثمانين و مئتين بعد الالف اذ ذاك عرض بعد تسعة ايام به رعاف يكون فى مذاق الاحبة بمنزلة السم الزعاف لم برقبلها و لا بعدها علة بهذه الشدة نزف اكثر دمه فى مجرى انفه حتى ضعفت البنيه و خيف منه سقوط القوه لا يفيق العليل ساعة فيرجى و لا ينقطع الدم برهة فبنسى فبقى على تلك الحالة عشرين يوما و ليله يوشك ان ينزف الدم من عيون ناظرية و طفق ان يطير الروح عن جسم حاضريه فأخذ الطبيب الذى يعالجه و يداويه ثلاثة مثاقيل قطنة لفها وعصرها حتى جعلها على قدر بندقة ثم أرسلها من الفم مع الالات التى تستعد لهذا العمل فى ثقبة أنفه ثم استحكمها لأن لا ينحدر العلق فى الحلق ثم بعد هذا اخذ بندقتين اخريين من القطنة ايضا ولفها مع الميل فى أقصى ثقبتى الأنف ليسد الرعاف بهذا التدبير السخاف فلا تنجح له فائدة و قد كان الدم يقطر من القطنة فازداد تعبه و اشتدا لمه

وحدث به حمی خطیرة ردیة و یشتد الکرب و التعب و یعظم النفـــس و یتواتر و لا یقدر العلیل علی الازد راد و التکلم لسد منافذ الخیشوم و التألم و نظـر الی الدینا بقلب مودع وعین تدمع تعس الزمان لقذاتی بعجائب فبقی علی تلک الحالة اربعة عشر یوما و لیلة بکی علیه الحبیب و یئس منه الطبیب تعسر اخراج القطنة من الثقبة التی تکون فی الحنک فخاف علیه الاطباء والمعالجون علیها التقرح و التآکل وعجز واعن التدبیر و یأسوا من البرء و التیسیر بلـغ السیل الزبی فلما کان لیلة الثامن عشر من شعبان المعظم توسل العلیل بقلب نحیب و جیب وعین باکیة و کابة کاملة الی امام الثقلین و سید الخافقین ابی عبد اللّه الحسین سلام اللّه علیه و قال یاحجة و ولیه و یاابن خیرة الله و صفیه یاسید شباب اهل الجنة یااباعبد اللّه لقد جلت المصیبة بی ،

یا بکش یا دانـه ده یا از قفس آزاد کـن

لا یخیب سائلک و لا یخسرنائلک انک لتعلم مابی من العلة و النقاهـة اقسـم علیک و بحق امک سیدة النسآء فاطمة الزهراء علیها السلام ان بقی من عمری برهة من الدهر و انتفع من حیاتی جملة من اهل العصر و اراد اللّه تعالی أن لا یضیر اهلی و ولدی دون امیر و ان لا یبقی خدامی واحیتی بغیر نصیـر فاشفینی من دائی هذه وعافنی من علتی و الا فاشفع لی عند اللّه ان یغفر لی فان لک شأنا من الشأن یاوجیها عند اللّه فسقطت فی الفور القطنة و ظهـرت آثار الصحة فلاح کوکب الفوز و الفلاح و بتین علائم البرء و النجاح و قال فی هذا الحال اشعارا من جملتها :

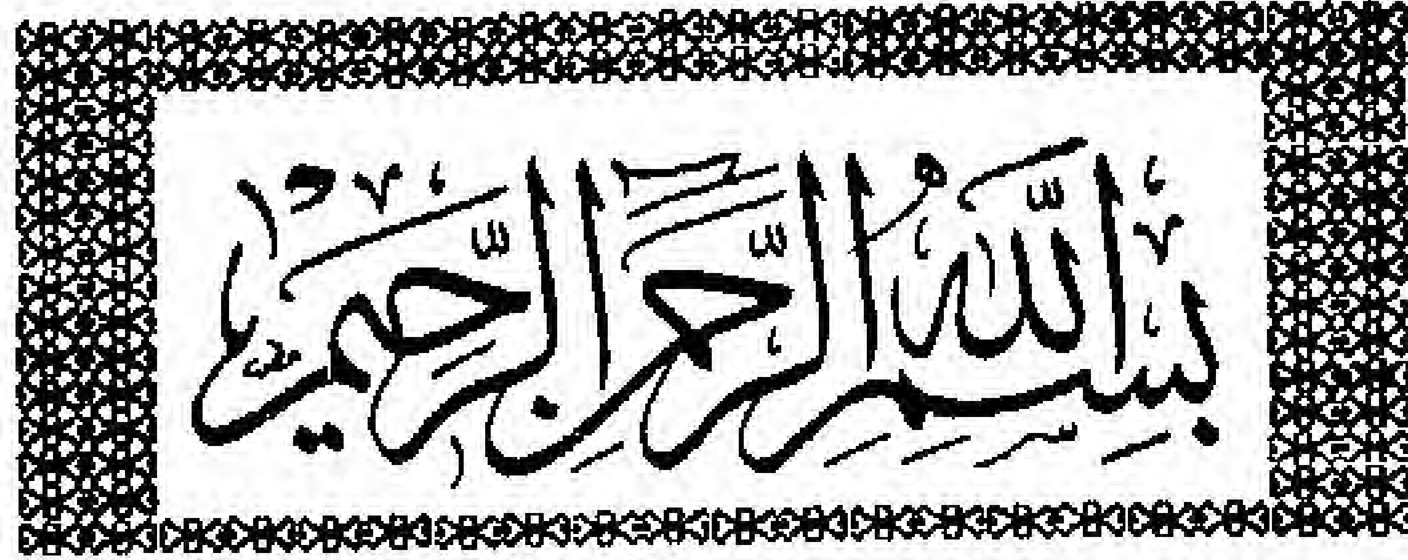
ز حکم شاه شهیدان زفرق تا بقدم — فلک لألی صحت همی نثارم کرد
ز یمن مکرمت شاه دیـن امام همام — ملک بر اسب شفا انزمان سوارم کرد
قضا بحکم بنی یمـن در یمینم داد — قدر بأمر ولی یسر در یسارم کرد
هزار مرتبه جان رهی فدائی بـاد — که بر سگی در خویش اختیارم کرد

بعد البلآء یکون الثنآء فان البر و الاحسان علی ارباب الاستحقاق منساة فسی

الأجل و مرقاة فى الامل ان صنايع المعروف تقى مصارع السوء فصار الأهل و العيال مشعوفين و الاحبة و الخدام مسرورين اسرمن غنىً بعدعدم و برء بعد سقم :

فحمدا له ثم حمدا لـه على ما هدانا سبيل النعم

بلغ اللّه به اكلأ العمر و أهناها و ارعذ العيش و أصفاها و نذران يطبع هذه النسخة الشريفة ليستفيد الناس من بركته ثم عزم على سفر كردستان امتثالا لامر السلطان لازالت راياته منصورة و الويته و أعلامه مرفوعة فى الرابع من شهر شوال سنة ١٢٨٤ هجرية فلما دخل البلد امر بتحرير هذا الكتاب لسبط ابن الجوزى شمس الدين يوسف بن قزأغلى الواعظ المشهور الحنفى المذهب المسمى بتذكرة خواص الأمة فى ذكر خصايص الأئمة المقبول عند الخاصة و العامة المذكور فى كتاب وفيات الاعيان لاحمد بن خلكان فى ذيل ترجمة جده عبد الرحمن فانها حوت ماثرلم تكن من لدن ادم الى خاتم الابهم و انه رجست مناقب لم تثبت لاحد من الانبيآء و الأولياء الالهم من وقف و تتبع من هذا الكتاب علم ان الكتاب نزل بهم و أيقن ان العلم لديهم و تصدعلى طبعه و وقفه و فقه اللّه تعالى لتملك الخير و الصواب مع احراز الاجر و الثواب فاستنسخ النسخة الشريفة فى كردستان مع مداد الطبع و صححها و قابلها ادام اللّه تعالى عزه و اجلاله ثم انطبع فى دار الخلافة و وقف جميع النسخ المنطبعة على عامة المسلمين و كافة المؤمنين ليستفيد و امنها و ينتفعوا بها بشرط أن يكون لهم علم العربية ليعلموا منها الحديث فصرت بالامتثال و الايتمار راقيا مدارج الشرف و الافتخار و كتبت هذه الكلمات بأمره الاشرف الارفع الاعلى اعلى اللّه مدارج الشرف منه و اقصاها و انا الداعى لابدية دولته و عمره و عزته و المغمور فى نوال فضله و نعمته محمد باقر بن عبد الحسين خان بن الحاج محمد حسين خان الصدر الاعظم الاصفهانى غفر اللّه لهما .



اللهم صلّ على سيدنا محمد وسلم ؛ قال الشيخ الإمام العالم العلاّمة الفاضل الفهامة وحيد عصره وفريد دهره جمال الدنيا والدين بقية العلماء العاملين بركة الملوك والسلاطين يوسف سبط الشيخ الامام العالم الزاهد الكامل لسان العرب وترجمان أهل الادب سيد المتكلمين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى قدس الله روحه ونور ضريحه . الحمد لله الواهب من النعم كل كثير وجزيل . الدافع من النقم كل حقير وجليل . الذى خلق الانسان وعدله فاحسن منه التعديل . وفضله على سائر الحيوان بالتكريم والتفضيل ومنحه بفصاحة اللسان وحسن التنزيل وخصه بعرفان ظواهر الكلم وخفيات مشكلات الحكم . ولطايف التأويل وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد الهادى الى اعدل طريق والداعى الى خير فريق واوضح سبيل المرشد الى كلمة الحق الناصح لكافة الخلق باعظم برهان وأنور دليل المنعوت قديماً فى التوراة الموصوف فى الانجيل المرسل كريماً الى كافة الناس بالتوقير والتعظيم والتبجيل وعلى آله واصحابه وعترته والمصطفين من أهل ملته المخصوصين بالغرة والتحجيل القائمين بنصرة دينه فى كل زمن وعصر وحين ما أقبلت غداة واصيل .

وبعد : فهذا كتاب فى فضل الإمام العليم والحبر الحليم والسيد الكريم أخى الرسول وبعل البتول وسيف الله المسلول سيد الحنفاء ورابع الخلفاء وابن عم المصطفى وامام الدين وعالمه وقاضى الشرع وحاكمه ؛ ومنصف كل

مظلوم من ظالمه والمتصدق فى الصلاة بخاتمه مفرق الكتائب ومظهر العجائب ليث بنى غالب أبي الحسنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وعن زوجته وصلى على ابيها وحشرنا فى زمرته ورضى الله عن بقية الصحابة وأهل البيت رضى الله عنهم اجمعين .

ذكر نسب علي بن أبي طالب عليه السلام

فهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعمود النسب الى عدنان متفق على صحته ، وما بعده الى آدم عليه السلام مختلف فيه فلهذا اقتصرنا عليه واسم أبي طالب عبد مناف وهو أخو عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه وامهما فاطمة بنت عمرو بن عايذ وعبد المطلب لقبه شيبة الحمد لشيبة كانت فى رأسه وكنيته أبو البطحاء لانهم استسقوا به سقياً فكنوه بذلك وانما سمى عبد المطلب لان عمه المطلب كان بمكة اليه السقاية والرفادة وكان المطلب أخا هاشم وكان هاشم قد تزوج بالمدينة الى بيت النجار أمراة يقال لها سلمى بنت عمرو فولدت شيبة بالمدينة وتوفى هاشم بمكة ونشأ شيبة بالمدينة فربه رجل من أهل مكة وهو يناضل الصبيان ويقول أنا ابن سيد قريش أنا ابن أبي البطحاء فسئل عنه فقيل هذا ابن هاشم فلما قدم مكة اخبر المطلب فركب من وقته الى المدينة فوجده يلعب مع الصبيان فاردفه على راحلته وقدم به مكة فقال الناس هذا عبد المطلب فقال المطلب ويحكم انما هو ابن أخى هاشم فغلب عليه هذا الاسم ولما مات المطلب قام مكانه عبد مناف . واما هاشم فاسمه عمرو وهاشم لقبه لأن مكة اجدبت

واصاب أهلها ضر عظيم وكان يهشم الثريد ويطعمهم اياه وفيه يقول :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه　　ورجال مكة مسنتون عجاف

وعبد مناف أسمه المغيرة ، وقصي اسمه زيد ، وانما سمي قصياً لتقصي أمه به الى الشام ويسمى مجمعاً وله اسامي كثيرة وفيه يقول الشاعر :

همام له اسماء صدق ثلاثة　　قصي وزيد والندى ومجمع

وأم قصي فاطمة بنت سعد تزوجها كلاب بن مرة ثم مات وقصي صغير فتزوجها ربيعة بن حزام بن ضبة وسار بها الى الشام وقصي بها فلما كبر قصي عاد الى مكة واستولى عليها وجمع قبايل قريش اليها واما كلاب فامه هند بنت سويد ابن ثعلبة وأما مرة فامه مخشية بنت شيبان واما كعب فامه ماوية بنت كعب وأما لوى فاسم أمه عاتكة بنت خالد بن النضر بن كنانة وأما غالب فامه ليلى بنت الحرث وأما فهر فامه جندلة بنت عامر الجرهميه وفهر هو جماع قريش بعد قصي وقيل النضر بن كنانة هو قريش فمن لم يكن من ولد النضر لم يكن قرشياً وعلى القول الأول من لم يكن من ولد قصي لم يكن قرشياً والقرش اصله الجمع والاكتساب وكانت هذه وتجمع فسميت به وقيل ان قريش دابة تسكن البحر تأ كل دواب البحر فسميت قريش بها وفيه أقوال اخر وأما مالك فامه عرابة بنت سعد بن قيس غيلان وأما خزيمة فامه سلمى بنت اسلم قضاعية وأما مدركة فاسمه عمرو وانما سمي مدركة لان لأبيه أبلا شردت فأدركها فردها وأمه خندف وقيل ليلى بنت حلوان قضاعية وأما الياس فامه الرباب بنت جيدة بن معد واما مضر فاسم امه سودة بنت عسك وأما نزار فامه معانته بنت حوشم وأما معد فامه هوزة سلمية

فصــل

واختلف العلماء في تسميته بعلي عليه السلام فقال مجاهد هو أسم سمته به أمه عند ولادته وقال عطاء إنما سمته أمه حيدرة بدليل قوله يوم خيبر (انا الذي

سمتني أمي حيدرة) فلما علا على كتفي الرسول ﷺ وكسر الاصنام سمي علياً من العلو والرفعة والشرف وقال ابن عباس كانت أمه اذا دخلت على هبل لتسجد له وهي حامل به علا بطنها فيتقوس فيمنعها من السجود فسمي علياً لهذا وقول مجاهد اظهر لأنه ثبت المستفيض به ولا يمنعها من تسميتها علياً ان تسميه حيدرة لأن حيدرة اسم من اسامي الأسد لغلظ عنقه وذراعيه وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام فيكون علي اسمه الأصلي وحيدرة وصفاً له وقد سماه رسول الله ﷺ ذا القرنين اخبرنا عبد الله بن أبي المجد الحربي قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد سنة ست وتسعين وخمسمائة قال انبأنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الشيباني وكنيته أبو القاسم ويعرف بابن الحصين قال أبو علي الحسن بن علي بن المذهب التميمي قال انبأنا أبي بكر بن أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي حدثنا عبد الله بن الامام أبي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني قال حدثني أبي حدثنا ابن نمير حدثنا عبد الملك الكندي حدثنا أبو حازم المدني وقال أحمد ابن حنبل بن مسلم حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن ابراهيم التيمي عن سلمة بن الطفيل عن علي عليه السلام قال قال لي رسول الله ﷺ ان لك في الجنة قصراً وانك ذو قرنيها وهذا الحديث اخرجه احمد بن حنبل في المسند واخرجه احمد أيضاً في كتاب جمع فيه فضائل أمير المؤمنين رواه النسائي مسنداً ويسمى البطين لأنه كان بطيناً من العلم وكان يقول لو ثنيت لي الوسادة لذكرت في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم حمل بعير ويسمى الانزع لأنه كان انزع من الشرك وقيل لأنه كان اجلح ويسمى أسد الله وأسد رسوله ويسمى يعسوب المؤمنين لأن اليعسوب أمير النحل وهو أحزمهم يقف على باب الكوارة كلما مرت به نحلة شم فاها فان وجد منها رائحة منكرة علم انها رعت حشيشة خبيثة فيقطعها نصفين ويلقيها على باب الكوارة ليتأدب بها غيرها وكذا علي عليه السلام يقف على باب الجنة فيشم افواه الناس فمن وجد منه رائحة بغضه القاه في النار .

قال فى الصحاح اليعسوب ملك النحل ومنه قيل للسيد يعسوب والمؤمنون يتشبهون بالنحل لأن النحل تأكل طيباً وتضع طيباً وعلى عليه السلام أمير المؤمنين ويسمى الولى والوصى والتقى وقاتل الناكثين والقاسطين وشبيه هارون وصاحب اللوى وخاصف النعل وكاشف الكرب وأبو الريحانتين وبيضة البلد فى القاب كثيرة .

فصل

فاما كنيته فابو الحسن والحسين وأبو القاسم وأبو تراب وأبو محمد والنبى صلى الله عليه وسلم كناه أبا تراب والحديث فى المسند والصحيحين قال احمد وقد تقدم اسناد المسند حدثنا ابن نمير عن عبد الملك الكندى عن ابى حازم قال جاء رجلا الى سهل بن سعد فقال هذا فلان يذكر علياً ابن أبى طالب عند المنبر فقال مايقول قال يقول أبو تراب ويلعن أبا تراب فغضب سهل وقال والله ما كناه به إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان أسم احب اليه منه .

دخل على عليه السلام على فاطمة رضى الله عنها فاغضبته فى شىء فخرج الى المسجد فاضطجع على التراب وفى لفظ فسقط ردائه على التراب وخلص التراب على ظهره فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح التراب عن ظهره وقال اجلس أبا تراب متفق عليه .

وقال الزهرى والذى سب علياً فى تلك الحالة مروان بن الحكم لأنه كان أميراً فى المدينة من قبل معاوية .

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى كان بنو أمية تنقص علياً عليه السلام بهذا الاسم الذى سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلعنوه على المنبر بعد الخطبة مدة ولايتهم وكانوا يستهزؤن به وانما استهزؤا بالذى سماه به وقد قال الله تعالى قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم الآية والذى ذكره

الحاكم صحيح فانهم ما كانوا يتحاشون من ذلك بدليل ما روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص انه دخل على معاوية بن أبى سفيان فقال له ما منعك أن تسب أبا تراب الحديث وسنذكره فيما بعد انشاء الله تعالى .

واستمر الحال الى زمن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فجعل مكان ذلك السب ان الله يأمر بالعدل والاحسان فلما ولى بعده يزيد بن عبد الملك لم يتعرض لسبه فقيل له فى ذلك فقال ما لنا ولهذا واستمر الحال وقيل ان الوليد ابن يزيد اعاد السب وقيل ان بعض بنى أمية كان يقول اللهم صل على معاوية وحده لقد لقينا من على جهده .

وروى عنه عليه السلام انه كان يقول انا أبو الحسن القرم والقرم السيد المكرم واصله البعير الذى لا يحمل عليه ولا يذلل .

فصل فى صفته عليه السلام

ذكر الحافظ من مسنده انه كان ادم شديد الأدمة عظيم العينين غليظ الساعدين اقرب الى القصر من الطول عريض اللحية (١) لم يصفه احد بالخضاب سوى سواد بن حنظلة والصحيح انه لم يخضب وروى انه كان يصفر لحيته بالحناء ثم ترك .

فصل فى ذكر والده عليه السلام

قد ذكرنا نسبه وانه ابن عبد المطلب ولما احتضر عبد المطلب اوصى الى أبى طالب وعهد اليه فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اشار محمد بن سعد فى كتاب

(١) ـ اصلع : ابيض الرأس واللحية .

الطبقات عن جماعة من العلماء منهم ابن عباس ومجاهد وعطاء والزهرى وغيرهم فذكر طرفاً من ذلك فقالوا توفى عبد المطلب فى السنة الثانية ولرسول الله ﷺ ثمان سنين وكانت قد أتت على عبدالمطلب مائة وعشرون سنة ودفن بالحجون .

قالت ام ايمن انا رأيت رسول الله ﷺ يمشى تحت سريره وهو يبكى وقيل كان لعبد المطلب يوم مات ثمانون سنة والاول اظهر .

وروى مجاهد عن ابن عباس قال قوم من القافه من بنى مذحج لعبد المطلب لما شاهدوا قدمى رسول الله ﷺ يا أبا البطحاء احتفظ بهذا فانا لم نر قدما اشبه بالقدم الذى فى المقام من قدميه فقال عبد المطلب لابى طالب اسمع ما يقول هؤلاء فان لابنى هذا ملكا ثم ان أباطالب قام بنصرة رسول الله ﷺ وكفالته احسن القيام فكان معه لا يفارقه وكان يحبه حباً شديداً ويقدمه على أولاده ولا ينام الا وهو الى جانبه وكان يقول له انك لمبارك النقيبة ميمون الطلعة .

وذكر ابن سعد فى الطبقات قال خرج أبو طالب الى ذى المجاز ومعه رسول الله ﷺ فعطش فقال يابن اخى عطشت ولا ماء فنزل رسول الله ﷺ فضرب بعقبه الارض فنبع الماء فشرب وذكر أهل السير ان أباطالب لما قام بنصرة رسول الله ﷺ وذب عنه احسن الذب اجتمعت اليه قريش وقالوا ان ابن أخيك قد سب إلهنا وسفه احلامنا وضلل آباءنا فاما ان تسلمه الينا او يقع الحرب بيننا فقال بفيكم الحجر والله لااسلمه اليكم ابداً فقالوا هذا عمارة بن الوليد ابن المغيرة اجمل فتى فى قريش واحسنه فخذه واتخذه ولداً عوضه وسلمه الينا نقتله ورجل برجل فقال ابو طالب قبح الله هذه الوجوه ويحكم والله بئس ما قلتم تعطونى ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابنى تقتلونه بئس والله الرجل انا ثم قال افرقوا بين النوق وفصلانها فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم ثم قال :

والله ان يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب رهينا
فاصدع بامرك ماعليك غضاضة وابشر وقر بذاك عيونا

وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينـــا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتنى سمحاً بذاك ضنينا

ثم قام أبو طالب يذب عن رسول الله ﷺ من سنة ثمان من مولده الى السنة العاشرة من النبوة وذلك اثنان وأربعون سنة .

وقال الواقدى اصاب أبا طالب سهم عام الفجار فكان يتوجع منه .

واخبرنا جدى أبو الفرج رحمه الله قال انبأنا محمد بن عبد الباقى بن محمد الأنصارى قال انبأنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى أنبأنا أبو عمرو محمد ابن العباس بن حياته انبأنا أبو الحسن احمد بن معروف أنبأنا الحسن بن الفهم أنبأنا محمد بن سعد انبأنا محمد بن عمرو بن واقد الواقدى قال حدثنى معمر بن راشد عن محمد بن شهاب الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما مرض أبو طالب مرض الموت دخل عليه رسول الله ﷺ فقال له يا عم قل كلمة اشهد لك بها غداً عند الله فقال له يابن أخى لولا رهبة ان تقول قريش دهورنى الجزع فتكون سبة عليك وعلى بنى أبيك لاقررت بها عينك لما رأى من نصحك لى وبه قال ابن سعد حدثنا الواقدى قال دعا أبو طالب قريشاً عند موته فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد بن أخى وما اتبعتم أمره فاتبعوه واعينوه فارشدكم فقال له رسول الله ﷺ أتامرهم بها وتدعها بنفسك يا عم فقال يا ابن أخى اما انك لو سألتنى الكلمة وانا صحيح لتابعتك على ما تقول ولكنى أكره ان يقال جزع عند الموت ثم مات .

وقال ابن سعد بالاسناد المتقدم حدثنى الواقدى قال قال على عليه السلام لما توفى أبو طالب أخبرت رسول الله ﷺ فبكا بكاءاً شديداً ثم قال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه فقال له العباس يا رسول الله انك لترجو له فقال اى والله انى لارجو له وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته وقال الواقدى قال ابن عباس عارض رسول الله ﷺ جنازة

أبى طالب وقال وصلتك رحم وجزاك الله يا عم خيراً . وذكر ابن سعد أيضاً عن هشام بن عروة قال ما زالوا كافين عن رسول الله ﷺ حتى مات ابو طالب يعني قريشاً . وقال السدى مات أبو طالب وهو ابن بضع وثمانين سنة ودفن بالحجون عند عبد المطلب وقال علي «ع» يرثيه :

أبا طالب عصمة المستجير　　وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ　　فصلى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه　　فقد كنت للطهر من خير عم

وقال أيضاً :

أرقت لطير آخر الليل غردا　　يذكرني شجواً عظيماً مجددا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى　　جواداً اذا ما أصدر الأمر أوردا
فامست قريش يفرحون بموته　　ولست أرى حياً يكون مخلدا
أرادوا أموراً زينتها حلومهم　　ستوردهم يوماً من الغي موردا
يرجون تكذيب النبي وقتله　　وان يفترى قدماً عليه ويجحدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم　　صدور العوالي والحسام المهندا
فاما تبيدونا واما نبيدكم　　واما تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فان الحي دون محمد　　بني هاشم خير البرية محمدا

فصل فى ذكر والدته

وهى فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف اسلمت وهاجرت الى المدينة وتوفيت بها سنة أربع من الهجرة وشهد رسول الله (ص) جنازتها وصلى عليها ودعى لها ودفع لها قميصه فالبسها اياها عند تكفينها .

قال الزهرى وكان رسول الله (ص) يزورها ويقيل عندها فى بيتها وكانت صالحة .

قال ابن عباس: وفيها نزلت (ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال ؛ وهى أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية وهى أول امرأة بايعت محمد رسول الله (ص) بمكة بعد خديجة ؛ قال الزهرى سمعت رسول الله (ص) يقول: يحشر الناس يوم القيامة عراة فقالت واسوءتاه فقال لها رسول الله (ص) فانى اسأل الله ان يبعثك كاسية قال وسمعته يقول أو يذكر عذاب القبر فقالت واضعفاه فقال انى اسأل الله ان يكفيك ذلك .

وذكر احمد بن الحسين البيهقى باسناده الى أنس ان رسول الله (ص) نزل فى حفرتها ؛ وقال أهل السير هى أول هاشمية ولدت خليفة هاشمياً ولا يعرف خليفة أبواها هاشميان سوى أمير المؤمنين على «ع» ومحمد بن زبيدة ولد هارون الرشيد الملقب بالامين . وكذا لم يل الخلافة من اسمه على سوى أمير المؤمنين وعلى بن المعتضد ويلقب بالمكتفى .

وروى ان فاطمة بنت اسد كانت تطوف بالبيت وهى حامل بعلى «ع» فضربها الطلق ففتح لها باب الكعبة فدخلت فوضعته فيها وكذا حكيم بن حزام ولدته أمه فى الكعبة .

قلت وقد اخرج لنا أبو نعيم الحافظ حديثاً طويلا فى فضلها إلا انهم قالوا فى اسناده روح بن صلاح ضعفه ابن على فلذلك لم نذكره .

فصل فى ذكر أولادها

وجميعهم من أبى طالب وهم ستة: أربع ذكور وبنتان فالذكور طالب وعقيل وجعفر وعلى وبين كل واحد وبين الآخر عشر سنين فطالب أكبر ولد ابى طالب

وبه كان يكنى وبين طالب وعقيل عشر سنين وبين عقيل وجعفر عشر سنين وبين جعفر وعلى عشر سنين فعلى «ع» أصغر ولده وطالب أكبرهم وكنيته أبو يزيد وكان عالماً بانساب قريش اخرجه المشركون يوم بدر لقتال رسول الله (ص) كرهاً فقال :

اللهم أما يغزون طالب فى مقنب من هذه المقانب
وليكن المغلوب غير غالب وليكن المسلوب غير السالب

فلما انهزم المشركون يوم بدر لم يوجد لا فى القتلى ولا فى الاسرى ولا رجع الى مكة ولا يدرى ما حاله وليس له عقب .

وأما عقيل فقال ابن سعد انه اخرج يوم بدر مع من اخرج مكرهاً واسر يومئذ ولم يكن له مال ففداه عمه العباس .

وقال ابن سعد أنبأنا على بن عيسى النوفلى أنبأنا أبان بن عثمان عن معاوية ابن عمار قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد يقول قال رسول الله (ص) يوم بدر أنظروا من هاهنا من أهل بيتى من بنى هاشم فجاء على «ع» فنظر الى العباس ونوفل وعقيل ثم رجع فناداه عقيل يا ابن أم والله لقد رأيتنا فجاء على الى الرسول (ص) فاخبره فجاء رسول الله (ص) فوقف على رأس عقيل فقال أبا زيد قتل أبو جهل فقال اذاً لا تنازعوا فى تهامة فان كنت أثخنت القوم وإلا فاركب اكتافهم وفى رواية الآن صفالك الوادى ثم رجع عقيل الى مكة فاقام بها الى سنة ثمان من الهجرة ثم خرج مهاجراً الى المدينة فشهد غزاة موته واطعمه رسول الله (ص) من خيبر مائة وأربعين وسقا كل سنة .

قال الواقدى اصاب عقيل يوم موته خاتماً عليه تماثيل فنفله اياه رسول الله (ص) فكان فى يده .

وقال الواقدى وعاش الى سنة خمسين من الهجرة وتوفى فيها بعد ما ذهب بصره وأخبرنا جدى أبو الفرج محمد بن على الجوزى وشيخنا العلامة زيد بن

الحسن بن زيد الكندى قال جدى اخبرنا محمد بن عبد الباقى بن محمد الانصارى سماعاً وقال زيد بن الحسن الكندى اخبرنا محمد بن عبدالباقى بن محمد الانصارى اجازة قال اخبرنا أبو محمد الحسن بن على بن محمد الجوهرى اخبرنا أبو عمرو محمد بن العباس بن حيويه اخبرنا أبو الحسن احمد بن معروف اخبرنا الحسن بن فهم حدثنا محمد بن سعد كاتب الواقدى أنبأنا الفضل بن دكين أنبأنا عيسى بن عبد الرحمن السلمى عن أبى اسحق ان رسول الله (ص) قال لعقيل يا أبا يزيد انى أحبك حبين حباً لقرابتك وحباً لما كنت أعلم من حب عمى اياك وكان له عقب بالمدينة وله بها دار ومن أولاده يزيد وبه كان يكنى وسعيد وامهما أم سعيد بنت عمرو من بنى صعصعة وجعفر الاكبر وأبو سعيد وهو اسمه وكان أحول وامهما أم البنين كلابية ومسلم وهو الذى بعثه الحسين عليه السلام الى الكوفة فقتله ابن زياد وعبد الله ، وعبد الرحمن ، وعلى ، وجعفر ، وحمزة ، ومحمد ورملة ، وأم هانى ، وفاطمة ، وأم القاسم ، وزينب ، وأم النعمان ، وجعفر الاصغر . لامهات اولاد شتى وكان عقيل قد باع رباع بنى هاشم بمكة وهو الذى قال فيه رسول الله (ص) وهل ترك لنا عقيل من منزل وكان طالب وعقيل قد ورثا أبا طالب ولم يرثه جعفر وعلى لانهما كانا مسلمين وأما البنتان فأم هانى قال ابن سعد اسمها جعدة وقيل فاختة وقيل هند وهى التى صلى رسول الله (ص) صلاة الضحى فى بيتها يوم الفتح ثمان ركعات وقد أخرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين عنها قالت ذهبت الى النبى (ص) عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هانى بنت أبى طالب فقال مرحباً فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفاً فى ثوب واحد فلما انصرف قلت يا رسول الله زعم ابن امى على انه قاتل رجلا قد اجرته فلان أى هبيرة زوجها فقال رسول الله (ص) قد اجرنا من اجرت قالت وذلك ضحى وفى بعض الروايات الصحيحة ان ذلك كان فى بيتها قال الزهرى اجرته الذى

زوجها أبو وهب هبيرة بن عمرو بن عايد المخزومى وتوفى بنجران مشركا وقيل غيره واما ام هانى فهاجرت الى المدينة ولما افضت الخلافة الى على عليه السلام استعمل فيها جعدة بن هبيرة والابنة الاخرى اسمها جمانة تزوجها أبو سفيان ابن الحرث بن عبدالمطلب وهاجرت الى المدينة وتوفيت فى حياة رسول الله (ص)

وأما سيرة جعفر بن أبى طالب فسنذكرها فيمابعد انشاء الله تعالى ، وذكر ابن سعد لأبى طالب ابنة أخرى وقال اسمها ريطة وقيل اسماء وأم الجميع فاطمة بنت أسد وذكر أيضاً لأبى طالب ابناً آخر وقال اسمه طليق واسم أمه وعلة والله أعلم بالصواب .

الباب الثاني في ذكر فضائله عليه السلام

وهى أشهر من الشمس والقمر واكثر من الحصى والمدر وقد اخترت منها ماثبت واشتهر وهى قسمان : قسم مستنبط من الكتاب ، والثانى : من السنة الظاهرة التى لا شك فيها ولا ارتياب . وقد روى مجاهد قال سأل رجل عن ابن عباس فقال ما أكثر فضايل على بن أبى طالب وأنى لاظنها ثلاثة آلاف فقال له ابن عباس هى الى الثلاثين الفاً أقرب من ثلاثة آلاف ثم قال ابن عباس لو أن الشجر اقلام والبحر مداد والانس والجن كتاب وحساب ما احصوا فضائل أمير المؤمنين على عليه السلام وروى عكرمة عن ابن عباس قال ما انزل الله فى القرآن آية الا وعلى راسها وأميرها فاما نصوص الكتاب فايات منها قوله تعالى فى البقرة واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين روى مجاهد عن ابن عباس انه قال أول من ركع مع النبى (ص) على بن أبى طالب عليه السلام فنزلت فيه هذه الآية ومنها قوله تعالى فى البقرة أيضاً قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم

بالليل والنهار سراً وعلانية روى عكرمة عن ابن عباس قال كان مع على عليه السلام أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فنزلت فيه هذه الآية ومنها قوله تعالى فى آل عمران قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم الآية . قال جابر بن عبدالله فيما رواه عنه أهل السير قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم السيد والعاقب وجماعة من الاساقفة فقالوا من أبو موسى فقال عمران قالوا فانت قال أبى عبد الله بن عبد المطلب قالوا فعيسى من أبوه فسكت ينتظر الوحى فنزل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا لا نجدها فيما أوحى الى انبيائنا فقال كذبتم فنزل قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وابنائكم) الآية قالوا انصفت فمتى نباهلك قال غداً انشاء الله فانصرفوا وقال بعضهم لبعض ان خرج فى عدة من أصحابه فباهلوه لانه غير نبى وان خرج فى أهل بيته فلاتباهلوه فانه نبى صادق ولئن باهلتموه لتهلكن ثم بعث رسول الله (ص) الى أهل المدينة ومن حولها فلم يبق بكر ولا عانس إلا وخرجت ، وخرج رسول الله (ص) وعلى «ع» بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن شماله وفاطمة عليها السلام خلفه ثم قال هلموا فهؤلاء أبنائنا واشار الى الحسن والحسين وهذه نسائنا يعنى فاطمة وهذه انفسنا يعنى نفسى واشار الى على « ع » فلما رأى القوم ذلك خافوا وجاؤا الى بين يديه فقالوا اقلنا اقالك الله فقال النبى صلى الله عليه وآله والذى نفسى بيده لو خرجوا لامتلأ الوادى عليهم ناراً .

وروى عن جعفر الصادق عليه السلام انه قال : فى تفسير هذه الآية إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ان معناه ان مثل عيسى عند الله فى الخلق كمثل آدم خلقه من تراب من غير أب فالهاء الاولى وهى قوله خلقه عائدة الى آدم والهاء الثانية فى قوله ثم قال له كن عائدة الى عيسى عليه السلام .

وذكر أبو اسحق الثعلبى فى تفسيره ان رسول الله (ص) غدا محتضناً الحسين

آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي «ع» خلفهم وقال رسول الله (ص) اذا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معاشر النصارى انى لارى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض إلا مسلم فرجعوا الى بلادهم وصالحوا رسول الله ﷺ على الى حلة

ومنها فى المائدة قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الى قوله وهم راكعون ذكر الثعلبي فى تفسيره عن السدى وعتبة بن أبي الحكيم وغالب ابن عبد الله قالوا نزلت هذه الآية فى علي بن أبي طالب عليه السلام مر به سائل وهو فى المسجد راكع فأعطاه خاتمه .

وذكر الثعلبي القصة مسندة الى أبي ذر الغفارى فقال صليت يوماً صلاة الظهر فى المسجد ورسول الله ﷺ حاضر فقام سائل فسأل فلم يعطه احد شيئاً قال: وكان علي عليه السلام قد ركع فأومى الى السائل بخنصره فاخذ الخاتم من خنصره والنبي ﷺ يعاين ذلك فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان أخي موسى سئلك فقال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى الآية الى قوله واشركه فى أمرى فانزل عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما اللهم وانا محمد صفيك ونبيك فاشرح لى صدرى ويسر لى امرى واجعل لى وزيراً من أهلي علياً اشدد به ازرى أو قال ظهرى قال أبو ذر فوالله ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال يا محمد اقرأ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الى قوله وهم راكعون ؛ وفى رواية اخرى خرج رسول الله ﷺ وعلي قائم يصلي وفى المسجد سائل معه خاتم فقال له رسول الله ﷺ هل اعطاك احد شيئاً فقال نعم ذلك المصلى هذا الخاتم وهو راكع فكبر رسول الله ﷺ ونزل جبرئيل عليه السلام يتلو هـــذه الآية فقــال حسان بن ثابت :

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي وكل بطيء فى الهدى ومسارع

فانت الذى اعطيت اذ كنت راكعاً   فدتك نفوس الخلق ياخير راكع
بخاتمك الميمون ياخير سيد   وياخير شار ثم ياخير بايع
فانزل فيك الله خير ولاية   وبينها فى محكمات الشرايع

وقال أيضاً :

من ذا بخاتمه تصدق راكعاً   واسرها فى نفسه اسرارا
من كان بات على فراش محمد   ومحمد اسرى يؤم الغارا
من كان فى القرآن سمى مؤمناً   فى تسع آيات تلين غزارا

اشار الى قول ابن عباس ما انزل الله آية فى القرآن إلا على عليه السلام أميرها ورأسها فان قيل فالقاء الخاتم عبث فى الصلاة ولا يليق ذلك بعلى عليه السلام فالجواب من وجهين أحدهما ما ذكرناه انه اشار الى السائل فاخذه من خنصره والثانى ان الكلام والافعال كان مباحاً عندهم حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين فانتهوا عنه

ومنها فى براءة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال علماء السير معناه كونوا مع على عليه السلام وأهل بيته ، قال ابن عباس على عليه السلام سيد الصادقين ومنها فى هود قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه . ذكر الثعلبى فى تفسيره عن ابن عباس انه على عليه السلام ومعنى ويتلوه شاهد منه انه اقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر الثعلبى أيضاً باسناده الى على عليه السلام من رواية زاذان قال سمعته عليه السلام يقول والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو ثنيت لى وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الأنجيل بانجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والذى نفسى بيده مامن رجل من قريش جرت عليه المواسى إلا وأنا اعرف له آية تسوقه الى الجنة أو تقوده الى النار فقال له رجل يا أمير المؤمنين فما آيتك التى أنزلت فيك فقال أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فرسول الله على بينة وأنا شاهد منه ومنها فى آخر مريم قوله تعالى (ان الذين آمنوا

وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) قال ابن عباس هذا الود جعله الله لعلي فى قلوب المؤمنين .

وقد روى أبو اسحق الثعلبي هذا المعنى مسنداً فى تفسيره الى البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام قل اللهم اجعل لى عندك عهداً واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية ومنها فى الاحزاب قوله تعالى (فمنهم من قضى نحبه ومنهم ينتظر) قال عكرمة الذى ينتظر أمير المؤمنين فاما قوله تعالى فى هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) فسنذكره فيما بعد انشاء الله تعالى ، ومنها فى الصافات قوله تعالى (وقفوهم انهم مسؤلون) قال مجاهد عن حب علي عليه السلام ومنها فى الجاثية قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء) عن ابن عباس نزلت فى علي عليه السلام يوم بدر فالذين اجترحوا السيئات عتبة وشيبة والوليد بن المغيرة والذين آمنوا وعملوا الصالحات علي عليه السلام ومنها فى الواقعة قوله تعالى (والسابقون السابقون) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أول من صلى مع رسول الله ﷺ علي عليه السلام وفيه نزلت هذه الآية ومنها فى المجادلة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجويكم صدقة) قال علماء التأويل نزلت فى علي عليه السلام تصدق بدينار ثم ناجى الرسول ﷺ فاقتدى به المسلمون ثم نزلت الرخصة وقد اشار الى القصة أبو اسحق الثعلبي فى تفسيره .

فقال : عن ابن عباس سأل الناس رسول الله واحفوه فى المسألة فادبهم الله بهذه الآية . حكى الثعلبي عن مجاهد قال : نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام قدم ديناراً فتصدق به .

قال : وقال علي «ع» ان فى كتاب الله لاية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها احد بعدى وتلا هذه الآية وفى رواية عنه لما نزلت هذه الآية دعانى رسول الله ﷺ فقال ما ترى ، ترى ديناراً قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة

أو شعيرة قال انك لزهيد ، أى قليل المال قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) الآية .

قال على «ع» : فبى خفف الله عن هذه الأمة .

وكان ابن عمر يقول كانت لعلى «ع» ثلاث لو كانت لى واحدة منهن كانت احب الى من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى، والزهيد قليل المال .

ومنها فى سورة لم يكن قوله تعالى (اولئك هم خير البرية) قال مجاهد هم على «ع» ، وأهل بيته ومحبوهم ، وفى القرآن آيات كثيرة اختصرنا على هذه الجملة لأنها عزيزة وسنذكر بعضها فى غضون الأبواب بما لا يخرج عن مقصود الكتاب كقوله تعالى فى السجدة افمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما السنة فبأخبار نبدأ منها بما ثبت فى الصحيح والمشاهير من الآثار .

حديث فى اخبار رسول الله ﷺ لعلى عليه السلام

قال احمد فى المسند : وقد تقدم اسناده حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن وقاص قال خلف رسول الله ﷺ علياً «ع» فى غزاة تبوك فى أهله فقال يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان فقال : ألا ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبى بعدى اخرجاه فى الصحيحين واتفقا عليه وقد اخرج مسلم عن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال أمر معاوية بن أبى سفيان سعداً وقال له ما منعك ان تسب أبا تراب فقال سعد أما ماذكرت ثلاث سمعت رسول الله ﷺ قالهن له فلن اسبه أبداً لأن يكون لى واحدة منهن أحب الى من حمر النعم وذكر منها حديث الراية وسنذكره فيما بعد انشاء الله تعالى ، والثانية لما نزل قوله تعالى (ندع ابناءنا وابناءكم) الآية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال اللهم هؤلاء

أهلى والثالثة سمعت رسول الله ﷺ وقد خلفه فى بعض مغازيه فقال يا رسول الله تركتنى مع النساء والصبيان فقال ألا ترضى وذكر الحديث ·

وقد ذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر أن سعداً لما قال لمعاوية هذه المقالة قال له معاوية ما كنت عندى ألام منك الآن فالا نصرته ولم قعدت عن بيعته وكان سعد قد تخلف عن بيعته عليه السلام ثم قال معاوية اما انى لو سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعت فى على بن أبى طالب لكنت له خادماً ما عشت .

وقد اخرج احمد بن حنبل هذا الحديث فى كتاب الفضائل الذى صنفه لامير المؤمنين عليه السلام اخبرنا به أبو محمد عبد العزيز بن محمود البزاز قال ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن ناصر السلمى ، اخبرنا أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفى أخبرنا أبو طاهر محمد بن على بن محمد بن يوسف أخبرنا أبو بكر احمد بن جعفر بن حمدانى القطيعى حدثنا عبد الله بن احمد حدثنى أبى حدثنا وكيع عن الاعمش عن سعد بن عبيدة عن أبى بردة قال خرج على عليه السلام مع النبي ﷺ الى ثنية الوداع وهو يبكى ويقول خلفتنى مع الخوالف ما أحب ان تخرج فى وجه إلا وأنا معك فقال الا ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا النبوة وأنت خليفتى وفى رواية ان رسول الله ﷺ لما توجه الى تبوك خلف علياً « ع » فى أهله وأزواجه لأن المدينة خلت من الرجال فخاف عليها وتحدث المنافقون وقالوا اكره مسيره معه فبلغ ذلك علياً عليه السلام فلحق رسول الله ﷺ بالثنية وهو يبكى وذكره ·

﴿ الكلام على الحديث ﴾

قال محمد بن شهاب الزهرى : انما خلفه رسول الله ﷺ فى أهله كما فعل موسى باخيه هرون عليهما السلام لما ذهب موسى الى الميقات وإنما قال لا نبى بعدى لأنه نسخ بشرعه جميع الشرائع واتفق علماء السير ان علياً عليه السلام لم يفته

مع رسول الله ﷺ مشهد سوى تبوك واتفقوا على انه لم يجر فيها قتال وسئل عدى عن هذا فقال فقدت الحرب الشجاع من يقاتل وأما قول معاوية لسعد ما منعك ان تسب أبا تراب فان معاوية لما سب علياً عليه السلام وأمر الناس بذلك تورع سعد عن مسبته ولم يأخذه فى الله لومة لائم . قال علماء السير ولما استشهد على عليه السلام واستقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد فقال السلام عليك أيها الملك فضحك معاوية وقال (١) يا أبا اسحق مايضرك لو قلت يا أمير المؤمنين قال والله لا اقولها ابداً أتقولها يا معاوية جذلان ضاحكا والله ما احب انى وليتها بما وليتها به ، والجذلان الفرح .

وقال الشعبي : كان سعد قد اعتزل الناس أيام فتنة عثمان رضى الله عنه ولم يخض فيما خاض فيه غيره وكان صاحب كرامات ودعوة مستجابة ، ومن كراماته ما ذكره مسلم فى صحيحه أنه كان بالبادية فى أبله فجاء اليه أبنه عمرو بن سعد فلما رآه من بعيد قال : اعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فنزل فسلم عليه وقال يا أبت تركت الناس يتنازعون الملك ونزلت فى أبلك وغنمك وباديتك فضرب سعد فى صدره وقال له مه ـ أو اسكت ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله يحب العبد الغنى التقى الخفى وهذا عمرو بن سعد هو الذى قتل الحسين «ع» وفعل به وبأهله مافعل فانظروا الى فراسة سعد فيه حيث قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب .

قلت: وقد روى احمد بن حنبل فى الفضائل حديثاً فى المواخاة فقال حدثنا الحسن بن على البصرى انبأنا أبو عبدالله الحسين بن راشد الطفاوى انبأنا الصباح بن عبد الله أبو بشر أنبأنا قيس بن الربيع انبأنا سعد الخفاف عن عطية عن محدوج بن زيد الباهلى قال آخا رسول الله بين المهاجرين والانصار فبكى على فقال رسول الله ما يبكيك فقال لم تواخ بينى وبين أحد فقال انما ادخرتك لنفسى ثم قال لعلى أنت بمنزلة هرون من موسى الحديث ثم قال يا على اما علمت انه أول من يدعى

(١) وفى نسخة: يا أبا اسحاق ماضرك لو قلتها. يعنى ان تسلم على بأمرة المؤمنين. فقال سعد الخ

به يوم القيامة أنا فأقوم عن يمين العرش فى ظله فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض فيقومون سماطين على يمين العرش ويساره ويلبسون حللا خضراء من الجنة وان أمتى أول من تدعى يوم القيامة للحساب ثم أنت أول من يدعى بك لقرابتك منى ومنزلتك عندى ويدفع اليك لوائى وهو لواء الحمد فتسير به بين السماطين آدم ومن دونه وجميع خلق الله يستظلون بظل لوائى يوم القيامة وطوله مسيرة الف سنة وسنانه ياقوتة حمراء وقصبته درة خضراء وله ثلاث ذوايب من نور ذوابة فى المشرق وذوابة فى المغرب وذوابة وسط الدنيا مكتوب على كل ذوابة سطر فعلى احدى الذوايب (بسم الله الرحمن الرحيم)، وعلى الثانية (الحمد لله رب العالمين)، وعلى الثالثة (لا إله إلا الله محمد رسول الله فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بينى وبين ابراهيم «ع» فى ظل العرش وتكسى حلة خضراء من حلل الجنة وينادى مناد من تحت العرش نعم الأب أبوك ابراهيم ونعم الاخ أخوك على أبشر يا على فانك ستكسى اذا كسيت وتدعى اذا دعيت وتحيى اذا حييت وتقف على عقر حوضى تسقى من عرفت فكان على «ع» يقول والذى نفسى بيده لاذودن عن حوض رسول الله ﷺ اقواماً من المنافقين كما تذاد غريبة الابل عن الحوض ترده فان قيل قد اخرج طرف من هذا الحديث فى الموضوعات قلنا الذى اخرج فى الموضوعات من طريق الدار قطنى عن ميسرة بن حبيب الهندى والحكم بن ظهير ولفظه عن على «ع» قال قال رسول الله ﷺ أول خلق الله يوم القيامة يكسى ابراهيم عليه السلام يكسى ثوبين ابيضين ثم يقام عن يمين العرش ثم يدعى بى فاكسى ثوبين اخضرين ثم اقام عن يمين العرش ثم تدعى أنت فتكسى ثوبين أخضرين ثم تقام عن يمينى فما ترضى يا على انك تدعى اذا دعيت وتكسى اذا كسيت وتشفع اذا شفعت ثم ضعف الدار قطنى ميسرة ابن حبيب والحكم.

ونحن نقول الحديث الذى رواه احمد فى الفضائل ليس فيه ميسرة ولا الحكم واحمد مقلد فى الباب متى روى حديثاً وجب المصير الى روايته لأنه امام زمانه وعالم أوانه والمبرز فى علم النقل على اقرانه والفارس الذى لا يجارى فى ميدانه وهذا هو الجواب عن جميع ما يرد فى الباب وفى احاديث الكتاب .

وقد أخرج احمد فى الفضائل عن جابر قال قال رسول الله (ص) يا على والذى نفسى بيده ان على باب الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله على ابن أبي طالب أخو رسول الله (ص) قبل أن يخلق الله السموات والارض بالفى سنة .

فان قيل هذا الحديث مخرج فى الموضوعات قلنا جملة ماذكر فى الموضوعات وقال المتهم به زكريا بن يحيى ضعفه ابن معين وغيره واحمد رواه من غير طريق زكريا ولو كان حديثا مطعوناً فيه لبينه .

وقال احمد فى الفضائل : أنبأنا غنام وفى رواية كتب الينا يذكران عبادة بن يعقوب حدثهم عن على بن عابس عن الحرث بن حصين عن القاسم قال سمعت رجلا من خثعم يقول سمعت اسماء بنت عميس تقول : سمعت رسول الله (ص) يقول: اللهم انى أقول كما قال أخى موسى واجعل لى وزيراً من أهلى علياً اشدد به ازرى واشركه فى أمرى كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ، الآية .

وقال احمد : أنبأنا زيد بن الحباب حدثنى الحسين بن واقد حدثنى مظفر الوراق عن قتادة عن سعيد بن المسيب ان رسول الله (ص) قال وقد آخا بين أصحابه أين على بن أبى طالب فجاء فقال يا على أنت أخى وأنا أخوك فان ناكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها بعدك إلا كذاب .

وهذا الحديث : قد أخرجه جدى فى كتاب الاحاديث الواهيه .

وحكى عن ابن معين انه قال : فى اسناده عمرو بن عبد الله ليس بشىء والجواب ما تقدم ، وعمرو بن عبد الله بن يعلي بن مرة من أولاد التابعين، وكان

يعلى بن مرة من الصحابة واحمد ارسله عن ابن المسيب وذكر احمد فى الفضائل فقال حدثنا احمد بن جعفر أنبأنا محمد بن الحسن أنبأنا أبو الحسين بن محمد السعدى أنبأنا عبد المؤمن ابن عباد العبدى أنبأنا يزيد بن معن عن عبد الله بن أبى أوفى قال دخلت على رسول الله (ص) فى مسجده فقال لى أين فلان وأين فلان فجعل ينظر فى وجوه أصحابه ويتفقدهم ويبعث اليهم حتى توافوا عنده فحمد الله واثنى عليه وآخا بينهم فقال له على بن أبى طالب لقد ذهبت روحى يا رسول الله حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيرى فان كان هذا من الله فلك العتبى والكرامة فقال رسول الله (ص) والذى بعثنى بالحق ما أخرتك إلا لنفسى وأنت منى بمنزلة هرون من موسى وأنت أخى ووارثى فقال يا رسول الله وما أرث منك قال ما ورث الانبياء قبلى قال وما ورثوا قال كتاب الله وسنن أنبيائه وأنت معى فى قصرى فى الجنة مع فاطمة ابنتى والحسن والحسين ابنى وأنت رفيقى ثم تلى رسول الله (ص) (أخواناً على سرر متقابلين) .

فان قيل فى اسناده عبد المؤمن بن عباد وكان ضعيفاً والجواب الحديث الذى يرويه عبد المؤمن حديث طويل أخرجه أبو محمد بن عدى الحافظ من حديث زيد بن أبى أوفى وقد خرجه جدى أبو الفرج فى الأحاديث الواهية اما هذا الحديث فخرجه احمد فى الفضائل من غير رواية عبد المؤمن ورجاله ثقات وهو من حديث عبد الله بن أبى أوفى فهذا حديث وذاك آخر والدليل على صحته انه أخرج الترمذى بمعناه فى جامعه .

أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود البزاز قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبى القاسم بن أبى سهل الكرخى أخبرنا القاضى أبو عامر محمود ابن القاسم الازدى وأبو بكر احمد بن عبد الصمد الغورجى قالا أخبرنا محمد بن عبد الجبار بن محمد الجراحى أنبأنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبى أنبأنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى أنبأنا سفيان بن وكيع أنبأنا عبيد الله بن

موسى عن عيسى بن عمر عن السدى عن عبد الله بن عمر قال آخا النبى (ص) بين أصحابه فجاء على بن أبى طالب تدمع عيناه فقال يا رسول الله صلى الله عليك آخيت بين أصحابك ولم تواخ بينى وبين أحد فقال له رسول الله (ص) أنت أخى فى الدنيا والآخرة .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، وقيل ان احمد أخرج الحديث الماضى فى الفضائل عن زيد بن أبى أوفى .

حديث الراية

قال احمد فى المسند أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا شعبة عن الحكم عن مصعب ابن سعد وأخرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين واتفقا عليه من حديث سهل ابن سعد قال قال رسول الله (ص) يوم خيبر لأعطين الراية أو هذه الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله (ص) يرجوا كل أن يعطاها فقال ابن على بن أبى طالب فقيل يا رسول الله هو ارمد أو يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فجاء فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال يارسول الله على ما أقاتلهم فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالذى نفسى بيده لان يهتدى بهداك أولان يهدى الله بهداك رجلا واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم ، وفى رواية يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال رسول الله (ص) انزل بساحتهم وذكره ، ولمسلم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى ذلك اليوم ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فتساورت لها رجاء أن ادع لها فدعا رسول الله (ص) علياً فدفعها وقال له امش حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت فسار قليلا ثم وقف ولم يلتفت وصرخ يا رسول الله على ماذا اقاتلهم فقال حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد

منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله .

تفسير غريب ، معنى يدوكون أى يختلطون والدوك الاختلاط وانما مثل بحمر النعم لانها من أعز أموال العرب وقول تساورت أى تطلعت وانما لم يلتفت على «ع» امتثالا لأمر رسول الله (ص) واستعمالا للأدب ولئلا يرجع فى حاجة بعثه فيها رسول الله (ص) ولم يقضها وقد اخرج احمد بن حنبل هذا الحديث فى الفضائل وزاد فيه فاخذ رسول الله (ص) الراية فهزها ثم قال من يأخذها بحقها فقال فلان أنا فقال أمط ثم جاء آخر فقال أنا فقال امط فعل ذلك مراراً بجماعة ثم قال (ص) والذى كرم وجه محمد لا عطينها رجلا لا يفر ، هاك يا على فانطلق بها وفتح الله خيبر على يديه . وقوله امط معناه اذهب واماطه دفعه وزجره وقيل اعطاه وفى رواية لجاء على «ع» وهو ارمد لا يبصر موضع قدميه قال على «ع» فما رمدت عينى بعد ذلك اليوم وما وجدت الم البرد ولاشدة الحر منذ دعالى رسول الله ﷺ وكان يلبس ثياب الصيف فى الشتاء وثياب الشتاء فى الصيف .

وقال احمد فى الفضائل حدثنا الحسن بن على البصرى حدثنا الحسين بن راشد الطفاوى حدثنا الصباح بن عبدالله حدثنا قيس بن الربيع عن سعد الخصاف عن عطية عن ابن بريدة قال حاصرنا خيبر فاخذ اللواء أبو بكر رضى الله عنه فلم يفتح له ثم أخذه عمر رضى الله عنه من الغد فرجع ولم يفتح له واصاب الناس شدة وجهد فقال رسول ﷺ انى دافع اللواء غداً الى رجل يحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح أو يفتح الله على يديه قال فبتنا طيبة أنفسنا ان الفتح غداً فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم ثم دعا علياً عليه السلام وذكر بمعنى ما تقدم قال فبرز اليه من خيبر مرحب وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الليوث أقبلت تلهب اطعن أحياناً وحيناً أضرب

فاجابه علي عليه السلام وقال :

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

عبل الذراعين شديد القصورة أضرب بالسيف وجوه الكفرة

ضرب غلام ماجد حزورة أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ثم ضرب رأس مرحب بالسيف ففلقه .

قال علي عليه السلام وجئت برأس مرحب الى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فسر بذلك . ودعا لي كذا وقعت هذه الرواية شديد القصوره بالصاد والصحيح عبل الذراعين شديد قسورة بالسين وهي من اسماء الأسد والسندره مكيال ضخم .

وذكر احمد في الفضائل ايضاً انهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم وقائلا يقول :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينشد شعراً فاذن له فقال :

جبريل نادى معلنا والنقع ليس بمنجلي

والمسلمون قد احدقوا حول النبي المرسل

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فان قيل قد ضعفوا لفظة لا سيف إلا ذو الفقار قلنا الذي ذكروه ان الواقعة كانت في يوم احد ونحن نقول انها كانت في يوم خيبر وكذا ذكر احمد ابن حنبل في الفضائل ولا كلام في يوم احد فان ابن عباس قال لماقتل علي عليه السلام طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين صاح صايح من السماء (لا سيف إلا ذو الفقار) قالوا في اسناد هذه الرواية عيسى بن مهران تكلم فيه وقالوا كان شيعياً .

أما يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد من العلماء وقيل أن ذلك كان يوم بدر والأول أصح .

وقال جابر بن عبد الله حمل على عليه السلام باب خيبر وحده فدحاه ناحية ثم جاء بعده أناس يحملونه فلم يحمله إلا أربعون رجلا .

وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التأريخ فيه عن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال لما نزلنا بحصن خيبر وكانت حصون فتقدم على عليه السلام فقاتل فخرج اليه رجل فضربه فطرح ترسه من يده فتناول على عليه السلام باباً عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم القاه قال أبو رافع فلقد رأيتنى فى نفر سبعة انا ثامنهم نجتهد على ان نقلب الباب فلم نقدر عليه .

وقيل هذا الحصن اسمه قموص وهو الذى اخذ على عليه السلام منه صفية وجاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وآله .

حديث فى ارتقائه عليه السلام على كتفى رسول الله صلى الله عليه وآله

قال احمد فى اسناده حدثنا اسباط حدثنا نعيم بن حكيم عن أبى مريم عن على عليه السلام قال انطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتينا الكعبة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله اجلس فجلست فصعد على كتفى فذهبت لانهض به فلم اطق ورأى منى ضعفاً فنزل وجلس لى رسول الله (ص) ثم قال اصعد على منكبى فصعدت على منكبيه فنهض بى وانه ليخيل لى انى لوشئت انأنال افق السماء لنلته حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفرا ونحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنت منه قال لى رسول الله (ص) اقذف به فقذفته فتكسر كما تكسر القوارير ثم نزلت فانطلقنا نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية ان يلقانا أحد من الناس .

قال سعيد بن المسيب فلهذا كان على عليه السلام يقول سلونى عن طرق السموات فانى اعرف بها من طرق الارضين ، ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

قال ابن المسيب لم يكن احد من اصحاب رسول الله (ص) يقولها إلا على ابن أبى طالب عليه السلام .

حديث فى محبته

قال احمد فى المسند حدثنا ابن نمير الاعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن على عليه السلام انه قال والله عهد الى رسول الله (ص) انه لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق انفرد باخراجه مسلم .

وأخرج الترمذى عن أم سلمة انها قالت سمعت رسول الله (ص) يقول لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح

وقال الترمذى أيضاً كان أبو الدرداء يقول ما كنا نعرف المنافقين معشر الأنصار إلا ببغضهم على بن أبى طالب عليه السلام .

وروى احمد فى الفضائل : عن المطلب بن عبد الله بن حنطبة عن أبيه قال قال رسول الله (ص) فى خطبته أوصيكم بحب ذى قرنيها أخى وابن عمى على ابن أبى طالب فانه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق وفى رواية فمن أحبه فقد أحبنى ومن أبغضه فقد ابغضنى ومن احبنى ادخله الله الجنة ومن أبغضنى ادخله الله النار .

حديث فى قوله عليه السلام : من كنت مولاه فعلى مولاه

قال احمد بن حنبل فى المسند : حدثنا ابن نمير حدثنا عبد الملك بن أبى عبد الرحيم الكندى عن زاذان قال : سمعت على بن أبى طالب يقول فى الرحبة وهو ينشد الناس يقول : انشد الله رجلا سمع رسول الله (ص) يقول فى يوم غدير خم من كنت مولاه فعلى مولاه فقام ثلاثة عشر رجلا من الصحابة فشهدوا انهم سمعوا رسول الله (ص) يقول ذلك وأخرجه الترمذى أيضاً فى كتاب السنن وقال حديث حسن وزاد فيه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأدر الحق معه كيفما دار وحيث دار واخرجه احمد أيضاً فى

الفضائل فقال حدثنا وكيع عن الاعمش عن سعد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله (ص) من كنت مولاه أو وليه فعلى وليه .

وفى رواية لما انشد على عليه السلام الناس فى الرحبة قام خلق كثير فشهدوا له بذلك وفى لفظ فقام ثلاثون رجلا فشهدوا وقال احمد فى الفضائل حدثنا يحيى ابن آدم حدثنا حبيش بن الحرث بن لقيط النخعى عن رياح بن الحرث قال جاء رهط الى أمير المؤمنين «ع» فقالوا السلام عليك يا مولانا وكان بالرحبة فقال كيف اكون مولاكم وأنتم قوم عرب قالوا سمعنا رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم من كنت مولاه فعلى مولاه ، قال رباح فقلت من هؤلاء فقيل نفر من الانصار فيهم أبو أيوب الأنصارى صاحب رسول الله (ص) .

وقال احمد فى الفضائل : حدثنا ابن نمير بن عبد الملك بن عطية العوفى قال أتيت زيد بن أرقم فقلت له ان ختناً لى حدثنى عنك بحديث فى شأن على «ع» يوم الغدير وانا احب ان اسمعه منك فقال انكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم فقلت ليس عليك منى باس فقال نعم كنا بالجحفة فخرج رسول الله (ص) علينا ظهراً وهو آخذ بعضد على بن أبى طالب فقال أيها الناس الستم تعلمون انى أولى بالمؤمنين من انفسهم فقالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلى مولاه قالها اربع مرات

وقال احمد فى الفضائل : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا على بن زيد عن عدى بن ثابت عن البراء ابن عازب قال كنا مع رسول الله (ص) فنزلنا بغدير خم فنودى فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله (ص) بين شجرتين فصلى الظهر واخذ بيد على «ع» وقال اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه قال فلقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد ذلك فقال هنيئاً لك يا ابن أبى طالب اصبحت وأمسيت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة وفى رواية اللهم فانصر من نصره واخذل من خذله واحب من احبه وابغض من أبغضه وكل هذه الروايات خرجها احمد بن حنبل فى الفضائل بزيادات فان قيل فهذه الرواية التى فيها قول عمر رضى

الله عنه أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة ضعيفة فالجواب ان هـذه الرواية صحيحة وانما الضعيف حديث رواه أبو بكر احمد بن ثابت الخطيب عن عبد الله بن على بن محمد بن بشرعن على بن عمر والدار قطنىعن أبى نصر خيشون ابن موسى بن أيوب الخلال رفعه الى أبى هريرة وقال فى آخره لما قال النبى (ص) من كنت مولاه فعلى مولاه نزل قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) الآية قالوا وقد انفرد بهذا الحديث خيشون ونحن نقول نحن ما استدللنا بحديث خيشون بل بالحديث الذى رواه احمد فى الفضائل عن البراء ابن عازب واسناده صحيح ورواية حديث خيشون مضطربة لانه قد ثبت فى الصحيحين ان قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية نزلت عشية عرفة فى حجة الوداع على ان الأزهرى قد روى عن خيشون ولم يضعفه فان سلمت رواية خيشون احتمل ان الآية نزلت مرتين مرة بعرفة ومرة يوم الغدير كما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة والله الموفق للصواب .

﴿ الكلام على الحديث ﴾

اتفق علماء السير على ان قصة الغدير كانت بعد رجوع النبى (ص) من حجة الوداع فى الثامن عشر من ذى الحجة جمع الصحابة (١) وكانوا مائة وعشرين الفاً وقال من كنت مولاه فعلى مولاه الحديث ، نص ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والاشارة .

وذكر أبو اسحاق الثعلبى فى تفسيره باسناده ان النبى (ص) لما قال ذلك طار فى الأقطار وشاع فى البلاد والامصار فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهرى فأتاه على ناقة له فأناخها على باب المسجد ثم عقلها وجاء فدخل فى المسجد فجثا

(١) ـ وفى نسخة وكان معه من الصحابة ومن الاعراب وممن يسكن حول مكة والمدينة مأة وعشرون ألفا وهم الذين شهدوا معه حجة الوداع وسمعوا منه هذه المقالة .

بين يدى رسول الله (ص) فقال يا محمد انك امرتنا ان نشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله فقبلنا منك ذلك ، وانك امرتنا ان نصلى خمس صلوات فى اليوم والليلة ونصوم رمضان ونحج البيت ونزكى أموالنا فقبلنا منك ذلك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك وفضلته على الناس وقلت من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شيء منك أو من الله فقال رسول الله ﷺ وقد أحمرت عيناه والله الذى لا إله إلا هو أنه من الله وليس منى قالها ثلاثاً فقام الحرث وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فارسل من السماء علينا حجارة أو أتنا بعذاب أليم قال فوالله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات وانزل الله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع)

فاما قوله من كنت مولاه فقال علماء العربية لفظة المولى ترد على وجوه احدها بمعنى المالك ومنه قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء) وهو كل على مولاه أى على مالك رقه والثانى بمعنى المولى المعتق بكسر التاء والثالث بمعنى المعتق بفتح التاء والرابع بمعنى الناصر ومنه قوله تعالى (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولا لهم) أى لا ناصر لهم والخامس بمعنى ابن العم قال الشاعر :

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا　　لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

وقال آخر :

هم الموالى حنقوا علينا　　وإنا من لقائهم لزور

وحكى صاحب الصحاح عن أبى عبيدة ان قائل هذا البيت عنى بالموالى بنى العم قال وهو كقوله تعالى (ثم يخرجكم طفلا) والسادس الحليف قال الشاعر :

موالى حلف لا موالى قرابة　　ولكن قطينا يسألون الاتاويا

يقول هم حلفاء لا ابناء عم قال فى الصحاح وأما قول الفرزدق :

ولو كان عبد الله مولى هجوته　　ولكن عبد الله مولى المواليا

فلان عبد الله بن أبي اسحاق مولى الحضرميين وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف والحليف عند العرب مولى وانما نصب الموااليا لأنه رده الى أصله للضرورة وانما لم ينون موالى لأنه جعله بمنزلة غير المعتل الذى لاينصرف والسابع المتولى لضمان الجريرة وحيازة الميراث وكان ذلك فى الجاهلية ثم نسخ بآية المواريث والثامن الجار وانما سمى به لما له من الحقوق بالمجاورة والتاسع السيد المطاع وهو المولى المطلق قال فى الصحاح كل من ولى أمر أحد فهو وليه والعاشر بمعنى الاولى قال الله تعالى (فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولامن الذين كفروا مأويكم النار هى مولاكم) أى أولى بكم واذا ثبت هذا لم يجز حمل لفظة المولى فى هذا الحديث على مالك الرق لأن النبى (ص) لم يكن مالكا لرق على «ع» حقيقة ولا على المولى المعتق لأنه لم يكن معتقاً لعلى ولا على المعتق لان علياً «ع» كان حراً ولا على الناصر لأنه «ع» كان ينصر من ينصر رسول الله ﷺ ويخذل من يخذله ولا على ابن العم لأنه كان ابن عمه ولا على الحليف لأن الحلف يكون بين الغرماء للتعاضد والتناصر وهذا المعنى موجود فيه ولا على المتولى لضمان الجريرة لما قلنا انه انتسخ ذلك ولا على الجار لانه يكون لغواً من الكلام وحوشى منصبه الكريم من ذلك ولا على السيد المطاع لأنه كان مطيعاً له يقيه بنفسه ويجاهد بين يديه والمراد من الحديث الطاعة المحضة المخصوصة فتعين الوجه العاشر وهو الأولى ومعناه من كنت أولى به من نفسه فعلى أولى به وقد صرح بهذا المعنى الحافظ أبو الفرج يحيى بن السعيد الثقفى الاصبهانى فى كتابه المسمى بمرج البحرين فانه روى هذا الحديث باسناده الى مشايخه وقال فيه فاخذ رسول الله (ص) بيد على «ع» فقال من كنت وليه وأولى به من نفسه فعلى وليه فعلم ان جميع المعانى راجعة الى الوجه العاشر ودل عليه أيضاً قوله «ع» الست أولى بالمؤمنين من انفسهم وهذا نص صريح فى اثبات امامته وقبول طاعته وكذا قوله (ص) وادر الحق معه حيث ما دار وكيف مادار فيه دليل على انه ما جرى

خلاف بين علي «ع» وبين أحد من الصحابة الا والحق مع علي «ع» وهذا باجماع الأمة ألا ترى ان العلماء إنما استنبطوا أحكام البغاة من وقعة الجمل وصفين وقد اكثرت الشعراء في يوم غدير خم فقال حسان بن ثابت :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم فاسمع بالرسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا وما لك منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فانني رضيتك من بعدي اماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له انصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادا علياً معاديا

ويروى ان النبي ﷺ لما سمعه ينشد هذه الابيات قال له ياحسان لاتزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا او نافحت عنا بلسانك .

وقال قيس بن سعد بن عبادة الانصاري وأنشدها بين يدي علي «ع» بصفين :

قلت : لما بغى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيل
وعلي امامنا وامام لسوانا به أتى التنزيل
يوم قال النبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل
وان ماقاله النبي على الأمة حتم ما فيه قال وقيل

وقال الكميت :

نفى عن عينك الارق الهجوعا وهما تمترى عنه الدموعا
لدى الرحمن يشفع بالمثاني فكان له أبو حسن شفيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو اطيعا
ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً منيعا

ولهذه الأبيات قصة عجيبة ؛ حدثنا بها شيخنا عمر بن صاف الموصلي رحمه الله تعالى قال انشد بعضهم هذه الأبيات وبات مفكراً فرأى علياً عليه السلام في المنام

فقال له أعد علىّ أبيات الكميت فانشده اياها حتى بلغ الى قوله : (خطراً منيعاً) فانشده على عليه السلام بيتاً آخر من قوله زيادة فيها :

فلم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً اضيعا

فأنتبه الرجل مذعوراً . وقال السيد الحميرى :

يا بايع الدين بدنياه ليس بهذا أمر الله
من اين ابغضت على الرضا واحمد قد كان يرضاه
من الذى احمد من بينهم يوم غدير الخم ناداه
أقامه من بين أصحابه وهم حواليه فسماه
هذا على بن أبى طالب مولى لمن قد كنت مولاه
فوال من والاه يا ذا العلا وعاد من قد كان عاداه

وقال بديع الزمان أبو الفضل احمد بن الحسين الهمدانى :

يا دار منتجع الرسالة وبيت مختلف الملائك
يا ابن الفواطم والعواتك والترايك والأرايك
أنا حايك ان لم اكن مولا ولائك وابن حايك

﴿ حديث ليلة الهجرة ﴾

قال احمد بن حنبل فى الفضائل حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو بكر بن محمد عن عمرو بن ميمون قال: انى لجالس الى ابن عباس إذ أتاه رهط يقعون فى على بن أبى طالب عليه السلام فرد عليهم ابن عباس قال لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله لبس على عليه السلام ثوبه ونام على فراشه وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء أبو بكر رضى الله عنه وهو نائم فحسب به رسول الله صلى الله عليه وآله فصاح يا نبى الله فقال له على عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه فانطلق أبو بكر رضى الله عنه حتى لحق رسول الله (ص) وبات الكفار يرمون علياً « ع » بالحجارة وهو يتضور قد لف رأسه فى الثوب الى الصباح .

وذكر أبو اسحاق الثعلبي فى تفسيره عن ابن‌عباس قال : لما أراد رسول الله (ص) ان يهاجر الى المدينة خلف على بن أبى طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده وأمره تلك الليلة ان ينام على فراشه وقال له أتشح ببرد الحضرمى الأخضر فانه لا يخلص اليك منهم أحد ولا يصيبونك بمكروه والقوم قد أحاطوا بالدار قال فاوحى الله الى جبرئيل وميكائيل انى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة فاوحى الله اليهما افلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا: جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه والملائكة تنادى بخ بخ من مثلك يا بن أبى طالب والله يباهى بك ملائكته ، ثم توجه رسول الله (ص) الى المدينة فانزل الله تعالى عليه فى شأن على « ع » (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف با لعباد) .

قال ابن عباس: أول من شرى نفسه ابتغاء مرضات‌الله على بن‌أبى طالب وقال ابن عباس انشدنى أمير المؤمنين شعراً قاله فى تلك الليلة :

وقيت بنفسى خير من وطيء الحصا　　ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الإله خاف ان يمكروا به　　فنجاه ذو الطول العلى من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمناً　　موقاً وفى حفظ الإله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يثبتوننى　　وقد وطنت نفسى على‌القتل والاسر

﴿ حديث فى التضحية ﴾

قال احمد فى‌المسند: وقد تقدم اسناده، حدثنا اسود بن عامر حدثنا شريك أنبأنا أبو الحسن عن الحكم عن جيش عن على «ع»، وقال أحمد أيضاً فى الفضائل بهذ الاسناد عن على « ع » قال أمرنى رسول الله (ص) ان اضحى عنه ابداً فكان يضحى عنه الى‌ان استشهد بكبشين أملحين، قال محمد بن شهاب الزهرى إنما خص

علياً «ع» بذلك دون اقاربه وأهله اقربه منه فكأنه (ص) فعل ذلك بنفسه والله الموفق للصواب .

حديث فى دعاء النبي ﷺ له بالسلامة وانه مغفور له

قال الترمذى : بالاسناد المتقدم حدثنا محمد بن بشار ويعقوب بن ابراهيم قالا حدثنا أبو عاصم عن أبى الجراح قال حدثنى جابر بن صبيح قال حدثتنى أم شراحيل عن أم عطية قالت بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم على عليه السلام قالت فسمعته وهو رافع يديه يقول اللهم لا تمتنى حتى ترنى علياً عليه السلام وقد اخرج احمد فى الفضائل بمعناه من رواية بن زيد بن ارقم .

وقال احمد فى الفضائل : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى المسجد فقال يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، أوقال يدخل فدخل على عليه السلام قال جابر فهنيناه بعد ذلك .

حديث فى قراءته البراءة على الناس وقوله عليه السلام على منى

قال الترمذى : بالاسناد المتقدم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن يزيد الرشك (١) عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن الحصين قال بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم على بن أبى طالب عليه السلام فمضى فى السرية فاصاب جارية من السبي فتعاقد أربعة منهم اذا قدموا على رسول الله ﷺ أخروه فلما قدموا عليه قام الأول فقال يا رسول الله الاترى الى على بن أبى طالب فعل كذا وكذا فاعرض عنه ثم قام الثانى فقال كذلك فاعرض عنه وقام الثالث والرابع فقالا كذلك فاعرض عنهما ثم أقبل عليهم ﷺ والغضب يعرف فى وجهه وقال ما تريدون من على ؟ قالها ثلاثاً على منى وأنا منه ولا يؤدى عنى إلا على عليه السلام .

---

(١) — كذا فى النسخ .

قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقد اخرج احمد في الفضائل بمعناه وفيه ولا يقضي ديني إلا علي عليه السلام .

تفسير معنى قوله ولا يؤدي عني إلا علي

ذكر أهل السير : ان النبي صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر رضي الله عنه يحج بالناس سنة تسع من الهجرة وقال له ان المشركين يحضرون الموسم ويطوفون بالبيت عراة ولا أحب احج حتى لا يكون ذلك واعطاه أربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم (١) فلما سار دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فقال له اخرج بهذه الآيات من صدر براءة فاذا اجتمع الناس الى الموسم فاذن بها ودفع اليه ناقته العضباء فأدرك أبا بكر بذي الحليفة فاخذ منه الآيات فرجع أبا بكر الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال بأبي أنت وأمي هل نزل فيّ أو في شاني شيء فقال لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني .

وذكر احمد في الفضائل: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له ان جبرئيل جاءني فقال ابعث علياً فلما كان يوم النحر قام علي عليه السلام في الناس فأذن بصدر براءة كما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وذكر أحمد في الفضائل ، باسناده الى أبي سعيد الخدري : ان علياً «ع» لما قرأ صدر براءة الآيات التي أخذها من أبي بكر في الطريق نادى ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يقرب المسجد بعد هـذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله (ص) عهد فأجله مدته ، فقال بعض الكفار : نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك .

فقال علي «ع» : لولا ان رسول الله (ص) امرني ان لا احدث شيئاً حتى آتيه لقتلتك .

---

(١) ـ وفي نسخة فلما سار دعا رسول الله (ص) علياً «ع» ، وقال أدرك أبا بكر فخذ منه الآيات وأقرأها على الناس بالموسم ودفع اليه ناقته العضباء .

وقال : الزهري انما أمر النبي (ص) علياً «ع» ان يقرأ براءة دون غيره لان عادة العرب ان لا يتولا العهود الاسيد القبيلة وزعيمها أو رجل من أهل بيته يقوم مقامه كأخ أو عم أو ابن عم فأجراهم على عادتهم ، وقد ذكر احمد فى الفضائل بمعناه .

وقال ابن‌عباس : هذا العهد المذكور فى القصة هو الذى ذكره الله فى أول سورة براءة (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر) أى مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين ولم يعاهد رسول الله (ص) بعد هذه الآية احداً من الناس .

وقيل : انما قال رسول الله (ص) على منى وانا منه فى يوم احد، فذكر احمد فى الفضائل قال لما قصد صاحب لواء المشركين يوم احد رسول الله (ص) فداه على «ع» بنفسه وحمل على صاحب اللواء فقتله فنزل جبرئيل «ع» فقال يا محمد ان هذه لهى المواساة فقال رسول الله (ص) على منى وأنا منه فقال جبرئيل «ع» وانا منكما .

وذكره محمد بن‌اسحاق فى المغازى أيضاً . قال الزهرى: انما قال جبرئيل ان هذه لهى المواساة لأن الناس فروا عن رسول الله (ص) يوم احد حتى عثمان بن عفان رضى الله عنه فانه أول من فر ودخل المدينة وفيه نزل (ان الذين تولوا يوم التقى الجمعان) الآية وروى ان النبى (ص) قال ذلك فى حجة الوداع .

فقال احمد فى الفضائل اخبرنا يحيى بن أبى بكر وابن آدم قالا حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن حبشى بن جنادة عن السلولى وكان قد شهد حجة الوداع قال سمعت رسول الله (ص) يقول فى ذلك اليوم على منى وأنا منه ولا يقضى دينى سواه وقيل قاله يوم نزل عليه (وانذرعشيرتك الاقربين) .

﴿ حديث الطائر ﴾

وقد أخرجه احمد فى الفضائل، والترمذى فى السنن، فاما احمد فاسنده الى سفيان مولى رسول الله (ص) واسمه مهران قال أهدت امرأة من الانصار الى

رسول الله (ص) طيراً بين رغيفين فقدمته الى رسول الله (ص) وفى رواية طيرين بين رغيفين فقال رسول الله اللهم ائتنى باحب خلقك اليك فاذا الباب يفتح فدخل على «ع» فأكل معه .

واما الترمذى فقال : حدثنا سفيان عن وكيع عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السدى عن أنس بن مالك قال كان عند النبي (ص) طير فقال اللهم ائتنى باحب خلقك اليك يأكل معى هذا الطائر فجاء على «ع» فأكل معه .

قال الترمذى : السدى إسمه اسماعيل عبد الرحمن سمع من أنس بن مالك ، وروى الحسن بن على ووثقه سفيان الثورى وشعبة ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم

قلت: انما ذكر الترمذى هذا فى تعديل السدى لان جماعة تعصبوا عليه ليبطلوا هذا الحديث فعدله الترمذى .

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى حديث الطائر صحيح يلزمه البخارى ومسلم أخرجاه فى صحيحهما لان رجاله ثقاة وهو من شرطهما .

فان قيل : فلم لم يخرجه الحاكم فى المستدرك عن الصحيحين فالجواب إنما لم يخرجه لان محمد بن طاهر المقدسى والدارقطنى تعصبا عليه واخرجا الحديث للطائر طرقاً ضعيفة فانه لما صنف المستدرك بلغ الدار قطنى فقال لعله يستدرك عليهما حديث الطائر فتركه ثم رموا الحاكم بالتشيع لأجل هذا وكيف يسمع قول محمد بن طاهر مع العلم بحاله وقول الدارقطنى فى عصبيته على الحاكم والترمذى واحمد بن حنبل خصوصاً مع شهادة من سلف بعدالة السدى فلا يلتفت الى جرح غيرهم فان قيل فقد تكلم البخارى وابن معين فى السدى قلنا انما تكلموا فيه لانه كان يكثر الرواية كما فعلت الصحابة فى أبى هريرة لا لشىء آخر .

﴿ حديث فى خصف النعل ﴾

أخرجه فى الفضائل، والترمذى فى السنن ، فاما احمد فقال: أنبأنا يحيى بن آدم حدثنا يونس عن أبى اسحاق عن زيد بن تبيع عن أنس قال : قال رسول الله (ص)

لينتهين بنو وليعة ، أو لابعثن اليهم رجلا كنفسى يمضى فيهم أمرى ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية .

قال أبو ذر فما راعنى الا برد كف عمر رضى الله عنه من خلفى فقال من تراه يعنى؟ قال فقلت مايعنيك وانما يعنى خاصف النعل على بن أبى طالب .

وبنو وليعة : قوم من العرب . وفى رواية فقال عمر رضى الله عنه والله ما اشتهيت الإمارة إلا يومئذ جعلت انصب له صدرى رجاء ان يقول هـــذا فالتفت إلى على فاخذ بيده وقال هذا هو هذا هو مرتين وفى رواية فانتشل بيد على عليه السلام أى نفضها .

وأما الترمذى فقال حدثنا سفيان بن وكيع عن أبى شريك عن منصور عن ربعى بن حراش قال حدثنا على بن أبى طالب بالرحبة فقال لما كان يوم الحديبية خرج الينا سهيل بن عمر وفى جماعة من رؤساء الكفار فقال يا محمد خرج اليك ناس من ابنائنا وأخواننا وارقائنا وليس لهم فقه فى الدين وانما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فازودهم علينا اوالينا فقال رسول الله (ص) ستفقهم فى الدين ان لم يكن لهم فقه ، ثم قال يا معاشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم با اسيف على الدين فقالوا ومن ذلك؟ فقال من امتحن الله قلبه للايمان وهو خاصف النعل .

قال على: وكنت جالساً اخصف نعل رسول الله ـ وخصف النعل: خرزها ـ

قلت : ووقفت على جزء بخط جدى ابو الفرج رحمه الله فيه ابيات من نظمه فى كان ، وكان منها (١) :

قالوا على قلت حبى ربى على شاهدى	ما قول قط تصنع وباطنى قد بان
هو خاصف النعل نعلى على فما من يبغضه	هذا سهيم البغض ودع يكون من كان
الشط ينقصه احبه يزيد ما اقدر ابصره	لى يزيد ومات الحسين وهو عطشان

(١) ـ الابيات مشوشة ومصحفة ولم نعثر على الاصل فتأمل .

(حديث في سد الابواب)

أخرجه احمد في الفضائل والترمذي في السنن فاما احمد فقال : حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم قال كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد فقال رسول الله ﷺ سدوا هذه الابواب إلا باب علي بن أبي طالب فتكلم الناس في ذلك فقام رسول الله ﷺ فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أمرت بشيء فاتبعته .

قال ابن عباس معناه : ان الله أمرني بشيء فاتبعت أمره .

وأما الترمذي فقال : حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا ابراهيم بن المختار حدثنا شعبة عن أبي ثلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال أمر رسول الله (ص) بسد الأبواب إلا باب علي عليه السلام .

قال الترمذي : يعني الأبواب الشارعة في المسجد اعترضوا على هذه الجملة وذلك من وجوه احدها انهم قالوا في اسناد الحديث الأول ميمون مولى عبد الرحمن بن سمرة ضعفه يحيى بن سعيد واما الحديث الثاني ففيه أبو ثلج واسمه يحيى بن سليم ضعفه احمد وابن حبان والثاني انه قد رواه جماعة من الصحابة سعد بن وقاص وابن عمر وجابر وطرقهم ضعيفة والثالث ان في الصحيحين ان النبي (ص) أمر بسد الأبواب إلا باب أبي بكر (رض) والجواب أما أبو ثلج فقد روى عنه احمد ووثقه فكيف يسمع قول القائل انه ضعفه وكذا ميمون فان احمد اخرج عنه في الفضائل واما روايات الصحابة فنحن ما استدللنا بشيء منها بل اعتمدنا على رواية احمد والترمذي وأما قولهم ان النبي (ص) أمر بسد أبواب المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه فنقول قد اخرج احمد والترمذي ان الواقعة كانت لعلي «ع» وروى أبو سعيد ان الواقعة كانت لأبي بكر (رض) وليس احدى الروايتين باولى من الاخرى فتوقف الامر على التاريخ . غاية ما في الباب ان يقال حديث ابي سعد في الصحيحين .

فقول احمد والترمذى مقلدان فى الباب أيضاً ، وقد روى الترمذى عن على بن منذر عن فضيل بن سالم بن أبى حفصة عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص) يا على لا يحل لأحد ان يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك .

قال الترمذى : ومعناه لا يحل لأحد ان يستطرق هذا المسجد جنباً إلا أنا وأنت ، فان قيل فعطية ضعيف قالوا : والدليل على ضعف الحديث أن الترمذى قال : حدثت بهذا الحديث أو سمع منى هذا الحديث محمد بن اسماعيل يعنى البخارى فاستطرفه والجواب ان عطية العوفى قد روى عن العباس والصحابة وكان ثقة ، وأما قول الترمذى عن البخارى فانما استطرفه لقوله ﷺ لا أحله إلا لطاهر لا لحائض ولا جنب وعند الشافعى يباح للجنب العبور فى المسجد ، وعند أبى حنيفة لا يباح حتى يغتسل للنص ويحمل حديث على ع ، على انه كان مخصوصاً بذلك كما كان رسول الله (ص) مخصوصاً باشياء .

﴿ حديث فى النجوى والوصية ﴾

قال الترمذى : حدثنا على بن المنذر الكوفى حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال دعا رسول الله (ص) على بن أبى طالب يوم الطائف فانتجاه طويلا فقال الناس لقد طالت نجواه مع ابن عمه فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال ما انتجيته ولكن الله انتجاه .

قال الترمذى : ومعناه ان الله أمرنى ان اناجيه أو انتجى معه .

وقال أهل اللغة : التناجى السر يكون بين أثنين يقال نجوته نجوى أى ساررته وكذ ناجيته وانتجى القوم وتناجوا إذا تساروا ، والأسم النجوى .

وقال احمد فى الفضائل : حدثنا محمد بن عبدالله بن محمد بن أبى شيبة حدثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن أم موسى عن ام سلمة (رض) قالت والذى نحلف به ان كان على بن أبى طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص) مرض

رسول الله (ص) مرض موته فلما كان اليوم الذي قبض فيه دعا علياً عليه السلام فناجاه طويلا وساره كثيراً ثم قبض في يومه ذلك فكان أقرب الناس عهداً برسول الله (ص) فان قيل قد روى عن عائشة (رض) عنها قالت يزعمون ان رسول الله (ص) أوصى الى علي بن أبي طالب متى كان ذلك ماقبض إلا بين سحري ونحري ، والجواب ان هذا الحديث رواه احمد بن حنبل في الفضائل ولم يطعن فيه احد وهو حديث صحيح ، ولو كان معلولا لتكلموا فيه ، ومعنى قول عائشة يزعمون يشير الى أم سلمة وأم سلمة مثل عائشة ؛ ثم قول أم سلمة مثبت وقول عائشة نافي ومتى اجتمع المثبت والنافي قدم المثبت باجماع الامة ، على ان قول عائشة ما قبض إلا بين سحري ونحري لاينافي الوصية لأن في تلك الحالة لا يقدر الإنسان على الكلام وانما يكون قبيل ذلك فيحمل على انه أوصى اليه في ذلك الوقت فلما ثقل قبض بين سحرها ونحرها توفيقاً بين الاقوال .

وقال احمد في الفضائل : حدثنا الهيثم بن خلف حدثنا محمد بن أبي عمر الدوري حدثنا شاذان حدثنا جعفر بن زياد عن مطر عن أنس قال: قلنا لسلمان الفارسي سل رسول الله صلى الله عليه وآله من وصيه؟ فسأل سلمان رسول الله (ص) فقال من كان وصي موسى بن عمران؟ فقال يوشع بن نون قال : ان وصيي ووارثي ومنجز وعدي علي بن أبي طالب «ع» ، فان قيل فقد ضعفوا حديث الوصية فالجواب ان الحديث الذي ضعفوه في اسناده اسماعيل بن زيادة تكلم فيه الدار قطني وانما تكلم فيه لأنه روى في الحديث زيادة بعد قوله منجز وعدي وهو خير من اترك بعدي والحديث الذي ذكرناه رواه احمد في الفضايل وليس في اسناده ابن زياد ولا هذه الزيادة فذاك حديث وهذا آخر .

﴿ حديث في قوله عليه السلام (١) من آذى علياً فقد آذاني ﴾

قال احمد في الفضايل : حدثنا يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن

(١) ـ وكذا في جميع النسخ .

الفضل بن معقل بن سنان عن عبيد الله بن دينار الأسلمى عن عمرو بن شاس قال خرجت مع على «ع» الى اليمن فجفانى جفوة فلما قدمت المدينة اظهرت شكايته فى المسجد فبلغ ذلك رسول الله (ص) فدخلت يوماً الى المسجد وهو جالس فى جماعة من أصحابه فجعل يحد بى النظر ثم قال اما والله لقد آذيتنى فقلت أعوذ بالله ان اوذيك يارسول الله فقال أما علمت ان من اذى علياً فقد آذانى وهذا حديث سالم من الطعن وقد روى سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يذكر علياً عليه السلام بشر فقال ويلك تعرف من فى هذا القبر واشار الى قبر رسول الله (ص) فسكت الرجل فقال عمر فيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اذا آذيت علياً فقد آذيته .

﴿ حديث فى قضائه عليه السلام ﴾

قال احمد فى الفضائل: حدثنا نمير حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة حدثنا أبو البحترى عن على «ع» قال بعثنى رسول الله (ص) الى اليمن وانا شاب فقلت يا رسول الله تبعثنى الى قوم لاقضى بينهم وأنا شاب لا علم لى بالقضاء فقال ادن منى فدنوت منه فضرب فى صدرى وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال فما شككت بعدها فى قضاء بين اثنين ، وأخرجه فى المسند أيضاً ، وذكره ابن اسحاق وغيره فى المغازى وفيه اذا جلس بين يديك خصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر مثل ما سمعت منه فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء .

وقال احمد فى المسند : حدثنا أبو سعيد عن اسرائيل عن سماك بن حنش عن على بن أبى طالب «ع» قال بعثنى رسول الله (ص) الى اليمن فانتهينا الى قوم حفروا زبية الأسد فبينا هم يتدافعون اذ سقط رجل منهم فى الزبية فتعلق بآخر ثم تعلق آخر بآخر حتى صاروا فيه اربعة وكان فيها اسد فجرح الكل فابتدر اليه رجل بحربة فقتله ومات الاربعة من جراحتهم فقام أولياء الأول الى أولياء الثانى بالسلاح ليقتلوا مع أولياء الثانى فقال على «ع» على باولياء الأول فجاؤا

فقال أتريدون ان تقتلوا رسول الله (ص) بين اظهركم انى اقضى بينكم بقضاء فان رضيتموه وإلا فتحاجزوا حتى تذهبوا الى رسول الله (ص) فيقضى بينكم فقالوا نعم فقال اجمعوا من قبايل حافر البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة فلأولياء الاول الربع لأنه أهلك من فوقه ولأولياء الثانى الثلث ولأولياء الثالث النصف ولأولياء الرابع الدية الكاملة فلم يرضوا بذلك واتوا رسول الله (ص) واخبروه بالقصة فاجتثى وقال سأقضى بينكم فقال رجل منهم يا رسول الله ان على بن أبى طالب قضى بكذ وكذا فأجاز قضاء على «ع».

قلت : وهذا المذكور مذهب على «ع» وللفقهاء فيه كلام معروف .

حديث الناقة

قال احمد فى الفضائل : حدثنا على بن الحسين الفامى أو القمى حدثنا محمد بن عبد الله بن عقيل حدثنا عبد العزيز بن الخطاب حدثنا عيسى عن داود بن أبى هند عن أبى جعفر عن رجل عن أنس قال قال رسول الله ﷺ لعلى عليه السلام توتى يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها وركبتك مع ركبتى حتى ندخل الجنة جميعاً فان قيل جهالة الراوى عن أنس توجب ضعفاً فى الحديث قلنا الحديث مشهور ولم يطعن فيه احد وهذه عادة الرواة يروون عن رجل ولم يسموه ، وقد فعل ذلك جماعة من المحدثين منهم الحميدى فانه ذكر فى آخر الجرح من الصحيحين مثل هذا فقال عن رجل .

حديث فى الحدائق

قال احمد فى الفضائل : حدثنا على بن المنذر عن حرب بن عمارة عن أبى عثمان النهدى عن على عليه السلام قال كنت أمشى مع رسول الله ﷺ فى بعض طرق المدينة فمررنا على حديقة فقلت يا رسول الله ما أحسن هذا فقال لك مثلها فى الجنة حتى أتينا على سبع حدائق فان قيل قد تكلموا بهذا الحديث فالجواب ان الحديث الذى تكلموا فيه زيادة وله طريقان اما الزيادة قال فبكا رسول الله ﷺ

فقلت ما يبكيك قال ضغاين فى صدور رجال عليك لم يبدوها لك وسوف يبدوها من بعدى واما الطريقان ففى احدهما الفيض ابن وثيق وفى الثانى يوسف ابن حباب وهمامتروكان قال يحيى بن معين الفيض كذاب خبيث وقال الدارقطنى يونس كان يسب عثمان واحمد بن حنبل ما روى الحديث من طريقهما بل عن الثقات ولم يذكر الزيادة أيضاً وقد قال ابن عدى انما دخل الخلل فى هذا الحديث من الزيادة .

﴿ حديث فى تسليم الملائكة عليه ﴾

قال احمد فى الفضائل : حدثنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث حدثنا اسحاق ابن ابراهيم النشهلى حدثنا سعيد بن الصلت حدثنا أبو جارود الرحبى عن أبى اسحاق الهمدانى عن الحرث عن على عليه السلام قال لما كانت ليلة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يستقى لنا من الماء فاحجم الناس قال فقمت فاحتضنت قربة ثم أتيت قليباً بعيد القعر مظلماً فانحدرت فيه فاوحى الله الى جبرئيل وميكائيل واسرافيل تأهبوا انصرة محمد صلى الله عليه وآله وحربه فهبطوا من السماء لهم دوى يذهل من يسمعه فلما حادوا القليب وقفوا وسلموا على من عندآخرهم اكراماً وتبجيلا وتعظيماً ، وذكره أرباب المغازى .

﴿ حديث فيما خلق منه على عليه السلام ﴾

قال احمد فى الفضائل : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن خالد ابن معدان عن زادان عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله كنت أنا وعلى بن أبى طالب نوراً بين يدى الله تعالى قبل ان يخلق آدم باربعة آلاف عام فلما خلق آدم قسم ذلك النور جزئين فجزء أنا وجزء على ، وفى رواية خلقت أنا وعلى من نور واحد فان قيل فقد ضعفوا هذا الحديث فالجواب ان الحديث الذى ضعفوه غير هذه لا لفاظ وغير الاسناد أما اللفظ خلقت أناوهرون بن عمران ويحيى بن زكريا وعلى بن أبى طالب من طينة واحدة ، وفى رواية خلقت أنا

وعلى من نور وكنا عن يمين العرش قبل ان يخلق الله آدم بالفى عام فجعلنا تتقلب فى اصلاب الرجال الى عبدالمطلب ، واما الاسناد فقالوا فى اسناده محمد بن خلف المروزى وكان مغفلا وفيه أيضاً جعفر بن احمد بن بيان وكان شيعياً والحديث الذى رويناه يخالف هذا اللفظ والاسناد رجاله ثقات فان قيل فعبد الرزاق كان يتشيع قلنا هو أكبر شيوخ احمد بن حنبل ومشى الى صنعاء من بغداد حتى سمع منه وقال ما رأيت مثل عبد الرزاق ولو كان فيه بدعة لماروى عنه وما زال الى ان مات يروى عنه ومعظم الأحاديث التى فى المسند رواها من طريقه وقد اخرج عنه أيضاً فى الصحيح .

﴿ حديث فى القضيب الأحمر ﴾

قال احمد فى الفضائل: حدثنا احمد بن جعفر حدثنا ابن راشد عن شريك عن الاعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل عن زيد بن ارقم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب ان يتمسك بالقضيب الأحمر الذى غرسه الله بيمينه فى جنة عدن فليتمسك بحب على بن أبى طالب وآله فان قيل فقد ضعفوا هذا الحديث لان الدار قطنى رواه عن الحسين بن على وهو ابن راشد الذى رويتموه عنه والجواب ان هذا الحديث رواه البراء بن عازب وزيد بن ارقم فطريق البراء فيها اسحاق بن ابراهيم النحوى ضعفه الازدى واما طريق زيد فقد ذكر جدى أبو الفرج فى الموضوعات عن الدار قطنى انه قال ما كتبت هذا الحديث إلا عن ابن راشد ولم يضعفه ثم قال جدى عقيب هذا وابن راشد هو العدوى كان يضع الحديث وقال جدى ولعله سرقه من النحوى قلت وبلعل لا تبطل فضائل أمير المؤمنين وتسقط أخبار الرسول ﷺ .

﴿ حديث مدينة العلم ﴾

قال احمد فى الفضائل : حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله الرومى حدثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحى عن على عليه السلام قال : قال لى

رسول الله ﷺ انا مدينة العلم وعلى بابها وفى رواية أنا دار الحكمة وعلى بابها وفى رواية أنا مدينة الفقه وعلى بابها ، فمن اراد العلم فليأت الباب ورواه عبد الرزاق فقال فمن أراد الحكم فليأت الباب فان قيل فقد ضعفوه فالجواب ان الدار قطنى قال قد رواه سويد بن غفلة عن الصنابحى ولم يذكر سويد بن غفلة وقول الدار قطنى ان ثبت فهو صفة الارسال والمرسل حجة فى باب الاحكام فكيف بباب الفضائل فان قيل فى هذه الروايات مقال قلنا نحن لم نتعرض لها بل نحتج بما خرجه احمد وهو الرواية الاولى عن على «ع» ، واذا ثبتت الروايات كلها لان رواية الحديث بالمعنى جائزة فى احكام الشريعة فهاهنا أولى فان قيل محمد بن على الرومى شيخ شيخ أحمد بن حنبل ضعفه ابن حبان فقال : يأتى على الثقات بما ليس من احاديث الأثبات قلنا قد روى عنه ابراهيم بن محمد شيخ احمد ولو كان ضعيفاً لبين ذلك وكذا احمد فانه اسند اليه ولم يضعفه ومن عادته الجرح والتعديل فلما اسند عنه علم انه عدل فى روايته .

﴿ حديث فى قوله ﷺ أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة ﴾

قال احمد فى الفضائل : حدثنا احمد بن عبد الجبار الصوفى حدثنا احمد بن الازهر عن محمد بن ابراهيم عن عطية العوفى عن ابن عباس قال بعثنى رسول الله ﷺ الى على بن أبى طالب ﷺ فقال قل له: أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة من أحبك فقد أحبنى ومن ابغضك فقد أبغضنى ؛ وقال احمد أيضاً حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس رفعه ، فان قيل فهذا الحديث ضعيف ويعرف بحديث أبى الازهر وابو الأزهر كذبه ابن معين والجواب قد أخرجه احمد فى الفضائل وأبو الازهر اسمه احمد بن عدى ولو صح ما قالوا فمعناه صحيح وقد ثبت ان رسول الله (ص) شهد له بالجنة فاى فائدة فى وضع حديث ثبت فى الصحيح معناه ولا خلاف انه سيد فى الدنيا وكذا فى الآخرة وان من أحبه أحب رسول الله (ص) ومن ابغضه ابغض رسول

الله (ص) فلم يكن ثابتاً لما رووه لأنه لا يخلو عن الفائدة وفى سياقه وعدوك عدوى وعدوى عدو الله والويل لمن ابغضك بعدى .

﴿ حديث فى شهادة النبي (ص) له انه من أهل الجنة ﴾

أخبرنا جدى أبو الفرج رحمه الله انه قال : أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن محمد القاضى الانصارى وأبو القاسم هبة الله بن الحصين قالا أنبأنا القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى حدثنا أبو احمد محمد بن احمد بن الغطريف الجرجانى سنة احدى وسبعين وثلاث مائة حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى حدثنا عيسى بن مسلم الاحمر حدثنا محمد بن معاوية عن يحيى ابن سابق عن زيد بن اسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) ياعلى أنت فى الجنة قالها ثلاثاً . وهذا الحديث من جزء ابن الغطريف الذى انفرد جدى أبو الفرج رحمه الله بروايته وسمعناه عليه ببغداد سنة ست وتسعين وخمسمائة وهو جزء مشهور بين المحدثين .

﴿ حديث قتل العمالقة ﴾

قال ابن الغطريف : بهذا الاسناد حدثنا أبو عمير حدثنا المفضل بن محمد بمكة حدثنا عبد الرحمن بن أحت عبد الرزاق عن عمر بن محمد الصاعدى عن ابراهيم بن اسماعيل الكهيلى حدثنا أبى عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) فى خطبة خطبها فى حجة الوداع لاقتلن العمالقة فى كتيبة فقال له جبرئيل عليه السلام أو على بن أبى طالب فقال أو على بن أبى طالب .

﴿ حديث فى رد الشمس له ﴾

أخبرنا أبو القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن احمد الطوسى ، حدثنا أبى عبد الله عن أبيه أبى نصر احمد الطوسى ، حدثنا أبو الحسين بن النقور انبأنا أبو جبانة حدثنا البغوى حدثنا طالوت بن عباد عن ابراهيم بن الحسن بن الحسن عن

فاطمة بنت الحسين عليه السلام عن اسماء بنت عميس قالت كان رأس رسول الله (ص) فى حجر على عليه السلام وهو يوحى اليه فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة نبيك فاردد عليه الشمس قالت فردها الله له (١) فان قيل فقد قال جدك فى الموضوعات هذا حديث موضوع

(١) ـ وفى نسخة أخرى وقد ضعف قوم هذا الحديث . وذكره جدى فى كتاب الموضوعات . وقال فى اسناده جماعة ضعفاء وسماهم . ثم قال وصلاة العصر صارت قضاءاً . فلا يفيد رجوع الشمس . قلت قد حكى القاضى عياض فى كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) عن الطحاوى انه ذكره فى شرح مشكل الحديث . وقال روى من طريقين صحيحين عن اسماء بنت عميس أن النبى صلى الله عليه وآله كان رأسه فى حجر على عليه السلام وهو يوحى اليه . وذكره وفيه ـ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله أصليت العصر ؟ قال لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم انه كان فى طاعتك ـ وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس . قالت اسماء . فرأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على رؤس الجبال وذلك بالصهباء فى خيبر . قال الطحاوى وهاتان الروايتان ثابتتان ورواتهما ثقاة . وقال الطحاوى كان احمد بن صالح يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حديث اسماء لأنه من علامات النبوة وقوله صارت صلاة العصر فيها قضاءاً قلت إذا كان رجوع الشمس من علامات صحة نبوة نبينا عليه السلام فكذا تصير صلاة العصر أداءاً حكماً لأن القضاء يحكى الفائت .

والعجب من هذا وقد ثبت فى الصحيح ان الشمس حبست ليوشع بن نون ولا يخلو . اما ان يكون ذلك معجزة لموسى عليه السلام أو ليوشع فان كان لموسى فلنبينا صلى الله عليه وآله أفضل . وعلى عليه السلام أقرب اليه من يوشع الى موسى . وان كان معجزة ليوشع فلا خلاف ان علياً عليه السلام أفضل من يوشع لأن ادنى أحواله ان يكون كواحد من علماء الأمة . وقد قال صلى الله عليه وآله . علماء (أمتى كأنبياء بنى اسرائيل) فعلم ان الحديث ثابت .

←

بلا شك وروايته مضطربة فان فى اسناده احمد بن داود وليس بشيء وكذا فيه فضل بن مرزوق ضعيف وجماعة منهم عبد الرحمن بن شريك ضعفه أبو حاتم وقال جدك أنا لا اتهم به الا ابن عقدة فانه كان رافضياً فلو سلم فصلاة العصر صارت قضاء بغيبوبة الشمس فرجوع الشمس لايفيد لأنها لا تصير أداءاً قالوا وفى الصحيح ان الشمس لم تحبس على احد إلا يوشع بن نون والجواب ان قول جدى رحمه الله هذا حديث موضوع بلا شك دعوى بلادليل لأن قدحه فى رواته الجواب عنه ظاهر لأنا ما رويناه إلا عن العدول الثقاة الذين لا مغمز فيهم وليس فى إسناده أحد ممن ضعفه . وقد رواه أبو هريرة أيضاً أخرجه عنه ابن مردويه فيحتمل ان الذين أشار اليهم فى طريق أبى هريرة ؛ وكذا قول جدى أنا لا أتهم به إلا ابن عقدة من باب الظن والشك لامن باب القطع واليقين وابن عقدة مشهور بالعدالة كان يروى فضائل أهل البيت ويقتصر عليها ولا يتعرض للصحابة (رض) بمدح ولا بذم فنسبوه الى الرفض وقوله صارت صلاة العصر قضاءاً ، قلنا أرباب العقول السليمة والفطر الصحيحة لا يعتقدون انها غابت ثم عادت وانما وقفت عن السير المعتاد فكان يخيل للناظر انها غابت وانما هى سايرة

← ثم ذكر فى متن الكتاب اشعار الصاحب فى رد الشمس وحكاية جلوس أبى منصور مظفر بن اردشير العبادى . وقد اقتصرنا على هذه الجملة التى هى بالنسبة إلى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كنسبة القطرة إلى المطرة والموجة الى اللجة والثمرة الى الشجرة . والواحد الى العشرة . ولو رمت إسهاباً أتى الفيض بالمد . فأن تحذلق علينا متحذلق فى تضعيف بعض الأخبار وتعلق بوهن شيء من الآثار فجوابه على من عزيناها اليه واعتمدنا فى اسنادها عليه فأنهم رووها عن الثقاة واتقنوا الى الطرق والروايات وكفى بروايتهم على هذا الوجه حجة على من حاد عن المحجة وخصوصاً احمد بن حنبل فأنه عند الجمهور قدوة وفى علم السنة والكتاب فيقلد فى الباب والله أعلم بالصواب . منه

قليلا قليلا والدليل عليه انها لو غابت ثم عادت لاختلت الأفلاك وانسد نظام العالم وقال الله تعالى (كل في فلك يسبحون) وانما نقول انها وقفت على سيرها المعتاد ولو ردت على الحقيقة لم يكن عجباً لأن ذلك يكون معجزة لرسول الله ﷺ وكرامة لعلي عليه السلام وقد حبست ليوشع بالاجماع ولا يخلو إما ان يكون ذلك معجزة لموسى أو كرامة ليوشع فان كان لموسى فنبينا أفضل منه وان كان ليوشع فعلي عليه السلام أفضل من يوشع . قال ﷺ علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل وهذا في حق الآحاد فما ظنك بعلي عليه السلام والدليل عليه أيضاً ما ذكر احمد في الفضائل فقال حدثنا محمد بن يونس عن الحسن بن عبد الرحمن الانصاري عن عمر بن جميع عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار وهو مؤمن آل يا سين وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم وحزقيل كان نبياً من أنبياء بني اسرائيل مثل يوشع فدل على فضل علي عليه السلام على أنبياء بني اسرائيل وفي وقوف الشمس يقول الصاحب كافي الكفاة :

من كمولاي علي والوغى تحمي لظاها
من يصيد الصيد فيها بالظبي حين انتضاها
من له في كل يوم وقعات لا تضاها
كم وكم حرب ضروس سد بالمرهف فاها
أذكروا أفعال بدر لست أبغي ما سواها
أذكروا غزوة أحد إنه شمس ضحاها
أذكروا حرب حنين إنه بدر دجاها
إذكروا الأحزاب قدماً إنه ليث شراها
إذكروا مهجة عمرو كيف أفناها شجاها
إذكروا أمر براءة واصدقوني من تلاها

إذ كروا من زوجه الز　　هراء قد طابت ثراها
حاله حالة هارون　　لموسى فافهماها
أعلى حب على لا　　منى القوم سفاها
أول الناس صلاة　　جعل التقوى حلاها
ردت الشمس عليه　　بعد ما غاب سناها

وفى الباب حكاية عجيبة، حدثنى بها جماعة من مشايخنا بالعراق قالوا: شاهدنا أبا منصور المظفر بن أردشير العبادى الواعظ وقد جلس بالتاجية مدرسة بباب أبرز محلة ببغداد وكان بعد العصر وذكر حديث رد الشمس لعلى عليه السلام وطرزه بعبارته ونمقه بالفاظه ثم ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام فنشأت سحابة غطت الشمس حتى ظن الناس انها قد غابت فقام أبو منصور على المنبر قائماً وأومى الى الشمس وأنشد:

لاتغربى يا شمس حتى ينتهى　　مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك ان أردت ثناءهم　　أنسيت ان كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن　　هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت (١).

﴿ حديث فى شيعته عليه السلام ﴾

قال ابن الغطريف: بالاسناد المتقدم أنبأنا عمرو الكاغدى أنبأنا احمد بن يحيى الصوفى أنبأنا يحيى بن الحسن بن الفرات أنبأنا عبد الله عن أبى هارون

(١) ـ قلت: بعد تسليم رد الشمس ليوشع وهو مسلم فى الأخبار الصحيحة لا مناص من تسليم رد الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام بشهادة جملة من الاخبار عن النبى صلى الله عليه وآله يكون فى هذه الأمة كل ما كان فى بنى اسرائيل . حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، منه .

العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال نظر النبى صلى الله عليه وآله الى على بن أبى طالب فقال هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة اقتصرنا على هذه الأخبار لئلا يخرج كتابنا عما شرطنا وهو الأختصار ولو رمت اسهاباً أتى الفيض بالمسد .

الباب الثالث في ذكر أولاده عليهم السلام

إتفق علماء السير : على أنه كان له عليه السلام من الولد ثلاثة وثلاثون منهم أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة انثى الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى أمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى هذا عامة المتأخرين ، وذكر الزبير بن بكار ولداً آخر من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه محسن مات طفلا وفاطمة عليها السلام أول زوجاته لم يتزوج عليها حتى توفيت ومحمد الاكبر وهو ابن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر من سبي بنى حنيفة وقيل كانت أم ولد وسنذكره فى باب مفرد وكذا الحسن والحسين عليهما السلام وعبيد الله قتله المختار بن أبى عبيد وأمه ليلى بنت مسعود من بنى تميم وأبو بكر قتل مع الحسين «ع» أمه أيضاً ليلى بنت مسعود والعباس الأكبر وعثمان وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين وأمهم أم البنين بنت حزام (وقيل بنت خلة) كلابية تزوجها بعد فاطمة عليها السلام ومحمد الأصغر قتل مع الحسين «ع» أيضاً أمه أم ولد ويحيى وعون أمهما اسماء بنت عميس وكان جعفر بن أبى طالب قد تزوج اسماء ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر الصديق (رض) فمات عنها فتزوجها على «ع» بعد أم البنين فأولدها وعمر الأكبر ورقية امها الصهباء صبية تزوجها بعد اسماء بنت عميس والصهباء يقال لها ام حبيب بنت ربيعة من بنى وائل اصابها خالد بن وليد لما أغار على بنى تغلب بناحية عين التمر وهذا عمر الاكبر نذكر سيرته فيما بعد وقد روى عمر الحديث وكان فاضلا

وتزوج اسماء بنت عقيل بن أبي طالب وعاش خمساً وثمانين سنة حتى حاز نصف ميراث أبيه أمير المؤمنين «ع» (١) ومحمد الاوسط وأمه امامة بنت العاص بن ربيع وامها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها بعد الصهباء وأم الحسن والحسين ورملة الكبرى وامهن أم سعيد بنت عروة تزوجها أخيراً وأم هاني وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وجمانة ونفيسة وهن لأمهات أولاد شتى قالوا وابنة أخرى صغيرة توفيت ولم يضبط اسمها (٢) والنسل منهم خمسة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس عليهم السلام وقيل ولمحمد الأصغر أيضاً وسنذكرهم فيما بعد انشاء الله تعالى.

وذكر ابن جرير الطبري: ان بنات علي «ع» سبع عشرة والصحيح ماذكرناه

قال الزبير بن بكار: من أولاد العباس بن علي «ع» عبيد الله بن علي بن ابراهيم بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي «ع» قال علماء السير قدم بغداد وحدث بها ونزل مصر وكان عالماً جواداً وعنده كتب تسمى الجعفرية فيها فقه أهل البيت عليهم السلام وتوفى بمصر سنة اثنى عشرة وثلاثمائة.

وذكر أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد وقال: من أولاد العباس بن علي «ع» العباس بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي قدم بغداد فى أيام هارون الرشيد وصحبه ثم صحب المأمون بعده وكان عالماً شاعراً فصيحاً وتزعم العلوية انه أشعر ولد أبي طالب دخل يوماً على المأمون فتكلم فاحسن فقال له المأمون والله انك لتقول فتحسن وتشهد فتزين وتغيب فتؤمن. وجاء يوماً الى باب المأمون فنظر اليه الحاجب ثم اطرق فقال له العباس لو اذن لنا لدخلنا ولو اعتذر الينا لقبلنا ولو

(١) ـ هذا غلط واضح.

(٢) ـ قال الواقدي توفى أمير المؤمنين عن أربع من الحرائر امامة بنت العاص وليلى التميمية وأم البنين الكلابية واسماء بنت عميس وعن جماعة من الآماء

صرفنا لا نصرفنا فاما القزة (١) بعد النظر الشزر فلا اعرفها وانشد :

وما عن رضى كان الحمار مطيتي ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

وقال يذكر اخاه أبي طالب لعبد الله والد النبي ﷺ :

إنا وان رسول الله يجمعنا أب وأم وجد غير موصوم

جاءت بنا وبه من بين اسرته غراء من نسل عمران ابن مخزوم

فزنا بها دون من يسعى ليدركها قرابة من حواها غير مشهوم

رزقاً من الله أعطانا فضيلته والناس مابين مرزوق ومحروم

وقوله غراء : من نسل عمران يريد فاطمة بنت عمرو والدة عبد الله وأبي طالب والمشهور المذعور وكان للعباس هذا اخوة علماء فضلاء محمد وعبيد الله والفضل وحمزة وكلهم بنو الحسن بن عبيدالله بن العباس وسنذكر سيرة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فى الابواب التى رسمناها لذلك .

الباب الرابع فى ذكر خلافته عليه السلام

قال علماء السير : كالطبرى والواقدى وهشام بن محمد وغيرهم بويع (٢) على «ع» بالخلافة يوم قتل عثمان (رض) وذلك يوم السبت لثمان عشرة خلت من ذى الحجة وقيل لثلاث عشرة وقيل يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة

(١) ـ وفى نسخة : فأما النظر الشزر والاطراق . والقزة فلا أدرى ما هو فخجل الحاجب .

(٢) ـ وفى نسخة : أتفق علماء السير على أنه بويع بالخلافة فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين . وانما اختلفوا فى أى يوم منه الى آن قال والأولى أى الثمانية عشر أصح .

وذلك سنة خمس وثلاثين واتفق على بيعته المهاجرون والانصار.

وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن أبيه أنه كان يقول والله ما زانت الخلافة علياً ولكن هو زانها فأول من بايعه طلحة وكان اشل وقى النبي ﷺ يوم احد فشل فلما نظر اليه على «ع» تطير منه وقال يد شلاء أمر لا يتم ما اخلفه أن ينكث بيعته، ثم بايعه الزبير والصحابة.

وذكر محمد بن سعد فى الطبقات قال: بويع على «ع» بالخلافة بالمدينة فى الغد من يوم قتل عثمان (رض) فبايعه طلحة والزبير وسعيد بن زيد من العشرة المبشرين وعمار بن ياسر واسامة بن زيد وسهل بن حنيف وأبو أيوب الانصارى ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من الصحابة وفى بيعة سعد بن أبى وقاص خلاف، قال ابن سعد ولم أر فى كتابى ذكر سعد، قال وقد رأيت فى كتاب سمع معناه ذكر سعد.

وذكر ابن جرير الطبرى فى تاريخه، وقال: سأل أصحاب رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ان يتقلد لهم وللمسلمين أمرهم فابى عليهم.

قال ابن جرير بلغنى عن محمد بن الحنفية أنه قال: كنت مع أبى حين قتل عثمان (رض) فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله (ص) فقالوا ان هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من امام يقوم بأمرهم ولا نجد اليوم أحداً احق بهذا الامر منك أقدم سابقة وأقرب الى رسول الله (ص) فقال لا تفعلوا الآن اكون وزيراً خيراً من ان أكون أميراً قالوا لا والله مانحن بفاعلين حتى نبايعك فقال ان كان ولا بد فى المسجد لأن بيعتى لا تكون إلا عن رضى المسلمين فدخل المسجد فبايعه المهاجرون والأنصار ثم بايعه الناس.

وروى ابن جرير أيضاً: عن أبى بشير العابدى ان علياً عليه السلام قال لهم لا حاجة لى فيكم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به فاختاروه، وقالوا ما نختار سواك فدخل حايط بنى عمرو بن مبذول واغلق الباب فجاؤا وفيهم طلحة

والزبير فتسوروا عليه الحائط وقالوا ابسط يدك فبايعه طلحة أولا والزبير بعده فنظر حبيب بن ذويب الى يد طلحة فقال لا يتم هذا الأمر ثم خرج الى المسجد فبايعه الناس ·

وقال ابن جرير جاؤا بسعد بن أبى وقاص فقالوا له بايع فقال حتى يبايع الناس فقال الأشتر النخعى دعنى اضرب عنقه فقال على عليه السلام دعوه أبا جميلة انك ما علمت سيء الخلق صغيراً وكبيراً ·

وقد روى ابن جرير قال: لما بايع الناس علياً تلكأ عليه طلحة والزبير فسل الأشتر سيفه وقال لتبايعان أو لأضربن عنقكما فقال طلحة واين المذهب عنه فبايعاه وقالا له امرّنا على البصرة والكوفة فقال لهما تكونان عندى اتجمل بكما ·

قال الزهرى وقد بلغنا ان علياً «ع» قال لهما: ان احببتما ان تبايعانى وان احببتما بايعتكما فقالا لا بل نحن نبايعك ثم قالا بعد ذلك انما بايعناه خشية على انفسنا وقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا .

وقال ابن جرير وممن امتنع من بيعته حسان بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والنعمان بن بشير ورافع بن خديج فى آخرين وفى زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة خلاف .

وقال غير ابن جرير لم يبايعه قدامة بن مظعون وعبدالله بن سلام والمغيرة ابن شعبة وعبد الله بن عمر وسعد وصهيب وزيد بن ثابت واسامة بن زيد وكعب بن مالك وهرب قوم الى الشام وهؤلاء يسمون العثمانية .

قال الزهرى: والعجب ان عبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص لم يبايعا علياً عليه السلام وبايعا يزيد بن معاوية . وذكر سيف بن عمر فى الفتوح عن جماعة من الصحابة قالوا ابقيت المدينة شاغرة خمسة أيام وأميرها الغافقى يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدونه فاتى الناس علياً عليه السلام فاختفى منهم وخرج الى حيطان المدينة وتبرأ من المصريين وباعدهم وطلب الكوفيون الزبير فتباعد منهم

وطلب البصريون طلحة فتباعد منهم وتبرأ منهم وأرسلوا الى سعد بن أبى وقاص فتبرأ منهم وقال قد ادخلت فيها ثم اخرجت منها لاحاجة لى فيها ثم تمثل

لاتخلطن الخبيثات بطيبة   اخلع ثيابك وانج عريانا

فلقوا عبد الله بن عمر فسألوه فقال ان لهذا الأمر انتقاضاً فاسألوا غيرى أو التمسوا غيرى فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون فنادوا يا أهل المدينة قد أجلنا كم يومكم هذا فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناسى كثيراً فغشى الناس علياً عليه السلام وقالوا ترى ما نزل بالإسلام والمسلمين فهلم نبايعك فامتنع فقالوا انك مقتول فبايعوه .

وذكر غير سيف وابن جرير ان الناس اختلفوا الى علي عليه السلام بعدما قتل عثمان (رض) أربعين ليلة فى المهاجرين والأنصار يسألونه البيعة وهو يقول لا حاجة لى فيها انظروا لهذا الامر غيرى ومن تختارونه اكن معكم وهم يقولون ليس له سواك فقال أصلي بكم ويكون مفتاح بيت المال بيدى وليس لى أمر دونكم فرضوا وقال لا أعطى أحداً دون احد درهما قالوا نعم فبايعوه فنزل من المنبر وأعطى كل ذى حق حقه وسكن الناس فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى دخل عليه طلحة والزبير فقالا يا أمير المؤمنين ان عيالنا كثير وأرضنا شديدة ، فقال : الم أشرط انى لا أعطى أحدا دون أحد فقالوا قد لزمتنا نفقات فقال أئتونى باصحابكم فأن رضوا أن اعطيكما دونهم فعلت وان (١) أبيتما فانا أعطيكما من عطائى فأبيا عليه وقالا أتأذن لنا فى العمرة فقال والله ماتريدان العمرة وانما تريدان الغدرة والفتنة فقالا كلا والله فقال قـــد اذنت لكما فافعلا ما شئتما وذلك بعد أربعة أشهر من خلافته .

وذكر سيف بن عمر قال كانوا اذا لقوا طلحة عرضوها عليه فيأبى ويتمثل

ومن عجب الايام والدهر اننى   بقيت وحيداً لا أمر ولا أحلى

---

(١) ـ وفى نسخة : وان أبوا .

فيقولون له انك لتوعدنا واذا لقوا الزبير أرادوه فيأبى وينشد :

متى أنت عن دار بفيحان راحل   وباعتها تحفو عليها الكتائب

فيقولون انك لتوعدنا ثم يلقون علياً عليه السلام فيسألونه فيأبى ثم ينشد :

لو أن قومى طاوعتنى سراتهم   أمرتهم أمراً يدع الأعاديا

فيقولون انك لتوعدنا والله لئن لم تفعل لنقتلنك ، قال الشعبى أول من خرج الاشتر النخعى لما امتنع وهرب الوليد بن عقبة وسعد (١) بن وقاص ومروان بن الحكم الى مكة وبها عائشة وأم سلمة وخرج طلحة والزبير أيضاً الى مكة فدخلا على أم سلمة وشكوا اليها وقالا أكرهنا وسألاها الخروج فنهتهما وقالت انما تريدان الفتنة فخرجا من عندها فدخلا على عائشة وذكرا لها مثل ذلك وقالا لها تخرجين معنا فنقاتل هذا الرجل فاجابتهما .

وفى الباب حكاية ذكرها صاحب بيت مال العلوم وذكرها أيضاً صاحب عقلاء المجانين عن أبى الهذيل العلاف ، قال : سافرت مع المأمون الى الرقة فبينا أنا أسير فى الفرات إذ مررنا بدير فوصف لى فيه مجنون يتكلم بالحكمة فدخلت الدير واذا برجل وسيم نظيف فصيح وهو مقيد فسلمت عليه فرد السلام ثم قال قلبي يحدثنى انك لست من أهل هذه المدينة القليل عقول أهلها يعنى الرقة قلت نعم أنا من أهل العراق فقال انى اسألك فافهم ما أقول فقلت سل فقال اخبرنى عن النبى صلى الله عليه وآله هل أوصى ؟ قلت لا قال فكيف ولى أبو بكر (رض) مجلسه من غير وصية فقلت اختاره المهاجرون والأنصار ورضى به الناس فقال كيف أجازه المهاجرون وقد قال الزبير بن العوام لا أبايع إلا على بن أبى طالب وكذا العباس وكيف اختاره الانصار وقد قالت منا أمير ومنكم أمير وولوا سعد بن عبادة يوم السقيفة وقال عمر (رض) اقتلوا سعداً قتله الله وكيف تقول رضى به الناس وقد قال سلمان الفارسى كردى نكردى أى فعلتموها فوجئت عنقه

(١) ـ وفى نسخة : وسعيد بن العاص .

وقال أبو سفيان بن حرب لعلى ﷺ مد يدك لأبايعك وان شئت ملأتها خيلا ورجلا ثم قعد بنو هاشم عن بيعة أبى بكر ستة أشهر فأين الاجماع ثم لما ولى أبو بكر الخلافة وحمد الله ثم قال وليتكم ولست بخيركم وكيف يتقدم المفضول على الفاضل .

ولما ولى عمر (رض) قال: وددت انى كنت شعرة فى صدر أبى بكر ثم قال بعد ذلك كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله الأمة شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه ثم ان عمر رد السبى الذى سباه خالد بن الوليد فى أيام أبى بكر فان خالداً تزوج امرأة مالك بن نويرة فردها عمر بعدما ولدت منه ثم ولى عمر صهيباً على أصحاب رسول الله ﷺ وهو عبداً لنمر بن قاسط وكل هذا تناقض .

وأخبرنى: عن عبد الرحمن بن عوف حين ولى عثمان (رض) الخلافة واختاره هل ولاه إلا وهو يعرفه قلت لا قال فقد قال عبد الرحمن بن عوف بعد ذلك ما كنت أحب ان أعيش حتى يقول لى عثمان يا منافق فمعرفة عثمان عبد الرحمن حين نسبه الى النفاق كمعرفة عثمان اياه إذ ولاه الخلافة .

وأخبرنى عن عائشة لما كانت تحرض الناس على عثمان يوم الدار وتقول: اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر ، فلما ولى على «ع» الخلافة قالت وددت ان هذه سقطت على هذه تعنى السماء على الارض ثم خرجت من بيتها تقاتل علياً «ع» مع طلحة والزبير وتسفك الدم الحرام والله تعالى يقول : (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وهذه مخالفة لله تعالى ولما قتل عثمان جاء المسلمون والصحابة ارسالا الى على «ع» ليبايعوه فلم يفعل حتى قالوا له والله لئن لم تفعل لنلحقنك بعثمان فاخبرنى ايما آكد من ضرب سعداً ووجأ عنق سلمان كمن جاء الناس يكرهونه على البيعة قال فلم احر جواباً وسقط فى يدى فى كم يجب القطع فى السرقة قلت فى ربع دينارفقال كم اعطاك هذا الذى جئت معه الى هاهنا فقلت خمسمائة دينار فقال يجب ان يقطع اعضاءك بحساب ما أخذت قلت ولم

قال لأنك سرقت مال المسلمين فقلت الخليفة أعطانى من ماله فقال ومن أين ماله المال لله تعالى ولعامة المسلمين والله انك لأحق بهذا السوط الذى اسمط به كل يوم والقيد منى ، قال فخرجت من عنده وأنا خجل فحدثت المأمون حديثه فاستطرفه وبقى زماناً يستعيده منى .

وذكر أبو حامد الغزالى فى كتاب (سر العالمين) وكشف ماق الدارين الفاظاً تشبه هذا فقال قال رسول الله ﷺ لعلى «ع» يوم غدير خم من كنت مولاه فعلى مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة قال وهذا تسليم ورضاء وتحكيم ثم بعد هذا غلب الهوى حباً للرياسة وعقد البنود وخفقان الرايات وازدحام الخيول فى فتح الامصار وأمر الخلافة ونهيها فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون ، قال ولما مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته بيسير أئتونى بداوة وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تختلفوا فيه بعدى فقال عمر دعوا الرجل فانه ليهجر .

وقال : ان العباس وعلياً وولده وبنى هاشم لم يحضروا البيعة ثم خالفهم الأنصار يوم السقيفة ودخل محمد بن أبى بكر على أبيه فى مرض موته فقال أئت بعمك عمر لاوصى له بالخلافة فقال يا أبى أنت كنت على حق أم على باطل ؟ قال على حق قال انكان حقاً فارض لولدك ما رضيت لنفسك ثم قال أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ أقيلونى فلست بخيركم فقال ذلك هزلا أو جداً أو امتحاناً فان كان هزلا فالخلفاء منزهون عن الهزل وان كان جداً فهذا نقض للخلافة وان كان امتحاناً فالصحابة لا يليق بهم الامتحان لقوله تعالى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) .

قلت : ثم العجب من منازعة معاوية لعلى عليه السلام الخلافة وقد قطع الرسول ﷺ طمع من طمع فيها بقوله اذا ولى خليفتان فاقتلوا الأخير منهما ، والعجب

من حق واحد كيف ينقسم بين أثنين والخلافة ليست بجسم ولا عرض فيتجزى قال وقال أبو حازم أول حكومة تجرى بين العباد فى المعاد بين على عليه السلام ومعاوية فيحكم الله تعالى اولى على معاوية والباقون تحت المشية .

وقال عليه السلام لعمار : تقتلك الفئة الباغية ولا ينبغى للإمام أن يكون باغياً ولأن الامامة تضيق عن شخصين كما ان الربوبية لا تليق بالهين اثنين .

وقال الغزالى أيضاً : وقد زعمت طائفة أن يزيد بن معاوية لم يرض بقتل الحسين عليه السلام وادعوا أن قتله وقع غلطا قال : وكيف يكون هذا وحال الحسين لا يحتمل الغلط لما جرى من قتاله ومكاتبة يزيد الى ابن زياد بسببه وحثه على قتله ومنعه من الماء وقتله عطشاناً وحمل رأسه وأهله سبايا عرايا على اقتاب الجمال اليه وقرع ثناياه بالقضيب ولما دخل على بن الحسين زين العابدين عليه السلام على يزيد قال أنت ابن الذى قتله الله فقال أنا على ابن من قتلته أنت ثم قرأ (ومن قتل مؤمناً متعمداً) الآية ثم استفاض لعن على «ع» على المنابر ألف شهر وكان ذلك بأمر معاوية اتراهم أمرهم بذلك كتاب أو سنة أو اجماع هـذا صورة كلام الغزالى .

﴿ حديث مسير على عليه السلام إلى البصرة ﴾

قال علماء السير : كان على «ع» قد تجهز الى الشام لقتال معاوية ولم يبق إلا المسير فبينا هو كذلك إذ أتاه كتاب أمير مكة يخبره ان طلحة والزبير جاءا فاخرجا عائشة ما ندرى أين ذهبا بها ، وفى رواية وانهم قصدوا البصرة فصعد المنبر فخطب وقال : أيها الناس ان طلحة والزبير وعائشة سخطوا امارتى وقد قصدوا البصرة فتهيئوا للخروج اليهم .

وذكر سيف بن عمر قال : لما قتل عثمان (رض) كان على مكة عبد الله بن عامر الحضرمى وكانت عائشة مقيمة بمكة تريد العمرة فى المحرم وهرب بنو أمية الى مكة فاخبروها بقتل عثمان ولم يخبروها بتأمير على «ع» ، فلما قضت عمرتها

خرجت الى المدينة فلما انتهت الى سرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يقال له عبيد الله بن أبي سلمة فقالت مهيم فهمهم ودمدم فقالت له ويحك علينا أو لنا فقال قتل عثمان وبقوا خمسة أيام بغير امام قالت ثم ماذا قال اجتمع أهل المدينة والقوم الغالبون عليها على علي بن أبي طالب فاسترجعت وعادت الى مكة فبلغ الناس رجوعها فانجفلوا اليها ودخلت المسجد وجاءت الى الحجر فتسترت فيه واجتمع اليها الناس فخطبت وقالت أيها الناس ان الغوغاء اجتمعت على هذا الرجل المقتول بالأمس ظلماً فبادروه بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام في الشهر الحرام فاجتماعكم عليهم ينكل بهم غيرهم ويشرد بهم من خلفهم فقال عبد الله بن عامر أنا أول طالب بدمه .

وذكر ابن جرير عن الميداني قال : خرجت عائشة وعثمان محصور الى مكة فقدم عليها رجل يقال له اخضر فقالت ما صنع الناس فقال اجتمع المصريون على عثمان فقتلوه فقالت إنا لله وإنا اليه راجعون قوم جاؤا يطلبون الحق وينكرون الظلم يقتلون ، والله لا رضى بهذا ثم قدم آخر فقالت ما صنع الناس فقال : قتل المصريون عثمان فقالت قتل عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه فقوموا معي فقال عبيد بن أم كلاب . لم تقولين هذا فوالله لقد كنت تحرضين عليه وتقولين اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر فقالت انهم استتابوه ثم قتلوه فقال عبيد بن أم كلاب :

ومنك البكاء ومنك العويل	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام	وقلت لنا انه قد كفر
فهبنا اطعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرء	يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أوزارها	وما من وفى مثل من قد غدر

ثم اجتمعت بنو أمية الى عائشة وتشاوروا وقالوا : كانا نطلب بدم عثمان ورأسهم عبد الله بن عامر الحضرمي ومروان بن الحكم والمشار اليهما طلحة والزبير فاتفقوا على البصرة لأن ابن عامر قال قدكفا كم الشام معاوية ولي بالبصرة صنايع لأنه كان واليها وجهزهم ابن عامر بالمال والجمال ولما عزمت عائشة على المسير نهتها أم سلمة وقالت لها يا هذه ان حجاب الله لن يرفع وما أنت يا هذه وهذا الأمر وقد تنازعته الايدي وتهافت فيه الرجال وتسكينه اصلح للمسلمين فاتقي على رسول الله ﷺ من الافتضاح في زوجته واتقي دماً لم يبحه الله لك فلما رأتها لا تصغي الى قولها قالت :

نصحت ولكن ليس للنصح قابل　　ولو قبلت ما عنفتها العواذل
كأني بها قد ردت الحرب رحلها　　وليس لها إلا الترجل راحل

وقيل: ان أم سلمة كانت بالمدينة وانما كتبت الى عائشة تنهاها لأنه لما عزم علي «ع» على المسير قالت له أم سلمة يا أمير المؤمنين لولا اني أخاف ان أعصي الله لخرجت معك ولكن هذا ابني عمر أعز علي من نفسي نخذه معك فخرج معه ولم يزل ملازمه ، واستعمله على البحرين .

وذكر الميداني : ان يعلى بن أمية كان والياً على اليمن فقدم على عائشة وهي تجهز الى البصرة فاعانها باربعمائة الف درهم من مال اليمن وحملها على الجمل الذي كانت عليه يوم القتال واسم الجمل عسكر اشتراه من اليمن بثمانين ديناراً وقيل كان جمل لعبد الله بن عامر حملها عليه واشتراه بمائتي دينار ودفع لها عبد الله بن عامر ألف ألف درهم من بيت مال البصرة .

وذكر سيف : ان الجمل كان ليعلى بن أمية اشتراه بمائتي دينار ثم خرجوا من مكة في تسعمائة ثم لحقهم الناس حتى صاروا ثلاثة آلاف ولما بلغ علياً «ع» خروجهم خطب بالمدينة وقال أيها الناس ان طلحة والزبير وعائشة كرهوا امارتي وقد قصدوا البصرة لشق عصى المسلمين وطلباً للفتنة وتفريقاً للكلمة

فتجهزوا المسير اليهم ثم صار في تسعمائة وروى لما بلغه «ع» مسيرها سار من المدينة في وجوه المهاجرين والأنصار وأمر على المدينة قثم ابن العباس وتوجه في تسعمائة من الصحابة .

وذكر ابن جرير في تاريخه : ان عائشة اشترت الجمل من رجل من عرينة بسبمائة درهم وناقة قال ابن جرير فمرت على ماء يقال له الحوءب فنبحتها كلابه فقالت ما هذا المكان فقال لها سائق الجمل العرني هـــذا الحوءب ، فاسترجعت وصرخت باعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت أنا والله صاحبة كلاب الحوءب ردوني الى حرم الله ورسوله قالتها ثلاثاً .

قال ابن سعيد : فيما حكاه عن هشام بن محمد الكلبي استرجعت وذكرت قول رسول الله كيف بك اذا نبحتك كلاب الحوئب (١) فقال لها طلحة والزبير ما هذا الحوئب وقد غلط العرني ثم أحضروا خمسين رجلا فشهدوا معهما على ذلك وحلفوا .

قال الشعبي : فهي أول شهادة زور اقيمت في الإسلام .

وقال ابن جرير في تاريخه : لما سمعت عائشة كلاب الحوءب قالت إنا لله وإنا اليه راجعون اني لهيه ، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه ايتكن تنبحها كلاب الحوءب وأرادت الرجوع فمنعها ابن الزبير .

وقال سيف بن عمر : لما خرجت عائشة (رض) من مكة نحو البصرة تبعتها امهات المؤمنين الى ذات عراق فلم ير باكياً على الإسلام أكثر من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب ولما وصلت الى البصرة نزلت بالمربد وكان بالبصرة

(١) ـ قال صاحب النهاية : أنه قال ﷺ لنسائه أيتكن ـ تنبحها كلاب الحوءب . والحوئب منزل بين البصرة ومكة . وهو الذي نزلته عائشة لما جاءت الى البصرة في وقعة الجمل . وقال أيضاً في مادة دبب وفيه انه قال ﷺ لنسائه ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوءب .

عثمان بن حنيف أميراً من قبل علي عليه السلام فجرى بينه وبين القوم قتال فناداها حارثة بن قدامة السعدي يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك فان من يرى قتالك يرى قتلك فان كنت أتيتينا طايعة فارجعي الى منزلك وان كنت مكرهة فاستغيثي بالناس .

وحكى ابن جرير عن سيف بن عمر قال : خرج شاب من بني سعد فقال يا طلحة يا زبير أرى معكما أمكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا فانشد :

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم　　هذا لعمري قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها　　فهوت لحمل النبل والاسياف

ثم اعتزل القوم .

وأخرج البخاري طرفا من هذا الحديث وهذا المعنى عن أبي بكرة قال : لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله أيام الجمل بعد ما كدت ان الحق باصحاب الجمل فاقاتل معهم قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ان أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة .

قلت : هذه بنت كسرى اسمها بوران فان أمور الناس اختلت لما وليتهم فكذا كل امرأة تولت امراً يحتاج فيه الى الاستفسار والرأي ولهذا لا تلي المرأة الامارة ولا القضاء ولا الامامة ولا نحو ذلك .

ثم ان طلحة والزبير اغتالا عثمان بن حنيف في ليلة مظلمة وكان بالمسجد في جماعة فاوطاؤه الارجل ونتفوا شعر وجهه فما أبقوا فيه شعرة وارسلوا الى عائشة ليستشيروها فيه فقالت اقتلوه فقالت لها امرأة ناشدتك الله في عثمان فانه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت احبسوه واضربوه أربعين سوطاً وانتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه واشفار عينيه ففعلوا ونهبوا بيت مال البصرة وقتلوا سبعين رجلا من المسلمين بغير جرم فهم أول من قتل في الاسلام ظلماً .

وحكى ابن سعد : عن هشام بن محمد قال مامنعهم من قتل عثمان بن حنيف إلا غضب الأنصار ولحق عثمان بعلي عليه‌السلام فوافاه بذي قار وليس في وجهه ورأسه شعرة فلما رآه أمير المؤمنين شق ذلك عليه واسترجع . وقال سيف بن عمر لما خرج علي عليه‌السلام من المدينة وذلك في آخر شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين كتب الى أهل الكوفة يستنفرهم وكان أبو موسى الأشعري والياً عليها فجاء الناس اليه يستشيرونه في الخروج فقال أبو موسى ان أردتم الدنيا فاخرجوا وان أردتم الآخرة فاقيموا . وبلغ علياً عليه‌السلام قوله فكتب اليه اعتزل عن عملنا مذموماً مدحوراً يا ابن الحايك فهذا (١) أول يومنا منك .

وذكر المسعودي في (مروج الذهب) : ان علياً عليه‌السلام كتب إلى أبي موسى انعزل عن هذا الأمر مذموماً مدحوراً فان لم تفعل فقد أمرت من يقطعك ارباً اربا يا ابن الحايك ما هذا أول هناتك وان لك لهنات وهنات .

ثم بعث علي عليه‌السلام : الحسن وعماراً إلى الكوفة فالتقاهما أبو موسى فقال له الحسن عليه‌السلام لم تبطت القوم عنا فوالله ما أردنا إلا الإصلاح فقال صدقت ولكني سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول ستكون فتنة يكون القاعد فيها خيراً من القائم والماشي خيراً من الراكب فغضب عمار وسبه وتكلم عمار فقال أيها الناس هذا ابن عم رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يستنفركم إلى عائشة وإني أعلم انها زوجة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في الدنيا والآخرة ، وتكلم الحسن بمثل هذا وقال اعينونا على ما ابتلينا به فخرج معه تسعة آلاف في البر والماء ، وقد اخرج البخاري معنى هذا عن أبي وائل شقيق بن سلمة .

قال : لما بعث علي عليه‌السلام عماراً والحسن ابنه إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال اني لأعلم انها زوجة نبيكم صلى‌الله‌عليه‌وآله في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لينظر إياه تتبعون أو إياها ، وفي رواية فصعد الحسن المنبر فقعد في أعلاه

(١) ـ وفي نسخة . فهذه أول هناتك ، ان لك لهنات وهنات .

وجلس عمار اسفل منه وقال : وذكره في البخاري أيضاً عن أبي وائل .

قال : لما قدم عمار الكوفة ليستنفر الناس دخل عليه أبو مسعود الانصاري وأبو موسى الأشعري فقال ما رأينا أمراً منذ اسلمت أكره عندنا من إسراعك إلى هذا الأمر فقال لهما مارأيت منكما أمراً منذ اسلمتما أكره عندي من ابطائكما عن هذا الأمر . قال الزهري وإنما أشار إلى ترك الفتنة لأن عماراً كان على باطل .

ثم ان علياً عليه السلام : لما قارب البصرة كتب الى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم كتاباً لتركيب الحجة عليهم (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى طلحة والزبير وعائشة سلام عليكم أما بعد : يا طلحة والزبير قد علمتما اني لم أرد البيعة حتى اكرهت عليها وانتم ممن رضي ببيعتي فان كنتما بايعتما طائعين فتوبا الى الله تعالى وارجعا عما انتما عليه وان كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما لي السبيل عليكما باظهاركما الطاعة وكتمانكما المعصية ، وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين ، وأنت يا زبير فارس قريش ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه فكان أوسع لكما من خروجكما منه قبل اقراركما . وأنت يا عائشة فانك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ثم تزعمين انك تريدين الاصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحرمة ثم انك طلبت على زعمك بدم عثمان وما أنت وذاك عثمان رجل من بني أمية وأنت من تيم ثم بالامس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر ثم تطلبين اليوم بدمه فاتقي الله وارجعي الى بيتك واسبلي عليك سترك والسلام ، فما أجابوه بشيء ثم التقوا منتصف جمادى الأولى من هذه السنة فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاحه وخرج طلحة فخرج اليهما علي عليه السلام ودنى منهما

وعليه فيما طاق حتى اختلفت اعنة خيلهم فقال علي (١) عليه السلام لعمري لقد اعددتما خيلا وسلاحاً فهل اعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً الم اكن اخاكما في دينكما تحرمان دمي واحرم دمكما . فقال طلحة البتَّ الناس على عثمان فقال لعن الله من البّ الناس على عثمان ومن أين أنت يا طلحة ودم عثمان ويازبير اتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بني غنم فنظر إلى فضحك وضحكت اليه فقلت لا يدع ابن طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله انه ليس بمزهو ولتقاتلنه وأنت ظالم له . وفي رواية اتذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله في بني بياضة وهو راكب على حمار وذكره فقال الزبير اللهم نعم ولو ذكرت هذا ما خرجت من المدينة ووالله لا اقاتلك أبداً وفي رواية فقال الزبير فما الذي اصنع ولقد التقتا حلقتا البطان ورجوعي عار على فقال علي عليه السلام ارجع بالعار ولا تجمع بين العار والنار فرجع الزبير وهو يقول :

اخترت عاراً على نار مؤججة ... انى يقوم لها خلق من الطين
نادى عليٌّ بأمر لست أجهله ... عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من لوم أباحسن ... فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

وهذه من جملة أبيات للزبير قالها لما خرج من العسكر أولها :

ترك الأمور التي يخشى عواقبها ... لله اجمل في الدنيا وفي الدين
اخال طلحة وسط القوم منجدلا ... ركن الضعيف ومأوى كل مسكين
قد كنت انصره حينا وينصرني ... في النائبات ويرمي من يراميني
حتى ابتليت بأمر ضاق مصدره ... فاصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

(١) ـ وفي نسخة : ما انصفتما رسول الله صلى الله عليه وآله حيث جئتما بعرسه تقاتلان بها وخبأتما عرسكما في بيوتكما . والله يازبير ما انصفت رسول الله صلى الله عليه وآله صنت عرسك من الحتوف وابرزت عرسه الرماح والسيوف . ثم ما أنتما ودم عثمان الستما ممن الب عليه الناس يا زبير .

ثم انصرف طلحة والزبير فقال علي «ع» لأصحابه : أما الزبير فقد أعطا الله عهداً أن لا يقاتلكم ثم عاد الزبير الى عائشة وقال لها ما كنت في موطن منذ عقلت عقلي إلا وأنا أعرف أمري إلا هذا ، قالت له فما تريد أن تصنع قال أذهب وادعهم ، فقال له عبدالله ولده جمعت هذين الفريقين حتى اذا جد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب احسست برايات ابن أبي طالب فرأيت الموت الاحمر منها أو من تحتها تحملها فتية أنجاد سيوفهم حداد فغضب الزبير وقال ويحك قد حلفت أن لا اقاتله فقال كفر عن يمينك فدعا غلاماً له يقال له مكحول فاعتقه ، فقال عبد الرحمن بن سلمان التيمي :

لم اركاليوم أخا أخوان أعجب من مكفر الأيمان
بالعتق في معصية الرحمان

وقال آخر :

يعتق مكحولا لصون دينه كفارة لله عن يمينه
والنكث قد لاح على جبينه

وفي رواية : ان الزبير لما قال له ابنه ذلك غضب فقال له ابنه والله لقد فضحتنا فضيحة لا تغسل منها رؤسنا أبداً فحمل الزبير حملة منكرة فقال علي «ع» أفرجوا له فإنه محرج فخرق الصفوف ثم عاد ولم يطعن برمح ولا ضرب بسيف ثم رجع الى ابنه وقال ويحك اهذه حملة جبان ثم خرج عن العسكر ، وفي رواية ان علياً لما التقى بالزبير قال له قد كنا نعدك من خيار بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك السوء ففرق بيننا وبينك أليس رسول الله ﷺ قال لك كيت وكيت وذكر الحديث ، وفي رواية ثم قال علي عليه السلام لطلحة ما انصفت رسول الله ﷺ جئت بعرسه تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت ، ثم قال علي عليه السلام أيكم يعرض عليهم المصحف قبل قتالهم فقال فتى من القوم أنا فحمل المصحف وبرز بين الصفين وقال الله الله بيننا وبينكم كتاب الله فقطعوا يده فاخذه بيده الأخرى فقطعت

فاخذه باسنانه فقتلوه فنادى علي عليه السلام الآن طاب لكم قتالهم فحملوا.

وحكى ابن سعد عن هشام بن محمد كان اسم الذي حمل المصحف مسلماً فقالت أمه :

يارب ان مسلماً أتاهم　　يتلو كتاب لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم　　وأمه قائمة تراهم

ثم برز عمار ونادى : ياقوم والله ماانصفتم نبيكم صلى الله عليه وآله حين كتمتم عقايلكم في الخدور وابرزتم عقيلته للسيوف ؛ وفي رواية يا زبير ما أنصفت رسول الله صلى الله عليه وآله صان زوجتك من الحتوف وابرزت زوجته للسيوف وكان لقد لقي رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً اسماء في بعض أزقة المدينة ومعه جماعة من أصحابه فاعرض عنها واعرضوا أيضاً حتى ذهبت وقيل مد عليها سجافاً خوفاً من غيرة الزبير فنادى عمار يا ابن العوام مد رسول الله (ص) على زوجتك السجوف وذكره ثم دنى عمار من الهودج وكان عليه جلود البقر والمسوح وفوقها الدروع فقال ما تطلبين ؟ فقالت دم عثمان فقال خذل الله اليوم الباغي الطالب لغير الحق وأنشد :

(فمنك البكاء ومنك العويل)

وقد ذكرنا الأبيات فرشقوه بالنبل فعاد وصاح علي عليه السلام أيها الناس كفوا حتى يبتدؤا بالقتال ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تستحلوا سلباً ولا متاعاً وكان هذا من رأي الفريقين.

وفي رواية ان علياً عليه السلام قال لطلحة نشدتك الله الم تسمع رسول الله (ص) يقول من كنت مولاه فعلي مولاه فقال بلى والله ثم انصرف عنه.

فصل فى عقر الجمل

قال سيف بن عمر : لما انهزم الناس اطافت با لجمل مضر وكان زمامه بيد كعب بن سور قاضى البصرة وكان قد اعتزل الناس لما وصلت عائشة الى البصرة وجلس فى بيت وطيّن عليه بابه فقيل لعائشة انه لايستقيم لكم الأمر إلا بكعب ابن سور فجاءت بنفسها اليه واخرجته فلما كان اليوم الثالث قالت له يا كعب خل عن زمام الجمل وتقدم اليه بكتاب الله فادعهم اليه وناولته مصحفاً فتقدم به فقتلته السبأية مخافة ان يقع الصلح بين الفريقين فيهلكوا ولما قتلوا كعباً عقروا الجمل ورموا عائشة من الهودج فجعلت تنادى يا بنى البقية البقية اذكروا الله وهم لا يلتفتون اليها .

وكان القتال يوم الخميس فى جمادى الأولى من سحر الى الظهر وما شوهدت واقعة مثلها لا قبلها ولا بعدها فنى فيها الكماة من فرسان مضر وكان لا يأخذ زمام الجمل إلا المعروف با لشجاعة فحمل الأشتر النخعى فى جماعة من الفرسان وزمام الجمل بيد زفر بن الحرث فجرحوه وعقر الجمل عقره رجل يقال له دلجه وقتل عليه سبعون رجلا من بنى ضبة وقيل ان عبد الله بن الزبير آخر من أخذ بخطامه فصاحت عائشة واثكل اسماء فجرح فالقى نفسه بين الجرحى ولما وقع الجمل جاء محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر فاحتملا الهودج فادخل محمد بن أبى بكر يده فيه فقالت عائشة من هذا ؟ فقال محمد أخوك البار فقالت مذمم العاق وجاء على عليه السلام وضرب عليها فسطاطاً وقال استفززت الناس والبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً فقالت له ملكت فاسجح وفى رواية انه وقف عليها وقال يغفر

الله لك فقالت ولك ، وفى رواية انه ضرب هودجها بالقضيب وقال يا حميراء ارسول الله امرك بهذا انما امرك الله بالقرار فى بيتك والله ما انصفك من أخرجك وصان حلائله فلم تتكلم كلمة .

وقال سيف : اجتمعت بنو ضبة حول الجمل فقطعت على زمامه الف يد وهم يقولون :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل　　ننعى ابن عفان باطراف الأسل

الموت أحلى عندنا من العسل　　ردوا علينا شيخنا أو نقتتل

وقيل: ان زمام الجمل كان بيد عمرو بن يثربى قتل يومئذ قتله عمار بن ياسر وعمر عمار يومئذ سبعون سنة ، وقيل جاؤا بعمر بن يثربى أسيراً بين يدى على عليه السلام فقال له استبقنى فقال قتلت زيد بن صوحان وجماعة من الصحابة فقتله وجرح عبد الله بن الزبير أربعون جراحة ، والتقى عبد الله بن الزبير ذلك اليوم بالأشتر النخعى فاجتلدا وتعانقا وسقطا الى الأرض فصاح عبد الله بن الزبير (١)

اقتلونى وما لكا　　واقتلا ما لكا معى

---

(١) ـ قوله : اقتلونى وما لكا، الخ .

قال ابن خلكان : وهذا البيت له سبب يحتاج الى شرح . وذلك ان مالك ابن الحارث المعروف بالاشتر النخعى ٠ كان من الابطال المشهورين ٠ وهو من خواص أصحاب على بن أبى طالب «ع» فى يوم وقعة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير ٠ وكان أيضاً من الابطال وابن الزبير يومئذ مع خالته عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير كانوا يحاربون علياً «ع» فلما تعانقا صار كل واحد منهما إذا قوى على صاحبه جعله تحته وركب صدره ٠ وفعل ذلك مراراً وابن الزبير ينشد :

اقتلونى وما لكا　　واقتلوا ما لكاً معى

قال عبد الله بن الزبير : لاقيت الاشتر النخعى يوم الجمل فاضربته ضربة ←

فصارت مثلا وقيل ان هذا القائل لهذا القول عبد الرحمن بن عتاب ابن اسيد كان امام عسكر طلحة والزبير يصلى بهم فلم يفهم الناس قوله ولو عرفوا انه الأشتر اقتلوه ثم جاء قوم ففرقوا بينهما ، وفى رواية لما سقط الهودج قال على عليه السلام لمحمد بن أبى بكر انظر هل وصل الى اختك شىء فادخل رأسه اليها فقالت من أنت ؟ فقال ابغض أهلك اليك ؛ فقالت ابن الخثعمية ؟ قال نعم . قالت : بأبى أنت وامى الحمد لله الذى عافاك .

وذكر ابن جرير فى تاريخه : عن عباس بن محمد عن أبى رجاء قال بينا أنا أمشى يوم الجمل اذا أنا برجل يفحص برجليه ويقول :

لقد أوردتنا حومة الموت امنا فلم تنصرف إلا ونحن رواء

—— حتى ضربنى ستاً أوسبعا ثم أخذ برجلى والقانى فى الخندق. وقال والله لولا قرابتك من رسول الله ما اجتمع منك عضو الى عضو أبداً .

وقال أبو بكر بن أبى شيبة : اعطت عائشة الذى بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الاشتر النخعى عشرة آلاف درهم . وقيل أيضاً . ان الاشتر دخل على عائشة بعد وقعة الجمل . فقالت له يا أشتر أنت الذى أردت قتل ابن اختى يوم الوقعة فأنشدها :

أعايش لولا أننى كنت طاويا ثلاثاً لا لفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادى والرماح تنوشه بآخر صوت اقتلونى ومالكا
(ونجاه منى اكله وشبابه)

قال زهير بن قيس : دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام فأذا برأسه ضربة لو صببت فيها قارورة من الماء لاستقر . فقال لى اتدرى من ضربنى هذه الضربة ؟ فقلت لا قال ابن عمك الاشتر النخعى . هى قول القاضى احمد بن خلكان بترجمة يوسف بن أيوب صلاح الدين صاحب الديار المصرية والشام والعراق واليمن .

اطعمنا قريشاً ضلة من حلومنا   ونصرتنا أهل الحجاز عناء

وفى رواية :

(وما تيم إلا اعبد واماء)

وفى رواية : فقلت له من أين أنت فقال من جيش المرأة أوقيل المرأة التى أرادت أن تكون أمير المؤمنين . وقال أيضاً ، قالت امرأة يوم الجمل :

شهدت الحروب فشيبتنى   فلم أر يوماً كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة   واقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة فى بيتها   وليت عسكراً لم ترتحل

ثم ان علياً «ع» : أمر بانزال عائشة داراً بالبصرة فنزلت دار عبد الله ابن الخلف الخزاعى .

فصل فى ذكر مقتل طلحة بن عبيد الله

ذكر علماء السير وقالوا : بينما هو واقف فى المعركة جاءه سهم فخيط فخذ ركبته بصفحة الفرس فقال لغلامه امسكنى فردفه فدخل البصرة وهو يتمثل بمثله (١) ومثل الزبير :

فان تكن الحوادث أقصدتنى   وأخطأهن سهمى حين أرمى
فقد ضيعت حين تبعت سهما   سفاهة ماسفهت وضاع حلمى
ندمت ندامة الكسعى لما   شربت رضا بنى سهم برغمى

(١) ـ غامد بن الحارث وقصته مشهورة ومما أنشد فيها :

ندمت ندامة لو أن نفسى   تطاوعنى اذاً لقطعت خمسى
تبين لى سفاه الرأى منى   لعمر أبيك حين كسرت قوسى

اطعنتهم بفرقـــة آل لاى   فألقوا للسباع دمى ولحمى

وفى رواية : ان مروان بن الحكم هوالذى قتل طلحة لانه رآه قائماً وقد أمكنت الفرصة منه فقال لا أطلب بثارى بعد اليوم وا ثارات عثمان ، ثم رماه بسهم فاصاب ركبته فحمل الى البصرة فدخل عليه بعض أصحاب على عليه السلام وهو يجود بنفسه فقال له اشهد على انى قد بايعت أمير المؤمنين عليه السلام ثم مات فاخبر ذلك الرجل علياً عليه السلام فقال رحمه الله وتأسف عليه ، قال الحمد الله الذى لم يخرج من الدنيا إلا وبيعتى فى عنقه .

وقيل: ان مروان لما رماه بالسهم قال (وكان أمر الله قدراً مقدورا) .

وذكر سيف بن عمر ان طلحة يوم الجمل قال : اللهم اعط عثمان منى حتى يرضى .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) ، عن الواقدى انه قال : قال طلحة يوم الجمل لقد داهنا فى أمر عثمان فلا نجد اليوم امثل من ان نبذل دمائنا فيه .

فصل فى مقتل الزبير

قال ابن سعد : مر الزبير على الأحنف بن قيس وهو معتزل الناس فقال الأحنف هذا الذى يفسد بين الناس واتبعه رجلين فحمل عليه أحدهما فطعنه وضربه الآخر فقتله . ثم جاء برأسه الى باب على عليه السلام فقال أئذنوا لقاتل الزبير فسمعه على عليه السلام فقال بشر قاتل ابن صفية بالنار . وبكا على عليه السلام وترحم عليه وفى رواية ان الذى قتله عمرو بن جرموز وكان قد ساريريد الرجوع الى المدينة فنزل بوادى السباع على عمرو بن جرموز المجاشعى فقام اليه وقال كيف خلفت الناس فقال عازمين على القتال فاحضر له طعاماً فأكل ثم قام فصلى ثم نام فقـام

ابن جرموز فقتله وأتى برأسه وسيفه وخاتمه الى على عليه السلام فاخذ السيف وقال عليه السلام سيف لطالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم بكى وقيل لم يأتوا برأسه ودفن بوادى السباع والأصح ان الأحنف بن قيس بعث وراءه من قتله .

فصل فى ذكر من قتل من الفريقين

﴿ وأسر من الأعيان ﴾

أما من أصحاب على عليه السلام : فجماعة منهم زيد بن صوحان وكان فارساً شجاعاً وعلياً ابن الهيثم وهند بن عمرو، ومن أصحاب عائشة (رض) كعب بن سور القاضى وهو أول قتيل وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ومحمد بن طلحة بن عبيد الله وكان ناسكاً غير ان أباه أخرجه كرهاً ونهى على «ع» عن قتله ، وقال اياكم وصاحب البرنس فانه خرج مكرهاً واشترك فى قتله جماعة فقال قاتله :

واشعث قوام بآيات ربه   قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه   فخر صريعاً لليدين وللفم
يذكرنى حاميم والرمح شاجر   فهلا تلى حاميم قبل التقدم
على غير شىء غير ان ليس بايعاً   علياً ومن لا يتبع الحق يندم

ويقال : الذى قتله عبد الله بن مكعبه حليف بنى اسد وأخذ مروان بن الحكم فتشفع فيه الحسن والحسين عليهما السلام فاطلقه على «ع» فقالا له ألا يبايعك فقال أوليس قد بايعنى يوم قتل عثمان لاحاجة لى فى بيعته انها كف يهودية أما والله ان له أمارة كلعقة الكلب أنفه وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمراً .

واختلفوا فى الذين قتلوا فى ذلك اليوم، فقال قوم قتل من عسكر عائشة (رض) ثمانية عشر ألفاً وقيل اثنى عشر الفاً، ومن أصحاب على «ع» خمسة آلاف وقيل الف.

وذكر الميدانى : ان علياً «ع» لما وقف على القتلى قال :

أشكوا اليك عجرى وبجرى ومعشراً اعشوا علىّ بصرى
إنى قتلت مضرى بمضرى شفيت نفسى وقتلت معشرى

وفى هذا اليوم : ذهبت عين عدى بن حاتم الطائى، وقيل قتل من الفريقين عشرة آلاف.

وحكى سيف : ان علياً «ع» مر بكعب بن سور فوقف عليه وقال والله ما علمتك إلا قاضياً بالحق وجعل يترحم عليه.

فصل فى الخطبة التى خطبها على عليه السلام

ذكر علماء السير : ان علياً «ع» لما فرغ من الجمل صعد منبر البصرة فخطب الناس وقال ان النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول أما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام شطر أعمارهن؛ وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين منهن كشهادة رجل واحد فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر. ولا تطيعوهن فى معروف حتى لا يطمعن فى منكر، ثم قال يا أهل البصرة يا جند المرأة ويا أتباع كل ناعق ماؤكم زعاق ودينكم نفاق دعاكم الشيطان فاجبتم وعقر فعقرتم كأنى أنظر الى مسجدكم قد بعث الله عليه العذاب من فوقه ومن تحته فهو كجؤجؤ سفينة أو كنعام جاثمة أوكجؤجؤ طائر فى لجة بحر أرضكم

بعيدة من السماء قريبة من المـــاء خفت عقولكم وسفهت أحلامكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصايل .

قال سيف : وعلم أهل المدينة بيوم الجمل يوم الخميس وذلك من نسر طار من حول المدينة معه شيء معلق فتأمله الناس فاذا كف فيها خاتم فوقع فاذا نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد .

فصل فى رجوع عائشة الى المدينة

قال علماء السير : ثم بعث علي «ع» عبد الله بن عباس الى عائشة يأمرها بالمسير الى المدينة فدخل عليها ابن عباس بغير اذن فقالت له اخطأت السنة دخلت علينا بغير اذن فقال لها لو كنت فى البيت الذى خلفك فيه رسول الله (ص) ما دخلنا عليك بغير اذنك . ثم قال ان أمير المؤمنين يأمرك بالمسير الى البيت الذى أمرك الله بالقرار فيه فأبت عليه فشدد عليها وقال هـــو أمير المؤمنين وقد عرفتيه .

قال هشام بن محمد : فجهزها علي «ع» أحسن الجهاز ودفع لها مالا كثيراً وبعث معها أخاها عبد الرحمن فى ثلاثين رجلا وعشرين أمرأة من أشراف البصرة وذوات الدين من همدان وعبد القيس وألبسهن العمائم وقلدهن السيوف بزى الرجال وقال لهن لا تعلمنها انكن نسوة وتلثمن وكن حولها ولا يقربنها رجل وسرن معها على هذا الوصف فلما وصلت الى المدينة قيل لها كيف كان مسيرك؟ فقالت بخير والله لقد اعطى فاكثر ولكنه بعث رجال معى انكرتهم فبلغ ذلك النسوة فجئن اليها وعرفنها أنهن نسوة فسجدت وقالت والله يابن أبي طالب ما ازددت إلا كرماً وودت انى لم أخرج هذا المخرج وانى اصابنى كيت وكيت .

قال ابن الكلبي : وكانت عائشة اذا ذكرت يوم الجمل (١) بكت حتى تبل خمارها وتأخذ بحلقها كأنها تخنق نفسها وكانت اذا ذكرت أم سلمة تذكر نهيها لها وتبكي.

وقال هشام بن محمد : انما رد علي ﷺ عائشة الى المدينة امتثالا لأمر رسول الله ﷺ أشار هشام الى ما روى احمد بن حنبل قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا فضل بن سليمان حدثنا محمد بن يحيى عن أبي اسماء مولى بن جعفر عن أبي رافع ان رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب سيكون بينك وبين عائشة أمر قال فأذن أنا أشقاهم قال لا ولكن اذا جرى ذلك فارددها الى منامها .

قال هشام : فكانت عائشة تبكي بعد يوم الجمل وتقول يا ليتني كنت نسياً منسياً أي الحيضة الملقاة ، انتهت قصة الجمل على وجه الاختصار .

﴿ حديث صفين ﴾

قال علماء السير : ولما فرغ علي « ع » من الجمل سار من البصرة الى الكوفة فدخلها لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة وهي سنة ست وثلاثين فراسل معاوية على يد جرير بن عبد الله البجلي يطلب منه البيعة فلم يجب وأقام با لكوفة بعض هذه السنة وتوجه الى صفين في هذه السنة وهي سنة ست وثلاثين والتقى بمعاوية هناك وجرت بينهما حروب وخطوب وكان علي « ع » قد سار الى صفين في تسعين الفاً ومعاوية في مائة وعشرين الفاً فقتل من أهل العراق خمسة وعشرين الفاً منهم عمار بن ياسر وهاشم ابن عتبة بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت ، وقتل اويس القرني في آخرين ، وقتل من أهل بدر خمسة وعشرين .

وذكر الزبير بن بكار قال : شهد صفين مع أمير المؤمنين « ع » من أهل

(١) — لما وصلت عائشة الى المدينة خرج اليها النساء فبكت حتى غشي عليها . وكانت إذا ذكرت يوم الجمل تخنق نفسها تأخذ بحلقها وتقول : وددت اني مت قبل ذلك بعشرين سنة . وكانت إذا رأت أم سلمة تبكي وتذكر نصيحتها .

بدر سبعة وثمانون رجلا منهم سبعة عشر رجلا من المهاجرين وسبعون من الانصار ، وأما من باقي الصحابة فكان معه الف وثمانمائة ومنهم تسعون رجلا بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة بيعة الرضوان وقتل من أهل الشام سبعون الفاً وكان بينهم سبعون وقعة في مائة وعشرين يوماً فنختار من ذلك ما يليق بكتابنا .

فنقول : لما رجع علي «ع» من البصرة بعث جرير بن عبد الله الى معاوية يدعوه الى طاعته فقال له الأشتر النخعي لا تبعثه فاني والله اظن ان هواه معه وكان كما قال الأشتر لأن جريراً كان ممن يضمر الغش لعلي وسببه انه لما قتل عثمان (رض) كان جرير والياً على همدان فعزله علي «ع» عنها فأثر في قلبه ولما بعثه علي «ع» في هذه السنة الى معاوية باستدعاء من جرير فانه التمس منه ان يبعثه الى معاوية وكتب معه كتاباً يخبره باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وما كان من أمرهما ويدعوه إلى البيعة تزكية للحجة عليه .

وكان في الكتاب أما بعد فانه لزمتك بيعتي بالمدينة وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وانما الشورى للمهاجرين والأنصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اماماً كان ذلك رضى لله تعالى فان خرج عن أمرهم خارج ردوه الى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً ، ثم ان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فجاهدتهما على ذلك بعد ما اعذرت فيهما حتى جاء الحق وزهق الباطل وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب الأمور (فيك) إلى العافية وان لا تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد بلغني اكثارك في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكمهم إلى احملكم على كتاب الله وانما تلك (تعللك) التي تريدونها خدعة الصبي على اللبن ولعمري لئن نظرت بعين عقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من قتل عثمان ودمه وقد

علمت انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يجوز لهم الشورى وقد بعثت اليك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة فبايع (١) ولا قوة إلا بالله والسلام .

فلما قدم عليه جرير ماطله ، واستشار عمرو بن العاص فيما كتب اليه فاشار عليه عمرو ان يلزمه دم عثمان ويقاتله بوجوه أهل الشام وكان قد علق قميص عثمان على المنبر بجامع دمشق ومعه أصابع نايلة ابنة الفرافصة زوجة عثمان فآلى أهل الشام أن لا يناموا على الفرش ولا يأتوا النساء حتى يقتلوا قتلة عثمان

فكتب معاوية الى على «ع» مع جرير أما بعد : فانه لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ولكنك أغريت المهاجرين والانصار بعثمان وخذلتهم عنه حتى اطاعك الجاهل وتقوى بك الضعيف وقد عزم أهل الشام على قتالك اللهم الا ان تدفع اليهم قتلة عثمان فيكفوا عنك ويجعل الامر شورى بين المسلمين وتكون الشورى لاهل الشام لا لاهل الحجاز ، فاما فضلك وسابقتك في قريش وموضعك من رسول الله ﷺ فلا أدفعه . وكتب في أسفل الكتاب :

أرى الشام تكره أهل العراق وأهل العراق لهم كارهونا
وكل لصاحبه مبغض يرى كل ما كان من ذاك دينا
اذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا
وقالوا على امام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى ان تدينوا له فقلنا لهم لا نرى أن ندينا
وكل يسر بما عنده يرى غث ما في يديه سمينا

فقدم جرير على علي «ع» فاخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه

(١) ـ وفي نسخة : فبايع وإلا استعنت الله عليك وقاتلتك .

على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان علياً قتله وآوى قتلته وانهم لا ينتهون حتى يقتلهم أو يقتلوه .

وكان الأشتر حاضراً فقال لعلي عليه السلام : قد كنت نهيتك ان تبعث هذا على عداوته وغشيته ولو كنت بعثتني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً نرجو فتحه الا أغلقه ولا باباً نخاف فتحه إلا فتحه .

فقال له جرير : لو كنت هناك لقتلوك لقد ذكروا انك من قتلة عثمان فقال له الأشتر لو طا وعني أمير المؤمنين فيك وفي أمثالك لحبسك في مكان لا تخرج منه حتى يستقيم هذا الأمر . فخرج جرير الى قرقيسيا فاقام بها وكتب الى معاوية يخبره بما جرى فكتب اليه بالقدوم عليه .

وكتب علي عليه السلام الى معاوية ، أما بعد فقد أتاني كتاب أمرء ليس له بصر يهديه ولا قايدة ترشده دعاه الهوى فاجابه وقاده فاتبعه زعمت اني خذلت عن عثمان ولعمري ما كنت إلا كواحد من المهاجرين والانصار وردت كما أوردوا وصدرت كما صدروا ولم أكن مع القوم ؛ وأما قولك ان أهل الشام يحكون في الشورى فمن في الشام من يصلح للخلافة فان سميت واحداً كذبك المهاجرون والأنصار ، وأما اعترافك بسوابقي فلو قدرت على دفعها لدفعتها ، ولكنك عاجز عن ذلك ، وكتب في أسفل الكتاب :

معاوي دع عنك مالا يكونا ٭ وقتلة عثمان اذ تدعونا
أتاكم علي باهل العراق ٭ وأهل الحجاز فما تصنعونا
على كل جرداء خيفانة (١) ٭ وأجرد صلب يقر العيونا
عليها فوارس من شيعة ٭ كاسد العرين تحامي العرينا
يرون الطعان خلال العجاج ٭ وضرب الفوارس في النقع دينا
هم هزموا الجمع يوم الزبير ٭ وطلح وغيرهم الناكثينا

(١) ـ الخيفان : الجراد . ثم شبه به الفرس في خفتها . ق

فان تكرهوا الملك ملك العراق　　فقد كره القوم ما تكرهونا
فقل للمضلل من وايل　　ومن جعل الغث يوماً سمينا
جعلت ابن هند وأشياعه　　نظير على أما تستحونا
على ولى الحميد المجيد　　وصى النبي من العالمينا

ثم دفع الكتاب الى الأصبغ بن نباتة التميمى ؛ وخرج على ﷺ فعسكر بالنخيلة وسار الأصبغ الى الشام قال فقدمت على معاوية فدخلت عليه وعمرو ابن العاص عن يمينه وذو الكلاع وحوشب عن يساره والى جانبه أخوه عتبة وابن عامر والوليد بن عقبة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشرحبيل بن السمط وأبو هريرة بين يديه وأبو الدرداء والنعمان بن بشير وأبو امامة الباهلى فدفعت اليه الكتاب . فلما قرأه قال ان علياً لايدفع الينا قتلة عثمان قال الأصبغ فقلت له يا معاوية لا تعتل بقتلة عثمان فانك لا تطلب إلا الملك والسلطان ولو أردت نصرته حيا لفعلت ولكنك تربصت به وتقاعدت عنه لتجعل ذلك سببا الى الدنيا فغضب فاردت أن أزيده فقلت يا أبا هريرة أنت صاحب رسول الله ﷺ أقسم عليك بالله الذى لا إله إلا هو وبحق رسوله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم فى حق أمير المؤمنين من كنت مولاه فعلى مولاه فقال أى والله لقد سمعته يقول ذلك قال فقلت فاذن أنت يا أبا هريرة واليت عدوه وعاديت وليه فتنفس أبو هريرة وقال إنا لله وإنا اليه راجعون ؛ فتغير وجه معاوية وقال ما هذا كف عن كلامك فلا تستطيع ان تخدع أهل الشام عن الطلب بدم عثمان فانه قتل مظلوما فى شهر حرام فى حرم رسول الله ﷺ عند صاحبك وهو الذى أغراهم به حتى قتلوه وهم اليوم عنده أعوانه وأنصاره ويده ورجله وما مثل عثمان من يهدر دمه ، فقال ذو الكلاع وحوشب ومعاوية بن خديج لننصرنك يا معاوية حتى يحصل مرادك أو نقتل عن آخرنا فقام الأصبغ وهو يقول :

معاوى لله من خلقه عباد قلوبهم قاسية
وقلبك من شر تلك القلوب وليس المطيعة كالعاصية
دع ابن خديج ودع حوشبا وذا كلع واقبل العافية

فصاح معاوية أجئت رسولا أم منفراً ، ثم سار الأصبغ نحو العراق وفى هذه السنة وهى سنة ست وثلاثين اتفق معاوية وعمرو بن العاص على قتال على عليه السلام واصطلحا على ذلك قبل نزول على عليه السلام على النخيلة فى أيام وقعة الجمل بعد ان كان معاوية قد يئس من عمرو وعزم عمرو على المسير الى البصرة الى نصرة على عليه السلام فاعطاه معاوية مصر طعمة فمال اليه .

وقال أهل السير : لما حصر عثمان خرج عمرو بن العاص الى الشام فنزل فلسطين وكان يؤلب على عثمان لانحرافه عنه فانه لما ولى الخلافة لم يلتفت الى عمرو ولا ولاه وعزله عن مصر فأقام بفلسطين حتى قتل عثمان .

فقيل لمعاوية ، انه لا يتم لك الأمر إلا بعمرو بن العاص فانه دويهة العرب فكتب اليه يستدعيه اليه ويستعطفه ويعده المواعيد ان هو وافقه على قتال أمير المؤمنين ويذكر ما جرى على عثمان فكتب اليه عمرو ، أما بعد فانى قرأت كتابك وفهمته فاما مادعوتنى اليه من خلع ربقة الإسلام من عنق والتهون معك فى الضلالة واعانتى إياك على الباطل واختراط السيف فى وجه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووليه ووصيه ووارثه وقاضى دينه ومنجز وعده وصهره على ابنته سيدة نساء العالمين وأبى السبطين الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة ، وأما قولك انك خليفة عثمان فقد عزلت بموته وزالت خلافتك ، وأما قولك ان أمير المؤمنين أشلى الصحابة على قتل عثمان فهو كذب وزور وغواية ، ويحك يا معاوية اما علمت ان أبا الحسن بذل نفسه لله تعالى وبات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وقال فيه من كنت مولاه فعلى مولاه فكتابك لا يخدع ذا عقل وذا دين والسلام .

فلما قرأ كتابه ، قال له عتبة بن أبي سفيان لا تيئس منه فكتب اليه وارغبه في الولاية وشركه معه في سلطانه وكان في أسفل كتابه :

جهلت وما تعلم محلك عندنا ... فارسلت شيئاً من عتاب وما تدرى
فثق بالذى عندى لك اليوم آنفا ... من العز والاكرام والجاه والقدر
وأكتب عهداً ترتضيه مؤكداً ... وأشفعه بالبذل منى وبالبر

فكتب اليه عمرو يقول :

أبي القلب منى ان يخادع بالمكر ... بقتل بن عفان اجر الى الكفر
وانى لعمرى ذو دهاء وفطنة ... ولست أبيع الدين بالرشح والوفر
أليس صغيراً ملك مصر ببيعة ... هي العار في الدنيا على الآل من عمرو

وذكر سيف عن هشام بن محمد انه كتب عمرو الى معاوية :

معاوية لا أعطيك دينى ولم انل ... به منك ديناً فانظرن كيف تصنع
فان تعطنى مصراً فاربح بصفقة ... اخذت بها شيخاً يضر وينفع

فكتب اليه معاوية : قد اقطعتك مصراً طعمة واشهد عليه شهوداً وبات عمرو طول ليلته متفكراً فدعا غلاماً له يقال له وردان وهو الذى ينسب اليه مكان بمصر يقال له سوق وردان فقال له ما ترى يا وردان فقال ان مع على آخرة ولا دنيا ، وان مع معاوية دنيا ولا آخرة فالتى مع على تبقى والتى مع معاوية تفنى فلما أصبح ركب فرسه ومعه عبد الله بن عمرو وهو يقول له لا تذهب الى معاوية لا تبع آخرتك بدنيا فانية وهو متحير فلم يزل حتى وصل الى طريقين احدهما تأخذ الى المدينة والآخرى الى دمشق فوقف عندهما ثم ضرب رأس فرسه نحو دمشق وقال معاوية أرفق بنا من على وأتى معاوية .

قال علماء السير : وسار على عليه السلام في هذه السنة من النخيلة الى الشام لخمس خلون من شوال واستخلف على الكوفة أبا مسعود الانصارى فنزل على المدائن وولى على المدائن لما سار عنها سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن أبي عبيد . ثم سار

الى الرقة فقال لأهلها أجسروا لى جسراً حتى أعبر من هذا المكان الى الشام فأبوا عليه وجمعوا السفن غربى الفرات فناديهم الاشتر يا أهل الرقة أقسم بالله لئن لم تمدوا الينا الجسر لأضعن فيكم السيف ولأقتلن رجالكم فخافوا فنصبوا الجسر وعبر الناس .

وفى رواية ان علياً عليه السلام لما وصل الى الرقة ولم يجد عندها سفينة قال يا أهل هذين الحصنين اين سفنكم ؟ قالوا : راحت ترعى فسبهم ثم سارت المقدمة عليها الاشتر النخعى فلقيهم أبو أعور السلمى واسمه عمرو بن سفيان فى خيل أهل الشام فحملوا عليه فانهزم منهم وجاء معاوية فنزل مكاناً بصفين وجاء على عليه السلام فنزل مقابله ولم يكن لأصحاب على عليه السلام مشرعة ونزل معاوية وأصحابه على المشارع ومنعهم الماء فارسل الأشتر الى معاوية مع صعصعة بن صوحان وقال خلوا بيننا وبين الماء فقال معاوية لأصحابه ماترون فقال الوليد بن عقبة امنعوهم اياه كما منعوا عثمان اربعين صباحاً فقال عبد الله بن سعد امنعوهم اياه حتى يرجعوا عنا فيكون ذلك وهناً لهم منعهم الله اياه يوم القيامة فقال صعصعة بن صوحان انما يمنع الله يوم القيامة الفجرة الفسقة شراب الخمور مثلك ومثل هذا الفاسق يعنى الوليد ابن عقبة فسبوه فقال لعنكم الله جميعاً ثم خرج من عندهم .

فقال له عمرو بن العاص يامعاوية خل لهم الماء افترى ابن أبى طالب يموت عطشا ومعه اطراف الأسنة وأفاعى العراق وشيوخ المهاجرين والأنصار والله ليطيرن قحاف الرؤس عن جماجمها قبل ذلك فارض بالموادعة ايها الرجل الى انسلاخ المحرم ولا تعجل الى الشرفان مرتعه وخيم فابى معاوية وقال والله هذا أول الظفر لاسقى الله أبا سفيان بن حرب قطرة من حوض رسول الله صلى الله عليه وآله ان شربوا قطرة منه فقال له فياض بن الحرث الأزدى يا معاوية والله ما انصفت القوم لو كانوا (١) من الروم لما جاز منعهم فكيف وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) ـ وفى رواية ولو كان هؤلاء من الروم والترك وطلبوا منك الماء لوجب ان تسقيهم ـ ثم تحاربهم . الخ

البدريون والمهاجرون والأنصار وفيهم ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه وصاحب سرّه وحبيبه وختنه أفلا تتق الله يا معاوية ان هـذا والله البغي والله لو سبقونا الى الماء لما منعونا اياه وكان هذا الرجل صديق عمرو بن العاص فقال معاوية أكفني صديقك يا عمرو فقام فياض وهو يقول :

اتحمون الفرات على اناس　　وفى ايديهم الأسل الظماء
وفى الأعناق أسياف حداد　　كأن القوم عندكم نساء
ألا لله درك يا بن هند　　لقد ذهب الحياء فلا حياء
وقد ذهب العتاب فلاعتاب　　وقد ذهب الولاء فلاولاء
ولست بتابـع دين ابن هند　　طوال الدهر ما أوفى حراء
وقولى فى حوادث كل أمر　　على عمرو وصاحبه العفاء

ثم عطف دابته الى عسكر على عليه السلام . ولما منع معاوية وأصحابه علياً عليه السلام وأصحابه الماء قال الأشتر يا أمير المؤمنين أنموت عطشاً وسيوفنا على عواتقنا ورماحنا فى أيدينا ؟ وكان على المشارع أبو الأعور السلمى فى عسكر أهل الشام فندب اليه على عليه السلام الأشتر النخعى والأشعث بن قيس فى اثنى عشر ألفاً قصدوا أبا الأعور وحملوا عليه وضرب الأشتر على رأسه بالسيف فجرحه فانهزم هو وأصحابه وملك الأشتر الشرايع وهذا أول قتال وقـع أيام صفين وذلك أول يوم من ذى الحجة وبينه وبين وقعة الجمل سبعة أشهر وأيام وكان يسمى يوم الحمية لان الناس قاتلن على الماء وفى يوم السادس من ذى الحجة برز عبيد الله بن عمر بن الخطاب الى الأشتر فقال له يا مسكين ما الجأك الى هذا هلا اعتزلت كما اعتزل أخوك وسعد بن مالك قال خفت القصاص يوم الهرمزان فقال كنت أقمت بمكة فقال له خل الخطاب والعتاب فحمل عليه الأشتر النخعى فهزم .

قال هشام بن محمد : ولما كان اليوم الثامن عشر من أيام صفين جمع معاوية أصحابه وقال ما فينا إلا من قتل ابن أبي طالب أباه أو أخاه أو ولده ، يا وليد

قتل يوم بدر أباك ويا أبا الأعور قتل عمك يوم احد ويا طلحة الطلحات قتل أخاك يوم الجمل وقتل أخي يوم بدر فاجتمعوا عليه لندرك ثارنا فضحك الوليد ابن عقبة وقال :

فقلت له أتلعب يابن هند　　كأنك بيننا رجل غريب
اتأمرنا بحية بطن واد　　اذا نهشت فليس لها طبيب
فسل عمرواً وسل عن خصيتيه　　نجا ولقلبه منها وجيب
كأن القوم لما عاينوه　　خلال النقع ليس لهم قلوب
وقد نادى معاوية بن حرب　　فاسمعه ولكن ما يجيب

ثم التفت الوليد الى عمرو بن العاص وقال : ان لم تصدقوني وإلا فسلوا واراد تبكيت عمرو .

وقال هشام بن محمد ا ومعنى هذا الكلام ان علياً عليه السلام خرج يوماً من أيام صفين فراى عمرو بن العاص في جانب العسكر ولم يعرفه فطعنه فوقع فبدت عورته فاستقبل علياً عليه السلام فاعرض عنه ثم عرفه فقال يابن النابغة أنت طليق دبرك أيام عمرك وكان قد تكرر منه هذا الفعل .

وروى السدى عن اشياخه: ان علياً عليه السلام قال في هذا اليوم لكميل بن زياد ابرز الى معاوية وقل له دعوناك الى الطاعة ولزوم الجماعة فابيت وقد كثر القتل في هذه الأمة فابرز الي حتى يتخلص الناس مما هم فيه .

فقال معاوية لأصحابه: ماذا ترون فقالوا لا تفعل الا عمرو فانه قال له ابرز له فقد أنصفك وإنما هو بشر مثلك ، فقال له معاوية ما هذه العدواة اتظن انني لو قتلت ا كنت تنال الخلافة فقال له ذعاك رجل عظيم القدر كثير الشرف فكنت في مبارزته في احدى الحسنيين ان قتلته قتلت سيداً وان قتلت جزيت خيراً فقال معاوية له ان هذه لشديدة علي فقال عمرو فان كنت في شك من جهاده فتب وراجع ، ثم قصد علي عليه السلام التل الذى عليه معاوية فخاف معاوية وقال

لبسر بن أرطاة اقسمت عليك إلا شغلته عني فبرز اليه فطعنه علي عليه السلام فوقع الى الأرض فاستقبله بعورته فاعرض عنه أمير المؤمنين فقال الأشتر النخعي :

في كل يوم رجل شيخ شاغرة　وعورة تحت العجاج ظاهرة
أبرزها طعنة كف واترة　عمرو وبسر رميا بالفاقرة

ثم نادى علي عليه السلام : يا أهل الشام والله ما سمعنا بأمة آمنت بنبي ثم قاتلت أهل بيته غيركم .

قال هشام بن محمد وقد ذكره صاحب بيت مال العلوم ولما عاد معاوية في آخر النهار وجلس حوله أصحابه فنظر الى عمرو فضحك فقال له عمرو ما أضحكك فقال ما قال الوليد عنك والعجب منك كيف حضر ذهنك في ذاك الوقت فاستقبلت أبا تراب بعورتك فقال له عمرو إن كان أضحكك شأني فمن شأنك فاضحك فوالله لو بدا له من صفحتك ما بدا من صفحتي لأوجع قذالك وأيتم عيالك وأبكا أطفالك ولكنك احترزت بهذه الرجال في ايديها السمر العوالي ولقد اشرت عليك اليوم بمبارزته فاحولت عيناك واربد شدقاك وبدا منك ما أكره أنا وغيري فلو سترت نفسك لكان أصلح لك .

قال الواقدي : فاقتتلوا ذا الحجة كله ودخلت سنة سبع وثلاثين فجرت موادعة بين علي « ع » وبين معاوية على ترك الحرب طمعاً في الصلح وأقاموا شهر المحرم تردد الرسل بينهما فلم يجب معاوية وعادت الحرب واقتتلوا أول يوم من صفر ، فخطب علي « ع » الناس فقال أيها الناس لا تبدؤا القوم بقتال حتى يبدؤكم به ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تهتكوا عورة ولا تمثلوا ولا تدخلوا رحال القوم ولا تهيجوا امرأة ولا تسبوا احداً .

ولما كان اليوم الثالث من صفر ، خرج عمرو بن العاص في كتائب أهل الشام تحت راية له كان يقاتل تحتها في الجاهلية فخرج اليه عمار وقال يا أيها الناس اتريدون أن تنظروا الى عدو الله ورسوله ومن بغى على المسلمين وظاهر اعداء

الدين فلما رأى الله تعالى قد أظهر دينه وأعز رسوله دخل فى الإسلام رهبة غير رغبة ولما قبض الله رسوله ﷺ ما زال معروفاً بعداوة المسلمين فقاتلوه فانه ممن يجتهد فى اطفاء نور الله ومظاهرة اعدائه فهوهذا يشير الى عمرو قاتلوه قتله الله ثم صاح به ويحك يا عمرو هذه راية طالما قاتلت بها رسول الله ﷺ بعت آخرتك بمصر تبا لك فولى عمرو راجعاً ، ولما كان فى اليوم الرابع خرج محمد ابن الحنفية فى جيش وخرج اليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب فتبارزا .

قال هشام بن محمد : فلما رأى علي عليه السلام ذلك برز يطلب عبيد الله وصاح بمحمد قف وقال لعبيد الله يا فاسق أنا لك فولى هارباً وفى اليوم التاسع من صفر وهو يوم الخميس قتل عمار بن ياسر وكان يوماً مشهوراً وكان عمار على القراء .

﴿ ذكر مقتله ﴾

أخبرنا عبد الوهاب المقرى قال: أنبأنا محمد بن عبد الباقى أنبأنا أحمد بن أحمد الحداد أنبأنا أبو نعيم الأصفهانى قال أنبأنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسن ابن على العمرى حدثنا محمد بن سليمان بن أبى رجاء حدثنا أبو معشر حدثنا أبو عمرو الصيمرى عن أبى سنان الدؤلى صاحب رسول الله ﷺ قال رأيت عماراً دعى بشراب فأتى بقدح من لبن فشربه ثم قال الله أكبر صدق الله ورسوله قال لى رسول الله ﷺ ان آخر رزقك أوزادك فى الدنيا ضيحة لبن ؛ وقيل ان الذى جاءه باللبن امرأة من نساء بنى شيبان .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) : كان عمار يحمل ويقول والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا اننا على حق وهم على باطل ثم قال :

اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه

ثم حمل على عمرو بن العاص وقال : ويحك ياعمرو بعت دينك بمصر تباً لك طالما بغيت فى الإسلام عوجاً والله ما قصدك وقصد عدو الله ابن عدو الله بالتعلل بدم عثمان إلا الدنيا .

وقال ابن سعد : نظر عمار الى عمرو بن العاص وبيده راية فناداه ويحك يابن العاص هذه راية قد قاتلت بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة وفى رواية فحمل عمار وهو شيخ ويده ترتعش على الحربة من الكبر وهو يقول :

نحن ضربناكم على تنزيله　　فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله　　ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق الى سبيله　　يا رب انى مؤمن بقيله

وحكى ابن سعد فى (الطبقات) : عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لأبيه قتلتم عماراً وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول له تقتلك الفئة الباغية فسمعه معاوية فقال له انك شيخ (١) أخرق ما تزال تأتينا بهنة تدحض بها فى بولك انحن قتلناه انما قتله الذى اخرجه .

وفى رواية: فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال: ونحن قتلنا حمزة لأنا أخرجناه الى احد .

وذكر ابن سعد أيضاً: ان ذا الكلاع لما بلغه هذا قال لعمرو نحن الفئة الباغية وهم بالرجوع الى عسكر على عليه السلام وكان تحت يده ستون الفاً (٢) قتل ذو الكلاع فقال معاوية لو بقى ذو الكلاع لأفسد علينا جندنا بميله الى ابن أبى طالب .

قلت : وقد اخرج مسلم هذا الحديث عن أبى قتادة وأم سلمة عن رسول الله ﷺ فأما لفظ أبى قتادة فقال قال رسول الله ﷺ لعمار حين جعل يحفر الخندق فطفق يمسح رأسه ويقول بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية ، والبؤس الفقر .

قال الزهرى : وهذا على عادة العرب كقولهم ثكلتك امك ولهذا وقع فى بعض الروايات بؤسا لعمار .

واما حديث أم سلمة : فبمعنى حديث أبى قتادة وقد وقع فى بعض نسخ البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال كنا نحمل فى بناء مسجد رسول الله ﷺ

(١) ـ الخرق: الحمق . ق　(٢) ـ وفى نسخة: فقتل فى ذلك اليوم . الخ

لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار يدعوهم الى النجاة ويدعونه الى النار وعمار يقول اعوذ بالله من الفتن .

قال أبو عبد الله الحميدى : لم يخرج البخارى لفظة تقتلك الفئة الباغية وانما اخرجها مسلم واختلفوا فى قاتله على أقوال أشهرها أبو غادية المزنى وقيل أبو العادية العاملى ذكره الواقدى فيما حكاه عنه ابن سعد وقتل فى ذلك اليوم أيضاً هاشم بن عتبة بن أبى وقاص فبكا على عليهما وصلى عليهما وجعل عماراً مما يليه وهاشم بن عتبة مما يلى القبلة ولم يغسلهما .

وقال الواقدى : لما طعن أبو العادية عماراً بالرمح وسقط أكب عليه آخر فاحتز رأسه ثم أقبلا الى معاوية يختصمان فيه كل واحد منهما يقول أنا قتلته ، فقال لهما عمرو بن العاص والله ان تختصمان إلا فى النار فقال معاوية ما صنعت قوم بذلوا نفوسهم دوننا تقول لهم هذا فقال عمرو وهو والله كذلك وأنت تعلمه وانى والله وددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة .

وقال ابن سعد : قتل عمار وهو ابن سبع وتسعين سنة .

وقال ابن سعد : لما قتل عمار عطش قاتله فاستسقى ماء فاتى بقدح من زجاج فامتنع من الشرب فيه وغير ابن سعد يقول اتى بقدح من فضة فقال بعض أصحابه انظروا الى هذا الاحمق يمتنع من الشرب فى هذا الاناء وينسى أنه قتل عماراً وقد قال رسول الله ﷺ تقتلك الفئة الباغية .

قال هشام بن محمد : ولما قتل عمار وهاشم قال على عليه السلام لربيعة وهمدان أنتم درعى ورمحى فانتدب له اثنا عشر ألفاً وحمل القوم فانتقضت صفوف معاوية وكان على عليه السلام وقد اخرج فى ذلك اليوم لواء رسول الله ﷺ ولم يخرجه قبل ذلك فدفعه الى قيس بن سعد بن عبادة فلما رآه المسلمون صرخوا وبكوا واجتمع تحته أهل بدر والانصار والمهاجرون وقيس بن سعد يقول :

هذا اللواء الذي كنا نحف به　　دون النبي وجبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الانصار عيبته(١)　　أن لا يكون له من غيرهم عضد

ثم اتصل القتال الى الليل ، وكانت ليلة الجمعة فاقتتلوا طول الليل وهي ليلة الهرير مثل ليلة القادسية وهي الثامنة والعشرون من صفر تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت وكانت السيوف ونفد النبل وخفيت الاصوات وغابت الاخبار عن علي ومعاوية والامراء ولم يسمع إلا الهرير من بعضهم على بعض وأصبح الناس والقتال بحاله وابن عباس في الميمنة والاشتر في الميسرة وعلي عليه السلام في القلب فبعث الى الاشتر تقدم وامده بالرجال فحمل حملة انتقضت صفوف معاوية وايقن بالتلف والتفت الى عمرو وقال : هل من حيلة فهذا وقت نحبائك (٢) وهناتك فقال ارفع المصاحف على الرماح وناد بيننا وبينكم كتاب الله فيما يزيدهم ذلك إلا فرقة ولا يزيدنا إلا اجتماعاً فرفعوها على الرماح وصاحوا بيننا وبينكم كتاب الله ندعوكم اليه ليحكم بيننا فلما رأى أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله وكان اشد الناس على علي عليه السلام الاشعث بن قيس فصاح على عليه السلام أيها الناس امضوا على حالكم خدعكم والله ابن النابغة الداهية فناداه مسعر ابن فدكي التيمي وزيد بن حصين الطائي وجماعة من الذين خرجوا عليه وقاتلوه بالنهر كيف تقاتلهم وقد طلبوا الحكومة الى كتاب الله وان ابيت دفعناك اليهم أو نفعل بك كما فعلنا بعثمان فابعث الى الاشتر فليأتك فغضب علي عليه السلام وقال ياعجبا أيطاع معاوية واعصى انا لله در ابن عباس انه لينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق ، وكان ابن عباس قد قاله في أول الأمر ابعثني الى معاوية والله لافتلن له له حبلا لا ينقطع وسطه ولا ينتقض طرفاه فقال له علي «ع» والله لأعطين معاوية السيف حتى يغلب الحق على الباطل قال ابن عباس أو غير هذا ؟ فقال

(١) ـ العيبة من الرجل : موضع السر .
(٢) ـ النحب : اشتداد البكاء والمداهنة : الجد في العمل . ق

كيف فقال ان معاوية يطاع ولا يعصى وعن قليل تعصى فلا تطاع فلما اختلفوا عليه قال لله در ابن عباس .

قلت : والذى يدل على صحة ما ذكر ابن عباس من طاعة أهل الشام معاوية ما حكاه المسعودى فى (مروج الذهب) قال لقد بلغ من أهل الشام لمعاوية انه صلى بهم عند مسيره الى صفين الجمعة يوم الاربعاء وفى رواية انه صلى بهم الجمعة يوم السبت وقال كان لنا عذر .

ثم قالوا : ارسل الى الأشتر فرده فارسل اليه فقال ليس هذا وقته قد تعجل الفتح فعاد فارسل اليه يزيد بن هانى وقال قل له ان الفتنة قد تعجلت أو وقعت فقال ارفعت المصاحف على الرماح قال نعم قال لعن الله ابن النابغة العاهر انها والله لمشورته ليوقع الخلاف بين الأمة فقال له ادرك أمير المؤمنين فانه بين اعدائه لئلا يسلمونه أو يفعلون به كما فعلوا بعثمان فقد تهددوه بذلك فاقبل الاشتر اليهم وقال يا أهل العراق يا أهل النفاق والشقاق اغتررتم بعد الفتح برفع المصاحف والله لقد رفعوها وتركوا ما فيها من أوامر من انزلها ومن انزلت عليه امهلونى فواقاً أو حضر فرس فقد انزل الله الفتح فقالوا لا نمهلك نخاف ان ندخل معك فى الأثم ، فقال يا أصحاب الجباه السود كنا نظنكم فعلكم لوجه الله وزهداً فى الدنيا لعنكم الله وغضب عليكم والله ما فعلتموها إلا فراراً من الموت .

(قضية التحكيم)

ولما فعل معاوية ما فعل ، فقال نبعث نحن حكماً نرتضى به وابعثوا أنتم حكماً ترتضون به فاختار أهل الشام عمرو بن العاص ، واختار أهل العراق أباموسى الأشعرى ؛ فقال على « ع » ، لا أرضى به وهو عندى غير مامون وقد هرب منى وخذل الناس عنى ولكن هــذا ابن عباس فقال الأشعث بن قيس ورؤساء الخوارج ابن عباس منك وأنت منه وأبو موسى لم يزل معتزلا لما نحن فيه وقد كان يحذرنا الفتنة ، قال على « ع » ، فالأشتر فقال الأشعث بن قيس وهل نحن

إلا فى حكم الأشتروما حكمه ، قال ان يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما يريد فقال علي عليه السلام فافعلوا ما تريدون فبعثوا الى أبي موسى وكان معتزلا للقتال بعرض فاخبروه فاسترجع ثم جاء فدخل العسكر فلما علم به الأحنف بن قيس جاء الى علي عليه السلام فقال له انك قد رميت بحجر الأرض من حارب الله ورسوله عمرو بن العاص وهذا عبد الله بن قيس رجل كايل الحد لا آمن عليه مكر ابن العاص ولو اخترتني لرأيت مني عجباً فقال كيف كنت تصنع بابن النابغة قال كنت ادنو منه حتى أكاد ان أصير فى يده ثم أبعد عنه فاصير كالنجم ولا يعقد عقدة إلا حللتها ولا يحل عقدة إلا أبرمتها ، فقال انهم قد اختاروا أبا موسى من غير رضى مني ، فقال الأحنف فادقوا ظهر أبي موسى بالرجال .

قال هشام بن محمد : ثم اجتمعوا عند علي عليه السلام وكتبوا الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام) فقال عمرو بن العاص اكتبوا اسمه واسم أبيه هو أميركم أما أميرنا نحن فلا فقال الأحنف لا تمحوا اسم أمير المؤمنين فاني اتخوف ان محي لا يرجع اليه أبداً فقال الأشعث أمحو هذا الاسم محاه الله فمحي فقال علي عليه السلام الله أكبر اني لكاتب لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية حين قالوا لست برسول الله فاكتب أسمك واسم ابيك فكتبه فقال عمرو سبحان الله ومثل هذا تشبهنا بالكفار ، فقال له علي عليه السلام يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمسلمين عدواً هل تشبه إلا امك التي دفعت بك فقام عمرو وقال لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم . فقال علي «ع» ان الله قد طهر مجلسي منك ومن اشباهك .

قال هشام : وكان نسخة الكتاب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معه من المسلمين والمؤمنين من شيعته وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه إنا ننزل على حكم الله وكتابه فلا يجمع بيننا غيره من فاتحته الى خاتمته نحي ما أحيا الله ونميت ما أمات

الله فما وجد الحكمان فى كتاب الله عملا به وما لم يجدا فيه ولا فى السنة العادلة لم يعملا به وعلى الحكمين ان يجتمعان فى مكان عدل بين الشام والكوفة ولايحضرهما إلا من أرادا وأخذا على على ومعاوية المواثيق على ذلك وشهد جماعة من الاعيان فمن أصحاب على «ع» الأشعث بن قيس الكندى وعبد الله بن عباس وحجر بن عدى الكندى فى آخرين وشهد من أصحاب معاوية أبو الأعور السلمى وحبيب بن مسلمة الفهرى وعبد الله بن خالد بن الوليد فى آخرين وقالوا للأشتر أكتب شهادتك فقال : لا تصحبنى يمينى ولا تنفعنى بعدها شمالى ان خط لى فى هذه الصحيفة أسم على صلح ولا موادعة أولست على بينة من ربى على ضلال عدوى واتفقا على اللقاء بدومة الجندل فى شهر رمضان (١) .

وقال هشام : ولما امتنع الأشتر ان يكتب فى الصحيفة اخبر على «ع» بذلك فقال والله وأنا ما رضيت ولقد نهيتكم فعصيتمونى فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وقال الواقدى : وكان الكتاب فى آخر صفر والأجل الى رمضان ثمانية اشهر الى ان يلتقى الحكمان ثم دفن الناس قتلاهم ورحل الفريقان فانصرف أمير المؤمنين الى الكوفة وعاد معاوية الى الشام .

قال ابن عباس : انصرف معاوية الى الشام بالألفة من أهل الشام وعاد على «ع» بالاختلاف والفتن .

---

(١) ـ قلت : ما جاء فى هذا الكتاب من حكايات فى غزوة صفين فهى فاسدة فيها اختشاش وتشويش واختصار كثير الاخلال فمن أراد التفصيل على نظم ماجرى فليلاحظ مناقب الخوارزمى ووقعة صفين لنصر بن مزاحم أو غيرها من كتب السير والمغازى . ولا يبعد تعمد من نثر نظم هذه الواقعة لاغراض له أو لغيره ممن فى قلبه زيغ . م

﴿ حديث الخوارج ﴾

قال هشام بن محمد: ولما دخل علي «ع» الكوفة انعزلت عنه الخوارج وكانوا اثني عشر الفاً وأتوا حروراء فنزلوا بها ـ وهي قرية بالعراق بارض النهروان تمد وتقصر ـ نسب اليها الحرورية ونادى مناديهم ان أمير القتال شبث ابن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري ونادوا لا حكم إلا لله فقال علي «ع» كلمة حق اريد بها باطل فقال لعلي عبد الله بن عباس لا تعجل الى قتالهم حتى اخرج اليهم واعود فمضى اليهم فقالوا اما الذي جاء بك يا ابن عباس قال جئتكم من عند المهاجرين والانصار وابن عم رسول الله ﷺ وصهره والقرآن عليهم نزل وهم أعلم منكم بتأويله فالذي نقمتم علينا، قالوا ثلاث خصال أحدها انكم حكمتم الرجال في دين الله وقد قال الله ان الحكم إلا لله والثانية انه قاتل ولم يسبي ولم يغنم فالذي اباح دمائهم وحرم أموالهم، والثالثة انه محى اسمه من إمرة المؤمنين واذا لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، فقال ابن عباس أنا انقض قولكم من القرآن أما قولكم انه حكم في دين الله الستم تعلمون ان الله حكم الرجال في قيمة ارنب ثمنه ربع درهم فقال يحكم به ذوى عدل منكم، وقال في المرأة وزوجها (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما) فأي ماافضل تحكيم الرجال في اصلاح ذات البين وحقن دماء الأمة أو تحكيم الرجال في أرنب قيمته ربع درهم وبضع امرأة؟ قالوا لا بل هذا، وأما قولكم لم يسب ولم يغنم فان قلتم ان عائشة ليست بأمكم خرجتم من الإسلام وان قلتم هي امنا فكيف تسبون امكم وكذا الجواب في أهل صفين فانما قوتلوا ليرجعوا الى الحق لا لتحل أموالهم قالوا اصدقت وأما قولكم محى نفسه من أمرة المسلمين فقد فعل هذا رسول الله ﷺ في غزاة الحديبية فهل خرج بذلك من النبوة قالوا صدقت فرجع منهم الفان وخرج الباقون فقتلوا بالنهر ولما خرج علي «ع» لقتالهم وقف بازائهم وقال من زعيمكم قالوا ابن الكواء فقال علي

فما الذى أخرجكم علينا قالوا حكومتكم يوم صفين فقال لهم ناشدتكم بالله أما قلت لكم يوم رفعوا المصاحف لا تخالفونى فيهم فلتم نجيبهم الى كتاب الله فقلت انما رفعوها مكيدة وخديعة فقلتم ان لم تجب الى كتاب الله قتلناك أو سلمناك اليهم فلما ابيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين ان يحكما بكتاب الله فان حكما بغير حكم الله والقرآن فنحن براء منهم فقالوا فكيف حكمت الرجال فقال والله ما حكمت مخلوقا وانما حكمت القرآن لأن القرآن انما هو خط بين الدفتين لا ينطق وانما ينطق به الرجال فقالوا صدقت وكفرنا لما فعلنا ذلك وقد تبنا منه الى الله فتب كما تبنا نبايعك وإلا قاتلناك .

وقال السدى : لما وقف على عليه السلام عليهم قال لهم أيتها العصابة التى اخرجها المراء واللجاج عن الحق وطمح بها الهوى الى الباطل انى نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الأمة وأنتم صرعى بافناء هذا النهر بغير بينة من ربكم ولا برهان الم انهكم عن الحكومة واخبرتكم انها مكيدة من قوم لا دين لهم ومتى فارقتمونى سعيتم الحزم والآن فارجعوا فان حكم الحكمان بكتاب الله وإلا فنحن على الرأى الأول فقالوا تب من الكفر كما تبنا فقال ويحكم ابعد ايمانى برسول الله وجهادى معه فى سبيل الله وهجرتى اشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت اذن وما انا من المهتدين .

وقال هشام بن محمد : لما أراد على عليه السلام ان يبعث أبا موسى للحكومة أتاه من الخوارج زرعة بن برج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فقالا لا حكم إلا لله فقال على عليه السلام لا حكم إلا لله فقال حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن حكومتك وقم بنا الى القوم نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال على عليه السلام قد أردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كتبنا بيننا وبين القوم شروطاً واعطيناهم عهوداً فقال حرقوص ذلك ذنب وينبغى أن تتوب منه فقال ما هو ذنب وانما هو عجز من الرأى وأنتم سببه فقال له زرعة بن برج أما والله لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك اطلب بذلك وجه الله ورضوانه فقال له على عليه السلام بؤساً لك ما اشقاك كأنى بك قتيلا تسفى عليك الرياح فكان كما قال .

﴿ حديث انفصال الحكمين عن دومة الجندل ﴾

قال علماء السير : لما انتهى الأجل اجتمع عمرو بن العاص وأبو موسى بدومة الجندل وبعث على عليه السلام شريح بن هانى فى اربعمائة ومعهم ابن عباس وكان مع عمرو اربع مائة من وجوه أهل الشام وذلك بدومة الجندل وقيل باذرح وحضر ذلك الجمع سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله ابن الزبير وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى والمغيرة بن شعبة ، وقيل ان سعداً لم يشهدهم وفى عبد الله بن عمرو خلاف نذكره فى موضعه فيما بعد قال الواقدى : فلما اجتمعوا قال عمرو لأبى موسى الست تعلم ان عثمان قتل مظلوماً؟ قال بلى قال الست تعلم ان معاوية ولى ثأره والله تعالى يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) فما يمنعك من معاوية وبيته فى قريش كما قد علمت وهو كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخو أم حبيبة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان اخترته اكرمك اكراماً لم يكرمك من هو غيره ، فقال له أبو موسى اتق الله ياعمرو فان هذا الأمر انما هو بالدين ولو كان بالشرف لكان على عليه السلام أولى به وكيف أولى معاوية وادع المهاجرين والأنصار ، وأما تعريضك باكرامه اياى فوالله لو خرج من سلطانه ودفعه إلى ما وليته وما كنت لأرتشى فى دين الله وحكمه ولكن ان شئت احيينا اسم عمر بن الخطاب وكان فى عزم ابى موسى تولية عبد الله بن عمر فقال له عمرو ان كنت تريد الفضل والصلاح فما يمنعك من ابنى وقد عرفت صلاحه وفضله فقال ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته معك فى هذه الفتنة فقال عمرو قد اردتك على ان تبايع معاوية فأبيت فهلم بنا نخلع علياً ومعاوية ونجعل الأمر شورى يختار المسلمون من شاؤا وقيل إن الذى ابتدأ بذلك أبو موسى فقال عمرو نعم ما رأيت فاخبر الناس إنا قد اتفقنا على امر فيه صلاح هذه الامة ، فقال عمرو صدق ثم قال يا ابا موسى قم فتكلم فقال أبو موسى قم أنت فقال أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يسعنى الكلام قبلك فقال له ابن عباس

ويحك يا عبد الله بن قيس والله انى لاظن ابن النابغة قد خدعك وكان أبو موسى رجلا مغفلا فقال إنا قد اتفقنا وتقدم فقال ايها الناس إنا نظرنا فى هذا الأمر فلم نرا صلح للأمة من خلع علي ومعاوية ونستقبل الأمة بهذا الأمر فيولوا عليهم من احبوا وانى قد خلعتهما ثم تنحى وقام عمرو فقال ان هذا قد خلع صاحبه كما قد سمعتم وقد خلعته أيضاً واثبت صاحبي معاوية ؛ فقال له أبو موسى مالك لا وفقك الله أو لعنك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال عمرو انما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفاراً ، وحمل شريح بن هانى على عمرو فقنعه بالسوط وكان شريح يقول بعد ذلك ماندمت على شيء كندامتي على انى لم اضرب عمرواً بالسيف وتفرق الناس .

وركب أبو موسى راحلته ومضى الى مكة ؛ فقال ابن عباس قبحك الله يا ابن قيس لقد حذرتك غدرة الفاسق الخبيث فأبيت فقال أبو موسى ظننت انه ينصح الأمة وما ظننت انه يبيع الآخرة بالدنيا ثم عاد عمرو الى دمشق وسلم على معاوية بالخلافة وهو أول يوم سلم عليه فيه بها .

ورجع ابن عباس وشريح بن هانى الى علي «ع» فاخبراه بما جرى ، فكان اذا صلى الغداة قنت ولعن معاوية وعمرواً وأبا الاعور السلمي وحبيباً وعبدالرحمن ابن خالد والضحاك بن قيس والوليد بن عقبة ، فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت لعن علياً «ع» ، والأشتر وابن عباس وشريح بن هانى والحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية عليهم السلام .

وزعم الواقدى: ان التحكيم كان فى سنة ثمان وثلاثين من الهجرة والأشهر انه كان فى سنة سبع وثلاثين .

وقد روى البخارى عن ابن عمر : مايدل على انه كان حاضراً ، فقال البخارى دخلت على حفصة ونوساتها تنطف فقلت قد كان من امر الناس ماترين فلم يجعل لى من الأمر شيء ؛ فقالت الحق بهم فانهم ينتظرون واخشى ان تكون

فى احتباسك عنهم فرقة فلم تدعه حتى ذهب فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال من كان يريد ان يتكلم فى هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن احق بهذا الأمر منه ومن أبيه ، فقال حبيب بن مسلمة هلا اجبته فقال عبدالله فحللت حبوتى وهممت أن أقول احق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عنى غير ذاك فذكرت ما اعد الله فى الجنان فقال له حبيب حفظت وعصمت وهذا يدل على ان معاوية كان حاضراً ويحتمل ان معاوية قال هذا فى مجلس آخر .

والنوسات : الحلى ، ومعنى تنطف اى تقطر وكانت قد اغتسلت .

﴿ تمام حديث الخوارج ﴾

قال الشعبى : ولما فصل الحكمان عن دومة الجندل عزم على « ع » على قتالهم فقام خطيباً وقال أيها الناس قد كنت أمرتكم بأمر فى هذه الحكومة فخالفتمونى وعصيتمونى ولعمرى ان المعصية تورث الندم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

ألا ان هذين الحكمين قد نبذا كتاب الله وراء ظهورهما ، فاماتا ما أحيا القران وأحييا ما أمات واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير بينة ولا سنة ماضية وكلاهما لم يرشدا فبرئنا من الله ورسوله وصالح المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا المسير واصبحوا فى موافقكم .

وكانت الخوارج بالنهروان فقال له ابن عباس قد تجدد أمر فاكتب اليهم قبل لقائك اياهم فكتب اليهم يخبرهم بخبر الحكمين فاقبلوا الينا لنجاهد القوم فانا على الأمر الأول فكتبوا اليه انك لم تغضب لله تعالى وانما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا نابذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين .

فلما قرأ كتابهم يئس منهم ، ثم سار اليهم فالتقوا على النهروان فقتل من قاتله منهم واستأصلهم وطلب ذا الثدية فنظر الى منكبيه فاذا اللحم مجتمع على كتفيه كثدى المرأة عليه شعرات سود فقال على «ع» الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت

أخبرنا أبو محمد البزاز ، حدثنا عبد الوهاب الحافظ أنبأنا محمد بن المظفر أنبأنا العقيق حدثنا يوسف بن احمد حدثنا احمد بن داود عن عمارة بن مطروح أنبأنا ابراهيم بن الحسن العوفى أنبأنا اسحاق بن عبد الله التيمى أنبأنا محمد بن شهاب عن سالم بن عبد الله عن قتادة قال كنا مع أمير المؤمنين فى قتال أهل النهروان وكنا ستين أو سبعين من الأنصار وكنت على الرجالة فلما رجعنا الى المدينة دخلنا على عائشة فسألتنا عن مقدمنا فاخبرناها بقتل الخوارج فقالت ما كانوا يقولون قلنا يسبون أمير المؤمنين وعثمان بن عفان وأنت ويكفرونكم فلم نزل نقاتلهم وعلى «ع» بين ايدينا وتحته بغلة رسول الله ﷺ إذ وقفت على بعض القتلى فقال على «ع» اقلبوهم فقلبناهم فاذا رجل أسود على كتفيه مثل حلمة الثدى فقال على «ع» الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت كنت مع رسول الله وهو يقسم غنايم حنين فجاء هذا فقال يا محمد اعدل فوالله ما عدلت منذ اليوم فقال رسول الله ﷺ ثكلتك امك ومن يعدل اذا لم اعدل فقال عمر بن الخطاب دعنى اضرب عنق هذا المنافق وقال رسول الله ﷺ دعه فان له من يقتله سيخرج من ضئضئى هذا أقوام يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما (١) يمرق السهم من الرمية فقالت عائشة لقتادة أنت أريت هذا قال نعم قالت ما يمنعنى ما كان بينى وبين على بن أبى طالب أن أقول الحق صدق على أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول أمتى فرقتين يمرق بينهما فرقة محلقة رؤسهم محفوفة

(١) — ومرق السهم من الرمية مروقاً : خرج من الجانب الآخر . والخوارج : مارقة ، لخروجهم عن الدين .

شوا ربهم ازرهم الى انصاف سوقهم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يقتلهم أحب الخلق الى الله ورسوله قال أبو قتادة قلت فقد علمت هذا فلم كان منك اليه ماكان فقالت وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني : فى كتاب (مرج البحرين) وقال فيه بعد قولها وكان امر الله قدراً مقدوراً ، ياأباقتادة وللقدر سبب وهو انالناس خاضوا فى حديث الافك وكان عامة المهاجرين يقولون لرسول الله ﷺ امسك عليك زوجك حتى يأتى أمر ربك وكان على يقول النساء كثيروما ضيق الله عليك وفى نساء قريش من هى أجل نسباًمنها ومن أبيها وما ألومه فانه كان كلما رأى قلق رسول الله ﷺ وحزنه وما يحصل له من كلام المنافقين يقول له ذلك فوجدت عليه وكان لى من رسول الله ﷺ حظ نخفت عليه فكان منى ما كان وأنا الآن فأستغفر الله مما فعلته .

قال الواقدى : وهذا الذى على كتفه مثل حلمة الثدى ذو الخويصرة ويسمى المجدح واليه ينسب الخوارج وقد ولد منهم جماعة .

وقال ابن عباس : لما خرجنا الى قتال الخوارج سمع على عليه السلام رجلا منهم يتهجد بالقرآن فقال نوم على يقين خير من صلاة فى شك .

وقال الشعبى : لما فرغ أمير المؤمنين من الخوارج مرّ بهم وهم صرعى على النهر فقال بؤساً لكم لقد ضركم من غركم قالوا ومن غرهم قال الشيطان ونفس أمارة بالسوء .

قال الواقدى : ووجد منهم أربعمائة رجل بهم رمق فامر عشائرهم فحملوهم الى الكوفة وقسم ما قاتلوا به المسلمين من سلاح ثم رد العبيد والاماء والمتاع الى أهلهم واستأذنه عدى بن حاتم فى دفن ابنه طرفة وكان قد خرج معهم فاذن له ثم ارتحل الى النخيلة فنزل بها ولم يقتل من أصحابه سوى سبعة ثم قال للناس استعدوا المسير الى الشام لقتال المحلين ، فاقاموا أياماً بالنخيلة ثم تسللوا فدخلوا

ولم يبق معه من وجوه الناس الا القليل فلما رأى ذلك عليه السلام دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه فى المسير الى صفين ، فخطب وقال : أيها الناس ما بالكم اذا أمرتكم ان تنفروا الى قتال أهل الضلالة اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وبالذل والهوان من العز وكلما ناديتكم الى الجهاد دارت اعينكم كأنكم من الموت فى سكرة وكان قلوبكم مألوسة فانتم لا تعقلون وكأن أبصاركم فى كمه فانتم لا تبصرون والله ما انتم إلا اسود شرى فى الدعة وثعالب رواغة حين تدعون الى البأس ما انتم لى بثقة سجيس الليالى ما انتم بركب يصال به ولا زوافر يعتاص اليها .

قوله عليه السلام: مالوسة أى ماذاقت الحرب واللوس الذوق وسجيس الليالى معناه ابداً وكذا معنى قولهم لا آتيك سجيس عجيس ، والزوافر الأنصار والعشائر ويعتاص أى يرجع .

وذكر جرير : ان الواقعة كانت بين على عليه السلام وبين الخوارج سنة ثمان وثلاثين والأصح انها فى هذه السنة وهى سنة سبع وثلاثين وكذا التحكيم .

ودخلت سنة ثمان وثلاثين ، وفيها قتل محمد بن أبى بكر الصديق (رض) بمصر وكان والياً عليها من قبل على عليه السلام وكان قد ولى على عليه السلام قبله الاشتر النخعى فخرج حتى وصل الى القلزم فبعث معاوية الى صاحب القلزم بان يغتال الأشتر فلما نزل به قدم اليه شربة من عسل فشربها فمات فبلغ معاوية فقال لاصحابه ان لله جنوداً من عسل ، ثم ولى عليه السلام محمد بن أبى بكر مصر فسار اليها فجهز اليه معاوية عمرو بن العاص فى جيش كثير ومعهم معاوية بن خديج .

وذكر الواقدى : ان علياً «ع» انما ولى الأشتر بعد قتل محمد ولما التقوا ترجل محمد وقاتل فتفرق عنه أصحابه فأوى الى خربة فاخذ وجيء به الى معاوية بن خديج وهو صائم عطشان فمنعه الماء فقال يابن اليهودية النساجة قبحك الله فقتله والقاه فى جيفة حمار ثم حرقه بالنار فلما بلغ ذلك عائشة بكت بكاءاً شديداً

وكانت تدعو فى صلاتها على معاوية وعمرو ولما بلغ أم حبيبة أخت معاوية بن أبى سفيان قتل محمد وتحريقه شوت كبشاً وبعثت به الى عائشة تشفياً بقتل محمد بطلب دم عثمان فقالت عائشة قاتل الله ابنة العاهرة والله لا أكلت شواء أبداً .

وبلغ علياً «ع» قتل محمد ، فبكا وتأسف عليه ولعن قاتله .

ودخلت سنة تسع وثلاثين ، وفيها فرق معاوية جيوشه نحو العراق وسار بنفسه حتى بلغ دجلة ثم رجع .

ودخلت سنة أربعين ، وفيها خرج عبد الله بن عباس من البصرة بمال كثير الى مكة وقيل انه ما زال مقيماً با لبصرة الى ان قتل على «ع» ، وبعد مقتله حتى صالح الحسن «ع» معاوية فحينئذ خرج الى مكة والأول اشهر لما يذكر بعد.هذا والذى حضر صلح الحسن ومعاوية انما هو عبيد الله بن عباس وفيها جرت موادعة ومهادنة بين على «ع» ، ومعاوية بعد مخاطبات ومكاتبات يطول شرحها على وضع الحرب بينهما ويكون لعلى عليه السلام العراق ولمعاوية الشام وكان فى كتاب معاوية الى على عليه السلام أما اذا أبيت فلك العراق ولى الشام وتكف عن هذه الأمة السيف وتحقن دمائها فاجابه على «ع» الى ذلك نظراً للمسلمين وقيل انما أجابه على «ع» الى ذلك لما رأى تقاعد أهل العراق عن نصرته .

وذكر هشام بن محمد : ان مما كتب معاوية الى على «ع» أما بعد: فان أبى كان سيداً فى الجاهلية وأنا ملك فى الاسلام وصهر رسول الله صلى الله عليه وآله وخال المؤمنين وكاتب الوحى ؛ فلما قرأ أمير المؤمنين كتابه قال أعلىّ يفخر ابن آكلة الأكباد ثم أمر عبيد الله بن أبى رافع ان يكتب جوابه من إملائه فكتب اليه :

محمد النبى أخى وصهرى   وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى   يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى   مسوط (١) لحمها بدمى ولحمى

(١) - السوط: الخلط . ق

وسبطا أحمد ولداى منها ... فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتكم الى الاسلام طراً ... صغيراً ما بلغت أوان حلمى
فأوصانى النبى لدى اختيار ... رضى منه لامته بحكمى
وأوجب فى الولاء معاً عليكم ... خليلى يوم دوح (غدير خم)
فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يرد القيامة وهو خصمى

فلما وقف معاوية على الكتاب قال : اخفوه لئلا يسمع أهل الشام .

وتكلم العلماء فى معنى قوله عليه السلام سبقتكم الى الاسلام طراً فقال قوم اسلم وهو ابن سبع سنين وقيل ابن ثمان وقيل ابن عشر وقيل ابن خمس عشر وبهذا يحتج أبو حنيفة على الشافعى فى صحة اسلام الصبى العاقل اذا لم يبلغ .

وقال آخرون لم يزل مع رسول الله ﷺ من زمن الطفولية يدين بما دان به رسول الله ﷺ والدليل عليه ما روى الترمذى فى جامعه باسناده الى أنس ابن مالك قال بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى على عليه السلام يوم الثلاثا .

وقال احمد فى المسند: حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا يحى بن سلمة عن أبيه عن حبة العرنى عن على « ع » قال أنا عبدالله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدى إلا كاذب مفترى . ولقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل الناس (ابن) سبع سنين وأنا أول من صلى معه .

فان قيل ، فقد روى عن الأشرم انه قال: سألت أباعبدالله احمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال ضعيف وقد قال جدك أبو الفرج فى الموضوعات حبه ما يساوى حبة والجواب ان احمد اخرجه فى المسند كما ذكرنا وكذا فى الفضائل وانما قال احمد ما قال ان صح عنه فلان فى طريق الفضائل عباد بن عبد الله الأسدى تكلموا فيه أما طريق المسند فلا وقوله حبه لايساوى حبة فليس بهذا السجع البارد يبطل فضائل أمير المؤمنين . قلت ومع هذا فلا يختلفون ان أول من اسلم من الصبيان على عليه السلام .

وقال الزهري : انما أراد بقوله سبقتكم الى الإسلام طراً بتكبيت معاوية لأنه انما أسلم هو وأبوه أبو سفيان يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة ولهـذا كان يسمى الطليق ابن الطليق وكل من أسلم في هذا اليوم ولم يهاجر يسمى بهذا الاسم فاراد ان يبين حاله لأهل الشام وانه لم يزل مع النبي ﷺ من أول عمره الى ان توفي رسول الله ﷺ وقد شهد المشاهد كلها ومعاوية وأبوه لم يشهدا مشهداً مع رسول الله ﷺ .

وقد سئل جدي أبو الفرج رحمه الله فقيل له : أشهد معاوية بدراً ؟ فقال : نعم ؛ ولكن من ذاك الجانب - يعني من جانب الكفار - .

الباب الخامس في ذكر ورعه وزهادته

﴿ وخوفه وعبادته عليه السلام ﴾

أخبرنا غير واحد، عن أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي قال : أنبأنا أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي أنبأنا أبو طاهر اليوسفي أنبأنا احمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا أبي حـدثنا وهب بن اسماعيل حدثنا محمد بن قيس عن أبي شهاب قال كان عمر بن عبد العزيز (رض) يقول ما علمنا ان احداً من هذه الامة بعد رسول الله ﷺ أزهـد من علي بن أبي طالب عليه السلام ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة .

وبه قال عبد الله بن احمد، حدثنا أبي حدثنا وهب بن اسماعيل عن محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالبي قال جاء ابن التياح الى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء ؛ فقال علي « ع » الله أكبر ثم قام متوكأ على يد ابن التياح فدخل بيت المال وهو يقول :

هذا جناى وخياره فيه   وكل جان يده الى فيه

ثم قال على باشياع الكوفة : فنودى فى الناس فاعطى جميع مافى بيت المال وهو يقول يا بيضاء يا صفراء غرى غيرى حتى لم يبق فيه درهم ولا دينار ثم أمر بنضحه فصلى فيه ركعتين .

وقال مجمع التميمي : هكذا كان يصنع كلما امتلأ بيت المال .

وقال الزهرى : انما صلى فيه ركعتين لتشهد له يوم القيامة انه لم يحبس مافيه عن المسلمين قال وربما كانت الغنم تبعر فى بيت المال فيقسمه ·

وأخبرنا أبو طاهر الحزيمى أنبأنا المبارك عن عبد الجبار الصيرفى قال : أنبأنا أبو اسحاق البرمكى حدثنا أبو بكر بن نجيب حدثنا أبو جعفر بن على حدثنا هناد عن وكيع عن الاحنف ابن قيس قال دخلت على معاوية فقدم الى من الحلو والحامض ما كثر تعجبي منه ثم قال قدموا ذاك اللون فقدموا لونا ما أدرى ماهو فقلت ما هذا فقال مصارين البط محشوة با لمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر قال فبكيت فقال مايبكيك ؟ فقلت لله در ابن أبى طالب لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك فقال وكيف ؟ قلت دخلت عليه ليلة عند افطاره فقال لى قم فتعش مع الحسن والحسين ثم قام الى الصلاة فلما فرغ دعى بجراب مختوم بخاتمه فاخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه فقلت يا أمير المؤمنين لم اعهدك بخيلا فكيف ختمت على هذا الشعير فقال لم اختمه بخلا ولكن خفت أن يبسه (١) الحسن والحسين بسمن او أهالة (٢) فقلت احرام هو قال لا ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا باضعف رعيتهم حالا فى الأكل واللباس ولا يتميزون عليهم

(١) ـ البس : أتخاذ البسية ، بأن يلت السويق أو الدقيق أو الأقط المطحون با لسمن .

(٢) ـ الأهالة : الشحم أوما أذيب منه أو الزيت وكل ماأتتدم به . ق

بشيء لا يقدرون عليه ليرام الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ويرام الغني فيزداد شكراً وتواضعاً .

وقال الأحنف بن قيس : جاء الربيع بن زياد الحارثي الى علي «ع» فقال يا أمير المؤمنين إعدلي على أخي عاصم بن زياد فقال ما باله فقال لبس العباء وتنسك وهجر أهله فقال علي به فجاء وقد إئتزر بعباءة وارتدى باخرى اشعث اغبر فقال له ويحك يا عاصم اما استحييت من أهلك اما رحمت ولدك الم تسمع الى قوله تعالى (ويحل لهم الطيبات) اترى الله أباحها لك ولأمثالك وهو يكره ان تنال منها اما سمعت قول رسول الله ﷺ ان لنفسك عليك حقاً . الحديث فقال عاصم فما بالك يا أمير المؤمنين في خشونة ملبسك وجشونة مطعمك وانما تزينت بزيك فقال ويحك ان الله فرض على أئمة الحق ان يتصفوا باوصاف رعيتهم أو بافقر رعيتهم لئلا يزدري الفقير بفقره وليحمد الله الغني على غناه .

وأخبرنا غير واحد عن محمد أبي القاسم قال : أنبأنا احمد بن احمد أخبرنا أبو نعيم احمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا الحسن بن علي الوراق حدثنا محمد بن عيسى حدثنا عمرو بن تميم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر قال سمعت عبد الملك ابن عمر يقول حدثني رجل من ثقيف قال استعملني علي «ع» على عكبرا وقال لي اذا كان الظهر فأتني قال فأتيته فلم أجد أحداً يحجبني عنه ووجدته جالساً وحده وبين يديه قدح من خشب وكوز من ماء فدعى بجراب مختوم فقلت لقد أئتمنني حيث يخرج الى جوهراً ولا أعلم ما قيمته فكسر الخاتم فاذا فيه سويق فاخرج منه وصب في القدح ماء وذره عليه ثم شرب وسقاني فلم اصبر وقلت يا أمير المؤمنين قد وسع الله عليك والطعام بالعراق كثير فقال والله ما ختمت عليه بخلا وانما ابتاع قدر كفايتي وأخاف ان يفنى فيوضع فيه من غيره وانما افعل هذا لئلا يدخل بطني غير طيب .

وقال احمد في الفضائل : حدثنا حسن الأشيب أنبأنا ابن شعبة حدثنا عبدالله

ابن هبيرة عن عبد الله بن رزين قال: دخلت على علي «ع» يوم أضحى فقرب الى خزيرة فقلت يا أمير المؤمنين قد اكثر الله الخير فقال يا بن رزين سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان قصعة يأ كلها هو وأهله وعياله وقصعة يضعها بين يدى الناس والخزيرة ان يصب فى القدر ماء كثير ويقطع اللحم صغاراً فاذا نضج ذر عليه شيء من دقيق وكذا الخزير .

وأخبرنا عبد الملك بن مظفر بن غالب الجزى أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد قالا أنبأنا أبو اسحاق البرمكى أنبأنا أبو بكر بن نجيب حدثنا أبو جعفر بن على حدثنا هناد عن وكيع عن ابن ثعلبة عن سويد بن غفلة قال دخلت على علي «ع» فى هذا القصر يعنى قصر الامارة بالكوفة وبين يديه رغيف من شعير وقدح من لبن والرغيف يابس تارة يكسره بيده وتارة بركبتيه فشق علي ذلك فقلت لجارية له يقال لها فضة ألا ترحمين هذا الشيخ وتنخلين له هذا الشعير اما ترين نشارته على وجهه وما يعانى منه فقالت لأى شيء يوجرهو وأنا ثم نحن انه عهد الينا ان لا ننخل له طعاماً قط فالتفت الى وقال ما تقول لها يا ابن غفلة فاخبرته وقلت يا أمير المؤمنين ارفق بنفسك فقال لى ويحك ياسويد ما شبع رسول الله ﷺ وأهله من خبز بر ثلاثاً حتى لقى الله ولا نخل له طعام قط ولقد جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت اطلب العمل فاذا بامرأة قد جمعت مدراً تريد ان تبله فقاطعتها على دلو بتمرة فمددت ستة عشر دلواً حتى مجلت يداى ، وفى رواية فتحت ثم اخذت التمر وأتيت رسول الله ﷺ فاخبرته فا كل منه .

وقد أخرجه احمد ، أيضاً فى الفضائل فقال أنبأنا على بن حكيم الازدى حدثنا شريك عن موسى الطحان عن مجاهد عن على «ع» وذكره وأخرجه احمد أيضاً فى المسند عن مجاهد عن على عليه السلام .

وقال أبو نعيم فى كتاب (الحلية) وقد تقدم اسنادنا اليه آنفا .

حدثنا احمد بن جعفر حدثنا احمد بن الحسن الصوفى حدثنا يحيى بن يوسف الزمى حدثنا عباد بن العوام عن هارون ابن عنترة عن أبيه قال: دخلت على على عليه السلام وهو بالخورنق وهو يرعد فى يوم بارد وعليه شملة فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولأهلك نصيباً فى هذا المال وأنت تصنع بنفسك ما تصنع فقال والله ما ارزأكم فى اموالكم أوما لكم شيئاً والله أنها لقطيفتى التى خرجت بها من المدينه .

وقال احمد فى الفضائل: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا بختيار بن رافع عن أبى المطرف قال: رأيت على بن أبى طالب عليه السلام مؤتزراً بازار مرتديا برداء ومعه درة كأنه أعرابى يدور الأسواق حتى بلغ سوق الكرابيس فوقف على شيخ فقال يا شيخ أحسن بيعى فى قميص بثلاثة دراهم فعرفه الشيخ فقال نعم فعلم انه قد عرفه فتركه ومضى ولم يشتر منه شيئاً فاتى غلاماً حدثا فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ثم جاء أبو الغلام فاخبره وقال اشترى منى رجل قميصاً بثلاثة دراهم من صفته كذا وكذا فعرفه فاختار درهماً وجاء اليه فقال يا أمير المؤمنين هذا الدرهم فاضل عن ثمن القميص فخذه فان ابنى غلط انما ثمنه درهمان فقال ياشيخ اذهب بدرهمك فانه باعنى على رضائى واخذت على رضاه .

وروى سفيان الثورى عن عمرو بن قيس الملائى قال: رأى على على عليه السلام ازاراً مرقوع فعوتب فى ذلك فقال يخشع له القلب ويقتدى به المؤمن ، قال سفيان وكان يقطع الثوب الى أطراف أصابعه يعنى الكم ؛ وقد اخرجه أحمد فى المسند بمعناه .

فقال : حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محارب بن نافع عن أبى مطر انه رأى على على عليه السلام قميصاً بثلاثة دراهم ، وفى رواية انه اشترى قميصاً لبسه ففضل عن الرسغين والكمين فقطعه وقال الحمد لله الذى رزقنى من الرياش ما اتجمل به بين الناس وأوارى به عورتى ، فقيل له : اهذا شيء ترويه عن نفسك أو عن

رسول الله ﷺ فقال : بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن عمر بن سالم حدثنا موسى بن عيسى حدثنا احمد بن محمد العمي حدثنا بشر بن ابراهيم حدثنا مالك بن معول وشريك عن علي ابن الأقمر عن أبيه رأيت علياً عليه السلام وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ولو كان عندي ثمن ازار لما بعته ، أخبرنا عبد الرحمن ابن أبي حامد وعبد العزيز بن محمود البغداديان قالا أخبرنا عبد الوهاب الحافظ أنبأنا عاصم بن الحسن أنبأنا علي بن محمد بن بسر حدثنا ابن صفوان حدثنا عبد الله بن محمد القرشي حدثني القاسم بن هاشم حدثنا عبد العزيز بن الخطاب حدثنا الحسن بن علي النمري عن عمرو بن يحيى عن أبيه قال أهدى الى علي عليه السلام زقاق من عسل وسمن فرآها قد نقصت فسأل عنها فقيل له بعثت أم كلثوم فاخذت منه فبعث اليها بعد أن قوم العسل بخمسة دراهم فاخذها منها وقال هذا للمسلمين .

وقال القرشي بهذا الاسناد : حدثني القاسم عن ابن الخطاب عن الحسن عن عمرو بن يحيى عن قنبر قال جاء الى بيت المال زقاق من عسل فقال لي الحسن ابن علي « ع » يا قنبر اذهب وأتني من الزقاق بمقدار نصيبي من بيت المال فقد نزل بي ضيف وما عندي ما أطعمه واذا قسم أمير المؤمنين العسل خذ بمقدار نصيبي ورده في بيت المال فجاء قنبر الى زق منها فاخذ منه مقدار رطل ثم جاء علي « ع » الى الزق فرآه قد نقص فقال يا قنبر يا ويحك ماهذا ؟ فاخذ يتعلل عليه فقال والله لتصدقني الحديث فصدقه فغضب غضباً شديداً وقال عليّ با لحسن فجاء فوقع على قدميه وقال له بحق عمي جعفر - وكان اذا سئل بحق جعفر سكن غضبه - فقال له ما حملك على أن تأخذ من عسل المسلمين قبل القسمة فقال أما لي فيه حق فقال فكيف تنتفع به قبل المسلمين اما والله لولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبل ثناياك لأوجعتك ضرباً قم فاشتر عوضه وصبه في الزق ففعل فقسمه بين

المسلمين وبكى بكاءاً شديداً ثم قال اللهم إغفر للحسن فانه لم يعلم ولقد كنا مع رسول الله نقتل اخواننا وآباءنا وأعمامنا وأهلنا ما نريد بذلك إلا وجه الله ولقد كان رجل منا يختار الله ورسوله على نفسه فلما رأى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت والذل وانزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه متبوءاً أوطانه والله لو أتينا اليوم ما تأتون ما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود وايم الله لتحلبنها دماً ولتأخذنها دما .

وقال القرشي : حدثنا محمد بن عمران أنبأنا ابراهيم بن سعيد عن ابن الخطاب عن العمري عن سويد بن غفلة قال دخلت على علي «ع» يوماً وليس في داره سوى حصير رث وهو جالس عليه فقلت يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير شيء ، وقال يا سويد ان اللبيب لا يتأثث في دار النقلة وامامنا دار المقامة قد نقلنا اليها متاعنا ونحن منقلبون اليها عن قريب قال فابكاني والله كلامه

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا وكيع عن مسعر عن أبي بحر عن شيخ لهم قال رأيت علياً «ع» وعليه ازار غليظ فقلت ماهذا قال اشتريته بخمسة دراهم فمن اربحني فيه درهماً بعته إياه وقال كان يأتزر بعباءة ويشد وسطه بعقال ويهنأ بعيره وهو يومئذ خليفة .

وذكر احمد أيضاً في (الفضائل) باسناده الى ابن عباس قال دخلت عليه يوماً وهو يخصف نعله فقلت له ما قيمة هذا النعل حتى تخصفها فقال هي والله احب الي من دنياكم أو امرتكم هذه إلا أن أقيم حقاً أو ادفع باطلا ثم قال كان رسول الله ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ويركب الحمار ويردف خلفه ، قال ابن عباس أقام أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة مدة خمس سنين لم يأكل من طعامهم وما كان يأكل إلا من شيء يأتيه من المدينة ، قال وقدم اليه فالوذة فلم يأكله فقلت احرام ؟ هو قال لا ولكني أكره ان اعود نفسي مالم

تعتد وما أكل منه رسول الله ﷺ ثم انشد :

جسمك بالحمية اقنيته ... من ضرر البارد والحار

ويروى : (انضيته : مخافة البارد والحار) .

قد كان أولى بك ان تحتمى ... من المعاصى حذر النار

قال احمد فى (الفضائل) : حدثنا محمد بن يحيى الأزدى حدثنا الوليد بن قاسم حدثنا مطر بن ثعلبة التيمى حدثنا أبو النوار بايع الكرابيس قال اشترى على « ع » تمراً بدرهم فحمله فى ملحفته فقال له رجل أنا عنك احمله فقال لا أبو العيال احق ان يحمل حاجته قال وهو يومئذ خليفة وكان يلبس الكرابيس السنبلانية وهى ثياب غلاظ يساوى الثوب درهمين أو ثلاثة دراهم وهو يقول الحمد لله الذى كسانى ما اتوارى به وأتجمل به بين خلقه .

وقال احمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر حدثنا الحسن بن جرموز المرادى عن أبيه قال رأيت علياً « ع » يخرج من هذا القصر يعنى قصر الكوفة وعليه ازار الى انصاف ساقيه ورداؤه مشمر قريباً منه ومعه الدرة يمشى بها فى الأسواق ويقول ياقوم اتقوا الله ، وفى رواية يأمرهم بحسن البيع ويقول اوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس اشيائهم ولا تنفخوا اللحم ، وفى رواية ويرشد الضالة ويعين الحمال على الحمولة ويقرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى الارض) الآية ويقول هـــذه الآية نزلت فى الولاة وذوى القدرة من الناس .

وأخبرنا عبد الوهاب بن على الصوفى ، أنبأنا أبو الفضل بن ناصر ، أنبأنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفى أنبأنا أبو اسحاق البرمكى أنبأنا أبو بكر بن نجيب أنبأنا أبو جعفر بن ذريح أنبأنا هناد عن وكيع عن مطر بن ثعلبه عن أبى النوار قال : رأيت علياً « ع » وقف على خياط فقال له : يا خياط صلب الخيط ودقق الدرز وقارب الغرز فانه سمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى يوم القيامة بالخياط

الخاين وعليه قميص ورداء مما خاطه وخان فيه فيفتضح على رؤس الاشهاد ثم قال يا خياط اياك والفضلات والسقطات فان صاحب الثوب احق بها ممن يتخذ عنده يداً يطلب بها المجازاة فى الدنيا .

وذكره الزمخشرى فى (ربيع الأبرار) ، وبه قال أبو النوار : أتى على «ع» باترجة فاخذها الحسين «ع» ، فنزعها من يده وقسمها فى الناس ، وبه عن أبى أعور قال عوتب على «ع» على تقلله فى الدنيا وشدة عيشه فبكى وقال كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى طاوياً وما شبع من طعام أبداً ، ولقد رأى يوماً ستراً موشى على باب فاطمة (رض) فرجع ولم يدخل وقال مالى ولهذا غيبوه عن عينى مالى وللدنيا وكان يجوع فيشد الحجر على بطنه وكنت اشده معه فهل أكرمه الله بذلك أم اهانه فان قال قائل أهانه كذب ومرق وان قال أكرمه فيعلم ان الله قد أهان غيره حيث بسط له الدنيا وزواها عن أقرب الناس اليه واعزهم عليه حيث خرج منها خميصاً وورد الآخرة سليماً ، لم يرفع حجراً على حجر ، ولا لبنة على لبنة واقد سلكنا سبيله بعده والله لقد رقعت مدرعتى هــذه حتى استحييت من راقعها ولقد قيل لى ألا تستبدل بها غيرها فقلت للقائل ويحك اعزب (فعند الصباح يحمد القوم السرى) .

وبه عن أبى النوار قال : دخل عليه الأشعث بن قيس فرآه يصلى فقال أدؤب بالليل ودؤب بالنهار ؟ فلما سلم من صلاته قال :

اصبر على مضض الادلاج فى السحر   والرواح كذى الحاجات فى البكر
لا تعجزن ولا يضجرك مطلبها   فانما الهلك بين العجز والضجر
انى رأيت وفى الأيام تجربة   للصبر عاقبــة محمودة الأثر
وقل من جد فى شىء يؤمله   فاستشعر الصبر الا فاز بالظفر

وأخبرنا عبد الرحمن بن أبى حامد الحربى أنبأنا عبد الوهاب الحافظ أنبأنا عاصم عن الحسن أنبأنا على بن محمد بن بشر أنبأنا ابن صفوان حدثنا أبو بكر

عبد الله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم عن عبد العزيز بن الخطاب عن الحسن بن علي النمري حدثنا عمرو بن يحيى عن أبي اراكة قال جاء سائل الى علي عليه السلام ، فقال لبعض ولده اذهب الى امك وقل لها هات ذاك الدرهم الذي عندك فمضى ثم عاد وقال قد قالت خبأناه الدقيق فقال اذهب وأتني به فذهب وعاد وهو معه ودفعه الى السائل وقال لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله اوثق منه بما في يديه فبينا هو يتحدث اذ مر به رجل يبيع جملا فاشتراه منه بمائة درهم ثم باعه بمأتين فدفع المائة الى ولده وقال اذهب بها الى امك وقل لها هذا ماوعدنا الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله اخباراً عن ربه سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها .

قال أبو اراكة : وكان علي عليه السلام يمشي يوم العيد الى المصلى ولا يركب .

وقال القرشي أنبأنا القاسم عن ابن الخطاب عن النمري عن عمرو ابن يحيى عن صعصعة بن صوحان انه مر على المغيرة بن شعبة فقال له من اين اقبلت فقال من عند الولي التقي الجواد الحي الحليم الوفي الكريم الحفي المانع بسيفه الجواد بكفه الورى زنده الكثير رفده الذي هو من ضئضيء اشراف امجاد ليوث انجاد ليس باقعاد ولا انكاد ليس في امره ولا في قوله فند ليس بالطايش النزق ولا بالرايث المذق كريم الابناء شريف الآباء حسن البلاء ثاقب السناء مجرب مشهور وشجاع مذكور زاهد في الدنيا راغب في الآخرى ، فقال المغيرة بن شعبة هذه صفات أمير المؤمنين علي عليه السلام .

وأخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله قال : أنبأنا أبو بكر بن حبيب الصوفي قال أنبأنا أبو سعد بن أبي صادق أنبأنا عبد الله بن بالويه الشيرازي حدثنا عبد الله بن فهد حدثنا فهد بن ابراهيم السباحي حدثنا زكريا بن دينار عن العباس ابن بكار عن عبد الواحد بن عمرو والأسدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح قال دخل ضرار بن ضمرة على معاوية فقال له يا ضرار صف لي علياً فقال

أو تعفنى قال لا أعفيك قالها مراراً فقال ضرار أما إذ لابد فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة كثير الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدئنا اذا أتيناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع قربه منا ودنوه الينا لا نكلمه هيبة له ولا نبتديه لعظمه فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فاشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه ليلة وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مثل قائماً فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين وكأنى اسمعه وهو يقول : يادنيا غرى غيرى ابى تعرضت أم إلى تشوقت هيهات هيهات قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . قال فذرفت دموع معاوية على لحيته فلم يملك ردها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله أبا حسن فقد كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ فقال حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها ·

الباب السادس في المختار من كلامه

كان على عليه السلام ينطق بكلام قد حف بالعصمة، ويتكلم بميزان الحكمة، كلام ألقى الله عليه المهابة، فكل من طرق سمعه راعه فهابه ، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة والطلاوة والفصاحة لم يسقط منه كلمة ولا بارت له حجة، أعجز الناطقين

وحاز قصب السبق فى السابقين الفاظ يشرق عليها نور النبوة ويحـــير الأفهام والالباب وقد اخترت منه ما أودعته فى هذا الكتاب من فنون العلم والآداب فنبدأ بالخطب .

وقد أخبرنا السيد الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسينى باسناده الى الشريف المرتضى قال : وقع إلى من خطب أمير المؤمنين عليه السلام اربعمائة خطبة وكتابنا هذا يضيق عن حصرها فنشرفه بما اتصل الينا اسناده من نظمها ونثرها :

﴿ خطبة تعرف بالمنبرية ﴾

قرأت على أبى حفص عمر بن معمر الدارقطنى قال : أنبأنا احمد بن محمد المذارى أنبأنا الحسن بن احمد البناء أنبأنا على بن محمد بن بشران أنبأنا الحسين ابن صفوان أنبأنا أبو بكر القرشى المعروف بابن أبى الدنيا حدثنا على بن الحسين عبد الله حدثنا عبد الله بن صالح العجلى ، قال خطب أمير المؤمنين على عليه السلام يوماً على منبر الكوفة فقال : الحمد لله الذى احمده وأومن به واستعين به واستهديه واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون . ثم قال : أيتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة أبدانهم الغائبة عقولهم كم ادلكم على الحق وأنتم تنفرون نفور(١) المعزى من وعوعة الأسد هيهات أن اطلع بكم سرار العدل أو أقيم اعوجاج الحق اللهم انك تعلم انه لم يكن الذى كان منى منافسة فى سلطان ولا التماس فضول الحطام ولكن لأرد المعالم من دينك واظهر الصلاح فى بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم انك تعلم انى أول من أناب وسمع فأجاب لم يسبقنى إلا رسولك اللهم لا ينبغى أن يكون على الدماء والفروج والمغانم والأحكام ومعالم الحلال والحرام وامامة المسلمين وأمور

(١) ـ فى حديث على عليه السلام : وأنتم تنفرون نفور المعزى من وعوعة الاسد ـ أى صوته ـ . ووعواء الاسد : صيحته .

المؤمنين البخيل لأن نهمته فى جمع الأموال ولا الجاهل فيدلهم بجهله على الضلال ولا الجافى فينفرهم بجفائه ولا الخايف فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنن فيؤدى ذلك الى الفجور ولا الباغى فيدحض الحق ولا الفاسق فيشين الشرع .

فقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ما تقول فى رجل مات وترك امرأة وابنتين وأبوين ؟ فقال لكل واحد من الابوين السدس وللابنتين الثلثان ، قال فالمرأة ؟ قال : صار ثمنها تسعاً (١) وهذا من ابلغ الأجوبة .

﴿ تفسير المسألة ﴾

اتفق كبار الصحابة على صحة العول ؛ لم يخالف فيها إلا عبد الله بن عباس ، والعول عبارة عن الرفع، قال فى الصحاح العول (٢) الأرتفاع ، وقال أبو عبيدة هو مأخوذ من الميل لأن الفريضة متى عالت كان ميلا فى أهلها جميعاً فتنقصهم .

وقال ابن عباس بعد ما توفى عمر بن الخطاب (رض) لاعول من شاء باهلته ان الذى أحصى رمل عالج عدداً لم يجعل فى المال نصفاً نصفاً وثلثاً قيل له هلا قلت هذا فى أيام عمر لأنه كان يقول بالعول فى أيامه فقال ان عمر كان رجلا مهيباً فهبته ، فعلى قول فقهاء والصحابة والجمهور اذا ضاق المال عن سهام الورثة قسم على قدر سهامهم قياساً على الديون والوصايا اذا ضاقت التركة عن حملها ، وعلى قول ابن عباس يقدم جميع ذوى السهام على البنات والاخوات من الأب والأم ومن الأب ويجعل الفاضل عن سهامهم لهن حتى لا يعول لأن الله لم يعبر بالنصف عن الثلث ولا بالثلث عن الربع ولا بالسدس عن الثمن ولا بالثلثين

---

(١) - وجاء فى طريق آخر : أنه «ع» كان يخطب على منبر الكوفة قائلا : الحمد لله الذى يحكم بالحق قطعاً، يجزى كل نفس بما تسعى واليه المآب والرجعى فسئل عن هذه المسألة فقال ارتجالا : صار ثمن المرأة تسعاً ، ومضى فى خطبته . الخ

(٢) - وفى اصطلاح الفرضين : عبارة عن زيادة السهام ونقص المقادير .

عن النصف لأن الله فرض ذلك فنتبع مافرضه وهى لغة العرب أيضاً فاصل هذه المسألة على قول الجمهور من أربعة وعشرين للزوجة الثمن ثلاثة والابنتين الثلثان ستة عشر وللأب السدس أربعة وللأم السدس أربعة فيكون بمجموع ذلك سبعة وعشرين فيقسم التركة على سبعة وعشرين وان كان أصلها من أربعة وعشرين إلا انها زادت بثمنها وهو ثلاثة فدخل النقص على الكل على نسبة واحدة لما ضاق المال عن الوفاء بالمقدرات فيكون للزوجة ثلاثة من سبعة وعشرين والثلاثة من سبعة وعشرين تسعها فهذا معنى قوله عليه السلام صار ثمنها تسعاً لان من كان يستحق الثمن من أربعة وعشرين فهو يستحق القدر من سبعة وعشرين فيكون المجموع سبعة وعشرين .

وأما على قول ابن عباس فانه يدخل النقص على الابنتين لاغير ، فيكون للزوجة الثمن الكامل وهو ثلاثة من أربعة وعشرين وللأبوين لكل واحد منهما السدس كاملا فيبقى من الأربعة والعشرين ثلاثة عشر فيكون بين الابنتين .

وكان ابن عباس يقول : ليس على وجه الأرض أعلم بالفرائض من على ابن أبي طالب عليه السلام .

﴿ خطبة أخرى وتعرف بالبالغة وبه قال القرشى ﴾

حدثنا على بن الحسين حدثنا عبد الله بن صالح العجلى قال : أخبرنى رجل من بنى شيبان قال : شهدت علياً «ع» وقد خطب خطبة بليغة حمدالله فيها ثم صلى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله ثم قال : أيها الناس ان الله أرسل اليكم رسولا ليزيح به علتكم ويوقظ به غفلتكم وانى أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل فاما اتباع الهوى فيضلكم عن الحق وأما طول الأمل فينسيكم الآخرة ألا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة وان الآخرة قد اقبلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولاعمل واعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت ومحاسبون

على اعمالكم ومجزون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فانها دار بالبلاء محفوفة وبالعناء والغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهى بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور اذا هم فى بلاء وغرور العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم أهلها فيها أهداف أو أغراض مستهدفة وأسبابها مختلفة وكل فيها حتفه مقدور وحظه من نوايبها موفور ، واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً واشد بطشاً واعمر دياراً وأبعد آثاراً فاصبحت اجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الموسدة الصخور والاحجار فى القبور التى خرب فناؤها وتهدم بناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين قوم مستوحشين متجاورين غير متزاورين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنوا الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنتهم البلى واظلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد غضارة العيش رفاتاً قد فجع بهم الأحباب واسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم أياب وتمنوا الرجوع فحيل بينهم وبين ما يشتهون كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وكأن قد صرتم الى ماصاروا اليه وقد متم على ما قدموا عليه فكيف بكم اذا تناهت الامور وبعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير وكأنى والله بكم وقد وقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لا شفاقها من سالف الذنوب وهبطت عنكم الحجب والاستار وظهرت العيوب والاسرار وزال الشك والارتياب هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لسنة رسوله حتى يحلنا دار المقامة من فضله انه حميد مجيد برحمته وكرمه .

وقد أخرج أبو نعيم فى كتاب (الحلية) طرفاً من أول هذه الخطبة .

﴿ خطبة أخرى وتعرف با لشقشقية ﴾

ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة وأخل بالبعض، وقد أتيت بها مستوفاة :

أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيس الانبارى باسناده عن ابن عباس قال : لما بويع أمير المؤمنين بالخلافة ناداه رجل من الصف وهو على المنبر ما الذى ابطأ بك الى الآن فقال ! بديهاً والله لقد تقمصها فلان (١) وهو يعلم ان محلى منها محل القطب من الرحى ينحدر عنى السيل ولا يرقا الى الطير ولكنى سدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطفقت أمثل بين أن أصول بيدجذاء ماضية أو أصبر على ظلمة طخياء يوضع منها الكبير ويدب فيهما الصغير ، وفى رواية طفقت ان أصول بيد جذاء أو اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت الصبر أجدر فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجا الى ان حضرت الأول الوفاة . وفى رواية فصبرت الى ان مضى الأول لسبيله فاولى بها الى فلان بعده . وفى رواية فادلى بها الى الثانى فيا لله العجب بينا هو يستقيلها فى حال حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته فعقدها فى ناحية خشناء يصعب مسها ويغلظ كلمها ويكثر فيها العثار ويقيل منها الاعتذار فمنى الناس بمن عقدها له حتى مضى لسبيله .

وفى رواية : بينا هو يقتال منها فى حياته اذ عقدها لآخر بعد مماته لشد ما تشطر اضرعها فى حوزة خشناء فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان أسلس لها تقحم . وفى رواية فمنى الناس بخبط وشماس وتكور واعتراص فصبرت حتى اذا مضى لسبيله جعلها شورى بين ستة زعم انى احـــدهم فيا لله للشورى فيم ومم وبم ولم يعرض عنى ولكنى اسففت معهم حين أسفوا وطرت معهم حيث طاروا وصبرت لطول المحنة وانقضاء المدة الى ان قام الثالث .

(١) ـ وفى نسخة : أخو تيم ، أو ابن أبى قحافة .

وفى رواية: فيا لله والشورى متى اعترض الريب فى حتى صرت أقرن الى هذه النظاير فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام الثالث نافجاً حضينه بين نثيله ومعتلفه وبنو أمية يخضمون مال الله خضم الابل نبت الربيع حتى اذا اجهز عليه عمله واسلمه الى الهلاك اجله وكبت به مطيته فما راعنى إلا والناس ارسالا إلى كعرف الفرس يسألونى البيعة وانثالوا علىّ انثيالا حتى لقد وطىء الحسنان وهما عطفاى .

وفى رواية : وهما وشق عطفاى وهم مجتمعون حولى كربيضة الغنم فلما نهضت بالامر نكثت طائفة وفسقت شرذمة ومرقت أخرى وقسط قوم كانهم لم يسمعوا قول الله تعالى يقول : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن راقتهم دنياهم واعجبهم رونقها ، اما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لولا ما اخذ الله على الأولياء لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها وانشد :

شتان مايومى على كورها ويوم حيان أخى جابر

وفى رواية: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها . وفى رواية : ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندى من عفطة عنز ، ثم ناوله كتاباً فنظر فيه وقطع الكلام . فقال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين لو أخذت فيما افضت فيه فقال كلا تلك شقشقة هدرت ثم قرت فلهذا سميت : الشقشقية .

﴿ تفسير غريبها ﴾

الشقشقية: بكسر الشين ، كالرية يخرجها البعير من فيه اذا هاج وهدر فاذا قيل للخطيب ذو شقشقة ، فانما يشبه بالفحل .

وذكر الجوهرى : فى (الصحاح) فى القطب ثلاث لغات ضم القاف وفتحها

وكسرها ، وفلان قطب بنى فلان أى سيدهم الذى يدور عليه أمرهم ويقال لصاحب الجيش قطب رحى الحرب .

وقوله ﷺ : ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلىّ الطير يشير الى منزلته ومكانته وشرفه وشجاعته وهيبته ، فاذا مر به السيل هابه واندفع عنه واذا رآه الطير وهو فى ذروة شاهق لم يتجاسر ان يصعد اليه ، والكشح باسكان الشين المعجمة ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف ، والخلف بتسكين اللام اقصر الأضلاع ، وطوى فلان كشحه على الامر اذا قطعه وطويت كشحى على الامر اذا اضمرته وسترته وطفقت أى جعلت افعل لذا يقال طفق يفعل كذا أى جعل ، ومنه قوله تعالى : (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) والطخياء الداهية من الطخى وقوله يوضع فيها الكبير لشدتها والجذاء القاطعة . والطخياء الليلة المظلمة . والكدح : العمل والسعى . والقذاء فى العين والشراب ما يسقط فيه . والشجا ما ينشب فى الحلق من عظم وغيره . وأدلى بها أى دفعها . ومنى أى ابتلى . وقوله لشد ما تشطر ضرعيها الشد العدو وتشاطراتنا صفا والشطر النصف . والحوزة الناحية والصعبة نقيضة الذلول . وقوله إن أشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم معناه اذا شدد عليها فى جذب زمامها وهى تنازعه خرم انفها وان أرخى لها مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها .

وذكر فى (الصحاح) : اشنق بعيره بالأنف لغة فى شنقه ، وكذا ذكر ابن السكيت فى اصلاح المنطق . والخبط ان يمشى الإنسان ولا يتوقا شيئا والشماس المنع ومنه فرس شموس والعامة تقول شموص بالصاد وهو خطأ والاعتراص بالصاد المهملة الدوام على الشىء ، والريب الشك . والشورى ما يجرى فيها المشاورة . وصغى مال . والضغن الحقد والهن الشىء . والهنات الخصلات القبيحة والحضن ما بين الأبط الى الكشح وقيل هو ما دون ذلك وحضنا الشىء جانباه . والنثيل الروث . والمعتلف ما يعلف . والخضم الأكل بجميع الفم . وانثالوا

انصبوا والعطف الجانب . وربضة الغنم دايرتها . والكظة المارسة فى الحرب . والعفطة حبقة العنز . والأرسال الجماعات والغارب ما بين السنام والعنق ومنه قولهم حبلك على غاربك أى اذهبي حيث شئت . واصله ان الناقة اذا رعت وعليها الخطام التى على غاربها لأنها كلما رأت الخطام لم يهنئها شيء .

(خطبة فى مدح رسول الله ﷺ)

أخبرنا عبد الله بن أبي المجد الحربي أنبأنا عبد الوهاب ابن المبارك أنبأنا أبو الفتح احمد الحداد أنبأنا أبو بكر بن احمد بن على بن ابراهيم بن منحويه أنبأنا محمد بن احمد بن اسحاق أنبأنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عباد بن الحبيب بن المهلب بن أبي صفرة عن مجالد عن سعيد بن عمير قال خطب أمير المؤمنين يوماً فقال : الحمد لله داحي المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها وغويها ورشيدها ؛ اللهم واجعل شرايف صلواتك ونوامى بركاتك على سيدنا محمد عبدك ورسولك وحبيبك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق المعلن بالحق الناطق بالصدق الدافع جيشات الاباطيل والدامغ هيشات الأضاليل فاضطلع قائماً بامرك مستوفزاً فى مرضاتك غير ناكل فى قدم ولا واه فى عزم مراعياً لعهدك محافظاً لودك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهدى به الناس بعد خوض الفتن والآثام والخبط فى عشو الظلام وانارت نيرات الأحكام بارتفاع الأعلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وحجتك على العالمين وبعيثك بالحق ورسولك الى الخلق ؛ اللهم فافسح له مفسحاً فى ظلك واجزه بمضاعفات الخير من فضلك ، اللهم اجمع بيننا وبينه فى برد العيش وقرار النعمة ومنتهى الرغبة ومستقر اللذة ومنتهى الطمأنينة وارجاء الدعة وافناء الكرامة .

القدم : بتسكين الدال التقدم . والجيشات من جاشت القدر ، تجيش اذا غلت . والهيشات : الجماعات ، وهاشوا : اذا تحركوا .

(خطبة خطب بها عند وفاة رسول الله ﷺ)

وبه قال مجالد حدثني عكرمة عن ابن عباس قال لما دفن رسول الله ﷺ جاء العباس وأبو سفيان بن حرب وجماعة من بني هاشم الى علي عليه السلام فقالوا مد يدك نبايعك وحرضوه فامتنع وقال له العباس أنت والله بعد أيام عبد العصا (١) فخطب وقال : أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة فقد افلح من نهض بجناح واستسلم فارتاح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها اجدر بالعاقل من لقمة تحشى بزنبور ومن شربة يلذ بها شاربها مع ترك النظر في عواقب الأمور فان اقل تقولوا احرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه ومن الرجل بأخيه وعمه .

وفي رواية : لقد اندمجت على علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيد ، وذكر كلاماً كثيراً . اللتيا والتي : بفتح اللام والتشديد تصغير التي . قال الراجز : بعد اللتياء والتي . والآجن : المتغير ، والأرشية : جمع رشاء بالمد وهو الحبل . والطوى : البئر المطوية .

(خطبة في مدح النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام)

أخبرنا أبو طاهر الخزيمي أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن علي أنبأنا عبدالله ابن عطاء الهروي أنبأنا عبدالرحمن بن عبيد الثقفي أنبأنا الحسين بن محمد الدينوري أنبأنا عبد الله بن ابراهيم الجرجاني أنبأنا محمد بن علي بن الحسين العلوي أنبأنا احمد بن عبد الله الهاشمي حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام قال : خطب أبي أمير المؤمنين يوماً بجامع الكوفة خطبة بليغة في مدح رسول الله ﷺ فقال : بعد حمد الله لما أراد الله ان ينشيء المخلوقات ويبدع الموجودات اقام الخلايق في صورة قبل دحو

(١) - وهذا اليوم الذي قال فيه أبو سفيان ان شئت ملأتها خيلاورجلا

الأرض ورفع السموات ثم أفاض نوراً من نور عزه فلمع قبساً من ضيائه وسطع ثم اجتمع فى تلك الصورة وفيها هيئة نبينا ﷺ فقال له تعالى أنت المختار وعندك مستودع الأنوار وأنت المصطفى المنتخب الرضاء المنتجب المرتضى من أجلك اضع البطحاء وارفع السماء وأجرى الماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار وأنصب أهل بيتك علماً للهداية وأودع أسرارهم من سرى بحيث لا يشكل عليهم دقيق ولا يغيب عنهم خفى وأجعلهم حجتى على بريتى والمنبهين على قدرى والمطلعين على أسرار خزائنى (١) ثم اخذ الحق سبحانه عليهم الشهادة بالربوبية والاقرار بالوحدانية وان الامامة فيهم والنور معهم ثم ان الله اخفى الخليفة فى غيبه وغيبها فى مكنون علمه ونصب العوالم وموج الماء واثار الزبد وأهاج الدخان فطفا عرشه على الماء ، ثم أنشأ الملائكة من انوار ابتدعها وانواع اخترعها ثم خلق (٢) الله الأرض ومافيها ثم قرن بتوحيده نبوة نبيه محمد وصفيه فشهدت السموات والأرض والملائكة والعرش والكرسى والشمس والقمر والنجوم وما فى الأرض له بالنبوة فلما خلق آدم أبان للملائكة فضله وأراهم ما خصه به من سابق العلم لجعله محراباً وقبلة لهم فسجدوا له وعرفوا حقه ثم بين لآدم حقيقة ذلك النور ومكنون ذلك السر فلما حانت ايامه أودعه شيثاً ولم يزل ينتقل من الأصلاب الفاخرة الى الارحام الطاهرة الى ان وصل الى عبد المطلب ثم الى عبد الله ثم الى نبيه ﷺ فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سراً وعلانية واستدعى الفهوم الى القيام بحقوق ذلك السر اللطيف وندب العقول الى الاجابة لذلك المعنى المودع فى الذر قبل النسل فمن وافقه قبس من لمحات ذلك النور واهتدى الى السر وانتهى الى العهد المودع فى باطن الأمر وغامض العلم ومن

(١) ـ فى نسخة : واسكن قلوبهم أنوار عزتى ، واطلعهم على معادن جواهر خزائنى .

(٢) ـ وفى نسخة: ثم خلق المخلوقات فأكملها الخ .

غمرته الغفلة وشغلته المحنة استحق البعد (١) ثم لم يزل ذلك النور ينتقل فينا ويتشعشع فى غرايزنا فنحن أنوار السموات والأرض وسفن النجاة وفينا مكنون العلم والينا مصير الأمور وبمهدينا تقطع الحجج فهو خاتم الأئمة ومنقذ الامة ومنتهى النور وغامض السر فليهن من استمسك بعروتنا وحشر على محبتنا.

﴿ ومن خطبه عليه السلام عقيب قتل عثمان ﴾

أخبرنا غير واحد: عن عبدالوهاب بن المبارك الحافظ الانماطى أنبأنا أبو الفتح احمد بن محمد الحداد أنبأنا أبو بكر احمد بن على بن ابراهيم بن فنجويه أنبأنا محمد بن احمد بن اسحاق أنبأنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة عن مجالد عن سعيد ابن عمير قال خطب أمير المؤمنين يوماً بعد ما قتل عثمان فقال بعد حمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله: أيها الناس تدرون ما مثلى ومثلكم ومثل عثمان كمثل ثلاثة أثوار كن فى اجمة ثور أبيض وثور أسود وثور أحمر ومعهم أسد وكان الأسد لا يقدر عليهم لاجتماعهم عليه واتفاقهم، فقال الأسد للثور الأسود والأحمر انه لا يدل الناس علينا إلا الثور الأبيض فانه مشهور بالبياض فلو تركتمانى آكله فتصفو الأجمة لنا ونعيش فيها فقالا له افعل فاكله ثم لبث مدة وقال للثور الأحمر انه لا يدل علينا الناس إلا الثور الأسود بسواد لونه فان لونى ولونك لا يختلفان ولا يشتبهان فان تركتنى آكله فتصفو الاجمة لى ولك فقال أفعل فاكله ثم لبث مدة وقال للثور الأحمر انى آكلك فقال دعنى انادى ثلاثة أصوات فقال ناد فصاح ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الابيض قالها ثلاثاً، ثم قال على عليه السلام: ألا انى وهنت يوم قتل عثمان قالها ثلاثاً.

---

(١) - وفى نسخة: غشا بصره وقلبه عن ادراكه الخ.

فصل ومن كلامه عليه السلام فى المواعظ والدقايق

قال أبو نعيم الأصفهانى فى كتاب (الحلية) : (١) وقد تقدم اسناده حدثنا عمر بن محمد حدثنا الحسين بن محمد بن عفير حدثنا الحسن بن على حدثنا خلف بن تميم عن عمر بن الرحال عن العلاء بن المسيب عن عبد خير قال : قال لى عليه السلام ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر عملك ويعظم حلمك فلا خير فى الدنيا إلا لأحد رجلين رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة ، ورجل يسارع فى الخيرات ولا يقل عملا فى تقوى فكيف يقل ما يتقبل .

وقال أبو نعيم: حدثنا أبى حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن قال كتب الى احمد بن ابراهيم بن هشام الدمشقى حدثنا ابن صفوان عن القاسم بن يزيد بن عوانة عن ابن حرب عن ابن عجلان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال شيع أمير المؤمنين جنازة فلما وضعت فى لحدها عج أهلها وبكوا فقال مم تبكون أما والله لو عاينوا ما عاين لأذهلهم ذلك عن البكاء عليه أما والله ان له اليهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد . ثم قام فيهم فقال أوصيكم بتقوى الله عباد الله الذى ضرب لكم الأمثال ووقت الآجال وجعل لكم اسماعا تعى ماعناها وأفئدة تفهم ما دهاها ان الله لم يخلقكم عبثاً ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً بل اكرمكم بالنعم السوابغ والآلاء السوابغ فاتقوا الله عباد الله وحثوا فى الطلب وبادروا بالعمل قبل الندم قبل هادم اللذات ومفرق الجماعات فان الدنيا لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجايعها غرور حايل وسناد مايل ونعيم زايل وجيد عاطل

(١) ـ وقد قال الشريف المرتضى: وقع الى من خطب أمير المؤمنين عليه السلام أربعمائة خطبة ، وفصول من كلامه . فمن ذلك ما ورد فى المواعظ والوقائع .

فاتعظوا عباد الله بالعبر وازدجروا بالنذر فكأن قد علقتكم مخاليب المنية واحاطت بكم البلية ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخ الصور وبعثرة القبور وسياق الحشر والموقف للحساب فى النشور وبرز الخلايق للمبدأ المعيد وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد ونوقش على القليل والكثير والفتيل والنقير واشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب (١) فارتجت لذلك اليوم البلاد وخشع العباد ونادى المنادى من مكان قريب وحشرت الوحوش وزوجت النفوس وبرزت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا حميمها فاتقوا الله عباد الله بقية من وجل وحذر وابصر وازدجر فاحتث طلباً ونجا هرباً وقدم للمعاد واستظهر من الزاد وكفى بالله منتقماً وبالكتاب خصيماً وبالجنة ثواباً ونعيماً ، وفى رواية وكفى بالجنة ثواباً وبالنار وبالا وعقاباً واستغفر الله لى ولكم .

قلت : وقعت الينا الفاظ من هذا الكتاب حذفنا اسنادها طلباً للاختصار الذى هو فصل الخطاب .

فنها قوله عليه السلام : الدنيا دار ممر والاخرى دار مقر فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم أسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها أبدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم ان الجنازة اذا حملت قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم فقدموا بعضاً يكن لكم ولا تؤخروا كلا يكن عليكم .

وقال عليه السلام : اذا رأيتم الله تعالى يتابع نعمه عليكم وأنتم تعصوه فاحذروه .

وقال عليه السلام من كفارة الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفس عن المكروب .

وقال عليه السلام : اذا كنت فى ادبار والموت فى اقبال فما اسرع الملتقى .

وقال عليه السلام : ومن أطال الأمل اساء العمل وسيئة تسوءك خير من حسنة تسرك وتعجبك .

---

(١) - وفى نسخة : (وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) .

وقال عليه السلام : الدهر يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويباعد الأمنية من ظفر به تعب ومن فاته نصب .

وقال عليه السلام : عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار .

وقال عليه السلام : كان فى الأرض أمانان فرفع أحدهما وهو رسول الله صلى الله عليه وآله فتمسكوا بالآخر وهو الاستغفار قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم (١) وأنت فيهم) الآية .

وقال عليه السلام : من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ .

وقال عليه السلام : كم من مستدرج بالاحسان اليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه وشتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل يذهب مؤنته ويبقى أجره .

وقال عليه السلام : استنزلوا الرزق بالصدقة فمن أيقن بالخلف جاد بالعطا .

وقال عليه السلام : من اعطى أربعاً لم يحرم أربعاً من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول ومن أعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة قال ومصداق ذلك فى كتاب الله قال الله تعالى فى الدعاء (ادعونى استجب لكم) وقال فى التوبة (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) الآية . وقال فى الاستغفار (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله) الآية . وقال فى الشكر (لئن شكرتم لأزيدنكم) .

وقال عليه السلام : الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معانى أولها الندم على الفعل ، والثانى العزم على الترك وان لا يعود . والثالث تأدية الحقوق ليلقى الله تعالى وليس عليه تبعة . والرابع ان يعهد الى كل فريضة فيؤدى حقها

(١) ـ (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) .

والخامس ان يذيب اللحم الذى نبت من السحت بالهموم والأحزان حتى يكتسى لحماً آخر من الحلال . والسادس ان يذيق جسمه الم الطاعة كما اذاقه لذة المعصية

وقال عليه السلام : لا تكن ممن يريد الآخرة بعمل الدنيا أو بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل يقول فى الدنيا قول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين ان أعطى منها القليل لم يشبع وان ملك الكثير لم يقنع يأمر ولا يأتمر وينهى ولا ينتهى يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم ويبغض العاصين وهو أحدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الله منه تعجبه نفسه اذا عوفى ويقنط اذا ابتلى ان أصابه بلاءاً دعى مضطراً وان ناله رخاءاً اعترض مغتراً تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على مايستيقن ان استغنى بطر وان افتقر قنط يقدم المعصية ويسوف بالتوبة يصف العبر ولا يعتبر ويبالغ فى الموعظة ولا يتعظ فهو من القول مكثر ومن العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرماً والغرم مغنماً يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معاصى غيره ما يستقله من معاصى نفسه ويستكثر من طاعته ما يحتقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن اللغو مع الأغنياء احب اليه من الذكر مع الفقراء يرشد غيره ويغوى نفسه أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم .

وقال عليه السلام : من أصبح على الدنيا حريصاً (١) اصبح لقضاء الله ساخطاً ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به الى مخلوق مثله فانما يشكو ربه ومن أتى غنياً يتواضع لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه قالوا ومعناه ان المرء انسان بجسده وقلبه ولسانه والتواضع يحتاج فيه الى استعمال الجسد واللسان فان اضاف الى ذلك القلب ذهب جميع دينه .

وقال « ع » : ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الاحرار .

---

(١) — حزيناً أصبح . الخ

وقال «ع» احذروا نفاذ النعم فما كل شارد بمردود .

وقال «ع» : أفضل الأعمال ما أكرهت عليه نفسك .

وقال «ع» لولم يتواعد الله عباده على معصية لكان الواجب ان لا يعصى شكراً لنعمه ومن هاهنا اخذ القايل وقيل انهما لأمير المؤمنين :

هب البعث لم تأتنا رسله　　وجاحمة النار لم تضرم

أليس من الواجب المستحق　　حياء العباد من المنعم

وقال «ع» : ما أكثر العبر وما أقل المعتبر .

وقال «ع» : أقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه .

وقال «ع» : المدة وان طالت قصيرة والماضى للمقيم عبرة والميت للحى عظة وليس لأمس عودة ولا أنت من غد على ثقة وكل لكل مفارق وبه لاحق فاستعدوا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم واصبروا على عمل لاغناء لكم عن ثوابه وارجعوا عن عمل لا صبر لكم على عقابه فان الصبر على الطاعة أهون من الصبر على العذاب وانما أنتم فى نفس معدود وأمل ممدود واجل محدود ولا بد للأجل أن يتناهى وللنفس ان يحصى وللأمل ان يطوى وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون .

وقال «ع» : اتقوا معاصى الله فى الخلوات فان الشاهد هو الحاكم .

وقال «ع» : كم من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه مما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه أصابه حراماً واحتمل منه آثاماً ورب مستقبل يوماً ليس بمستدبره ومغبوط فى أول يومه قامت بواكيه فى آخره ومن هاهنا اخذ القايل:

يا راقد الليل مسروراً باوله　　ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

أفنى القرون التى كانت مسلطة　　من الحوادث اقبالا وادبارا

يا من يكابد دنياً لا بقاء لها　　يمسى ويصبح تحت الارض سيارا

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك　　قد كان فى الارض نفاعاً وضرارا

وقال «ع» : الزهد كله في كلمتين من القرآن قال الله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فهو الزاهد .

وقال «ع» : أفضل الزهد اخفاؤه .

وقال «ع» : احذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية يظهر أثرها عليكم واعملوا بغير رياء ولا سمعة فان من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له .

وقال «ع» : يوشك ان يفقد الناس ثلاثا درهماً حلالا ولساناً صادقاً واخاً يستراح اليه .

وقال «ع» : استعدوا للموت فقد اظلكم غمامه وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وانتهوا فما بينكم وبين الجنة والنار سوى الموت وان غاية ينقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجدير بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان لحري بسرعة الاوبة فرحم الله عبداً سمع حكمة فوعى ودعى الى الاخلاص أو الى خلاص نفسه فدنى واستقام على الطريقة فنجاواحب ربه وخاف ذنبه وقدم صالحاًوعمل خالصاً واكتسب مذخوراً واجتنب محذوراً رمى غرضاً واحرز عوضاً كابد هواه وكذب مناه وجعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة عند وفاته ركب الطريق الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزود من العمل .

وقال «ع» : في صفة الدنيا دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن سعى اليها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر اليها عمته .

وقال «ع» : من لم ينفعه اليسير لم ينفعه الكثير .

وقال «ع» : عليك بمداراة الناس وأكرام العلماء والصفح عن زلات الاخوان فقد ادبك سيد الأولين والآخرين بقوله ﷺ : أعف عمن ظلمك

وصل من قطعك ، واعط من حرمك .

وقال «ع» ، وقد مر على المقابر : السلام عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم خلف وإنا ان شاءالله تعالى بكم لاحقون اما المساكن فسكنت وأما الازواج فنكحت وأما الاموال فقسمت هذا خبر ما عندنا فليت شعرى ما خبر ما عندكم ثم قال أما انهم لو نطقوا لقالوا وجدنا التقوى خير زاد .

وقال كميل ابن زياد : سمع أمير المؤمنين «ع» منشداً ينشد أبيات لأسود ابن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق   تركوا منازلهم وبعد أياد

فقال : هلا قال (كم تركوا من جنات وعيون) الآية .

وقال «ع» : العجب ممن يدعو ويستبطىء الاجابة وقد سد طريقها بالمعاصى

وقال «ع» : فى صفة التائبين غرسوا أشجار ذنوبهم نصب عيونهم وقلوبهم وسقوها بمياه الندم فأثمرت لهم السلامة واعقبتهم الرضا والكرامة .

فصل

ومن كلامه عليه السلام فى صفة الصحابة والاولياء

قال القرشي بالاسناد المتقدم حدثنا على بن الجعد أنبأنا عمرو بن شمر عن السدى عن أبى اراكة قال : صليت مع على «ع» صلاة الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه ثم مكث كان عليه كآبة حتى اذا كانت الشمس على حائط المسجد قدر رمح أو رمحين قلب يده وقال لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون اليوم شعثاً غبراً صفراً بين اعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر فى يوم ريح عاصف وهملت عيونهم

حتى تبل ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين ، ثم نهض فما رأى مفتراً حتى ضربه اللعين ابن ملجم .

وقال أبو نعيم فى كتاب (الحلية) : وقد تقدم اسناده حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو يحيى الرازى حدثنا عباد عن ابن فضيل عن الحسن البصرى قال قال على «ع» طوبى لمن عرف الناس ولم يعرفه الناس أولئك مصابيح الدجى وأئمة الهدى بهم يكشف الله عن هذه الأمة كل فتنة أو مظلمة أولئك سيدخلهم الله فى رحمة منه وفضل ليسوا بالمذاييع البذر ولا الجفاة المرائين ، المذياع الذى لا يكتم السر .

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : قال أمير المؤمنين يوما وقد وصف المؤمن فقال حزنه فى قلبه وبشره فى وجهه أوسع الناس صدراً وأرفعهم قدراً يكره الرفعة ولا يحب السمعة طويل غمه بعيد همه كثير صمته مشغول بما ينفعه شكور صبور قلبه بذكر الله معمور سهل الخليقة لين العريكة .

وفى رواية : لسان المؤمن من وراء قلبه وقلب المنافق من وراء لسانه لأن المؤمن اذا أراد ان يتكلم بكلام تدبره فى نفسه فان كان خيراً أبداه وان كان شراً واراه ، والمنافق يتكلم بما جاء على لسانه لا يدرى ماذا له ولا ماذا عليه .

وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم ان يلقى الله وهو نقى اللسان من اعراض المسلمين نظيف اليد من أموالهم فليفعل .

وفى رواية مجاهد عن ابن عباس قال : سمعت أمير المؤمنين «ع» يقول أما بعد فان الله خلق الخلايق حين خلقهم وهو غنى عن طاعتهم لا يتضرر بمعصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا ينفعه طاعة من أطاعه واتقاه .

فالمتقون فى هـــذه الدار هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد وعيشهم التواضع غضوا أبصارهم عن المحارم ووقفوا اسماعهم على العلم

النافع ولولا الرجاء لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقاً الى جزيل الثواب وخوفاً من وبيل العقاب وعظم الخالق فى أنفسهم فصغر مادونه فى أعينهم فهم والجنة كمن قد رآها منعمون، وفى النار كمن رآها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة صبروا أياماً قصيرة فاعقبهم راحة طويلة، اما الليل فصافوا اقدامهم تالين أعز الكلام واحسن النظام يحبرونه تحبيراً ويرتلونه ترتيلا فاذا مروا بآية فيهاذكر تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم شوقاً وهلعاً واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها بمسامع قلوبهم ومثلوا زفير جهنم فى آذانهم فهم مفترشون جباههم وركبهم وأطراف أقدامهم يجأرون الى الله فى فكاك رقابهم، وأما النهار فعلماء حلماء بررة أتقياء قد براهم الخوف برى القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى ومابالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم لا يرضون باعمالهم بالقليل ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم يتهمون أو متهمون ومن أعمالهم مشفقون اذا زكى أحدهم خاف أشد الخوف يقول أنا أعلم بنفسى من غيرى، اللهم فلا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون واغفرلى ما لا يعلمون، ومن علامة أحدهم انك ترى له قوة فى دين وورعاً فى يقين وحزماً فى علم وعزماً فى حكم وقصداً فى غناء وخشوعاً فى عبادة وتحملا فى فاقة وصبراً فى شدة وطلباً للحلال وتحرجاً عن الطمع يعمل الأعمال الصالحة على وجل ويجتهد فى إصلاح ذات البين يمسى وهمته الشكر ويصبح وشغله الفكر الخير منه مأمول والشر منه مأمون يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل من قطعه وفى الزلازل صبور وفى المكارم وقور وفى الرضا شكور لا ينابز بالالقاب ولا يعرف العاب ولا يؤذى الجار ولا يشمت بالمصايب ولا يدخل فى الباطل ولا يخرج من الحق ان بغى عليه صبر ليكون الله سبحانه هو المنتقم له، نفسه منه فى عناء والناس منه فى راحة أتعب نفسه لآخرته وزهد فى الدنيا شوقاً الى مولاه.

فصل

ومن كلامه عليه السلام فى صفة الفقيه

قال أبو نعيم : حدثنا أبى حدثنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم بن الحكم عن يعقوب بن ابراهيم الدورقى عن شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن أبى اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن أمير المؤمنين قال ألا ان الفقيه كل الفقيه هو الذى لم يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذابه ولا يرخص لهم فى معصية ولا يدع القرآن رغبة فى غيره ولا خير فى عبادة لا علم فيها ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها .

فصل

وسأله رجل عن المروة ، فقال : اطعام الطعام وتعاهد الاخوان وكف الأذى عن الجيران ثم قرأ ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية .

فصل ومن وصاياه عليه السلام

أخبرنا : عبد الوهاب بن عبد الله المقرى ، أنبأنا محمد بن ناصر أنبأنا عبد القادر بن يوسف أنبأنا البرمكى أنبأنا اسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوى قال حدثنى جدى الحسن بن سفيان أنبأنا حرملة بن يحيى عن ابن وهب حدثنا سفيان عن السرى بن اسماعيل عن عامر الشعبى قال قال «ع» ياأيها الناس خذوا عنى هذه الكلمات فلو ركبتم المطي حتى تنضوها ما اصبتم مثلها لا يرجون

عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي اذا لم يعلم ان يتعلم ولا يستحي اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم ، واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له .

وفي رواية: أوحى الله الى نبي من الانبياء انه ليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا قرية يكونون لي على ما احب فيتحولون الى ما أكره الا تحولت لهم مما يحبون الى ما يكرهون وليس من أهل دار ولا قرية يكونون لي على ما أكره فيتحولون الى ما أحب إلا تحولت لهم مما يكرهون الى ما يحبون .

(ذكر وصيته عليه السلام لكميل بن زياد)

أخبرنا عبد الوهاب بن علي الصوفي ، أنبأنا علي بن محمد بن عمرو أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب أنبأنا احمد بن علي بن البادأنبأنا حبيب بن الحسن القزاز أنبأنا موسى بن اسحاق الانصاري حدثنا ضرار بن صرد حدثنا عاصم بن حميد حدثنا أبو حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن محمد عن كميل بن زياد قال: أخذ بيدي أمير المومنين علي «ع» فاخرجني الى ناحية الجبان فلما اصحرنا جلس فتنفس الصعداء ثم قال : يا كميل ابن زياد ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ ما أقول لك الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق ، يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال العلم يزكو على الانفاق والمال يزول ومحبة العلم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد مماته المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق العلم حاكم والمال محكوم عليه ياكميل مات خزان المال وهم أحياء ، العلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ثم قال آه ان هاهنا علما جما لو اصبت له حملة واشار بيده الى صدره ثم قال : اللهم بلى قد اصبت أمينا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين بالدنيا يستظهر بنعم الله على عباده ويحجبه على كتابه أو معاندا لأهل الحق

ينقدح الشك فى قلبه باول عارض من شبهة لاذا ولا ذاك بل منهوما باللذات سلس القياد للشهوات مغرى بجمع الاموال والادخار ليس من الدين فى شيء أقرب شبها بالبهائم السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى لن تخلو الارض من قائم لله بحجته لكيلا تبطل حجج الله على عباده أولئك هم الاقلون عدداً الاعلون عند الله قـــدراً بهم يحفظ الله دينه حتى يؤدونه الى نظرائهم ويزرعونه فى قلوب أشباههم .

وفى رواية : بهم يحفظ الله حججه هجم بهم العلم على حقيقة فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله فى ارضه ودعاته الى دينه آه ثم آه وا شوقاه الى رؤيتهم واستغفر الله لى ولك اذا شئت فقم .

﴿ وصيته لبنيه عليه السلام ﴾

وبه قال : حدثنا أبو حمزة الثمالى حدثنا ابراهيم بن سعيد عن الشعبى عن ضرار بن ضمرة قال أوصى أمير المؤمنين بنيه فقال : يا بنى عاشروا الناس بالمعروف معاشرة ان غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وأنشد :

يريد بذاكم ان يهشوا لطاعتى　　وان يكثروا بعدى الدعاء على قبرى
وان يمنحونى فى المجالس ودهم　　وان كنت عنهم غائبا احسنوا ذكرى

وقال ابن عباس: قال له رجل أوصنى فقال له لا تحـــدث نفسك بفقر ولا بطول عمر .

فصــل

ومن كلامه «ع» فى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبه قال الشعبى حدثنى من سمع عليا «ع» وقد سئل عن سبب اختلاف الناس فى الحديث فقال : الناس أربعة منافق مظهر للإيمان ومضيع للإسلام وقلبه يأبى الايمان لا يتأثم ولا يتحرج كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً فلو علم الناس حاله لما اخذوا عنه ولكنهم

قالوا صاحب رسول الله فاخذوا بقوله وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بما وصف ثم انهم عاشوا بعده فتقربوا الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس فاكلوا بهم الدنيا وانما الناس تبع الملوك إلا من عصمه الله عز وجل ، ورجل سمع رسول الله ﷺ يقول قولا أو رآه يفعل فعلا ثم غاب عنه ونسخ ذلك القول والفعل ولم يعلم فلو علم انه نسخ (١) ماحدث ثوابه ، ورجل سمع رسول الله ﷺ يقول قولا فوهم به فلو علم انه وهم فيه لما حدث عنه ولا عمل به ، ورجل لم يكذب ولم يغب حدث بما سمع وعمل به فاما الاول فلا اعتبار بروايته لا يحل الأخذ عنه واما الباقون فينزعون الى غاية ويرجعون الى نهاية ويستقون من قليب واحد وكلامهم اشرق بنور النبوة ضياؤه ومن الشجرة المباركة اقتبست ناره ، وهذه رواية الشعبي

وفى رواية كميل بن زياد عنه انه قال: ان فى أيدى الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله ﷺ فى عهده حتى قام خطيبا فقال من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار وانما يأتيك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس وذكرهم .

قلت : وقد روى عن رسول الله ﷺ هذا الحديث وهو قوله من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

مائة وعشرون من الصحابة ، ذكرتهم فى كتابى المترجم بحق اليقين واما طريق على «ع» فاخبرنا غير واحد عن عبد الاول الصوفى أنبأنا ابن المظفر الداودى أنبأنا ابن أعين السرخسي حدثنا الفربرى حدثنا البخارى حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة عن منصور عن ربعى بن خراش قال سمعت عليا «ع» يقول سمعت النبى ﷺ يقول من كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار أخرجاه

(١) ـ ولو علم الناس أنه نسخ لما نقلوا عنه .

فى الصحيحين وأخرجه احمد فى المسند والجماعة وقد اقتضى هذا الحديث ذكر مسانيده عليه السلام .

اسند عن رسول الله ﷺ الكثير والذى اخرج له احمد فى مسنده مأتى مأتى حديث وعشرة أحاديث وقال ابن مندة روى خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثا وأخرج له فى الصحيحين أربعة وأربعون حديثا اتفقا على عشرين وانفرد البخارى بتسعة عشر ومسلم بخمسة ، وفى رواة الحديث من اسمه على بن أبى طالب ثمانية وكلهم رواة الحديث وكانوا علماء احدهم على بن أبى طالب بصرى روى عن حماد بن سلمة وغيره . والثانى يعرف بالدهان روى عن العدوى . والثالث جرجانى روى عنه أبو سهل القطان . والرابع استرابادى اخرج عنه أبو بكر الاسماعيلى . والخامس تنوخى روى عنه أبو بكر بن مجاهد . والسادس بكر اباذى ـ وهى محلة من بلد جرجان ـ روى عن أبى احمد بن عدى الحافظ وغيره . والسابع روى عن أبى على بن شاذان وهو آخر من روى عن ابن عرفة . والثامن قاضى القضاة الزينبى ببغداد روى عن أبيه وعمه طراد الزينبى وابن السلاف وابن النظر وغيرهم .

فصل فى قول عمر بن الخطاب

أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن ، وما ورد فى هذا المعنى

قال احمد فى (الفضائل) حدثنا عبد الله القواريرى حدثنا مؤمل عن يحيى ابن سعيد عن أبى المسيب قال كان عمر بن الخطاب يقول أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن .

قال ابن المسيب : ولهذا القول سبب وهو ان ملك الروم كتب الى عمر

يسأله عن مسائل فعرضها على الصحابة فلم يجد عندهم جوابا فعرضها على أمير المؤمنين فاجاب عنها فى أسرع وقت باحسن جواب .

﴿ ذكر المسائل ﴾

قال ابن المسيب : كتب ملك الروم الى عمر (رض) من قيصر ملك بنى الاصفر الى عمر خليفة المسلمين أما بعد فانى مسائلك عن مسائل فاخبرنى عنها ما شيء لم يخلقه الله ؟ وماشيء لا يعلمه الله ؟ وماشيء ليس عند الله ؟ وما شيء كله فم ؟ وما شيء كله رجل ؟ وما شيء كله عين ؟ وما شيء كله جناح ؟ وعن رجل لا عشيرة له ؟ وعن أربعة لم تحمل بهم رحم ؟ وعن شيء يتنفس وليس فيه روح وعن صوت الناقوس ماذا يقول ؟ وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ؟ وعن شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ما مثلها فى الدنيا ؟ وعن مكان لم تطلع فيه الشمس الامرة واحدة ؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء ؟ وعن أهل الجنة فانهم يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ما مثلهم فى الدنيا ؟ وعن موائد الجنة فان عليها القصاع فى كل قصعة الوان لا يختلط بعضها ببعض ما مثلها فى الدنيا ، وعن جارية تخرج من تفاحة فى الجنة ولا ينقص منها شيء ؟ وعن جارية تكون فى الدنيا لرجلين وهى فى الاخرة لواحد ؟ وعن مفاتيح الجنة ما هى ؟ .

فقرأ على عليه السلام الكتاب وكتب فى الحال خلفه : (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فقد وقفت على كتابك أيها الملك وأنا اجيبك بعون الله وقوته وبركته وبركة نبينا محمد صلى الله عليه وآله أما الشيء الذى لم يخلقه الله تعالى فالقرآن لأنه كلامه وصفته وكذا كتب الله المنزلة والحق سبحانه قديم وكذا صفاته . وأما الذى لا يعلمه الله فقولكم له ولد وصاحبة وشريك ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله لم يلد ولم يولد . وأما الذى ليس عند الله فالظلم وما ربك بظلام للعبيد . وأما الذى كله فم فالنار تأكل ما يلقى فيها وأما الذى كله رجل فالماء . وأما الذى كله عين فالشمس . وأما الذى كله جناح فالريح . وأما الذى لا عشيرة له

فآدم ﷺ . وأما الذى لم يحمل بهم رحم فعصى موسى وكبش ابراهيم وآدم وحواء وأما الذى يتنفس من غير روح فالصبح لقوله تعالى (والصبح اذا تنفس) وأما الناقوس فانه يقول : طقاً طقاً حقاً حقاً مهلا مهلا عدلا عدلا صدقاً صدقاً ان الدنيا قد غرتنا واستهوتنا ، تمضى الدنيا قرناً قرناً ، ما من يوم يمضى عنا ، إلا أوهى منا ركناً ، ان الموتى قد أخبرنا انا نرحل فاستوطنا . وأما الطاعن فطور سيناء لما عصت بنوا اسرائيل وكان بينه وبين الارض المقدسة أيام فقلع الله منه قطعة وجعل لها جناحين من نور فنتقه عليهم فذلك قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم وقال لبنى اسرائيل ان لم تؤمنوا وإلا أوقعته عليكم فلما تابوا رده الى مكانه . وأما المكان الذى لم تطلع عليه الشمس إلا مرة واحدة فارض البحر لما فلقه الله لموسى ﷺ وقام الماء أمثال الجبال ويبست الارض بطلوع الشمس عليها ثم عاد ماء البحر الى مكانه وأما الشجرة التى يسير الراكب فى ظلها مائة عام فشجرة طوبى وهى سدرة المنتهى فى السماء السابعة اليها ينتهى أعمال بنى آدم وهى من أشجار الجنة ليس فى الجنة قصر ولا بيت إلا وفيه غصن من أغصانها ومثلها فى الدنيا الشمس أصلها واحد وضوئها فى كل مكان . وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة يونس وكان ذلك معجزة له لقوله تعالى (وانبتنا عليه شجرة من يقين) . وأما غذاء أهل الجنة فمثلهم فى الدنيا الجنين فى بطن أمه فانه يغتذى من سرتها ولا يبول ولا يتغوط . وأما الالوان فى القصعة الواحدة فمثله فى الدنيا البيضة فيها لونان أبيض واصفر ولا يختلطان . وأما الجارية التى تخرج من التفاحة فمثلها فى الدنيا الدودة تخرج من التفاحة ولا تتغير وأما الجارية التى تكون بين اثنين فالنخلة التى تكون فى الدنيا لمؤمن مثلى ولكافر مثلك وهى لى فى الآخرة دونك لانها فى الجنة وأنت لا تدخلها . وأما مفاتيح الجنة فلا إله إلا الله محمد رسول الله .

قال ابن المسيب : فلما قرأ قيصر الكتاب قال ما خرج هذا الكلام إلا من

بيت النبوة ثم سأل عن المجيب فقيل له هذا جواب ابن عم محمد ﷺ فكتب اليه سلام عليك أما بعد فقد وقفت على جوابك وعلمت انك من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وأنت موصوف بالشجاعة والعلم واوثران تكشف لى عن مذهبكم والروح التى ذكرها الله فى كتابكم فى قوله (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) فكتب اليه أمير المؤمنين أما بعد فالروح نكتة لطيفة ولمعة شريفة من صنعة باريها وقدرة منشئها ، أخرجها من خزائن ملكه وأسكنها فى ملكه فهى عندك سبب وله عندك وديعة فاذا اخذت مالك عنده اخذ ماله عندك والسلام .

ومن هاهنا اخذ ابن سينا فقال :

هبطت اليك من المحل الأرفع   ورقاء ذات تعزز وترفع

الأبيات (١) .

وقال احمد فى (الفضائل) والمسند أيضاً : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطا بن السايب عن أبى ظبيان ان عمر (رض) أتى بامرأة قد زنت فامر برجمها فذهبوا ليرجموها فرآهم على ﷺ فى الطريق فقال ماشان هذه فاخبروه فخلى سبيلها ثم جاء الى عمر فقال له لم رددتها فقال لأنها معتوهة آل فلان وقد قال رسول الله ﷺ رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ والصبى حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق فقال عمر لولا على لهلك عمر .

وفى رواية: أتى عمر بامرأة نكحت فى عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها فى بيت المال وقال لا يجتمعان ابداً فبلغ علياً ﷺ فقال لها عليه المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما فاذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب فبلغ عمر (رض) فقال لولا على لهلك عمر .

---

(١) أنفت فما ألفت فلما آنست   كرهت مفارقة الديار البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى   ومنازلا بفراقها لم تقنع
تبكى اذا ذكرت عهوداً بالحمى   بمدامع تهمل ولم تتقطع

وفى رواية أتى عمر بامرأة وضعت لستة أشهر فأمر برجمها فقال على عليه السلام ليس عليها رجم لأن الله تعالى يقول والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فخلى عنها وقال اللهم لا تبقنى لمعضلة ليس لها ابن أبى طالب .

وفى رواية : ان رجلين من قريش أودعا امرأة مائة دينار وقالا لها لا تدفعيها الى أحدنا حتى يحضر الآخر وغابا مدة ثم جاء أحدهما فقال ان صاحبى قد هلك وأريد المال فدفعته اليه ثم جاء الآخر فطلبه فقالت أخذه صاحبك فقال ما كان الشرط كذا فارتفعا الى عمر فقال للرجل ا لك بينة قال هى فقال عمر ما أراك إلا ضامنة فقالت انشدك الله أرفعنا الى على بن أبى طالب فرفعهما اليه فقصت المرأة القصة عليه فقال للرجل الست القائل لا تسلميها الى أحدنا دون صاحبه فقال بلى فقال مالك عندنا احضر صاحبك وخذ المال فانقطع الرجل وكان محتالا فبلغ ذلك عمر فقال لا أبقانى الله بعد ابن أبى طالب ؛ وفى هـذا المعنى يقول الصاحب ابن عباد :

هل مثل قولك إذ قالوا مجاهرة   لولا علىٌّ هلكنا فى فتاوينا

وهذا البيت من قصيدة طويلة أولها :

حب النبي وأهل البيت معتمدى   إذ الخطوب اساءت رأيها فينا
أيا ابن عم رسول الله أفضل من   ساد الانام وساس الهاشميينا
يا ندرة الدين يافرد الزمان اصخ   لمدح مولى يرى تفضيلكم دينا
هل مثل سبقك فى الإسلام لو عرفوا   وهذه الخصلة الغراء تكفينا
هل مثل علمك ان زلوا وان وهنوا   وقـد هديت كما أصبحت تهدينا
هل مثل جمعك للقرآن تعرفه   لفظاً ومعنى وتأويلا وتبيينا
هل مثل صبرك إذ خانوا وإذ فشلوا   حتى جرى ما جرى فى يوم صفينا
هل مثل بذلك للعانى الأسير و   للطفل الصغير وقد أعطيت مسكينا

يا رب سهل زياراتي مشاهدهم فان روحي تهوى ذلك الطينا
يا رب صير حياتي في محبتهم وحشري معهم آمين آمينا

{ قصة دار شريح القاضي }

حكى الشعبي قال : اشترى شريح داراً بثمانين ديناراً فبلغ ذلك علياً عليه السلام فاستدعاه فقال له يا بن الحارث بلغني انك اشتريت داراً بكذا وكذا واشهدت على نفسك شهوداً وكتبت كتاباً فقال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فنظر اليه نظر المغضب ثم قال يا شريح أنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك الى قرارك خالصاً فاحذر أن تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت الثمن من غير حلالك فاذن خسرت الدنيا والآخرة أما انك لو أتيتني عند شرائك اياها لكتبت لك كتاباً فلم ترغب في شرائها ولا بدرهم فقال وما كنت تكتب يا أمير المؤمنين فقال كنت أكتب : (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت ازعج بالرحيل اشترى منه داراً من دور الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين ويجمع هذه الدار حدود أربعة فالحد الأول ينتهي الى دواعي الآفات . والحد الثاني الى نوادب المصيبات . والثالث الى الهوى المردي . والرابع الى الشيطان الموذي وفيه يشرع بابها وتجتمع اسبابها اشترى هذا المغرور بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في الطلب والضراعة فما ادرك المشترى من درك فعلى مبلبل اجسام الملوك والأكاسرة وسالب نفوس الفراعنة والجبابرة مثل كسرى وقيصر وتبع وملوك حمير ومن جمع المال الى المال فاكثر ومن بنا وشيد وزخرف وادخر ونظر بزعمه للولد ووعد وأوعد اشخصوا والله جميعاً الى موقف العرض والحساب ، والثواب ، والعقاب ، وسيقع الأمر بفصل القضاء ويقتص للجماء من القرناء وخسر هنالك المبطلون وقضى بينهم بالحق وهم

لا يظلمون شهد على ذلك التوانى ابن الفاقة والغرور ابن الأمل والحرص ابن الرغبة واللهو ابن اللعب ومن اخلد الى محل الثوى ومال الى الدنيا ورغب عن الآخرى .

فصل

فى ذكر قصة جرت له عليه السلام

مع عبد الله بن عباس (رض)

أخبرنا أبو الحسن بن النجار المقرى قال: أنبأنا محمد بن أبى منصور أنبأنا احمد بن على بن سوار أنبأنا احمد بن عبد الواحد بن محمد الحريرى أنبأنا احمد ابن محمد الجندى أنبأنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمى حدثنا ابراهيم بن سعد الجوهرى حدثنا المأمون عبد الله بن هارون عن أبيه هارون عن أبيه محمد المهدى عن أبيه أبى جعفر المنصور عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن عبد الله بن عباس قال ما انتفعت بكلام احد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعى بكلام كتب به أمير المؤمنين كتب إلىّ سلام عليك أما بعد: فان المرء يسوءه فوت مالم يكن ليدركه ويسره درك مالم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن اسفك على ما فاتك منها ومافاتك من الدنيا فلا تأسفن عليه وليكن همك فيما بعد الموت والسلام .

وقد روى السدى هذا عن أشياخه وقال : عقيبه كان الشيطان قد نزغ بين ابن عباس وبين على عليه السلام مدة ثم عاد الى موالاته .

قال: وسببه ان أمير المؤمنين ولى ابن عباس البصرة فمر بأبى الأسود الدئلى فقال له لو كنت من البهائم كنت جملا ولو كنت راعياً ما بلغت به المرعى فكتب أبو الاسود الى على عليه السلام ، أما بعد: فان الله جعلك والياً مؤتمناً وقد

بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحاً للرعية لا تأكل أموالهم ولا ترتشى فى الحكم وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك فلم يسعنى كتمانك ذلك فانظر رحمك الله فى ذلك .

فكتب أمير المؤمنين الى أبي الأسود أما بعد : فمثلك من نصح الامام والامة فلاتدع اعلامى بما يكون بحضرتك مما فيه صلاح للأمة فانت بذلك جدير ثم كتب الى ابن عباس أما بعد فاعلمنى ما اخذت من الخراج والجزية وفى أى شيء وضعته .

فكتب اليه ابن عباس : ابعث الى عملك من أحببت فانى ظاعن والسلام .

ثم دعا ابن عباس اخواله من بنى هلال ابن عامر ، فجاء الضحاك بن عبيدالله وعبد الله بن زريق فى جماعة واستدعى قيساً فجاء فاخذ ما كان فى بيت المال من الأموال ولحق بالطف فعارضه على عليه السلام بالخيل ففاته الى مكة وكان الذى عارضه بكر وجماعة من البطون فاقتتلوا قتالا كثيراً وجرح من الفريقين جماعة ثم أفلت ابن عباس فى عشرين من أخواله الى الحجاز فنزل مكة .

قال هشام : كان الذى أخذه من بيت المال أربعمائة الف درهم وقيل سبعمائة الف ولما مضى الى مكة كتب اليه أمير المؤمنين سلام عليك أما بعد فانى اشركتك فى امانتى ولم يكن أحد من أهل بيتى اوثق فى نفسى منك لمؤازرتى واداء الامانة الى فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد حرب والعدو قد كلب وامانة الناس قد خربت والأمة قد افتتنت قلبت لابن عمك ظهر المجن بمفارقته مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفت ماقدرت عليه من مال الأمة اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى اما توقن بالمعاد ولا تخاف رب العباد اما يكبر عليك انك تأكل الحرام وتنكح الحرام وتشترى الاماء باموال الارامل والايتام اردد الى المسلمين أموالهم ووالله لئن لم تفعل لاعذرن الله فيك فان الحسن والحسين لو فعلا مافعلت لما كان لهما عندى هوادة والسلام .

فكتب اليه ابن عباس: حق فى بيت المال اكثر مما اخذت منه ، فكتب اليه على عليه السلام العجب العجب من تزيين نفسك لك انك أخذت أقل مما لك وهل أنت إلا رجل من المسلمين وقد علمت بسوابق أهل بدر وما كانوا يأخذون غير مافرض لهم وكفى بك انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشترى من مولدات الطايف ومكة والمدينة ماتقع عليه عينك وتميل اليه نفسك تعطى فيهن مال غيرك وانى اقسم بالله ما أحب ان ما أخذت من أموالهم حلالا ادعه بعدى ميراثا فكان قد بلغت المدى وعرضت عليك اعمالك غداً بالمحل الأعلى الذى يتمنى فيه المضيع للتوبة الخلاص ولات حين مناص .

فكتب اليه ابن عباس : لان القى الله بكل ما على ظهر الارض وبطنها أحب إلى من ان القاه بدم امرىء مسلم .

فكتب اليه على عليه السلام : ان الدماء التى اشرت اليها قد خضتها الى ساقيك وبذلت فى اراقتها جهدك ووضعت بأباحتها حظك وتقشعت عنها فتياك واذ لم تستحى فافعل ماشئت قال أبو اراكة ثم ندم (١) ابن عباس واعتذر الى على عليه السلام وقبل أمير المؤمنين عذره وقيل انه عاد الى الكوفة والصحيح انه لم يزل مقيماً بمكة حتى استشهد على عليه السلام فى هذه السنة ولما قتل الحسين عليه السلام لم يزل ابن عباس يبكى عليه حتى ذهب بصره .

قال عكرمة : وسمع أقواماً يتناولون علياً عليه السلام فقال : ويحكم أتذكرون رجلا كان يسمع وطأ جبريل عليه السلام فوق بيته ولقد عاتب الله أصحاب رسوله فى القرآن ولم يذكره إلا بخير .

---

(١) - وفى نسخة: ثم ندم ابن عباس وعاد الى مولاه أمير المؤمنين عليه السلام وجاء من مكة معتذراً اليه واخبره انه فرق الاموال فى أهلها ، والصحيح ان ابن عباس أقام بمكة حتى قتل أمير المؤمنين عليه السلام .

فصل من كلامه في المحن

روى أبو أراكة قال: سمعت علياً «ع» يقول ان للمحن غايات تنتهي اليها فسبيل العاقل أن يقف عندها حتى ينقضي وقتها فان أعمال الحيلة في تقضيها زيادة فيها (١) وقال علي «ع» وقد سمع رجل يذم الدنيا أيها الذام للدنيا وهو مغتر بغرورها ياليت شعري متى استهوتك أم متى غرتك أم بمصارع ابائك في البلى أم بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم علت بكفيك وكم مرضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الدواء الاطباء لم ينتفع أحد منهم باشفاقك ولم يغن عنه اجتهادك ولم تدفع عنه بقوتك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكته ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وحصلوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد أذنت ببنيها ونادت بفرقتها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلاياها الشرور وسوقهم الى دار السرور وذكرتهم بنعيمها طيب الحبور ذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون ذكرتهم أهوال يوم القيامة وخوفتهم الطامة .

فصل ومن كلامه ﷺ في القرآن

روى عكرمة عن ابن عباس قال سمعت أمير المؤمنين وقد سأله رجل عن القرآن فقال كتاب الله عليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين والصراط المستقيم والشفاء النافع والرىء الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق

(١) - وفي نسخة : قال الحسن «ع» سمع أبي رجلا .

لا يعوج فيقوّم ولا يزيغ فيستعتب ولا يخلق على كثرة الرد أو الترداد من قال به صدق ومن عمل به لحق .

فصل ومن كلامه عليه السلام

فيما رواه السدى عنه ، قيمة كل امرىء ما يحسنه . ومن هاهنا أخذ القائل :

قال على ابن أبى طالب　　وهو اللبيب العالم المتقن
كل امرىء قيمته عندنا　　وعند أهل الفضل مايحسن

فصل وقد سمع طائفة من أصحابه يذمون

أهل الشام أيام صفين

إنى أكره لكم أن تكونوا سابين ؛ ولكنكم لو ذكرتم حالهم كان أصوب فى القول وأبلغ فى العذر ولو قلتم اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوى عن اللغو من لهج به

وقد ذكر أحمد فى المسند طرفا من هذا فقال : حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند على « ع » وهو بالعراق فقيل له ألا تلعنهم ؛ وفى رواية تلعنوهم فقال لا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

فصل ومن كلامه عليه السلام فى التحذير من الظلم

ما رواه مجاهد عن ابن عباس قال : سمعت أمير المؤمنين يقول يوماً والله (١) لان أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجرّ فى الأغلال مصفداً أحب الى من أن القى الله تعالى ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشىء من حطام الدنيا

(١) - فى نهج البلاغة : هكذا روى هذه الخطبة ، والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً ، وأجر فى الاغلال مصفداً ، أحب الى من القى الله تعالى ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشىء من الحطام وكيف أظلم احداً لنفس تسرع الى البلى نفولها ويطول فى الثرى حلولها . والله لقد رأيت عقيلا وقد املق حتى استماحنى من بركم صاعاً . ورأيت صبيانه شعث الالوان من فقرهم كأنما وجوههم بالعظلم فعاودنى مكرراً وكررنى مؤكداً فأصغيت له سمعى فظن أنه ابيعه دينى واتبع قياده مفارقاً طريقتى فأحميت له حديدة ، ثم أدنيتها من جسمه فضج ضجيج ذى دنف من المها وكان يحترق من ميسمها . فقلت ثكلتك الثواكل ياعقيل أتأن من حديدة أحماها انسانها للعبه وتجرنى الى نار سجرها جبارها لغضبه يا عقيل أتأن من الاذى ولا أئن من لظى . واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة فى وعائها ومعجونة شنئتها كانما عجنت بريق حية أو قيئها فقلت له وماهذه ؟ أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك كله علينا محرمة . فقال لا ذاك ولا ذاك وانما هى هدية . فقلت له : هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتنى لتخدعنى امختبط أم ذو جنة أم تهجر فوالله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على ان أعصى الله تعالى فى نملة اسلبها جلب شعرة ما فعلته وان دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها ما لعلى ونعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين .

وكيف اظلم أحداً والنفس تسرع الى البلى قفولها ويطول فى الثرى حلولها والله لواعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على ان أعصى الله فى نملة اسلبها شعيرة ما فعلته وان دنياكم عندى لاهون من ورقة فى فم جرادة .

فصل ومن كلامه لما اُخرج أبو ذر إلى الربذة

روى الشعبي عن أبي أراكة قال: لما نفى أبو ذر الى الربذة كتب اليه على ﷺ أما بعد يا أباذر فانك غضبت لله تعالى فارج من غضبت له ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك لهم ما خافوك عليه واهرب منهم لما خفتهم عليه فما احوجهم الى ما منعتهم وما اغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غداً فلو أن السموات والأرض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً لايوانسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل ولو قبلت دنياهم لاحبوك ولو قرضت منها لامنوك .

فصل ومن كلامه ﷺ فى القدر

روى الشعبي عن ضرار بن ضمرة قال : قال على «ع» الرضا بالمقدور أمتثال المامور قال وقال ﷺ ما قال الناس لشيء طوبى له الا وقد خبا له القدر أو الدهر يوم سوء .

وروى الوالبي؛ عن ابن عباس قال : جاء رجل الى أمير المؤمنين فسأله عن القدر فقال اخبرنى عن القدر ماهو ؟ قال طريق مظلم فلا تسلكوه فقال اخبرنى عن القدر فقال سر الله فلا تفشه . فقال اخبرنى عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه . ثم قال أيها السائل خلقك الله كما تشاء أو كما يشاء فقال كما يشاء فقال

ايمبتك كما تشاء أو كما يشاء فقال على ما يشاء فقال الك مشية فوق مشية الله أم لك مشية مع مشية الله أولك مشية دون مشية الله فان قلت لك مشية فوق مشية الله فقد ادعيت الغلبة لله تعالى وان قلت لك مشية مع مشية الله فقد ادعيت الشركة وان قلت مشيتي دون مشيته فقد اكتفيت بمشيتك دون مشية الله . ثم قال له قل لا حول ولا قوة إلا بالله فقالها ، ثم قال يا أمير المؤمنين علمنى تفسيرها فقال لاحول عن معصية الله الا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته اعقلت عن الله قال نعم فقال لأصحابه الآن اسلم أخوكم قوموا اليه فصافحوه .

فصل ومن كلامه فى التوحيد

روى عطية العوفى عن ابن عباس قال سأل رجل أمير المؤمنين فقال له: هل رأيت ربك فقال أنا اعبد من لا أرى ، وفى رواية ما كنت لأعبد رباً لم أره فقال وكيف رأيته أوكيف تراه فقال لاتدركه العيون بمشاهدة العيان وانما تدركه القلوب بحقائق الإيمان قريب من الاشياء غير ملابس بعيد منها غير مباين متكلم بغير روية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالجفاء كبير لا ينعت بالجفاء بصير لا بحاسة رحيم لا برأفة أو برقة تعنوا الوجوه لعظمته وتوجل القلوب من مخافته .

فصل ومن كتاب كتبه الى بعض امراء جيشه

فى قوم كانوا قد شردوا عن الطاعة وفارقوا الجماعة

رواه الشعبي عن ابن عباس، سلام عليك أما بعد! فان عادت هذه الشرذمة الى الطاعة فذلك الذي أوثره وان تمادى بهم العصيان الى الشقاق فانهد بمن

أطاعك الى من عصاك واستعن بمن انقاد معك على من تقاعس عنك فان المتكاره مغيبه خير من حضوره وعدمه خير من وجوده وقعوده اغنى من نهوضه .

فصل ومن كلامه عليه‌السلام فى النجوم

روى عكرمة عن ابن عباس والشعبي عن أبى أراكة قال : لما أنصرف أمير المؤمنين من الأنبار أو من الكوفة لقتال الخوارج بالنهروان كان معه مسافر بن عوف بن الأحمر وكان ينظر فى النجوم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسر فى هذه الساعة وسر فى ثلاث ساعات من النهار قال ولم قال لانك ان سرت الساعة اصابك ومن معك بلاء وشدة وان سرت فى الساعة الثالثة ظفرت فقال الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون قال الله تعالى لنبيه صلى‌الله‌عليه‌وآله قل لا املك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء وسمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول من صدق منجماً أوكاهناً فكأنما كذب بما أنزل على محمد . وفى رواية فقد كفر وسمعته يقول انما أخاف على امتى أثنين التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر ثم قال ما كان لمحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله منجم ولا للخلفاء بعده ثم قال له هل تعلم ما فى بطن فرسى هذه فقال ان حسبت علمت فقال من صدقك بهذا القول كذب بالقرآن قال الله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية وما كان محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله يدعى ما ادعيت علمه فمن صدقك فى قولك كان كمن اتخذ من دون الله انداداً اللهم لا طائر إلا طائرك ولا خير إلا من عندك ولا إله غيرك ثم قال يابن الأحمر نكذبك ونخالفك ونسير فى الساعة التى نهيت عنها ثم أقبل على الناس وقال اياكم وتعلم النجوم إلا ماتهتدون به فى ظلمات البر والبحر ، المنجم كافر والكافر فى النار ، يابن الأحمر والله لئن بلغنى انك بعدها تنظر فى النجوم

وتعمل فيها لأجلدنك جلد المفترى ولأخلدنك فى الحبس ما بقيت وبقيت ولأحرمنك العطاء ما عشت وكان لى سلطان .

ثم سار أمير المؤمنين فى الساعة التى نهاه عن السير فيها فظفر بالخوارج وأبادهم ثم قال فتحنا بلاد كسرى وقيصر وتبع وحمير وجميع البلدان بغير قول منجم .

أيها الناس توكلوا على الله واتقوه واعتمدوا عليه ألا تروا انه لو سرنا فى الساعة التى أشار اليها المنجم لقال الناس انما ظفرنا بقول المنجم فثقوا بالله واعلموا ان هذه النجوم مصابيح جعلت زينة ورجوماً للشياطين ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر .

والمنجمون أضداد الرسل يكذبون بما جاؤا به من عند الله لا يرجعون الى قرآن ولا شرع ، انما يتسترون بالإسلام ظاهراً ويستهزؤن بالنبيين باطناً فهم الذين قال الله فيهم وما يؤمنون أكثرهم بالله وهم مشركون .

وفى رواية ان ابن احمر قال له يا أمير المؤمنين لا تسر فى هذه الساعة قال ولم قال لان القمر فى العقرب فقال قرنا أو قرهم وهذا من احسن الأجوبة .

فصل

ومن كلامه عليه السلام : فى قضاء الحوائج

روى الحسن البصرى قال قال على «ع» لجرير بن عبد الله البجلى ياجرير مامن عبد أنعم الله عليه بنعمة إلا كثرت حوائج الناس اليه فمن قام فيهما بما يجب الله تعالى عرض نعمته للبقاء ومن قصر فيما يجب الله فقد عرض نعمته للزوال .

فصل

ومن كلامه عليه السلام فى بر الوالدين

روى الكميل بن زياد قال: كان أمير المؤمنين يحرض على بر الوالدين ويقول يا بنى عليكم ببرهما فان فى دعائهما الانجبار والبوار .

قلت : وقد أخبرنا مشايخنا بطرف من هذا قرأت على شيخنا عبد الله بن احمد المقدسى بقاسيون ظاهر دمشق من كتابه المسمى (بالتوابين) وذلك فى شهر ربيع الاول سنة أربع وستمائة قال أخبرنا أبو الحسين احمد بن حمزة السلمى أخبرنا أبو على الحسن بن احمد المقرى أنبأنا أبو نعيم الحافظ أنبأنا محمد بن حميد حدثنا عبد الله بن سعيد الرقى حدثنا يزيد بن محمد بن سنان عن أبيه عن جده قال حدثنى الحسن بن على «ع» قال بينا أنا ذات ليلة أطوف بالبيت مع أبى «ع» وقد هدأت الأصوات ونامت العيون إذ سمع هاتفاً يهتف بصوت شجى ويقول :

يامن يجيب دعا المضطر فى الظلم　　يا كاشف الضر والبلوى مع الألم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا　　يدعوا وعينك يا قيوم لم تنم
هب لى بجودك فضل العفو عن جرمى　　يا من اليه أتى الحجاج فى الحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف　　فمن يجود على العاصين بالكرم

قال : الحسن فقال يابنى اماتسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه الحقه فأتنى به قال فلحقته وقلت أجب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال سمعاً وطاعة ، ثم جاء فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ما اسمك ؟ قال منازل بن لاحق ، قال من العرب أنت؟ قال نعم قال وما شأنك وما قصتك؟ فبكى وقال : ماقصة من اسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه ، قال اشرح حالك . قال كنت شاباً مقيماً على اللهو واللعب والطرب وكان لى والد يعظنى كثيراً ويقول يابنى احذر هفوات الشباب وعثراته

فانقه سطوات ونقمات ماهى من الظالمين ببعيد فكان كلما الح علىّ بالمواعظة ألححت عليه بالضرب فالح على يوماً فأوجعته ضربا لحلف ليأتين البيت الحـــرام فيتعلق بأستار الكعبة ، ويدعو على فخرج الى مكة وتعلق بأستار الكعبة ودعا علىّ وقال :

يا من اليه أتى الحجاج قد قطعوا	أرض التهامة من قرب ومن بعد
انى أتيتك يا من لا يخيّب من	يدعوه مبتهلا بالواحد الصمد
هذا منازل لا يرتد عن عقق	فخذ بحق يا رحمان من ولدى
وشل منه بحول منك جانبه	يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال: والله ما استتم كلامه حتى نزل بى ما ترى ثم كشف عن شقه الأيمن فاذا هو يابس ، قال فلم ازل أرضاه واخضع له واسأله العفو عنى الى ان رق لى ووعدنى أن يأتى المكان الذى دعا علىّ فيه فيدعو لى هناك قال فحملته على ناقة عشراء وخرجت أقفوا أثره حتى اذا صرنا فى وادى الأراك طار طائر من شجرة فنفرت الناقة فرمت به بين أحجار فرضخت رأسه فمات فدفنته هناك وأقبلت آيساً وأعظم ما القاه انى لا أعرف إلا بالمأخوذ بعقوق والده .

قال الحسن : فقال له أبى إبشر فقد أتاك الغوث ، ثم صلى ركعتين وأمره فكشف عن شقه فدعا له مرات يردد الأدعية ويمسح بيده على شقه فعاد صحيحاً كما كان فكاد عقل الرجل ان يذهب فقال له أبى لولا انه سبق وعد أبيك بالدعاء لك لما دعوت لك ، ثم قال : يا بنى احذروا دعاء الوالدين فان فى دعائهما النماء والانجبار والاستيصال والبوار .

فصـــل

ومن كلامه عليه السلام فى قوس قزح

روى السدى عن أشياخه قال نظر يوماً أمير المؤمنين الى السماء فرأى قوس قزح فقال ماتقولون؟ فقالوا نقول انه قوس قزح فقال: لا تقولوا هكذا ولكن قولوا قوس الله وامان من الغرق .

قلت والعامة تقول قوس قدح بالذال المعجمة وهو غلط فاحش وانما سمى قوس قزح لأن الجبل الذى ياخذ منه الناس الجمار بالمزدلفة يقال له قزح نسب اليه لأنه أول ما رؤى فى الجاهلية عليه .

فصـــل

فى مناظرته لليهودى

روى الشعبى وابن المسيب قالا : جاء حبر من أحبار اليهود إلى على «ع» فناظره فقطعه فقال له أنتم ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال له «ع» كذبت ويلك نحن ما اختلفنا فيه وانما اختلفنا عنه وانما أنتم ما جفت أرجلكم من ماء البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا إلهاً فأسلم اليهودى .

فصـــل

فى حديث المرأة التى كانت لها فرجان

روى الحسن البصرى قال: تقدمت امرأة الى شريح القاضى فقالت اخلنى فاخلاها فقالت أنا امرأة ولى فرج واحليل فقال من أين يخرج البول سابقاً ؟ فقالت منهما جميعاً فقال لقد أخبرت بعجب فقالت وأعجب منه انه تزوجنى ابن عمى

واخذ منى خادماً فوطئتها فاولدتها فدهش شريح وقام فدخل على على «ع» فاخبره فاستدعى زوجها فسأله فاعترف فقال لامرأتين ادخلاها البيت وعدا أضلاعها ففعلتا فقال كم اضلاعها ؟ فقالتا وجدنا فى الجانب الأيمن ثمانية عشر ضلعاً وفى الايسر سبعة عشر فأمر بأخذ شعرها واعطاها حذاء وألحقها بالرجال فقيل له فى ذلك فقال اخذت هذا من قصة حواء فان اضلاعها كانت سبعة عشر من كل جانب واضلاع الرجل تزيد عليها بضلع فلهذا الحقتها بالرجال (١) .

فصل

فقد ذكرنا ماوقع عليه اجتهادنا من اللؤلؤ المنثور فى فنون العلوم فنذكر ما وصل الينا من الدر المنظوم فنقول: أخبرنا بما نسب الى أمير المؤمنين ﷺ من الشعر جماعة منهم ابراهيم بن محمد العلوى وأبو القاسم الخطيب الموصلى وعمر بن صافى وغيرهم باسنادهم الى مشايخهم وذلك فى فنون من ابكار الفضائل والعيون فمن ذلك قوله لما بارز الوليد بن عتبة يوم بدر وقتله :

الم تر ان الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل
بما انزل الكفار دار مذلة فذاقوا هوانا من اسار ومن قتل
وامسى رسول الله قد عز نصره وكان رسول الله ارسل بالعدل
فجاء ببرهان من الله نير مبينة آياته لذوى العقل
فآمن أقوام بذاك وايقنوا فامسوا بحمد الله مجتمع الشمل
وانكر اقوام فزالت عقولهم وزادهم الرحمان خبلا على خبل
وامكن منهم يوم بدر رسوله وقوماً غضابى فعلهم احسن الفعل
بايديهم بيض خفاف جفونها وقد زينوها بالجلاء وبالصقل

(١) ـ وفى نسخة : فقال له شريح من اين أتى لك هذا ؟ فقال أستنبطته من قصة آدم وحواء فأن آدم كان له من ناحية ثمانية عشر ضلعاً فخلقت حوا من ضلعه الايسر . فأضلاع الرجل تزيد على أضلاع المرأة بضلع فلذا الحقتها بالرجال.

فكم جدلوا من دائص ذى حمية ... صريعاً ومن شيخ كبير ومن كهل
تبيت عيون النائحات عليهم ... تجود باسباب الرشاش وبالوبل
نوايح تنعى عتبة الغى وابنه ... وشيبة تنعاه وتبكى أبا جهل
وتنعى ابن جدعان وذا الرجل بعده ... مسبلة حرى مبينة الثكل
ترى منهم فى بئر بدر عصابة ... ذووا نجدات فى الحروب وفى المحل
فاضحوا لدى دار الجحيم قراره ... من الذل والاغلال فى اسفل السفل

وقال فى يوم احد لما قال الكفار قد ثارنا محمداً :

الله ربى وهو الواحد الصمد ... فليس يشركه فى حكمه احد
هو الذى عرف الكفار كفرهم ... والمؤمنون سيجزيهم بما وعدوا
فان تكن جولة كانت لنا عظة ... فهل عسى ان يرى فى غيها رشد
وينصر الله من والاه معتمداً ... ويمحق الكافرين الغتم إذ عندوا
فان نطقتم بفخر لا أبا لكم ... عمن تضمن من اخواننا أحد
فان طلحة عايناه منجدلا ... وللصوارم نار بيننا تقد
ومن قتلتم على ما كان من ذحل ... فانهم طابقوا خيرا وقد سعدوا
لهم جنان من الفردوس طيبة ... لا يعتريهم بها حر ولا برد
قوم وفوا لرسول الله واحتسبوا ... شم العرانين منهم حمزة الاسد
ليسوا كقتلاكم فالله أدخلهم ... نار الجحيم على أبوابها رصد

ولما قتل على «ع» طلحة بن أبى طلحة حامل لواء المشركين يوم احد قال :

أفاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بلئيم
لعمرى لقد جاهدت فى نصر احمد ... ومرضاة رب بالعباد رحيم
أريد ثواب الله لا شيء غيره ... ورضوانه فى جنة ونعيم
وكل امرىء يسمو إذا الحرب شمرت ... وقامت على ساق بكل حليم
أممت ابن عبدالدار حتى صرعته ... بذى رونق يفرى العظام صميم

وبادرته بالحزن وارفض جمه   عباديد من ذى فارط وكليم

ومن ذلك فى القناعة :

لا تخضعن لمخلوق على طمع   فان ذاك مضر منك بالدين
واسترزق الله مما فى خزائنه   فان ذلك بين الكاف والنون

وقال عليه السلام فى المعنى :

اغن عن المخلوق بالخالق   تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمان من فضله   فليس غير الله من رازق
من ظن ان الناس يغنونه   لم يك بالرحمان بالواثق
أو ظن ان الرزق فى كفه   زلت به النعلان من حالق

ومن المنسوب اليه فى ذم الدنيا عليه السلام :

ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض   على الماء خانته فروج الاصابع

وقال عليه السلام فى المعنى :

ما الدهر إلا يقظة ونوم   وليلة بينهما ويوم
يعيش قوم ويموت قوم   والدهر قاض ما عليه لوم

وقال عليه السلام فى المعنى :

دنيا تحول باهلها   فى كل يوم مرتين
فغدوها لتجمع   ورواحها لشتات بين

ومن المنسوب اليه عليه السلام :

ولو انا اذا متنا تركنا   لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا   ونسئل بعده عن كل شىء

وقال عليه السلام فى القناعة :

ومن البلاء وللبلاء علامة   أن لا ترى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس فى شهواتها   والحر يشبع تارة ويجوع

وقال عليه السلام فى المعنى :

صبر الفتى لفقره يجله　　وبذله لوجهه يذله
والخبز للجائع ادم كله　　والماء ان جف به يبله
وقطعة من حائط تظله　　والموت يأتى بعد ذايتله

من قوله عليه السلام : (وتله للجبين) :

ورأيت فى كتاب (سر العالمين) للغزالى رحمه الله نسبها اليه «ع» ، وهى :

المرأ فى زمن الاقبال كا لشجرة　　وحولها الناس ما دامت بها الثمرة
حتى اذا ماعرت من حملها انصرفوا　　عنها عقوقاً وقد كانوا بها بررة
وحاولوا قطعها من بعد ماشفقوا　　دهراً عليها من الارياح والغبرة
قلت مروات أهل الارض كلهم　　إلا الأقل فليس العشر من عشرة
لا تحمدن امرءاً حتى تجربه　　فربما لم يوافق خبره خبره

وقال عليه السلام فى القدر :

اذا عقد القضا عليك عقداً　　فليس يحله إلا القضاء
فمالك قد اقمت بدار ذل　　وارض الله واسعة فضاء
تبلغ با ليسير فكل شىء　　من الدنيا يكون له انقضاء

وقال عليه السلام فى المعنى :

للناس حرص على الدنيا بتدبير　　وصفوها لك ممزوج بتكدير
لم يرزقوها بعقل حين ما رزقوا　　لكنما رزقوها با لمقادير
لو كان عن قوة أو عن مغالطة　　طار البزاة بارزاق العصافير

ومما يضاف الى هذه الابيات :

ولقمة بجريش الملح آكلها　　أحب من لقمة تحشى بزنبور
كم لقمة جلبت حتفاً لصاحبها　　كحبة الفخ دقت عنق عصفور

وقال عليه السلام فى المعنى :

ما لا يكون فلا يكون بحيلة   أبداً وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته   واخوا الجهالة متعب محزون
يسعى القوى فلا ينال بسعيه   حظاً ويدرك عاجز موهون

وقال فى فضل العلم عليه السلام :

الناس من جهة التمثيل أكفاء   أبوهم آدم والأم حواء
وان يكن لهم من أصلهم شرف   يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم انهم   الى الهدى لمن استهدى ادلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال عليه السلام :

فلا تصحب أخا الجهل   واياك واياه
فكم من جاهل أودى   حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء   اذا ما المرء ما شاه
وللشيء على الشيء   علامات وأشباه
وللقلب على القلب   دليل حين يلقاه

وقال عليه السلام فى وفاة رسول الله ﷺ :

ألا طرق الناعى بليل فراعنى   وأرقنى لما استقل مناديا
فقلت له لما رأيت الذى أتى   اغير رسول الله إن كنت ناعياً
فحقق ما أشفقت منه ولم يبل   وكان خليلى عدتى ورجائيا
فوالله ما أنساك أحمد ماحدت   بى العيس فى أرض وجاوزت واديا
ليبك رسول الله جيران طيبة   ويبك على الإسلام من كان باكيا

وقال الشعبى: بلغنى أن أمير المؤمنين وقف على قبر رسول الله ﷺ وقال:
ان الجزع ليقبح إلا عليك وان الصبر ليجمل إلا عنك ثم قال :

ما فاض دمعى عند نازلة   إلا جعلتك للبكا سببا

واذا ذكرتك سامحتك به — مني الجفون ففاض وانسكبا
انى اجسل ثرى حللت به — أن لا أرى بثراه مكتئبا

وقال عليه السلام :

ما أحسن الدنيا واقبالها — اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضله — عرض للادبار اقبالها
فاحذر حلول الفقر ياذا الغنى — واعط من الدنيا لمن نالها
فان ذا العرش العظيم الجزا — يضعف للحبة أمثالها

ويروى (فاحذر حلول الفقر ياجابر) يشير الى ابن عبد الله البجلى الذى ذكرناه فى فضل قضاء الحوائج ، ويروى انه كان يتمثل دائماً وقيل انهما له :

ولو انى بليت بهاشمى — خؤولته بنى عبد المدان
صبرت على عدواته ولكن — تعالى فانظرى بمن ابتلانى

ويروى (لهان على ما القى) وقال ابن عباس ، فيما رواه العوفى عنه : أنشد يوماً أمير المؤمنين وقد سئل عن الفاتحه نزلت من كنز تحت العرش ولو ثنيت لى الوسادة لذكرت فى فضلها حمل بعير ذكر وليس فى القرآن آية إلا وأنا أعلم متى وفى أى شىء نزلت ثم أنشد :

اذا المشكلات تصدين لى — كشفت حقايقها بالنظر
وان برقت فى خلال الصواب — عمياء لا تمتريني فكر
مقنعة بغيوب الامور — وضعت عليها نفيس الدرر
لساناً كشقشقة الارحبى — أو كالحسام اذا ما سطر
ولست بامعة فى الرجال — أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الأصغرين — وجلاب خير ودفاع شر

(الامعة) الذى يكون مع هؤلاء ومع هؤلاء ويسموه العوام المعمعى والمدره : الخطيب ، وقال عليه السلام فى الصبر :

ولربما نطق الفتى فتنافست　　فيه العيون وانه لمموه
ولربما سكت الفتى عن خصمه　　حذر الجواب وانه لمفوه
ولربما صبر الفتى عند الأذى　　وفؤاده من حره يتأوه

قال عليه السلام فى المعنى :

يمثل ذو اللب فى نفسه　　مصائبه قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه　　لما كان فى نفسه مثلا
رأى الأمر يفضى الى آخر　　يصير آخره أولا
وذوا الجهل يأمن أيامه　　وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان　　ببعض مجائبه أعولا
ولو قدم الصبر فى نفسه　　لعلمه الصبر حسن البلا

وحكى الشعبي: ان علياً عليه السلام أتاه رجل فقال أريد أن ابن مسجداً فقال من حلالك فسكت ثم انه مضى فبنى مسجداً فكتب عليه السلام فى الحائط :

(بنى مسجداً لله من غير حله)

وفى رواية :

رأيتك تبنى مسجداً من خيانة　　فكنت بحمد الله غير موفق
كمطعمة الزهاد من كسب فرجها　　فقال لها أهل البصيرة والتقى
لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

وقال الشعبي رأى أمير المؤمنين رجلا يمشي ويخطر بيديه ويختال فقال :

يامؤثر الدنيا على دينه　　والتايه الحيران فى قصده
أصبحت ترجوا الخلد فيها وقد　　أبرز ناب الموت عن حده
هيهات أن الموت ذو أسهم　　من يرمه يوماً بها يرده
لايشرح الواعظ قلب امرىء　　لم يعزم الله على رشده

وقال عليه السلام فى البكاء على الإسلام :

ليبك على الإسلام من كان باكياً   فقد تركت اركانه ومعالمه
فقــد ذهب الإسلام إلا بقية   قليل من الدنيا الذى هو لازمه

وقال عليه السلام فى الحث على كتمان السر :

ولا تفش سرك إلا اليك   فان لكل نصيح نصيحا
فانى رأيت غواة الرجال   ولا يتركون اديماً صحيحاً

وقال عليه السلام فى القناعة بالكفاف :

اقدع النفس بالعفاف والا   طلبت منك فوق ما يكفيها
طالما قد مضى وما للذى لم   يأت من لذة لمستحليها
انما أنت طول عمرك مـا   عمرت بالساعة التى أنت فيها

وقال عليه السلام يذم الزمان والاخوان :

هذا زمان ليس اخوانه   يا أيها المرء باخوان
أخوانه كلهم ظـالم   له لسانان ووجهان
يلقاك بالبشر وفى قلبه   داء يواريه بكتمان
حتى اذا ما غبت عن عينه   رماك بالزور وبهتان
هذا زمان هكذا أهله   تغر عن رؤية انسان

وقال عليه السلام فى مكارم الأخلاق :

ان المكارم أخلاق معددة   فالعقل أولهـا والعلم ثانيها
والصبر ثالثها والعرف رابعها   والعفو خامسها والصبر ساديها
والعين تخبر عن عينى محدثها   إن كان من حزبها أو من أعاديها
والنفس تكلف فى الدنيا وقد علمت   ان السلامة فيها ترك ما فيها

وقال له رجل ؛ قد عيل صبرى فاعطنى . فقال : أأنشدك شيئاً ام اعطك فقال كلامك أحب الى من عطائك فقال :

ان عضك الدهر فانتظر فرجا   فانـه نازل بمنتظره

أو مسك الضر أو بليت به　　فاصبر على يسره وفى عسره
رب معافى على تهوره　　ومبتلى لا ينام من حذره
وآمن فى عشاء ليلته　　دب اليه البلاء فى سحره
من مارس الدهر ذم صحبته　　ونال من صفوه ومن كدره

وقال عليه السلام فى قلة الوفاء :

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب　　فالناس بين مخاتل وموارب

وقال عليه السلام فى النظر :

وكم نظرة قادت الى القلب شهوة　　فاصبح منها القلب فى الهلكات

وقال عليه السلام فى حلول المكروه :

لا تكره المكروه عند حلوله　　ان العواقب لم تزل متباينه
كم من يدلا تستقل لشكرها　　لله فى طى المكاره كامنه

وقال عليه السلام فى ذم أبى لهب :

أبا لهب تبت يداك أبى لهب　　وتبت يداها تلك حمالة الحطب
خذلت نبياً خير من وطى الحصا　　فكنت كمن باع السلامة بالعطب
وخفت أباجهل فاصبحت تابعاً　　له وكذاك الرأس يتبعه الذنب
فاصبح ذاك الأمر عاراً يهيله　　عليك حجيج الله فى موسم العرب
ولو كان من بعض الاعادى محمد　　لحاميت عنه بالرماح وبالقضب

وقال عليه السلام لما بارز عمرو بن عبد ود وكان عمرو قد برز يوم الخندق ودعى الى المبارزة فلم يخرج اليه أحد فقال عمرو :

ولقد بححت من النداء　　لجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع　　مواقف القرن المناجز
انى كذلك لم أزل　　متسرعا نحو الهزاهز
ان الشجاعة للفتى　　والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله ﷺ يا على قم اليه وخذ سيفى ذا الفقار ودعا له فبرز اليه وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتاك　　مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيـــة وبصيرة　　والصدق منجا كل فائز
انى لارجو ان أقيم　　عليك نائحـة الجنائز
من ضربة نجلاء يسمع　　عندها صوت الهزاهز

ثم اختلفا ضربتين فقتله على عليه السلام ، ثم انصرف وهو يقول :

أعلىّ يقتحم الفوارس هكذا　　وتنوء عنها اسرتى وصحابى
اليوم يمنعنى الفرار حفيظتى　　ومصمم فى الرأس ليس تبابى
علم ابن عبد حين أبصر صارمى　　يهتز ان الأمر غير لعاب
عبد الحجارة من سفاهة رأيه　　وعبدت رب محمـد بصواب
لا تحسبوا الرحمان خاذل دينه　　ونبيه يا معشر الأحزاب

الباب السابع في وفاته عليه السلام

قال علماء السير : كان على عليه السلام يستبطئ القاتل فيقول متى يبعث أشقاها .

وقال احمد فى (الفضائل) : حدثنا وكيع حدثنا قتيبة بن قدامة الرواسى عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم عن على «ع» قال : قال رسول الله ﷺ يا على أتدرى من أشق الأولين قلت الله ورسوله أعلم فقال عاقر الناقة ثم قال أتدرى من أشق الآخرين قلت الله ورسوله أعلم فقال من يخضب هـذه من هـذه يعنى لحيته من هامته (١) .

(١) ــ قال الزهرى : فكان أمير المؤمنين «ع» يستبطىء القاتل فيقول : متى يبعث أشقاها .

وقد أخرجه أيضاً عبد الله بن احمد فى كتاب (الزهد) عن أبيه بهذا الاسناد ، وقال احمد فى المسند حدثنا على بن حكيم الاودى حدثنا شريك عن عثمان بن أبى زرعة عن زيد بن وهب قال : قدم على على « ع » وفد من الخوارج من أهل البصرة فيهم رجل يقال له الجعد بن نعجة فقال له يا على اتق الله فانك ميت فقال بل أنا مقتول ضربة على هذا تخضب هذه يعنى لحيته من رأسه عهد معهود وقضاء مقضى وقد خاب من افترى ، وعاتبه أبو نعجة فى خشونة لباسه فقال هو أبعد من الكبر واجدر ان يقتدى به المسلم .

وقال احمد فى المسند: حدثنا هشام أو هاشم بن القاسم حدثنا محمد بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبى فضالة الانصارى وكان أبو فضالة من أهل بدر قال خرجت مع أبى عائداً لعلى بن أبى طالب من مرض أصابه فبل منه فقال له أبى ما يقيمك هاهنا بين أعراب جهينة تحمل إلى المدينة فان أصابك أجلك وليك أصحابك وأصحاب القرآن وصلوا عليك فقال على عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلى ان لا أموت حتى تخضب هذه من هذه ـ أى لحيته من دم هامته ـ قتل أبو فضالة مع على عليه السلام بصفين .

وأنبأنا جدى أبو فرج رحمه الله قال: أنبأنا محمد بن أبى طاهر أنبأنا الحسن ابن على الجوهرى أنبأنا ابن حياة أنبأنا ابن معروف حدثنا الحسين بن الفهم حدثنا محمد بن سعد حدثنا أبو الفضيل بن دكين حدثنا قطر بن خليفة حدثنى أبو الطفيل عامر بن واثلة قال: دعا أمير المؤمنين الناس الى البيعة فجاءه عبد الرحمان ابن ملجم المرادى فرده مرتين ثم أتاه فقال ما يحبس أشقاها ليخضبن أو ليصبغن هذه من هذه ثم تمثل بهذين البيتين :

أشدد حيازيمك للموت　　فان الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت　　اذا حل بواديك

قلت : وهذان البيتان لأُحيحة الانصارى ، ولهما ثالث :

فان الدرع والبيضة يوم الروع يكفيك

وفى رواية : ان علياً عليه السلام رده مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه وقال عند بيعته ما يحبس أشقاها فوالذى نفسى بيده ليخضبن هذه من هذه ووضع يده على لحيته ورأسه وأنشد البيتين .

وقال ابن سعد: أخبرنا اسماعيل بن علية عن عمارة بن أبى حفصة عن أبى مجلز قال: جاء رجل من مراد الى على عليه السلام وهو يصلى فى المسجد فقال له احترس فان ناساً من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر ، فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الأجل جنة حصينة .

وفى رواية عنه قال: ملكتنى عينى فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يارسول الله ماذا لقيت من امتك من الأود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلنى الله بهم خيراً منهم وابدلهم بى شراً منى فلما كان بعد أيام ضربه ابن ملجم .

وقال الشعبي : أنشد على « ع » قبيل قتله بأيام :

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى فلاوربك لافازوا ولا ظفروا
فان بقيت فرهن ذمتى لهم وان عدمت فلا يبقى لهم أثر
وسوف يورثهم فقدى على وجل ذل الحياة بما خانوا وما غدروا

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) : ان علياً « ع » قال للمرادى لما أتاه يطلب منه عطاءه فقال :

أريد حباءه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مرادى

وفى رواية : ان ابن ملجم قال يا أمير المؤمنين احملنى فحمله على فرس اشقر فركبه وولى وأنشد أمير المؤمنين البيت .

وقال أبو سعد: أنبأنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن عبيدة قال : قال على « ع » ما يحبس أشقاكم ان يجيء فيقتلنى اللهم قد سئمتهم وسئمونى فارحهم منى وارحنى منهم .

وقال ابن سعد: أنبأنا وكيع بن الجراح حدثنا الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبيع قال سمعت علياً «ع» يقول لتخضبن هذه من هذه فما ينتظر بالأشقى قالوا يا أمير المؤمنين فاخبرنا به نبيد عشيرته قال اذن والله تقتلون غير قاتلي قالوا فاستخلف علينا فقال لا ولكن أتركـكم الى ما تركـكم اليه رسول الله ﷺ قالوا فماذا تقول لربك اذا لقيته قال أقول اللهم تركـتك فيهم فان شئت اصلحتهم وان شئت افسدتهم .

وقال ابن سعد : حدثنا سليمان بن القاسم الثقفي قال حدثتني أمي عن أم جعفر سرية علي «ع» قالت اني لأصب الماء على يديه اذ رفع رأسه فاخذ بلحيته ورفعها الى أنفه فقال واهاً لك لتخضبن بدمي فاصيب يوم الجمعة .

(ذكر صفة مقتله وسببه)

قال أهل السير: منهم محمد بن اسحاق وهشام بن محمد والسدي وغيرهم اجتمع ثلاثة من الخوارج عبد الرحمان بن ملجم المرادي وهو من حمير وقيل من مضر والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي وقيل اسمه الحجاج وعمرو بن بكر السهمي السعدي وكان اجتماعهم بمكة عند انقضاء الحج فتذاكروا قتلى النهروان الذين قتلهم علي «ع» وبكوا وترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فانهم اخواننا لم يأخذهم في الله لومة لائم ثم تذكروا ما لقي الناس يوم الجمل وصفين بين علي «ع» ومعاوية وعمرو بن العاص وقالوا لو شرينا انفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وارحنا المسلمين منهم والبلاد والعباد وثأرنا بهم اخواننا فقال ابن ملجم أنا أكـفيكم ابن أبي طالب وقال البرك وأنا أكـفيكم معاوية وقال عمرو وأنا لعمرو بن العاص فدخلوا الكعبة وتحالفوا فيها وتعاهدوا وتعاقدوا ان لا ينكص أحد منهم على صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله أو يقتل دونه ثم أخـذوا سيوفهم فسموها وتعاهدوا أن يكون الاجتماع في سابع وعشرين شهر رمضان وقصد كل واحد منهم الجهة التي يريدها :

فاما ابن ملجم فقصد الكوفة فتلقاه أصحابه من الخوارج فكاتمهم مايريد أوكان يزورهم ويزورونه وهو ساكت مخافة ان يظهر شيء مما قدم له وانه زار يوماً أصحاباً له من بنى تيم الرباب وكان على «ع» قتل منهم يوم النهروان عدة فرأى منهم امرأة يقال لها قطام بنت شجنة بن عدى بن عامر وكان أمير المؤمنين قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت فائقة الجمال فعشقها واخذت بمجامع قلبه وعقله ونسى الأمر الذى قدم لأجله فخطبها فقالت لا اتزوجك حتى تعطينى ثلاثة آلاف درهم وعبداً وقينة وتقتل على بن أبى طالب فقال لك الدراهم والعبد والقينة وأما قتل ابن أبى طالب فما أراك ذكرتيه لى وأنت تريدينى فكيف اصنع به قالت التمس غرته فان اصبته شفيت نفسى ونفسك ونفعك العيش معى وأخذت بثار الأحبة وان قتلت فما عند الله خير وابقى ؛ فقال والله ما جاء بى إلا هذا .

قال وهب بن منبة : فقال الشاعر فيها :

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة … كمهر قطام بيننا غير معجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة … وقتل على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلا من على وان غلا … ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

وروى : ان ابن ملجم دخل بها فلما فرغ منها ازداد عشقاً لها فقالت له والله لا تماسنى حتى تقتل علياً ثم قالت انى سأطلب لك رجلا يساعدك على امرك فبعثت الى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له وردان بن مجالد فكلمته فى ذلك فاجابها ثم أتى ابن ملجم رجلا من اشجع من الخوارج فقال له هل لك فى شرف الدنيا والآخرة واسم الرجل شبيب بن بجرة فقال له وما هو ؟ قال قتل ابن أبى طالب فقال له ثكلتك أمك لقد جئت شيئاً نكرا قال كيف تصل اليه قال أكمن له فى المسجد فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه وان نجونا شفينا أنفسنا وادركنا ثارنا وان قتلنا فما عند الله خير وابقى فاجابه فجاء الى قطام وكانت معتكفة فى المسجد الجامع قد ضربت عليها قبة فاخبراها فقالت متى

عزمتما فقالا الليلة وكانت ليلة الجمعة فكمنا عندها وجاء إلى وردان فعصبتهم قطام بالحرير فاخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها أمير المؤمنين وذكر بعضهم ان الاشعث بن قيس كان مواطئاً لهم على قتل أمير المؤمنين فاجتمعوا فى الليل فى المسجد وكان حجر بن عدى نائماً فى المسجد فسمع الأشعث يقول لهم اسرعوا فقد فضحك الصبح فقال له حجر ما تقول يا أعور ثم قصد علياً عليه السلام ليخبره فوجده قد جاء من موضع آخر فقيل فخرج يريد صلاة الصبح فاقبلن الاوز يصحن فى وجهه فقال انهن نوايح فلما حصل فى المحراب هجموا عليه فضربه ابن ملجم وهو يقول ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله وهرب وردان وشبيب وصاح ابن ملجم لاحكم إلا لله يابن أبى طالب فلما ضربه على قرنه صاح على «ع» لا يفوتنكم الكلب فشدوا عليه فاخذوه وقتل وردان ونجى شبيب وصاحت أم كلثوم بنت على «ع» وبكت وقالت أى والله لا بأس على أبى والله يخزيك فقال فعلى من تبكين فوالله ضربته بسيف اشتريته بالف وسممته بالف فان خانني ابعده الله ولو كانت هذه الضربة باهل مضر لما بقى منهم احد وتأخر على «ع» عن المحراب وقدم جعدة بن هبيرة فصلى بالناس الفجر وحمل على «ع» الى القصر وقال علىّ بالرجل فادخل عليه فقال أى عدو الله الم احسن اليك ؟ قال بلى قال فما حملك على هذا أشار على «ع» الى إحسانه اليه وحمله على الاشقر

وفى رواية انه قال له ولقد كنت أعلم انك قاتلى وانما احسنت اليك لاستظهر بالله عليك ثم قال لبنيه قال يا بنىّ إن هلكت فالنفس بالنفس اقتلوه كما قتلنى وان بقيت رأيت فيه رأياً .

وفى رواية : وإن عشت فضربة بضربة أو أعفو ، وفى رواية ان زينب قالت له يا ملعون قتلت أمير المؤمنين قال انما قتلت أباك ثم حبس .

وقال ابن عباس ضربه ابن ملجم بمسجد الكوفة يوم الجمعة لثلاثة عشر بقين من شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين منه فبقى الجمعة والسبت وتوفى

ليلة الأحد وقيل يوم الأحد وغسله إبناه الحسن والحسين وعبد الله بن وجعفر وصلى عليه ولده الحسن وكبر عليه أربعاً وقيل خمساً وقيل ستاً أو سبعاً وكان عنده بقايا من حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله فحنطوه به ودفن في السحر (١) .

واختلفوا في موضع قبره على أقوال. احدهما في قصر الامارة بالكوفة وغيبوا موضعه ، قاله الواقدي .

والثاني : انهم جعلوه في صندوق وحملوه على بعير الى المدينة فضل البعير الذي كان عليه فاخذته طي فظنوه مالا فلما رأوه دفنوه عندهم قاله عكرمة .

والثالث : ان التابوت مضى الى المدينة ودفن الى جانب فاطمة عليها السلام ؛ قاله أبو نعيم الفضل بن دكين .

---

(١) ـ وفي نسخة: واختلفوا في الليلة التي استشهد فيها على أقوال : أحدها آخر الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان صبيحة الجمعة بمسجد الكوفة الجامع قاله ابن عباس .

والثاني: ليلة احدى وعشرين من رمضان فبقي الجمعة ثم يوم السبت . وتوفي عليه السلام ليلة الأحد . قاله مجاهد . والثالث انه قتل في الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان . قاله الحسن البصري . وهي ليلة القدر . وفيها عرج بعيسى بن مريم «ع» ، وفيها توفي يوشع بن نون وهذا أشهر .

وقال الواقدي: آخر كلمة قالها أمير المؤمنين «ع» : يا بني إذا مت فألحقوا بي ابن ملجم أخاصمه عند رب العالمين ثم قرأ (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) الآية .

قال الواقدي: ولما توفي «ع» . غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر . وقيل ومحمد بن الحنفية . والصحيح انه لم يغسل لأنه سيد الشهداء .

وقال الواقدي كفن «ع» في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وكان عنده من بقايا حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله فحنطوه به وصلى عليه ولده الحسن «ع» ، وكبر عليه خمساً . وقيل ستاً وسبعاً .

والرابع: انه في قبلة جامع الكوفة ذكره هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال واخبرت ان حائط القبلة انشق في أيام الحجاج فحفر الأساس فوجدوا شيخاً أبيض الرأس واللحية وعلى ثيابه أثر الدم فردوا عليه التراب وقد حكاه ابن شبرمه وحكاه البلاذري أيضاً وقال ان الحجاج لما رآه قد ظهر قال أبو تراب والله وأراد به سوءاً فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص ناشدتك الله ان لا تفعل فسكت .

والخامس: انه في الكوفة عند مسجد الجماعة مما يلي أبواب كندة حكاه ابن سعد في (الطبقات) عن الشعبي .

والسادس : انه على النجف في المكان المشهور الذي يزار فيه اليوم وهو الظاهر وقد استفاض ذلك .

وقد حكى أبو نعيم الاصفهاني : ان الذي على النجف انما هو قبر المغيرة بن شعبة قال ولو علم به زواره لرجموه .

قلت : وهذا من اغلاط أبي نعيم فان المغيرة بن شعبة لم يعرف له قبر وقيل انه مات بالشام .

وقيل آخر كلمة قالها علي « ع » (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) .

وحكى الواقدي عن الزهري قال : قال علي عليه السلام لبنيه يابنيّ ان مت فالحقوا بي ابن ملجم أخاصمه عند رب العالمين فلما دفن احضره الحسن ليقتله فقال له هل لك في خصلة اني والله ما أعطى الله عهداً إلا وفيت به واني كنت اعطيت الله عهداً ان اقتل علياً ومعاوية يوم التحكيم أو أموت دونهما فان شئت خليت بيني وبينه ولك عهد الله على أن أعود فاضع يدي في يدك فقال لا والله حتى تعاين النار ثم قطع يديه ورجليه وسمل عينه بمسمارين وقطع لسانه وتركه في قوصرة ثم أحرقه بالنار .

وذكر المدائني : ان علياً عليه السلام أمرهم ان لا يمثلوا به .

وذكر ابن سعد : ان عبد الله بن جعفر لما سمل عينه بمسمار لم يجزع وقال انك لتكحل عين ابن عمك بملمول مض .

ولما أرادوا ان يقطعوا لسانه جزع فقيل له قد قطعنا يديك ورجليك فلم تجزع فلم جزعت عند قطع لسانك فقال أكره ان يمضي علي ساعة لا أذكر الله فيها .

قال ابن سعد: والعباس بن علي يومئذ صغير فلم يستأذنوا به بلوغه قال قيل فقد أمرهم أمير المؤمنين ان يقتلوه كما قتله . فالجواب ان المدائني ذكر فى (تاريخه) أن أمير المؤمنين أمرهم ان يمثلوا به وهو الواجب .

وأما قول سعد : ان العباس كان يومئذ صغيراً فلم يستأذنوا به بلوغه فهذا دليل لأبي حنيفة فى مسئلة القصاص اذا كان فى ورثة المقتول صغار وكبار فللكبير ان ينفرد بالاستيفاء خلافا لصاحبيه والشافعي .

وروى ان أمير المؤمنين قال للحسن «ع» لما ضربه ابن ملجم ان شئت ان تقتل وان شئت ان تعفو فقد فوض الاستيفاء الى رأيه مع ان فى الورثة صغار وكان بمحضر من الصحابة من غير نكير ، فان قالوا يحتمل انه قتله سياسة قلنا مع حضور الصحابة لا سياسة .

واختلفوا فى مبلغ سن أمير المؤمنين علي «ع» على أقوال، أحدها ثلاث وستون مثل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حكاه ابن جرير عن جعفر بن محمد .

قال الواقدي: وهو الثبت عندنا ، والثاني خمس وستون ، والثالث سبع وستون ، والرابع ثمان وخمسون وهو الأشهر .

أخبرنا غير واحد، عن اسماعيل بن احمد أنبأنا عمر بن عبيد الله البقال أنبأنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا عثمان بن احمد الدقاق حدثنا حنبل حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال قتل علي عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين سنة ومات لها الحسن وقتل لها الحسين ومات لها علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

قلت : وهذه الرواية أصح لأنهم لا يختلفون ان النبي ﷺ كان أسن منه .

قال الواقدي : وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وقيل كان سنه وسن طلحة والزبير سناً واحداً .

قال الواقدي: وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر لأنه بويع له في ذي الحجة لثمان عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وثلاثين واستشهد في رمضان سنة أربعين .

وقال ابن جرير في (تاريخه) وابن سعد في (الطبقات): أنه لما استشهد علي عليه السلام بلغ عائشة فقالت :

فألقت عصاها واستقر بها النوى　　كما قرّ عينا بالإياب المسافر

ثم قالت من قتله ؟ قالوا : رجل من مراد فقالت :

فان يك هالكاً فلقد نعاه　　نعي ليس في فيه التراب

فعابها الناس ، وقالت لها زينب بنت سلمة بن أبي سلمة ألعلي تقولين هذا ؟ فقالت اني أنسى فذكروني .

ورثاه منهم أبو الأسود الدؤلي فقال :

ألا أبلغ معاوية بن حرب　　فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا　　بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا　　ببر خير من ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن تمسك　　بالسبع المثاني والمثينا
لقد علمت قريش حيث كانت　　بأنك خيرها حسباً ودينا
اذا استقبلت وجه أبي تراب　　رأيت البدر حار الناظرينا

وقال احمد في المسند: حدثنا وكيع حدثنا شريك عن أبي اسحاق عن هبيرة قال خطبنا الحسن بن علي عليه السلام بعد ما استشهد علي عليه السلام فقال : لقد فاتكم بالأمس رجل لم يسبقه الاولون ولم يدركه الآخرون كان رسول الله ﷺ يبعثه

بالراية جبرئيل وميكائيل عن يمينه وعن شماله فلا ينصرف حتى يفتح له أو يفتح الله على يديه .

وقال الواقدي : لما بلغ الصحابة خبره بكوا عليه .

وقال أبو مسعود الانصاري : كنا نعده خير البشر .

وقال الخطيب في تاريخه : شهد علي عليه السلام بدراً وهو ابن عشرين سنة وشهد الفتح وهو ابن ثمان وعشرين وهو قريب مما ذكره جعفر بن محمد عن أبيه .

وذكر جماعة من أرباب السير : ان عمران بن حطان وكان من الخوارج رثى ابن ملجم فقال :

يا ضربة من كمي ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوماً فاحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الارض اقبرهم   لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

كذب لعنه الله وانما صوابه ما نظمه طاهر بن محمد حيث قال :

يا ضربة من لعين ما أراد بها   إلا امام الهدى ظلماً وعدواناً
اني لأذكره يوماً فاثبته   أشقى البرية عند الله خسرانا
وقال هذا رسول الله سيدنا   وخاتم الرسل اعلاماً واعلانا

ولما بلغت هذه الأبيات القاضي أبا الحرث الطبري فقال مجيباً له .

اني لابرء مما أنت قائله   عن ابن ملجم الملعون بهتانا
اني لأذكره يوماً فالعنه   ديناً والعن عمران بن حطانا
عليه ثم عليك الدهر متصلا   لعائن الله اسراراً واعلانا
فانتم من كلاب النار جاء به   نص الشريعة برهاناً وتبيانا

أشار القاضي الى قوله عليه السلام الخوارج كلاب أهل النار .

قال الواقدي : وأما البرك بن عبد الله فان في تلك الليلة التي ضرب ابن ملجم فيها علياً شد على معاوية بسيفه وقد خرج لصلاة الفجر فضربه فوقع السيف في

اليته بجرحه فاخذ فقال لمعاوية ان عندى خبراً أبشرك به فقال وماهو؟ قال ان أخاً لى قتل علياً فى هذه الليلة فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم قتل واتخذ معاوية المقصورة من تلك الليلة وهو أول من اتخذها وأقام الحرس واحضر معاوية الساعدى كان طبيباً فقال له اختر احدى خصلتين أما ان احمى حديدة فاضعها موضع السيف وأما ان اسقيك شربة تقطع عنك الاولاد وتبرء منها فان الضربة مسمومة فقال معاوية أما النار فلا طاقة لى بها وأما انقطاع الولد فان فى يزيد وعبد الله ماتقر به عينى فسقاه شربة فلم يولد له بعدها وبرىء ولما بلغ القاضى أبا حازم ذلك قال يا ليت ذلك قبل أن يولد يزيد ثم احترس معاوية .

وأما عمرو بن بكر ، فجلس بعمرو بن العاص فلم يتفق خروجه فى تلك الليلة لمرض عرض له ثم أمر خارجة بن أبى جبينة العامرى ان يصلى مكانه وكان صاحب شرطته فخرج ليصلى فشد عليه عمرو فقتله فاخذ وجىء به الى عمرو فقال يا فاسق قتلت خارجة فقال يا فاسق والله ما ظننته غيرك فقتله عمرو .

وقيل انه بكى فقال له عمرو بن العاص ما يبكيك اجزعاً من الموت فقال لا والله وانما أبكى كيف حظى صاحباى بقتل على ومعاوية .

﴿ ذكر ميراث أمير المؤمنين عليه السلام ﴾

اتفق علماء السير : على انه لم يخلّف ديناراً ولا درهماً .

فحكى الواقدى عن الحسن عليه السلام انه قال : والله ماترك أبى بيضاء ولاصفراء سوى مائتى درهم ، وفى رواية سوى سبعمائة درهم اعدها لشراء خادم لأهله .

فان قيل ، فقد روى احمد فى المسند عن محمد بن كعب القرظى قال : قال على عليه السلام لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وانى لاربط على بطنى الحجر من الجوع وان صدقتى لتبلغ اليوم أربعين الفاً .

والجواب ان احمد روى هذا الأثر عن على عليه السلام فقال حدثنا الحجاج عن شريك عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظى ، وشريك ضعيف مخلط فى

الرواية وكان يشرب إلا شربة المسكرة وحالة أمير المؤمنين تنافى هذا على ما ذكرنا من زهده وورعه وقد قال أبو الحسين بن فارس اللغوى سألت أبى عن هذا الحديث فقال : ان صح فمعناه الذى تصدقت به من مالى منذ كان لى مال كذا وكذا ألفاً .

قال ابن فارس : قال أبى وكيف يكون له مال وقد قال يابيضاء يا صفراء غرى غيرى .

﴿ ذكر ولاته عليه السلام ﴾

لما قتل : كان ابن عباس على البصرة قبل ان يقتل، وقد ذكرنا الخلاف فيه وعلى فارس وكرمان زياد بن أبيه وعلى اليمن عبيد الله بن عباس وعلى مكة والطائف قثم بن العباس وعلى المدينة أبو أيوب الأنصارى ، وقيل سهل بن حنيف

﴿ ذكر خاتمه ﴾

كان نقشه : الله الملك على عبده وكان يتختم فى اليمين وكذا الحسن والحسين عليهما السلام .

﴿ ذكر مواليه ﴾

قنبر ويحيى بن أبى كثير : روى عنه الاوزاعى ، وكان عالماً فاضلا، وابنه عبد الله بن يحيى كان عالماً وله موالى أخر .

﴿ ذكر أزواجه ومولياته ﴾

قال الواقدى : قتل على عليه السلام وترك أربع حراير امامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وليلى التيمية وأم البنين كلابية واسماء بنت عميس وثمانية عشر أم ولد .

فصل

فهذا ما وقع عليه أختيارنا فى هذا المختصر من سيرته نفعنا بمحبته وحشرنا فى زمرته .

فصل

﴿ فى ذكر أخيه جعفر بن أبى طالب عليه السلام ﴾

لما ذكرنا فى صدر الكتاب سيرة والده واخوته واخواته رأينا ان نختم الكتاب بذكر بعض سيرة جعفر فنقول قد ذكرنا ان أمه فاطمة بنت أسد وانه كان اسن من على عليه السلام بعشر سنين وانه اسلم قديماً واقام بالحبشة مهاجراً حتى فتحت خيبر سنة سبع وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقام اليه واعتنقه وقبل بين عينيه ، وقال ما أدرى بايهما أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر .

ذكره أبو نعيم فى (الحلية) عن أبى هريرة وقال النبى صلى الله عليه وسلم لجعفر أشبهت خلقى وخلقى ، قال أبو هريرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه أبا المساكين لأنه كان يحبهم ويطعمهم ويجلس اليهم ويرفق بهم وكنيته المشهورة أبو عبد الله .

﴿ ذكر قصته مع عمرو بن العاص وصاحبيه ﴾

قال احمد فى المسند: حدثنا يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمان عن أم سلمة قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى آمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى فلما بلغ ذلك قريشاً أئتمروا ان يبعثوا الى النجاشى فينا رجلين جلدين وان يهدوا الى النجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة فجمعوا له ادماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً الا أهدوا اليه هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وعمرو بن العاص وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هدية قبل ان تكلموا النجاشى فيهم ثم قدموا الى النجاشى هداياه ثم سلوه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فخرجا حتى قدما على النجاشى فدفعا الى كل بطريق هديته وقالا انه قد صار الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم وجاؤا بدين مبتدع وقد بعثنا اشرافهم الى الملك ليردوهم اليه فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه ان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلا بهم عينا قالوا نعم ثم قربا هداياهما الى النجاشى

فقبلها منهما ثم كلماه فقالا أيها الملك انه قد صبا الى بلدك مناغلمان سفهاء فارقوا دينهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من ابائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم أعلا بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فقالت بطارقته صدقوا سلمهم اليهم فغضب النجاشى ثم قال لاها الله اذن لا اسلمهم اليهم ولا أكاد قوماً جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سوى حتى ادعوهم فأسألهم مايقول هذان فى أمرهم فان كانوا كما يقولون سلمتهم اليهما وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم واحسنت جوارهم ما جاورونى .

ثم أرسل الى أصحاب رسول الله ﷺ فلما أن جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن فى ذلك ما هو كائن فلما جاؤه وقد دعى النجاشى اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال ما هـذا الدين الذى فارقتم به قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين آخر من هذه الأمم قالت وكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف وكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا أمينانعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا عليه وما كنا نعبد نحن وابآئنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنابصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به وعبدنا الله وحده لا شريك له ولانشرك به شيئاً وحرمنا ماحرم الله علينا واحللنا ما أحل الله لنا فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان وان نستحل ما كنا

نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك .

قال فقال النجاشي فهل معك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر نعم قال فاقرأه عليّ فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم .

ثم قال النجاشي ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما ابداً .

قالت فلما خرجوا من عنده أو خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص والله لاتينه غداً فاعيبهم عنده بما استأصل به حضرائهم فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان اتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم أرحاماً قال والله لاخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد ، قالت ثم غدا عليه من الغد فقال أيها الملك أنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيماً فارسل اليهم فاسألهم عما يقولون فيه فارسل اليهم فسألهم عنه قالت أم سلمة ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون فى عيسى اذا سألكم عنه قالوا نقول فيه ما قال الله تعالى وما جاء به نبينا ﷺ كاينا فى ذلك ما هو كائن فلما دخلوا عليه قال لهم ماتقولون فى عيسى؟ فقال جعفر نقول فيه ماجاء به نبينا ﷺ وهو عبدالله وروحه ورسوله وكلمته التى القاها الى مريم العذراء البتول قالت فضرب النجاشي يده الى الأرض فاخذ منها عوداً ثم قال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ثم قال اذهبوا فانتم سيوم بارض ، والسيوم الآمنون من سبكم غرم ثم من سبكم غرم قالها ثلاثاً ثم قال ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لى بها فوالله ما اخـــذ منى رشوة حين رد على ملكى .

قلت: وقول النجاشي لاها الله اذن قسم ، والها فى قوله: لاها الله مفتوحة

واسم الله مجرور وعامة الروايات لاها الله اذن وانكره أبو حاتم السجستانى وقال الصحيح لاها الله اذا ومعناه لا والله فادخل اسم الله بين ها واذا قال وليست اذن هاهنا للتوكيد وانما معناه هذا ما اقسم به .

وقال أبو نعيم فى (الحلية) حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن أبى بردة عن أبيه قال أمرنا رسول الله ﷺ ان ننطلق الى جعفر بن أبى طالب الى أرض الحبشة أو الى النجاشى فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا وذكر بمعنى ما تقدم وفيه ، فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فلا يتكلم منكم احد فلما انتهوا اليه بدرهم من عنده وقالوا اسجدوا للملك فقالوا لا نسجد لغير الله تعالى فقال النجاشى مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده وأنا اشهد انه الذى بشر به عيسى بن مريم « ع » ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله .

وذكر أبو نعيم أيضاً فى (الحلية) عن عمرو بن العاص قال لما أتينا النجاشى ناديت على بابه أئذن لعمرو بن العاص فنادى جعفر من خلفى أئذن لحزب الله فسمع صوته فاذن له قبلى ، وفى رواية فانتفض النجاشى ورطن عمرو لصاحبه وقال اتسمع ما يقول .

وفى رواية ان النجاشى: صنع باباً صغيراً فكان الداخل فيه يسجد له فلما جاء جعفر ولاه ظهره ودخل فيه فلما رآه النجاشى عظم فى عينه وأكبره واسلم على يده ،

وفى رواية : فبكت اساقفته حتى اخضلت لحاهم فنزل فيهم (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) الآية .

(ذكر وفاته)

قال أهل السير: استشهد جعفر بمؤتة وهى أدنى أرض البلقاء الى الحجاز وذلك فى جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة .

قال ابن اسحاق: وسبب هذه الغزاة ان رسول الله ﷺ بعث الحرث بن عمير الازدي الى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله ﷺ غيره فشق ذلك على رسول الله ﷺ فندب الناس وعسكر بالجرف وهم ثلاثة آلاف وشيعهم رسول الله ﷺ الى ثنية الوداع فساروا حتى نزلوا أرض مؤتة فالتقاهم هرقل في أربع مائة الف منهم أربعون الف مقرنين فالتقوا فثبت المسلمون ثم قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وكانوا امراء الجيش .

قال ابن سعد في (الطبقات) عن ابن عمر قال: وجد فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة بين طعنة رمح وضربة بسيف .

وقال ابن سعد في (الطبقات) أيضاً أنبأنا سليمان بن حرب حدثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن حميد عن هلال عن أنس بن مالك ان النبي ﷺ نعى جعفراً وزيداً وابن رواحة قبل ان يجيء خبرهم نعاهم وعيناه تذرفان .

وفي رواية : رأيت جعفر يطير في الجنة بجناحيه .

(ذكر أولاده)

عبد الله وبه كان يكنى ومحمد وعون وامهم اسماء بنت عميس ولدتهم بارض الحبشة وكان جعفر قد هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، واشهرهم عبد الله وكان من الاجواد وهو من الطبقة الخامسة ممن توفى رسول الله ﷺ وهو حدث ولما ولدته أمه أسماء بالحبشة ولد بعد ذلك بايام للنجاشي ولد فسماه عبد الله تبركا باسمه وارضعت اسماء عبد الله بن النجاشي بلبن أبنها عبد الله .

وقال ابن سعد في (الطبقات): حدثنا الواقدي عن محمد بن مسلم عن يحيى ابن أبي يعلى قال سمعت عبدالله بن جعفر يقول أنا احفظ حين دخل رسول الله ﷺ على أمي فنعى اليها أبي فانظر اليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تذرفان أو تهرقان بالدموع حتى تقطر لحيته ثم قال اللهم ان جعفر قد قدم الي

أحسن الثواب فاخلفه فى ذريته باحسن ما خلفت أحداً من عبادك فى ذريته ثم قال يا اسماء ألا ابشرك قالت امى بلى بابى أنت وأمى يارسول الله قال فان الله قد جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة فقالت يارسول الله فاعلم الناس بذلك قال عبدالله فقام رسول الله ﷺ فاخذ بيدى ومسح براسى ورقى المنبر فاجلسنى أمامه على الدرجة السفلى والحزن يعرف فيه فتكلم وقال ان المرء كثير بأخيه وابن عمه إلا ان جعفراً قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما فى الجنة ثم نزل رسول الله ﷺ ودخل بيته وادخلنى معه وأمر بطعام فصنع لأهلى ثم أرسل الى أخى فتغدينا عنده غداء طيباً مباركا عمدت سلمى الى شعير فطحنته ثم نسفته ثم انضجته ثم ادمته بزيت وجعلت عليه فلفلا فتغذيت أنا وأخى معه واقمنا ثلاثة أيام ندور معه فى بيوت أزواجه ثم رجعنا الى بيتنا فاتانا رسول الله ﷺ وأنا اساوم بشاة أخاً لى فقال اللهم بارك له فى صفقته قال عبد الله فما بعت شيئاً ولا اشتريت إلا بورك فيه .

وقال ابن‌سعد: حدثنا عفان بن مسلم عن مهدى بن ميمون عن محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب عن‌الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي قال أمهل رسول الله ﷺ آل جعفر ثلاثاً بعد ما جاء نعيه ثم أتاهم فقال لا تبكون على أخى بعد اليوم ادعوا لى أبناء أخى قال فجيء باغيلمة ثلاثة كأنهم افرخ محمد ، وعون ، وعبد الله وقال ادعوا لى الحلاق فجيء بحجام فحلق رؤسهم ، وقال أما محمد فشبيه عمنا أبى طالب ، واما عون فشبيه خلق وخلق ، ثم أخذ بيد عبد الله فشالها وقال اللهم اخلف جعفراً فى أهله بخير وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه قال فجاءت أمهم فجعلت تفرح لهم فقال لها رسول الله ﷺ اتخافين عليهم العيلة وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة .

وقال ابن سعد : حدثنا أبو معاوية الضرير عن عاصم الأحول عن مورق العجلي عن‌عبدالله بن جعفر قال كان رسول‌الله(ص) اذا قدم من سفر تلقى بصبيان

أهل بيته وانه جاء مرة فسبق بى اليه فحملنى بين يديه ثم جيء باحد ابنى فاطمة الحسن والحسين عليهما السلام فاردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابته

وذكر ابن سعد أيضاً فى (الطبقات) قال: حدثنا يزيد بن هارون وعفان ابن مسلم قالا حدثنا مهدى بن ميمون حدثنا محمد بن عبد الله بن يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن على ﷺ عن عبد الله بن جعفر قال أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه واسر الىّ حديثاً لا احدث به احداً ابداً .

وقد اخرج البخارى ومسلم ، معنى هذا الحديثين فى الصحيحين فاخرجا عن عبد الله بن الزبير انه قال لعبد الله بن جعفر اتذكر اذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس فقال له عبد الله بن جعفر نعم فحملنا وتركك .

ولمسلم عن عبدالله بن جعفر قال : أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه واسر الىّ حديثاً لا احدث به احداً من الناس .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) حدثنا يزيد بن هارون حدثنا اسماعيل بن عامر قال كان عبد الله بن عمر اذا لقى عبد الله بن جعفر يقول له السلام عليك يابن ذى الجناحين .

﴿ ذكر وفاته ﴾

قال الواقدى : توفى عبدالله بن جعفر سنة ثمانين وهو عام الجحاف ؛ سيل كان ببطن مكة ؛ جحف بالناس فذهب بالحاج والجمال باحمالها ، وذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان ؛ وكان والى المدينة أبان بن عثمان فصلى عليه أبان ولما وضع على السرير وصلى عليه حمله أبان فما وضع سريره عن عنقه حتى بلغ الى حفرته بالبقيع وعبد الله بن جعفر يومئذ ابن تسعين سنة .

قال ابن سعد فى (الطبقات) وكان قد خرب فوه وسقطت اسنانه فكان يطبخ له الثريد والشيء اللين فيأكله وكان اذا قيل له انك لست تأكل شق عليه ذلك .

(ذكر أولاد عبد الله بن جعفر)

كان له عدة أولاد منهم: جعفر الأكبر وبه كان يكنى وأمه أم عمر وبنت خراش بن بغيض وعلى ، وعون الأكبر ؛ ومحمد ؛ وعباس ، وأم كلثوم وامهم زينب بنت على عليه السلام وأمها فاطمة بنت رسول الله (ص) ؛ وحسن درج ، وعون الأصغر قتل مع الحسين بن على عليه السلام يوم الطفوف ولابقية له وأمهم حمانة بنت المسيب بن نجبة الفزارى ، وأبو بكر ، وعبيد الله ؛ ومحمد وامهم الخوصاء بنت حفصة من بنى بكر بن وايل ، وصالح ، ويحيى لابقية لهما ؛ وموسى ، لابقية لهما أيضاً ؛ وجعفر ؛ وأم أبيها وأم وأمهم ليلى بنت مسعود ؛ وحميد ، وأم الحسن لأم ولد ، وجعفر ، وأبو سعيد ؛ وامهما أم الحسين بنت عمر من بنى صعصعة ومعاوية ، واسحاق ؛ واسماعيل ، وقثم ؛ وعباس ؛ وأم عون لأمهات أولاد شتى ولم يسم احد من هاشم ولده بمعاوية إلا عبد الله بن جعفر ولما سماه هجره بنو هاشم فلم يكلموه حتى توفى رحمه الله .

وزوج أحدى بناته الحجاج بن يوسف خوفاً من شره فسقطت منزلته عند الناس والتقاه الوليد بن عبد الملك وهو ولى عهد أبيه يوما بظاهر دمشق فسلم عليه عبد الله فرد عليه الوليد أقبح رد وقال له ويحك يابن جعفر عمدت الى عقيلة آل جعفر فسلمتها الى عبد بنى ثقيف يتفخذها والله لئن عشت لك لأرينك العجب فاعتذر اليه فلم يقبل عذره ، ومات عبد الله قبل أن يفضى الأمر الى الوليد .



الباب الثامن في ذكر الحسن عليه السلام

وكنيته : أبو محمد ، ويلقب بالقايم ، والتقي ، والطيب ، والسيد ، والسبط والولي ، ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة واذن رسول الله صلى الله عليه وآله في اذنه .

قال احمد بن حنبل في المسند : حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه علي عليه السلام قال لما ولد لي الحسن سميته باسم عمي حمزة ، ولما ولد الحسين سميته باسم أخي جعفر فدعاني رسول الله (ص) فقال لي يا أبا تراب ان الله قد أمرني أن أغير اسم هذين الغلامين فسماهما حسناً وحسيناً وأخرجه احمد أيضاً في (الفضائل) .

وقال أحمد في المسند : حدثنا يحيى بن آدم حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن هاني بن هاني عن علي عليه السلام قال لما ولد الحسن سميته حرباً فجاء رسول الله (ص) فقال اروني ابني ما سميتوه فقلت حرباً فقال لا بل هو حسن فلما ولد حسين سميته حرباً فقال لا بل هو حسين باسماء ولد هارون شبر وشبير .

وفي رواية : فلما ولد الثالث سميته حرباً فقال رسول الله (ص) بل هو محسن مثل مشبر وهذا يدل على صحة ما ذكره الزبير بن بكار ان فاطمة جاءت من علي بولد آخر اسمه محسن مات طفلا ، وقيل ان الحسن ولد لستة اشهر .

وذكر ابن سعد في (الطبقات) : ان رسول الله (ص) عق عن الحسن والحسين بكبشين ووزنت فاطمة عليها السلام شعرهما لما حلقته وتصدقت بوزنه فضة وقيل فضة وذهباً وذلك في اليوم السابع وكان وزن شعرهما درهم .

﴿ ذكر فضائل الحسن عليه السلام ﴾

كان من كبار الأجواد ، وله الخاطر الوقاد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبه حباً شديداً .

قال احمد فى المسند : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثنا عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال رأيت رسول الله (ص) واضعاً الحسن على عاتقه وهو يقول اللهم انى احبه فاحبه متفق عليه، وفى رواية فاحب من يحبه .

وقال احمد: أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا عمر بن سعيد عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحرث ويكنى أبا سروعة قال صلى أبو بكر (رض) صلاة العصر بعد وفاة رسول الله (ص) بليال ثم خرج يمشى ومعه على «ع» الى جنبه فرأى الحسن بن على يلعب مع الصبيان فاحتمله على عاتقه وجعل يقول :

يا بأبي شبه النبي   ليس شبيهاً بعلى

وعلى يضحك انفرد باخراجه البخارى .

وقال احمد أيضاً : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن الزهرى عن الحسن البصرى قال حدثنى أبو بكرة ونفيع بن حرب قال رأيت رسول الله (ص) على المنبر والحسن الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعلى الحسن أخرى ويقول ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين انفرد باخراجه البخارى .

وقال البخارى قال لى عبد الله بن محمد انما ثبت سماع الحسن البصرى من أبى بكرة بهذا الحديث .

وفى افراد البخارى عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص) يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول ان أباكما ابراهيم كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق ، والتامة التى لا نقص فيها لأن كلام المخلوقين ناقص ، وقد روى التامات وهو ابلغ من التامة . والهامة

كل نسمة تهم بسوء واصل اللامة من لممت الماماً وانما لم يقل ملمة لتوافق لفظ هامة فتكون اخف على اللسان .

واخرج البخاري عن أنس قال: لم يكن احد يشبه بالنبي (ص) إلاالحسن ابن علي وكذا أخرج البخاري في الحسين وسنذكره في مقتله عند حضور رأسه بين يدي ابن زياد .

وأخرجه احمد في المسند ؛ وفيه كان الحسن بن علي أشبههم وجهاً برسول الله ، وفي رواية كان الحسن يشبه رسول الله (ص) من رأسه الى سرته ، والحسين يشبهه من سرته الى قدميه .

وحكى ابن سعد في (الطبقات) باسناده الى عبد الله بن الزبير قال رأيت رسول الله (ص) وهو ساجد ويجيء الحسن ويركب ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وقال احمد : حدثنا زكريا بن يحيى عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن عقيل عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج النبي (ص) في طائفة من النهار لايكلمني ولاأكلمه حتىأتى سوق بني قينقاع فجلس بفناء بيت فاطمة عليها السلام فقال اثم لكع فحسبته ستاً فظننت انها تلبسه سنحابا أو تغسله فجاء الحسن يشتد حتى عانقه وقبله ساعة وقال اللهم اني أحبه واحب من يحبه متفق عليه ، اللكع الصغير في السن وهذا قاله على وجه الملاعبة والسنحاب القلادة ، ويشتد يعدو وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة قال كنت مع رسول الله (ص) في سوق من أسواق المدينة فانصرف وانصرفت فقال لي يالكع ثلاثاً أدع لي الحسن بن علي فدعوته فجاء وفي عنقه السنحاب فالتزمه النبي (ص) بيده وقال: اللهم اني أحبه فاحبه وأحب من يحبه ، وقوله « ع » لأبي هريرة يالكع أراد به انه صغير في العلم والقدر .

قال أبو هريرة : فما كان احد عندى أحب الى من الحسن بن على بعد ما قال رسول الله (ص) ما قال .

قال أبو هريرة: وكان رسول الله (ص) يقبله .

وقال أبو نعيم الاصفهانى فى (الحلية) : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن نصر حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا العباس بن الفضل عن القاسم ابن عبد الرحمان عن محمد بن على قال حج الحسن بن على «ع» من المدينة الى مكة عشرين حجة على قدميه والنجايب تقاد معه وكان يقول انى استحى من الله ان القاه ولم امش الى بيته .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) انه حج خمسة عشر حجة ماشياً وانه قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى كان يعطى نعلا ويمسك نعلا وخرج من جميع ماله لله تعالى مرتين ؛ وفى رواية وسمع رجلا يسأل الله عشرة آلاف درهم فبعث اليه ، وقد ذكره جدى فى الصفوة .

﴿ ذكر ما جرى له بعد وفاة أمير المؤمنين «ع» ﴾

قال علماء السير: بويع الحسن بالخلافة فى اليوم الذى استشهد فيه على «ع» وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فان ذلك يأتى على كل شرط فبايعه وبايعه الناس وقيل انما بايعوه بعد ما قتل على «ع» بيومين .

وقال الزهرى: يقول كان قد بايع علياً «ع» أربعون الفا من أهل العراق على الموت ليسيروا معه الى الشام فلما استشهد بايعوا الحسن «ع» قال وكان الحسن لا يؤثر القتال ويميل الى حقن الدماء وعرف الحسن ان قيس بن سعد لا يوافقه على هذا الرأى فاقام بالكوفة ستة أشهر الى سلخ ربيع الأول سنة احدى وأربعين ، ثم خرج من الكوفة ونزل المدائن وبعث قيس بن سعد

على مقدمته فى اثنى عشر الفا وأقبل معاوية من الشام فى جيوشه .

قال الشعبى : فبينا الحسن فى سرادقه بالمداين وقد تقدم قيس بن سعد إذ نادى مناد فى العسكر ألا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا فنفروا الى سرادق الحسن فنازعوه حتى أخذوا بساطا كان تحته وطعنه رجل بمشقص فادماه فازدادت رغبته فى الدخول فى الجماعة وذعر منهم فدخل المقصورة التى فى المداين بالبيضاء وكان الأمير على المداين سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن أبى عبيد ولاه عليها على عليه السلام .

فقال له المختار، وكان شابا هل لك فى الغناء والشرف قال وما ذلك قال تستوثق من الحسن وتسلمه الى معاوية . فقال له سعد قاتلك الله اثب على ابن رسول الله واوثقه واسلمه الى ابن هند بئس الرجل أنا ان فعلته .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) : ان المختار قال لعمه سعد هل لك فى أمر تسود به العرب قال وما هو قال تدعنى أضرب عنق هذا يعنى الحسن واذهب به الى معاوية فقال له قبحك الله ما هذا بلاءهم عندنا أهل البيت .

ولما رأى الحسن ، تفرق عنه الناس واختلاف أهل العراق عليه وغدر أهل الكوفة به رغب فى الصلح وكان معاوية قد كتب اليه فى السر يدعوه الى الصلح فلم يجبه ثم أجابه .

قال الشعبى : لما مال الحسن الى صلح معاوية قال له أخوه الحسين انشدك الله ان تصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثة أبيك فقال أما ترى الى ما نحن فيه ، وقد روى الثرى ما يدل على ان معاوية هو الذى راسله فى الصلح .

وقد روى عن الحسن البصرى قال : استقبل والله الحسن بن على على معاوية بكتائب امثال الجبال ، قال عمرو بن العاص انى والله لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل اقرانها فقال له معاوية أى عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء من لى بامور المسلمين من لى بنسائهم من لى بضعفتهم فبعث اليه رجلين من بنى

عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر وقال اذهبا الى هـذا الرجل واعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه فأتياه فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا اليه فقال لهما الحسن ان بنو عبد المطلب قد اصبنا من هذا المال وان هذه الامة قد عاثت فى دمائها قالا فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال فمن لى بهذا الأمر قالا له نحن لك به فما سألهما شيئاً الا قالا نحن لك به فصالحه وكان ذلك بالمداين .

قال الشعبي: صالحه على أن ياخذ من بيت المال بالكوفة خمسة الف الف وان لا يسب على عليه السلام واشياء شرطها عليه وكتبوا الكتاب فاعطاه مائة الف دينار أخرى وجميع ما كان فى بيت مال الكوفة ثم سار معاوية فالتقيا بمسكن من أرض العراق ومسكن بكسر الكاف موضع على نهر دجيل قريباً من أوانا عند دير الجاثليق ذكره الخطيب فى تاريخه وفى هـذا المكان قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير وفيه قبر مصعب وابراهيم بن الأشتر النخعى قيل وانما التقيا باذرح فسلم اليه الامر والاول أصح وذلك لخمس بقين من ربيع الأول سنة احدى وأربعين فكانت خلافة الحسن ستة اشهر واياماً .

وقال السدى: لم يصالح الحسن معاوية رغبة فى الدنيا وانما صالحه لما رأى أهل العراق يريدون الغدر به وفعلوا معه ما فعلوا خاف منهم ان يسلموه الى معاوية والدليل عليه انه خطب بالنخيلة قبل الصلح فقال أيها الناس ان هذا الامر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية انما هو حق اتركه إرادة لاصلاح الأمة وحقناً لدمائها وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين .

ثم سار معاوية فدخل الكوفة فاشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن ان يخطب ليظهر عيه فقال له قم فاخطب فقام وخطب فقال أيها الناس ان الله هديكم بأولنا وحقن دماكم بآخرنا ونحن أهل بيت نبيكم اذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً وان لهذا الامر مدة والدنيا دول .

وقد قال الله تعالى لنبيه: (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) فضج الناس بالبكاء فالتفت معاوية الى عمرو قال هذا رأيك ثم قال للحسن حسبك يا أبا محمد .

وفى رواية ، انه قال : نحن حزب الله المفلحون وعترة رسوله المطهرون وأهل بيته الطيبون الطاهرون واحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم فطاعتنا مقرونة بطاعة الله فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول وان معاوية دعانا الى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فان وافقتم رددناه عليه وخاصمناه الى الله تعالى بظبى السيوف وان أبيتم قبلناه فناداه الناس من كل جانب البقية البقية

وفى رواية ابن عبد البر المالكى فى كتاب (الاستيعاب) وكنيته أبو عامر ابن سفيان بن ياليل الخارجى وقيل ابن ليلى ناداه يا مذل المؤمنين .

وفى رواية هشام : ومسود وجوه المؤمنين فقال له ويحك أيها الخارجى لا تعنفنى فان الذى أحوجنى الى ما فعلت قتلكم أبى وطعنكم اياى وانتهابكم متاعى وانكم لما سرتم الى صفين كان دينكم امام دنياكم وقد اصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم ويحك أيها الخارجى انى رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم وما اغتر بهم إلا من ذل ليس احد منهم يوافق رأى الآخر ولقد لقى أبى منهم أموراً صعبة وشدايداً مرة وهى أسرع البلاد خراباً وأهلها هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً

وفى رواية ان الخارجى لما قال له يامذل المؤمنين قال ما اذللتم ولكن كرهت ان افنيهم واستأصل شافتهم لأجل الدنيا .

وذكر ابن جرير وغيره ، ان الحسن لما صالح معاوية اقام بالكوفة يتجهز حتى برىء من جراحته فخرج الى المسجد فقال يا أهل الكوفة اتقوا الله فى جيرانكم وضيفانكم من أهل بيت نبيكم فبكى الناس فلما سار نحو المدينة تلقاه الناس من القادسية فقالوا يا مذل العرب .

قال الزهرى : كان الحسن متأولا فى صلحه لمعاوية .

قلت والذى أشار اليه الزهرى ذكره احمد فى (الفضائل) فقال حدثنا بهز بن حكيم حدثنا حماد بن سلمة حدثنا سعيد بن حمكان (١) عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا ، فقال سفينة واسمه مهران نظرت فاذاً خلافة أبى بكر سنتان وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنى عشر سنة وخلافة علي خمس سنين وباقى الكسور تمام الثلاثين فكان ما فعل الحسن نظراً للامة .

قال أهل السير ولما سلم الحسن الأمر الى معاوية أقام يتجهز الى المدينة فاجتمع الى معاوية رهط من شيعته منهم عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وهو أخو عثمان لامه وكان علي عليه السلام قد جلده فى الخمر وعتبة وقالوا نريد ان تحضر الحسن على سبيل الزيارة لنخجله قبل مسيره الى المدينة فنهاهم معاوية وقال انه السن بنى هاشم فالحوا عليه فارسل الحسن فاستزاره فلما حضر شرعوا فتناولوا علياً عليه السلام والحسن ساكت فلما فرغوا حمد الحسن الله وأثنى عليه وصلى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قال : ان الذى اشرتم اليه قد صلى الى القبلتين وبايع البيعتين وانتم بالجميع مشركون وبما انزل الله على نبيه كافرون وانه حرم على نفسه الشهوات وامتنع من اللذات حتى انزل الله فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وأنت يا معاوية ممن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه اللهم لا تشبعه أو لا اشبع الله بطنك أخرجه مسلم عن ابن عباس .

وبات أمير المؤمنين يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى انزل الله فيه (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) ووصفه الله بالإيمان فقال : (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) والمراد به أمير المؤمنين وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منى بمنزلة هارون من موسى وأنت أخى فى الدنيا والآخرة وأنت يا معاوية نظر النبى (ص) اليك يوم الاحزاب

(١) ـ جهال خ ل .

فرأى أباك على جمل يحرض الناس على قتاله وأخوك يقود الجمل وأنت تسوقه فقال لعن الله الراكب والقائد والسائق وما قابله أبوك في موطن إلا ولعنه وكنت معه ولاك عمر الشام فخنته ثم ولاك عثمان فتربصت عليه وأنت الذى كنت تنهى أباك عن الإسلام حتى قلت مخاطباً له :

ياصخر لاتسلمن طوعاً فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
لا تركنن الى أمر تقلدنا والراقصات بنعمان به الحرقا

وكنت يوم بدر ، واحد ، والخندق ، والمشاهد كلها تقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وقد علمت المسلمين الذى ولدت عليه ؛ ثم التفت الى عمرو بن العاص وقال أما أنت يا ابن النابغة (١) فادعاك خمسة من قريش غلب عليك ألأمهم وهو العاص وولدت على فراش مشرك وفيك نزل (ان شانئك هو الابتر) وكنت عدو الله وعدو رسوله وعدو المسلمين وكنت أضر عليهم من كل مشرك وأنت القائل :

ولا أنثنى عن بنى هاشم بما استطعت فى الغيب والمحضر
وعن عايب اللات لا أنثنى ولولا رضى اللات لم تمطر

وأما أنت يا وليد فلا الومك على بغض أمير المؤمنين فانه قتل أباك صبراً وجلدك فى الخمر لما صليت بالمسلمين الفجر سكراناً ، وقلت : أزيدكم ؟ وفيك يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم سكراً وما يدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا لاتت صلاتهم على العشر
فاتوا أبا وهب ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجرى

وسماك الله فى كتابه فاسقاً ، وسمى أمير المؤمنين مؤمناً فى قوله : (أفمن كان

مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون) وفيك يقول حسان بن ثابت وفي أمير المؤمنين :

انزل الله ذو الجلال علينا في علي وفي الوليد قرانا
ليس من كان مؤمنا عمرك الله كمن كان فاسقاً خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل وعلي الى الجزاء عيانا
فعلي يجزى هناك جنانا ووليد يجزى هناك هوانا

وأما أنت يا عتبة فلا الومك في أمير المؤمنين فانه قتل أباك يوم بدر واشترك في دم ابن عمك شيبة وهلا انكرت على من غلب على فراشك ووجدته نائماً مع عرسك حتى قال فيك نصر بن حجاج :

نبئت عتبة هيأته عرسه لصداقة الهذلي من الحيان
الفاه معها في الفراش فلم يكن فحلا وامسك خشية النسوان
لا تعتبن ياعتب نفسك حبها ان النساء حبايل الشيطان

ثم نفض الحسن ثوبه وقام فقال معاوية :

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له وقلت لكم لاتبعثن الى الحسن
فجاء ورب الراقصات عشية بركبانها يهوين من سرة اليمن
أخاف عليكم منه طول لسانه وبعد مداه حين اجراره الرسن
فلما أبيتم كنت فيكم كبعضكم وكان خطابي فيه غبناً من الغبن
فحسبكم ما قال بما علمتم وحسبي بما الفاه في القبر والكفن

﴿ تفسير غريب هذه الواقعة ﴾

قال الأصمعي وهشام بن محمد الكلبي في كتابه المسمى (بالمثالب) وقد وقفت عليه معنى قول الحسن لمعاوية قد علمت الفراش الذى ولدت عليه ان معاوية كان يقال انه من أربعة من قريش عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى ومسافر بن أبي عمر وأبي سفيان والعباس بن عبد المطلب وهؤلاء كانوا ندماء أبي سفيان وكان كل منهم يتهم بهند ، فاما عمارة بن الوليد كان من اجمل رجالات

قريش وهو الذى وشى به عمرو بن العاص الى النجاشى فدعى الساحر فنفث فى احليله فهام مع الوحش وكانت امرأة النجاشى قد عشقته، وأما مسافر بن أبى عمرو فقال الكلبى عامة الناس على ان معاوية منه لانه كان أشد الناس حباً لهند فلما حملت هند بمعاوية خاف مسافر ان يظهر انه منه فهرب الى ملك الحيرة وهو هند ابن عمرو فاقام عنده ثم ان أبا سفيان قدم الحيرة فلقيه مسافر وهو مريض من عشقه لهند وقد سقى بطنه فسأله عن أهل مكة فاخبره وقيل ان أبا سفيان تزوج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكة فقال له أبو سفيان انى تزوجت هنداً بعدك فازداد مرضه وجعل يذوب فوصف الكى فاحضروا له المكاوى والحجام فبينا الحجام يكويه إذ حبق الحجام فقال مسافر (قد يحبق العير والمكواة فى النار) فسارت مثلا ثم مات مسافر من عشقه لهند .

وذكر هشام بن محمد الكلبى أيضاً فى كتاب (المثالب) وقال : كانت هند من المغيلمات وكانت تميل الى السودان من الرجال فكانت اذا ولدت ولداً أسود قتلته .

قال وجرى بين يزيد بن معاوية وبين اسحاق بن طابه بن عبيد كلام بين يدى معاوية وهو خليفة فقال يزيد لاسحاق ان خيراً لك ان يدخل بنو حرب كلهم الجنة اشار يزيد الى ان أم اسحاق كانت تتهم ببعض بنى حرب فقال له اسحاق ان خيراً لك ان يدخل بنو العباس كلهم الجنة فلم يفهم يزيد قوله وفهم معاويه فلما قام اسحاق قال معاوية ليزيد كيف تشاتم الرجال قبل ان تعلم ما يقال فيك قال قصدت شين اسحاق وهو كذلك أيضاً قال وكيف قال اما علمت ان بعض قريش فى الجاهلية يزعمون انى للعباس فسقط فى يدى يزيد .

قال الشعبى وقد اشار رسول الله (ص) الى هند يوم فتح مكة بشىء من هذا فانها لما جاءت تبايعه وكان قد أهدر دمها فقالت على ما ابايعك فقال على أن لاتزنين فقالت وهل تزنى الحرة ؟ فعرفها رسول الله (ص) فنظر الى عمر فتبسم

قلت وقد روى عن هند خلاف هذا فذكر صاحب العقد : ان هنداً بنت عتبة كانت تحت الفاكه بن المغيرة المخزومى وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه من غير إذن فقال فيه يوماً مع هند ثم خرج وتركها فيه نائمـه فجاء بعض الأضياف على عادته فوجدها نائمة فولى خارجاً واستقبله الفاكه فدخل على هند فانبهها وقال من هذا الذى كان عندك؟ فقالت والله مازلت نائمة منذ خرجت وما رأيت احداً دخل سواك فقال لها الحق باهلك وخاض الناس فى أمرها فقال لها أبوها اخبرينى خبرك فان كان صادقاً دسيت اليه من يقتله فينقطع الكلام عنك وان كان كاذباً حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت والله لكاذب فقال عتبة للفاكه قد رميت ابنتى ببهتان عظيم فاما ان تبين واما ان تحاكمنى الى الكاهن فقال ذلك اليك فخرجا فى جماعة من أهلها فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند فقال لها أبوها هلا كان هذا قبل ان يشتهر خروجنا بين الناس فقالت والله ماذاك ولكنكم تأتون بشراً يخطىء ويصيب ولعله يخطىء فليسمنى بميسم يبقى على السنة العرب فقال أبوها صدقت ولكنى سأخبره لك فصفر لفرسه فادلى فعمد الى حبة بر فتركها فى احليله واوكىء عليها ثم نزلوا على الكاهن فاكرمهم فقال له عتبة قد أتيناك فى أمر وقد خبأت لك خبية فاخبرنى بها فقال ثمرة فى كمره فقال اريد أبين من هذا فقال حبة بر فى احليل مهر فقال صدقت فانظر فى أمر هذه النسوة وكان قد خرج معها نسوة من بنى عبد مناف فجعل يمسح على رأس كل واحدة ويقول قومى لشانك حتى مسح على رأس هند فقال قومى غير رشحاء ولا زانية وستلدين ملكا يقال له معاوية فاخذ الفاكه بيدها فنترتها وقالت والله لاحرصن على ان يكون من غيرك فتزوجها أبو سفيان بعده فولدت معاوية ، والرشح : بالحاء المهملة لحم العجز والفخذين .

وأما قول الحسن لعمرو بن العاص : ولدت على فراش مشترك ، فذكر الكلبى أيضاً فى (المثالب) قال كانت النابغة أم عمرو بن العاص من البغايا أصحاب

الرايات بمكة فوقع عليها العاص بن وايل فى عدة من قريش منهم أبو لهب ، وأمية ابن خلف ، وهشام بن المغيرة ، وأبو سفيان بن حرب فى طهر واحد .

قال ابن الكلبي : وكان الزناة الذين اشتهروا بمكة جماعة منهم هؤلاء المذكورون ؛ وأمية بن عبد الشمس ، وعبد الرحمان بن الحكم بن أبى العاص أخو مروان بن الحكم ، وعتبة بن أبى سفيان أخو معاوية ، وعقبة بن أبى معيط فلما حملت النابغة بعمرو وتكلموا فيه فلما وضعته اختصم فيه الخمسة الذين ذكرناهم كل واحد يزعم انه ولده والب عليه العاص بن وايل وأبو سفيان بن حرب كل واحد يقول والله انه منى فحكما النابغة فاختارت العاص فقالت هو منه فقيل لها ما حملك على هذا وأبو سفيان اشرف من العاص؟ فقالت هو كما قلتم إلا انه رجل شحيح والعاص جواد ينفق على بناتى وأبو سفيان لا ينفق عليهن وكان لها بنات

وأما قول الحسن للوليد بن عقبة: وجلدك علىٌّ فى الخمر فذكر أرباب السير قاطبة ان عثمان بن عفان ولى الوليد بن عقبة الكوفة سنة ست وعشرين وكان الوليد مدمناً على شرب الخمر وكان يجلس على الشراب وعنده ندماؤه ومغنوه طول الليل الى الفجر فاذا اذنه المؤذن بصلاة الفجر خرج سكراناً فصلى بهم فخرج يوماً فى غلالة لا يدرى أين هو فتقدم الى المحراب فصلى بهم الفجر أربعاً وقال ازيدكم؟ فقال له عبدالله مسعود ما زلنا معك فى زيادة منذ اليوم ولما سجد قال فى سجوده اشرب واسقنى فناداه ابن غيلان الثقفى سقاك الله المهل ومن بعثك أميراً علينا ثم حصبه وحصبه أهل المسجد فدخل الوليد القصر وهو يترنح فنام فى سريره فهجم عليه جماعة منهم أبو جندب بن زهير الأسدى وابن عوف الأزدى وغيرهما وهو سكران لا يعى فايقظوه فلم ينتبه ثم قاء عليهم الخمر فنزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم الى المدينة فدخلوا على عثمان فشهدوا على الوليد انه شرب الخمر فقال وما يدريكم انه شرب خمراً قالوا شرب الخمر الذى كنا نشربه فى الجاهلية فزبرهما ونال منهما فخرجا من عنده فدخلا على على عليه السلام واخبراه

بالقصة فدخل على عثمان فقال له دفعت الشهود وابطلت الحدود؟ قال له فما ترى فقال تبعث الى الفاسق فتحضره فان قامت عليه البينة حددته فارسل الى الوليد فاحضره فشهدوا عليه ولم يكن له حجة فرمى عثمان السوط الى على وقال له حده فقال على لولده الحسن قم فحده فامتنع الحسن وقال يتولى حارها من تولى قارها والقر البرد ، ومعناه يتولاه والى الأمر ، فقال لعبد الله بن جعفر قم فاجلده فامتنع فلما رآهم لا يفعلون توقياً لعثمان اخذ السوط ودنا من الوليد فسبه الوليد فقال له عقيل بن أبى طالب يا فاسق ما تعلم من أنت الست علجاً من أهل صفورية قرية بين عكا واللجون من اعمال الاردن كان أبوك يهودياً منها فجعل الوليد يحيد عن على فاخذه فضرب به الأرض فقال له عثمان ليس لك ذلك فقال بلى وشر من ذلك اذ فسق ثم يمتنع ان يؤخذ منه حق الله تعالى ثم جلده أربعين .

وقد أخرج احمد فى المسند معنى هذا فقال : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن عبد الله بن الداناج عن حصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة قال لما قال على عليه السلام للحسن قم فاجلده قال وفيم أنت وذاك؟ فقال على: بل عجزت ووهنت قم يا عبد الله بن جعفر فاجلده فقام فجلده وعلى عليه السلام يعد حتى بلغ أربعين قال امسك ثم قال جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر أربعين وضرب أبو بكر (رض) أربعين وضربها عمر (رض) صدراً من خلافته ثم اتمها ثمانين وكلٌ سنة .

فان قيل فقد روى احمد فى المسند أيضاً عن على عليه السلام انه قال: مامن رجل اقمت عليه حداً فمات فاجد فى نفسى منه إلا صاحب الخمر فانه لو مات لوديته لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسنه واخرجاه فى الصحيحين فكيف تقول وكل سنة؟ قلنا لا خلاف ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب فى الخمر فالضرب فى الجملة سنة والعدد ثبت باجماع الصحابة .

وقيل هذه القصة انما جرت للحسن مع معاوية والوليد ومن سميناهم بالشام

لان الحسن كان يفد على معاوية كل حين ومعه الحسين .

قلت : وقد دعى رسول الله ﷺ على الوليد بن عقبة لما رد امانه .

فقال احمد فى المسند: حدثنا عبيدالله بن عمر حدثنا عبد الله بن داود حدثنا نعيم بن حكيم عن ابن أبي مريم عن على عليه السلام قال جاءت امرأة الوليد بن عقبة تشكوه الى رسول الله ﷺ وقالت يا رسول ان الوليد يضربنى فقال اذهبى اليه وقولى له قد أجارنى رسول الله ﷺ فلم تلبث إلا يسيراً حتى جاءت فقالت ما زادنى إلا ضربا فاخذ رسول الله ﷺ هدبة من ثوبه فدفعها اليها وقال لها قولى هذا أمانى من رسول الله فلم تلبث إلا يسيراً حتى جاءت فقالت يا رسول الله ما زادنى إلا ضرباً قال فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال اللهم عليك بالوليد وفى رواية اللهم عليك بالفاسق .

واختلفوا فى معنى تسميته بالفاسق على قولين احدهما: ان الوليد قال يوماً لعلى عليه السلام الست ابسط منك لساناً واحد سناناً فنزلت (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون) ذكره ابن عباس .

والثانى: ان النبي ﷺ بعثه سنة ثمان من الهجرة الى بنى المصطلق يصدقهم وكانوا قد اسلموا وبنوا المساجد فلما بلغهم قدوم الوليد خرجوا يتلقونه بالهدايا والسلاح فرحاً به فلما رآهم ولى راجعاً الى المدينة فقال يا رسول الله قد منعوا الزكاة وقاموا الى بالسلاح فابعث اليهم البعوث فقدم الحرث بن عباد على رسول الله ﷺ فقال له ياحارث اردت قتل رسولى ومنعت الزكاة فقال والذى بعثك بالحق ما وصل الينا وانما رجع من الطريق ولقد كذب فانزل الله (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ) الآية .

وذكر هشام بن محمد الكلبي عن محمد بن اسحاق قال: بعث مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة رسولا الى الحسن عليه السلام فقال له يقول لك مروان أبوك الذى فرق الجماعة وقتل أمير المؤمنين عثمان وأباد العلماء والزهاد يعنى الخوارج

وأنت تفخر بغيرك فاذا قيل لك من أبوك تقول خالى الفرس فجاء الرسول الى الحسن فقال له يا أبا محمد انى أتيتك برسالة ممن يخاف سطوته ويحذر سيفه فان كرهت لم ابلغك اياها ووقيتك بنفسى فقال الحسن لا بل تؤديها ونستعين عليه بالله فاداها فقال له تقول لمروان ان كنت صادقاً فالله يجزيك بصدقك وان كنت كاذباً فالله أشد نقمة فخرج الرسول من عنده فلقيه الحسين فقال من أين أقبلت؟ فقال من عند أخيك الحسن فقال وما كنت تصنع؟ قال أتيت برسالة من عند مروان فقال وما هى؟ فامتنع الرسول من ادائها فقال لتخبرنى أولا قتلنك فسمع الحسن فخرج وقال لأخيه خل عن الرجل فقال لا والله حتى اسمعها فاعادها الرسول عليه فقال قل له يقول لك الحسين بن على بن فاطمة ياابن الزرقاء الداعية الى نفسها بسوق ذى المجاز صاحبة الراية بسوق عكاظ ويا ابن طريد رسول الله ولعينه اعرف من أنت ومن أمك ومن أبوك فجاء الرسول الى مروان فاعاد عليه ما قالا فقال له ارجع الى الحسن وقل له اشهد انك ابن رسول الله وقل للحسين اشهد انك ابن على بن أبى طالب فقال الرسول قل له كلاهما لى ورغماً .

قال الاصمعى : أما قول الحسين ياابن الداعية الى نفسها فذكر ابن اسحاق ان أم مروان اسمها أمية وكانت من البغايا فى الجاهلية وكان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها وكانت تسمى أم حبتل الزرقاء وكان مروان لا يعرف له أب وانما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو الى العاص .

واما قوله : ياابن طريد رسول الله يشير الى الحكم بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس اسلم الحكم يوم الفتح وسكن المدينة وكان ينقل أخبار رسول الله ﷺ الى الكفار من الأعراب وغيرهم ويتجسس عليه .

قال الشعبى : وما أسلم إلا لهذا ولم يحسن اسلامه ، ورآه رسول الله ﷺ يوماً وهو يمشى ويتخلج فى مشيته يحاكى رسول الله فقال له كن كذلك فما زال يمشى كأنه يقع على وجهه ، ونفاه رسول الله ﷺ الى الطايف ولعنه ، فلما توفى

رسول الله ﷺ كلم عثمان أبا بكر ان يرده لأنه كان عم عثمان فقال أبو بكر هيهات شيء فعله رسول الله ﷺ والله لا أخالفه أبداً فلما مات أبو بكر وولى عمر كلمه فيه فقال يا عثمان اما تستحي من رسول الله ﷺ ومن أبي بكر ترد عدو الله وعدو رسوله الى المدينة والله لا كان هذا ابداً فلما مات عمر وولى عثمان رده في اليوم الذي ولى فيه وقربه وادناه ودفع له مالا عظيماً ورفع منزلته فقام المسلمون على عثمان وانكروا عليه وهو أول ما انكروا عليه وقالوا رددت عدو الله ورسوله وخالفت الله ورسوله فقال ان رسول الله وعدني برده فامتنع جماعة من الصحابة عن الصلاة خلف عثمان لذلك ثم توفى الحكم في خلافته فصلى عليه ومشى خلفه فشق ذلك على المسلمين وقالوا ماكفاك ما فعلت حتى تصلى على منافق ملعون لعنه رسول الله ﷺ ونفاه فخلعوه وقتلوه واعطى ابنه مروان خمس غنائم افريقية خمس مائة الف دينار .

ولما بلغ عائشة ارسلت الى عثمان اما كفاك انك رددت المنافق حتى تعطيه أموال المسلمين وتصلى عليه وتشيعه بهذا السبب قالت اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر .

ولما بلغ مروان انكارها جاء اليها يعاتبها فقالت له اخرج يا ابن الزرقاء اني اشهد على رسول ﷺ انه لعن أباك وأنت في صلبه .

قال الشعبي : ان مروان ولد سنة اثنتين من الهجرة وأبوه انما اسلم يوم الفتح ونفاه رسول الله ﷺ بعد ذلك .

قلت : وقد ذكر ابن سعد في (الطبقات) معنى الحكاية التي حكيناها عن ابن اسحاق ورسالة مروان الى الحسن وقال فيها كان مروان يشتم علياً عليه السلام يوم الجمعة على المنبر وكان الحسن يقعد في حجرة رسول الله ﷺ حتى يفرغ ثم يخرج فيصلى خلفه فبعث اليه الحسن يعاتبه فقال له مروان للرسول قل ما اجد لك مثلا إلا البغلة يقال لها من أبوك فتقول خالي الفرس .

وقال ابن سعد: كان الحسن والحسين يخضبان بالسواد، ومن مكارم اخلاق الحسن ما قرأته على أبي القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن الخطيب بالموصل سنة خمس وست مائة . قال أنبأنا والدى أبو الفضل عبدالله بن احمد وعمى عبد الرحمان ابن احمد بن محمد الطوسى قالا أنبأنا الحاجب أبو الحسن على بن محمد بن على العلاف أنبأنا عبد الملك بن محمد بن بشران أنبأنا أبو العباس احمد بن ابراهيم الكندى بمكة فى المسجد الحرام سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة قرأته عليه قال أنبأنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرايطى صاحب كتاب اعتلال القلوب قال أنبأنا أبو زيد عمرو بن شبية حدثنا أيوب بن عمرو الغفارى قال أنبأنا خالى محمد بن عمارة الغفارى قال طلق عبد الله بن عامر امرأته بنت سهيل بن عمرو فقدمت المدينة ومعها ابنتها ووديعة جوهر لابن عامر فتزوجها الحسن ثم أراد ابن عامر العمرة فاتى المدينة فلقى الحسن فقال : يا أبا محمد ان لى الى ابنة سهيل حاجة فأذن لى فى الدخول عليها فقال لها الحسن البسى ثيابك فهذا ابن عامر يستأذن عليك فدخل عليها فسألها وديعته فجاءته بها عليها خاتمه فقال خذى ثلثها فقالت ما كنت لآخذ على امانة أئتمنت عليها ثمناً أبداً فقال ان ابنتى قد بلغت واحب ان تخلى بينى وبينها فبكت وبكت ابنتها ورق لها ابن عامر فقال الحسن فهل لكما فوالله ما محلل خير منى فخجل ابن عامر وقال والله ما احرجتها من عندك ابداً فكفلها الحسن حتى مات .

وقال الشعبي : طلق الحسن امرأة وبعث اليها عشرة آلاف درهم فبكت وقالت (متاع قليل من حبيب مفارق) فبلغ الحسن فقال لو راجعت امرأة لراجعتها .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) كان الحسن لا يفارقه اربع حرابر وكانت عنده ابنة منظور بن يسار الفزارى وامرأة من بنى اسد فطلقهما وبعث الى كل واحدة بعشرة آلاف درهم مع مولاه يسار ، فقالت الفزارية جزاه الله خيراً

وقالت الاسدية (متاع قليل من حبيب مفارق) فاخبره فراجع الأسدية وترك الفزارية

وفى رواية : انه تزوج تسعين امرأة .

قال ابن سعد : وكان مطلقا ، وقيل لم يراجع الأسدية .

وقال ابن سعد : ما فارق امرأة إلا وهى تحبه .

﴿ ذكر وفاته عليه السلام ﴾

قال علماء السير : اقام الحسن بالمدينة بعد ما صالح معاوية الى سنة تسع واربعين فمرض أربعين يوماً وتوفى لخمس ليال بقين من ربيع الأول .

وقال الواقدى توفى سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين والأول اشهر

واختلفوا فى سنه على قولين ، احدهما : تسع وأربعين سنة والثانى سبع وأربعون سنة والاول أصح ودفن بالبقيع وقبره ظاهر يزار .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) رأى الحسن فى المنام مكتوباً بين عينيه قل هو الله احد فاستبشر أهل بيته بذلك فبلغ سعيد بن المسيب فقال ان صدقت رؤياه فما بقى (١) من أجله إلا القليل فمات بعد أيام .

﴿ سبب موته عليه السلام ﴾

قال علماء السير : منهم ابن عبد البر سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى .

وقال السدى: دس اليها يزيد بن معاوية ان سمى الحسن واتزوجك فسمته فلما مات ارسلت الى يزيد تسأله الوفاء بالوعد فقال أنا والله ما ارضاك للحسن افنرضاك لأنفسنا .

وقال الشعبي: انما دس اليها معاوية فقال سمي الحسن واز وجك يزيد واعطيك مائة الف درهم فلما مات الحسن بعثت الى معاوية تطلب انجاز الوعد فبعث اليها بالمال وقال انى أحب يزيد وأرجو حياته لولا ذلك لزوجتك اياه .

---

(١) ـ وفى نسخة : فما بقى من عمره إلا ثمانية أيام .

وقال الشعبي : ومصداق هذا القول ان الحسن كان يقول عند موته وقد بلغه ماصنع معاوية لقد عملت شربته وبلغ امنيته والله لايفى بما وعد ولايصدق فيما يقول .

وقد حكى جدى فى كتاب (الصفوة) قال : ذكر يعقوب بن سفيان فى تاريخه ان جعدة هى التى سمته وقال الشاعر فى ذلك :

تعز فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن

بموت النبي وقتل الوصى وقتل الحسين وسم الحسن

وقال ابن سعد فى (الطبقات) سمه معاوية مراراً لانه كان يقدم عليه الشام هو وأخوه الحسين عليهما السلام .

وقال أبو نعيم : أنبأنا محمد بن على حدثنا أبو عروبة الحرانى عن سليمان ابن عمرو بن خالد عن ابن علية عن ابن عون عن عمير بن اسحاق قال دخلت أنا ورجل على الحسن نعوده فى مرض موته فقال يافلان سلنى حاجة فقال لا والله لا نسألك حتى يعافيك الله فقال سلنى قبل ان لا تسألنى فلقد القيت طائفة من كبدى وانى سقيت السم مراراً فلم اسق مثل هذه المرة .

قال : ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه فقال له يا أخى من تتهم قال لم لتقتله قال نعم قال ان يك الذى اظن فالله أشد بأساً واشد تنكيلا وان لم يكن فما احب ان يقتل بى برىء ثم قضى نحبه .

وفى رواية: انه جزع وبكى بكاء شديداً فقال له الحسين ياأخى ما هـذا الجزع وما هذا البكاء وانما تقدم على رسول الله (ص) وعلى أبيك وعمك جعفر وفاطمة وخديجة وقد قال لك جدك انك سيد شباب أهل الجنة ولك سوابق كثيرة منها انك حججت ماشياً خمس عشرة مرة وقاسمت الله مالك مرتين وفعلت وفعلت وعدد مكارمه فوالله ما زاده ذلك إلا بكاء وانتحاباً . ثم قال : يا أخى السـت اقدم على هول عظيم وخطب جسيم لم اقدم على مثله قط ولست أدرى

اتصير نفسي الى النار فاعزيها ، أو الى الجنة فاهنيها .

وأخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله قال : أنبأنا محمد بن أبي منصور وعلى ابن ابي عمر قال : قالا أنبأنا رزق الله وطراد بن محمد الزينبي قالا أنبأنا علي بن بشران أنبأنا أبو بكر القرشي عن اسحاق بن اسماعيل عن احمد بن عبد الجبار عن سفيان بن عيينة عن رؤبة بن مصقلة قال : لما نزل بالحسن ﷺ الموت قال : اخرجوا فراشي الى صحن الدار فاخرجوه فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم انى احتسب عندك نفسي فانها اعز الانفس علي لم اصب بمثلها اللهم ارحم صرعتي وآنس في القبر وحدتي . ثم توفي عليه السلام .

ولما توفي تولى امره أخوه الحسين واخرجه الى المسجد وكان سعيد بن العاص أمير المدينة ، فقالت بنو هاشم لا يصلي عليه إلا الحسين فقدمه الحسين وقال لولا السنة لما قدمتك .

وقال ابن سعد عن الواقدي : لما احتضر الحسن قال ادفنوني عند أبي يعني رسول الله (ص) فاراد الحسين ان يدفنه في حجرة رسول الله (ص) فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وكان والياً على المدينة فمنعوه وقامت بنو هاشم لتقاتلهم فقال أبو هريرة أرايتم لو مات ابن لموسى اما كان يدفن مع أبيه

قال ابن سعد: ومنهم أيضاً عائشة وقالت لايدفن مع رسول الله (ص) أحد

قال : وحمل مروان بن الحكم سرير الحسن على عنقه الى البقيع فقال له الحسين تحمل سريره وقد كنت تجرعه الغيظ .

قال: وكتب مروان الى معاوية ان بني هاشم أرادوا أن يدفنوا الحسن عند رسول الله ﷺ ومال معهم سعيد بن العاص ومنعتهم لأجل عثمان المظلوم ايكون في البقيع وحسن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فكتب اليه معاوية يشكره ثم عزل سعيد بن العاص وولى مروان المدينة .

ولما دفن قام أخوه محمد بن الحنفية على قبره باكياً وقال رحمك الله أبا محمد

لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح عمر به بدنك ولنعم البدن بدن تضمنه كفنك وكيف لا وأنت سليل الهدى وحليف أهل التقى وخامس أصحاب الكسا ربيت فى حجر الإسلام ورضعت ثدى الإيمان ولك السوابق العظمى والغايات القصوى وبك أصلح الله بين فئتين عظيمتين ولم بك شعث الدين فعليك السلام فلقد طبت حياً وميتاً وأنشد :

أأدهن رأسى أم تطيب محاسنى　　وخدك معفوراً وأنت سليب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة　　وما اخضر فى دوح الرياض قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه　　ألا كل من تحت التراب غريب

قال الواقدى: ولما بلغ معاوية موته وكان بالخضراء كبر تكبيرة سمعها أهل المسجد .

وذكر ابن سعد : ان ابن عباس كان بالشام لما توفى الحسن وكان بصره قد ذهب فدخل على معاوية وقال لقائده لاتقدنى لئلا يشمت بى معاوية فقال معاوية والله لأخبرنه بما هو أشد عليه من شماتتى به ، فقال له هلك الحسن بن على فقال إنا لله وإنا اليه راجعون والله لن تبقى بعده يامعاوية .

وروى ان ابن عباس قال له أمات الحسن قال نعم قال لا يحزنك الله ولا يسؤك .

فقال ابن عباس: أما ما أبقاك الله لى فلا يحزنى ولا يسؤنى فاعطاه معاوية على كلمته هذه مائة الف درهم وعروضاً وقال اقسمها على أهلك .

(ذكر أولاده)

قال الواقدى وهشام : كان له خمسة عشر ذكراً وثمان بنات فمن الذكور على الأكبر ، وعلى الاصغر وجعفر ، وفاطمة ، وسكينة ، وأم الحسن ، وعبد الله ، والقاسم ، وزيد ، وعبد الرحمان ، واحمد ، واسماعيل ، والحسين وعقيل ، والحسن . وهو أبو عبد الله حسن بن حسن بن على عليه السلام وهذا المذكور

انما هو ترتيب الواقدى ، ومحمد بن هشام .

وأما محمد بن سعد فقد رتبهم فى (الطبقات) على غير هذا الترتيب وزاد فقال كان للحسن عليه السلام من الولد محمد الاصغر ، وجعفر ؛ وحمزة ؛ وفاطمة ؛ درجوا وأمهم أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب ؛ ومحمد الأكبر وبه كان يكنى ؛ والحسن وأمهم خولة بنت منظور غطفانية ، وزيد ، وأم الحسن ، وأم الخير وأمهم أم بشر بنت أبى مسعود الأنصارى واسمه عقبه بن عمرو ، واسماعيل ويعقوب وأمهما جعدة بنت الاشعث بن قيس التى سمته ؛ والقاسم ، وأبو بكر وعبد الله قتلوا مع الحسين يوم الطفوف وأمهم أم ولد ولا بقية لهم وقيل أسم أمهم نفيلة التى قال عبد الله بن حسن للسفاح وأشار اليها تبنى قصوراً نفعها لبنى نفيلة لما نذكر وحسين الاثرم ، وعبد الرحمان ، وأم سلمة لأم ولد تسمى ظمياء وعمر لأم ولد لا بقية له ، وأم عبد الله وهى أم أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عليه السلام وأمها أم ولد تدعى صافية ، وطلحة لا بقية له وأمه أم اسحاق بنت طلحة ابن عبيد الله التيمى ؛ وعبد الله الاصغر وأمه زينب بنت سبيع بن عبد الله أخى جرير بن عبد الله البجلى وهذا أصح .

وذكر الواقدى انه كان لزيد بن الحسن أولاد منهم ؛ محمد لأم ولد لا بقية له ؛ ونفيسة بنت زيد تزوجها الوليد بن عبد الملك فتوفيت عنده وأمها لبانة بنت عبد الله بن العباس ؛ وحسن بن زيد ولى المدينة لابى جعفر المنصور وأمه أم ولد .

قال الواقدى توفى زيد بن الحسن ببطحاء بن ازهر على اميال من المدينة فحمل الى البقيع ، قال ولم يذكر لنا تاريخ موته الا انه من الطبقة الثانية من التابعين ومن أولاد الحسن بن الحسن بن على عليه السلام كان له أولاد منهم عبد الله ابن حسن بن على عليه السلام ، وحسن بن حسن ؛ وابراهيم بن حسن بن حسن بن على عليه السلام وكلهم ماتوا فى حبس المنصور بالكوفة لما نذكر ، وزينب بنت

حسن بن حسن بن على عليه السلام وتزوجها الوليد بن عبدالملك ثم فارقها ، وأم كلثوم بنت حسن وأم الجميع فاطمة بنت الحسين بن على عليه السلام وأمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله ؛ وجعفر بن حسن بن حسن ، وداود ، وفاطمة ، وأم القاسم ومليكة لام ولد تدعى حبيبة فارسية ، وأم كلثوم لام ولد ، وكل هؤلاء ولد الحسن بن الحسن بن على عليه السلام ، والمشهور منهم عبد الله بن حسن بن حسن بن على عليه السلام .

فنذكر بعض سيرته قال الواقدى : فيما حكاه عنه ان كنيته أبو محمد وكان مقيماً بالمدينة حتى زال ملك بنى أمية فلما ولى أبو العباس السفاح الخلافة قدم من المدينة فى جماعة من الطالبيين وهو بالانبار فأحسن جايزتهم وقدم عبد الله وحباه وقربه وادناه وصنع به شيئاً لم يصنعه باحد وكان يسمر معه بالليل فسمر معه ليلة الى نصف الليل فدعى أبو العباس بسفط فيه جواهر ففتحه ثم قال يا أبا محمد هذا والله الجوهر الذى وصل الى من الجوهر الذى كان فى يد بنى أمية فقاسمه اياه ثم نعس أبو العباس فخفق برأسه فانشأ عبد الله يقول :

الم تر حوشباً أمسى ويبنى　　قصورا نفعها لبنى نفيلة
يؤمل ان يعمر عمر نوح　　وأمر الله يأتى كل ليلة

وانتبه أبو العباس ففهم ماقال ، فقال اتمثل هذا الشعر عندى وقد رأيت صنيعى بك وانى لم ادخر عنك شيئاً ؛ فقال يا أمير المؤمنين والله ما اردت بها سوء وانها ابيات خطرت لى فان رأيت ان تحمل ما كان منى فلتفعل فقال : قد فعلت .

وذكر الصولى فى كتاب (الأوراق) : ان هذين البيتين انشدهما عبد الله فى غير هذا الوجه ؛ فقال لما قدم عبد الله على أبى العباس اخذ بيده وجعل يمر به على قصوره وابنيته التى بناها بالهاشمية وكان معجباً بها فأنشد هذين البيتين فغضب السفاح واحمرت عيناه وجذب يده من يده وقال ما أردت بها فقال والله ما أردت

إلا أن أزهدك فيها ، فقال السفاح :

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فقال اغفرها لى فقال السفاح لا غفر الله لى ان غفرتها لك أبداً .

وفى رواية : فقال له عبد الله اقلنى قال لا اقالنى الله ان اقلتك أو بت فى عسكرى فاخرجه الى المدينة .

فلما توفى السفاح حبس أبو جعفر المنصور عبد الله ابن حسن بالمدينة .

وذكر الصولى فى كتاب (الاوراق) ان السفاح لما غضب على عبد الله ابن حسن كلمه فيه المنصور فضحك وقال تكلمنى فيه ووالله لا يحيفه سواك .

وقال الصولى: لما قدم عبد الله على السفاح أعطاه ألف ألف درهم وذلك لانه لما قدم عليه قال له يوماً يا أمير المؤمنين سمعت بالف الف درهم وما رأيتها قط فامر أبو العباس بحملها الى بين يديه فلما احضرت ورآها عبد الله استهابها فقال احملوها معه فجاء الناس يهنون عبد الله فقال شكرتم رجلا اعطانا بعض حقنا وفاز بالباقى فبلغ أبا العباس فلم يقل شيئاً .

(ذكر حبس المنصور لعبد الله بن حسن واخوته)

قال علماء السير : كان لعبد الله بن حسن بن حسن عدة أولاد نذكرهم بعد وكان المشار اليه منهم ، محمد ، وابراهيم وكانا يترشحان للخلافة وكان المنصور يخاف منهما وكانا يسكنان البوادى خوفاً منه ثم ينتقلان فى الامصار من الحجاز الى اليمن ثم الى البصرة ثم الى الهند ثم الى السند فلما حج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة أجتمع بعبدالله بن حسن بن حسن بالمدينة فسأله عن ولديه فقال لا علم لى بهما فاغلظ له أبو جعفر فقال يا ماص بظر أمه ؛ فقال له عبد الله يا أبا جعفر بأى امهاتى تمصنى بفاطمة بنت رسول الله أم بفاطمة بنت الحسين أم بام اسحاق بنت طلحة أم بخديجة بنت خويلد ، ثم حبسه ، وقيل انه لما سأله عن ولديه قال والله لو كانا تحت قدمى ما رفعتهما عنهما .

وذكر الصولى فى (الأوراق) ان عبد الله بن حسن لما لامه الناس فى كتم أمر ولديه قال بليتى أعظم من بلية الخليل عليه السلام لان الله تعالى امره بذبح ابنه وهو طاعة لله تعالى قال الله ان هذا لهو البلاء المبين وهذا يطلب منى ان ادله على ولدى ليقتلهما وهو لله معصية فامر بحبسه فاقام عبد الله محبوساً ثلاث سنين وحبس معه جماعة منهم : حسن ، وابراهيم ابنا حسن أخو عبد الله بن حسن وحسن بن جعفر بن حسن وأبو بكر بن حسن بن حسن أخو عبد الله أيضاً وسليمان ، وعبد الله . وعلى ، وعباس بنو داود بن حسن بن حسن ، ومحمد واسحاق ابنا ابراهيم بن حسن بن حسن ؛ وعباس بن حسن بن حسن بن على عليه السلام اخذوه وهو قاعد على بابه فنادت أمه عائشة بنت طلحة بالله دعونى اشمه فلم يفعلوا ؛ وعلى بن حسن بن حسن العابد ؛ وموسى بن عبد الله بن حسن بن حسن وعلى بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، وكان الذى تولى حبسهم رياح بن عثمان ولاه أبو جعفر المدينة فقيدهم وضيق عليهم .

وأول من حبس منهم عبد الله ثم تتابعوا ولم يزالوا محبوسين حتى حج أبو جعفر فى سنة أربع وأربعين ومائة هذه السنة وكان حبس عبد الله على ما قيل سنة احدى واربعين ؛ فلما قفل أبو جعفر من مكة بعث الى رياح فحملهم وحمل معهم محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان وأخو بنى حسن بن حسن لامهم جميعاً ويسمى بالديباج وأمهم فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام فاخذهم رياح فزادهم قيوداً واغلالا وضيق عليهم حلق الحديد فأثرت فى ارجلهم حتى أتى بهم الربذة لأن أبا جعفر لم يدخل فى تلك الحجة الى المدينة بل اقام بالربذة حتى وصلوا فى المحافل عراة ليس تحتهم وطاً ولا وسائد وأبو جعفر ينظر اليهم من وراء ستر .

قال الطبرى: حمل معهم نحواً من أربعمائة من (جهينة ومزينة) وغيرهم من القبائل .

قال عبد الرحمان بن أبي الموالي فانا رأيتهم بالربذة ملقين في الشمس فدعى أبو جعفر بمحمد الديباج وكانت ابنته تحت ابراهيم بن عبد الله بن حسن فقال له اخبرني اين الكذابان الفاسقان يعني ابراهيم، ومحمد، ابني عبد الله بن حسن ابن حسن فقال والله ما أدري فضربه أربعمائة سوط ثم القى عليه قميصاً غليظاً ثم نزعه فخرج جلده معه وكان من أحسن الناس ولهذا سمي الديباج وأصاب عينه سوط فذهبت عينه وحمل مكبلا الى أخيه عبد الله بن حسن وهو عطشان فلم يتجاسر احد يسقيه ماء فصاح عبد الله يا معشر المسلمين أيموت أولاد رسول الله عَلَيْهِ‌السَّلَامُ عطاشا ثم ركب أبو جعفر في محمل ومعادله الربيع في الشق الآخر وحمل بنو حسن على اقتاب الجمال مكشوفة رؤسهم والشمس تقرعها وليس تحتهم غطاء عرايا عطاشا جياعا فرمهم يوماً أبو جعفر وهو في محمله وقد غطاه بالحرير والديباج فناداه عبد الله بن حسن يا أبا جعفر هكذا فعلنا بكم يوم بدر فلم يكلمه، يشير الى فعل النبي عَلَيْهِ‌السَّلَامُ بالعباس لما أسر يوم بدر وبات يئن في قيوده أو في قده فقال لقد منعني انين العباس الليلة ان انام ثم حل عنه.

وذكر الصولي في (الأوراق) أن ابن أبي الزناد السعدي لما اخرجوا من المدينة على الجمال وكل واحد يعادله جندي قال:

من لنفس كثيرة الاشفاق	ولعين كثيرة الاطراق
جمدت للذي دهاها زماناً	ثم جادت بدمها المهراق
لفراق الذين راحوا الى المو	ت عيانا والموت مر المذاق
ثم ظلوا يسلمون علينا	باكف مشدودة في وثاق

قال هشام بن محمد: واسم ابنة الديباج التي زوجها ابراهيم رقية فلم يزالوا سائرين حتى قدم بهم أبو جعفر الكوفة على اسوء حال.

قال الواقدي: وكانوا عشرين من أولاد الحسن عَلَيْهِ‌السَّلَامُ فحبسهم بها وقيل حبسهم بالهاشمية مقابل الكوفة في سرداب تحت الارض لا يعرفون ليلا ولا

نهاراً وهذا السرداب عند قنطرة الكوفة موضعه معروف يزار ولم يكن عندهم بئر للماء فكانوا يبولون ويتغوطون فى مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة فكان الورم يبدو فى اقدامهم وكانوا اذا مات عندهم ميت لم يدفن بل يبلى وهم ينظرون اليه ، وقيل بل ردم عليهم الحبس فماتوا .

وقال الطبرى : انهم ماتوا عطشاً لانهم ما كانوا يسقون ماءاً .

واختلف علماء السير فى موت عبد الله بن حسن هل كان موته قبل خروج ولديه محمد وابراهيم على المنصور أم بعد ذلك ؟ قال قوم بعد موته وقال آخرون قبل موته وهو الأصح لما نذكر .

﴿ ذكر خروج محمد وابراهيم على أبى جعفر المنصور ﴾

قال علماء السير : لما أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن وأهله الى العراق اشفق محمد وابراهيم من ذلك فخرجا الى اليمن ثم الى الهند والسند ثم قدما الكوفة مستخفيين وكان أبو جعفر قد وضع عليهما العيون وكانت له مرآة ينظر فيها فيرى مافى الدنيا فنظر يوماً فيها فقال هذا محمد وابراهيم معاً فى العسكر وبايع محمداً وابراهيم خلق من عسكر أبى جعفر ثم انهما خافا فمضى محمد الى الحجاز وابراهيم الى البصرة .

﴿ ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن ﴾

قال علماء السير : كان قد بويع له فى عامة الامصار لما رأى الناس من جبروت أبى جعفر وعسفه فخرج محمد بالمدينة فى مأتين وخمسين فارساً فى رجب وكبروا وأتى السجن فكسر بابه واخرج من فيه وحبس رياح بن عثمان فى دار هشام ثم صعد محمد المنبر فخطب وقال : أيها الناس انه قد كان من أمر الطاغية عدو الله أبى جعفر مالم يخف عليكم وقد بنى القبة الخضراء معاندة لله وتصغيراً للكعبة الحرام وانما اخذ الله فرعون حين قال : (أنا ربكم الأعلى) وان أحق الناس بالقيام فى هذا الامر أبناء المهاجرين والانصار اللهم انهم قد احلوا احرامك

وحرموا حلالك وآمنوا من اخفت وأخافوا من آمنت اللهم فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم احداً ثم نزل .

قلت : هكذا وقعت هذه الرواية ان محمداً قال وقد بنى القبة الخضراء وهى وهم فان بغداد بنيت بعد قتل محمد وابراهيم .

قال الواقدى : واستولى محمد على المدينة ومكة واليمن .

وذكر ابن جرير فى (تاريخه) قال : استفتى مالك بن انس فى الخروج مع محمد وقيل له ان فى اعناقنا بيعة لأبى جعفر فقال مالك انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين فاسرع الناس الى محمد ولزم مالك بيته فما خرج منه .

قال الواقدى وغيره : وكان عبدالله بن على بن عبدالله بن عباس عم المنصور محبوساً عنده فقال أبو جعفر شاوروه فقال ان البخل قد قتل أبا جعفر مروه بانفاق الأموال فان غلب عادت اليه وان لم يغلب لم يقدر عدوه على درهم .

قال هشام بن محمد ولما بلغ أبا جعفر خروج محمد كتب اليه من أمير المؤمنين أبى جعفر الى محمد بن عبد الله قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً) إلى قوله (إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفوراً رحيم) ولك على عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ان تبت ورجعت من قبل ان أقدر عليك فأنت آمن وجميع ولدك وأخوتك وأهل بيتك ومن اتبعك على دمائهم وأموالهم وأعطيك الف الف درهم وانزلك أى البلاد أحببت واطلق من فى حبسى من أهلك وان شئت ان تستوثق لنفسك فابعث الى من شئت ليأخذ لك الامان والمواثيق والعهود والسلام فكتب اليه محمد بن عبد الله : من محمد بن عبد الله المهدى الى عبد الله بن محمد (طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون على فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طايفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين

استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت على وانما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وخطبتم بفضلنا وان أبانا علىكان الوصي وهوالامام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ثم قد علمت انه لم يطلب هذا الامر احد له نسبنا وشرفنا لسنا من أبناء الطلقاء ولا الطرداء ولا اللعناء ولا يمت احد من بنى هاشم بمثل ما نمت به من القرابة والمسابقة والفضل وإنا بنو أم رسول الله ﷺ فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية وبنو فاطمة بنت رسول الله ﷺ فى الإسلام فوالدنا على أول الناس إسلاماً وأول من صلى مع رسول الله وجدنا رسول الله ﷺ وجدتنا خديجة الطاهرة وان هاشماً ولد أبانا مرتين مرة من قبل أبيه ومرة من قبل أمه فاطمة بنت أسد وكذا ولد حسناً مرتين فانا أوسط بنى هاشم نسباً واشرفهم أباً لم يتنازع فى امهات ولا اولاد ولم يعرق فى العجم ولك من الامان على مثل ماذكرت ان دخلت فى طاعتى واجبت دعوتى ان أومنك على نفسك وولدك ومالك وأهلك وعلى كل حدث احدثته إلا حداً من حدود الله وحقاً لمسلم أو معاهد .

وأما قولك عن الامان: فاى الامانات تعطينى ، أمان عمك عبد الله بن على أو أمان أبى مسلم أو أمان ابن هبيرة والسلام .

فكتب اليه أبو جعفر ، أما بعد : فانى وقفت على كتابك فاذاً جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاناث كالعصبة والأولياء فان الله تعالى جعل العم أباً ، وأما ما ذكرت من أولاد فاطمة بنت عمرو فقد حجبها الكفر فلا ترث هى ولا احد من أولادها . وأما قولك ان هاشماً ولد علياً مرتين فرسول الله سيد الأولين والآخرين لم يلده هاشم إلا مرة وزعمت انك لم تلدك أمهات الأولاد فقد فخرت على من هو خير منك وهو ابراهيم بن رسول الله وما خياركم إلا من أمهات الاولاد لأنه ما ولد فيكم بعد

رسول الله ﷺ مثل على بن الحسين وأمه أم ولد وهو خير منك ومن جدك حسن بن حسن وكذا اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمان أمه أم ولد وكذا محمد ابن على بن الحسين أمه أم ولد وما كان فيكم مثله ولا مثل أبنه جعفر وأمه أم ولد وأما قولكم انكم بنوا رسول الله فالله تعالى يقول : (ما كان محمد أبا احد من رجالكم) وأنتم بنوا ابنته وهى وإن كانت قرة عين إلاانها لا تحوز الميراث ولا الولاية ولا يجوز لها الامامة ولا القضاء أليس الاجماع منعقداً على ان الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون مع العصبة ، وأما ما فخرت به من سابقة علىّ وفضله فهذا لا ادفعه غير ان رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة أمر بالصلاة غيره وكان فى الستة الذين كانوا شورى فتركوه وقدم عبد الرحمان بن عوف عثمان بن عفان وقتل عثمانَ وهو متهم به وأبا سعد وصدور الصحابة كابن عمر واسامة بن زيد وغيرهم فانهم تخلفوا عن بيعته وقاتله طلحة والزبير وعائشة واغلقوا أبواب الخلافة دونه ثم قاتل عليها بكل وجه وتفرق عنه أصحابه وشك فيه شيعته قبل التحكيم وبعده حتى قاتله منهم جماعة ثم حكم حكمين رضى بهما واعطاهما عهده وميثاقه فاجتمعا على خلعه ثم كان جدك حسن بعده فباعها من معاوية بخرق ودراهم والحق بالحجاز ورفع الامر الى غير أهله واخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شىء فقد بعتموه واخذتم ثمنه ثم خرج عمك حسين على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه ثم خرجتم على بنى أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان فقتلوا زيداً بالكوفة وابنه يحيى بخراسان واسروا صبيانكم ونسائكم وحملوهم فى المحامل بغير وطأ كالسبي المجلوب الى الشام وطافوا برأس عمك حسين بن على فى البلدان حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثاركم وادركنا بدمائكم وأورثناكم ارضهم وديارهم وقد كانت بنو أمية تلعن جدكم علياً على المنابر كما تلعن الكفرة وفى الصلوات المكتوبات فازلنا ذلك ولقد علمت ان مكرمتنا فى الجاهلية سقى الحجيج الاعظم

وعمارة المسجد الحرام وولاية المقام وزمزم فنازعنا فيها جدك فقضى لنا عليه ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلا بأبينا ولم يتقرب الى الله إلا به وابوكم حاضر فلم يتوسل به ولم يكن بعد رسول الله شرف ولا فضل إلا والعباس أحق به وقد علمت ان الإسلام جاء والعباس يمون أباطالب وعياله للازمة التي اصابته ولولا ان العباس اخرج الى بدر مكرهاً لمات طالب وعقيل جوعاً وللحسا جفان عتبة وشيبة ولكنه كان من المطعمين فاذهب الله به عنكم العار والسبة وكفاكم النفقة والمؤنة ثم فدى عقيلا يوم بدر فكيف تفخرون علينا وقد علناكم فى الكفر وفديناكم من الاسر وحزنا عليكم مكارم الآباء وورثنا دونكم خاتم الانبياء وطلبنا بثاركم فادركنا ما عجزتم عنه والسلام .

ولما يئس أبو جعفر منه بعث اليه عيسى بن موسى عمه وقال ما ابالى أيهما قتل صاحبه لأن السفاح كان قد عهد الى عيسى بعد أبي جعفر وابو جعفر كان يكره ذلك وجهز مع عيسى أربعة آلاف ثم قال له ابذل له الامان قبل قتاله ، وسار عيسى فلما وصل الى فيد كتب الى جماعة من اصحاب محمد فتفرقوا عنه وكان قد اجتمع مع محمد بمائة الف لحفر خنادق المدينة واستعد .

وقال الصولى: لما نزل أصحاب أبي جعفر بعقوة محمد لم يكن همه إلا ان حرق ديوانه وكان فيه اسامى من كاتبه وبايعه ؛ فلما فرغ من ذلك قال الان طبت نفساً بالموت ولولا فعله ذلك لوقع الناس فى أمر عظيم وجاء عيسى فوقف على سلع ثم قال يا محمد لك الامان فصاح به محمد والله ما نسمع ما تقول وان الموت فى عز خير من الحياة فى ذل ثم ترحل فقد بقى معه من مائة الف ثلاثمائة وستة عشر رجل على عدد أهل بدر ثم اغتسل هو وأصحابه وتحنطوا وعرقبوا دوابهم ثم حملوا على عيسى وأصحابه فهزموا ثلثاً ثم تكاثروا عليهم فقتلوهم وقتل حميد بن قحطبة محمداً ولم يعرفه وجاء برأسه الى عيسى واورت أخته زينب وابنته فاطمة جسده بالبقيع وحمل رأسه الى أبي جعفر فنصبه فى الكوفة

وطاف به فى البلدن ، وكان مكثه منذ ظهر الى ان قتل شهرين وسبعة عشر يوماً لانه خرج فى اول رجب وقتل لاربع عشرة ليلة خلت من رمضان وسنه يوم قتل خمس واربعون سنة وكان قتله عند احجار الزيت ، وكان معه ذو الفقار فاخذه عيسى بن موسى ثم انتقل الى الرشيد .

قال الأصمعى انا رأيته وفيه ثمان عشرة فقارة ، ولما التقوا قدم قادم على على ابى جعفر فقال له ما الخبر فقال هرب محمد فقال ابو جعفر كذبت نحن اهل بيت لا نفر .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) وام محمد بن عبيدة الله هند بنت ابى عبد بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب وكنيته أبو عبد الله وهو من الطبقة الخامسة من التابعين من أهل المدينة .

قال ابن سعد وكان لمحمد من الولد عبدالله قتله هشام بن عمر ببلاد القشمير فى المعركة ، وعلى مات بالسجن بمصر ؛ وحسن قتله موسى بن عيسى بن موسى ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بفخ صبراً ، وفاطمة تزوجها إبن ابن عمها حسن بن ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على عليه السلام ، وزينب تزوجها محمد بن السفاح وكان أبو جعفر قد جهزه مع عيسى بن موسى لقتال محمد فدخل بها ليلة قتل أبوها ، ثم مات عنها محمد بن السفاح فتزوجها عيسى بن على بن عبد الله بن عباس ففارقها فتزوجها محمد بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ثم فارقها فتزوجها ابراهيم بن حسن بن زيد بن حسن بن على بن أبى طالب عليه السلام وام جميع من ذكرنا ، أم سلمة بنت محمد بن حسن بن حسن بن على ابن أبى طالب ، والطاهر وأمه فاختة بنت فليح من آل الزبير بن العوام ، وابراهيم لام ولد أسند الحديث محمد عن نافع مولى ابن عمرو وغيره وحدث عنهم

﴿ ذكر مقتل ابراهيم بن عبد الله أخي محمد بن عبد الله ﴾

قال علماء السير وفى هذه السنة ابتدأ المنصور بعمارة بغداد ، فبينما هو مشغول بالعمارة إذ ورد عليه الخبر بخروج ابراهيم بن عبد الله بالبصرة وانه غلب على الأهواز وفارس وانه فى خلق عظيم ومال الناس اليه وازدادوا حرصاً على قتال أبى جعفر لما قتل محمداً .

وكان خروج ابراهيم غرة شوال وقيل غرة رمضان من هذه السنة فانصرف أبو جعفر من عمارة بغداد وهجر النساء واللذات . وقال والله لا أعود الى شىء منها حتى أعلم رأس ابراهيم لى أو راسى له وكان قد انضم الى ابراهيم مائة الف وليس عند أبى جعفر سوى الفى فارس كان قد فرق جيوشه فى الشام وافريقية وخراسان ، ثم سار ابراهيم فى العساكر نحو الكوفة فنزل بباخمرى قريباً من الكوفة وكان قد أشار عليه أهل البصرة ان لا يخرج منها فقال له وفد الكوفة ان بالكوفة مائة الف ينتظرون قدومك فاذا رأوك ماتوا دونك فقدم بهذا الطمع فلما نزل بباخمرى خرج ليلة يطوف فى عسكره فسمع أصوات الغناء والطنابير فقال ما أظن أن عسكراً فيه هذا ينتصر .

ثم جهز أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال ابراهيم فقيل له بيت عيسى فقال أكره التبييت فقيل له تطلب الملك وتكره القتل ثم التقوا بباخمرى .

قال الشعبى وهى ستة عشر فرسخاً من الكوفة فاقتتلوا فانهزم أصحاب أبى جعفر إلا عيسى ثبت فى مائة رجل من أهله وخواصه وظهر الظفر لابراهيم فبينا هو فى المعركة جاء سهم عابر لا يدرى من أين هو فذبحه فوقع وهو يقول : وكان أمر الله قدراً مقدوراً أردنا أمراً وأراد الله غيره .

وانهزم أصحابه وجاء أصحاب عيسى فجزوا رأسه وأتوا به عيسى فسجد ثم بعثه الى أبى جعفر .

وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة من هذه السنة وكان

سنه يوم قتل ثمان وأربعون سنة ، وكان مدة مقامه من حين خرج الى أن قتل ثلاثة اشهر إلا خمسة أيام .

ولما أتى برأس ابراهيم الى أبى جعفر بكى حتى جرت دموعه على خد ابراهيم ثم قال أما والله لقد كنت كارهاً لهذا ثم نصبه بالكوفة ؛ ثم قال للربيع احمله الى أبيه عبد الله الى السجن فحمله الربيع فوافاه يصلى فقال له اسرع فاسرع وسلم فنظر الى الرأس فاخذه فوضعه فى حجره ثم قال رحمك الله ابا القاسم وأهلا بك وسهلا لقد وفيت بعهد الله وميثاقه .

فقال له الربيع : كيف كان أبو القاسم فى نفسك فقال كما قيل :

فتى كان يحميه من الذل سيفه ويكفيه سوآت الذنوب اجتنابها

ثم قال الربيع : قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك مثلها والملتقى بيننا القيامة والله الحاكم .

قال الربيع : فابلغته ما قال فما رأيته منكسراً مثل انكساره حين قلت له ذلك

وقال الأصمعى : احضر يوماً الى أبى جعفر هريسة الفستق ومعها مصارين الدجاج محشوة بشحم البط والسكر ودهن الفستق فقال ان ابراهيم ومحمداً أرادا أن يسبقانى الى هذا فسبقتهما اليه .

قال الأصمعى : وباخمرى من ارض الطف وقد ذكرها دعبل فى قصيدته التائية التى رثى فيها جماعة من أهل البيت وهى :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى موحش العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات

ديار على والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذى الثفنات

الم تر أنى مذ ثلاثين حجة أروح واغدو دائم الحسرات

أرى فيأهم فى غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

وآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد غلظة القصرات

بنات زياد فى القصور مصونة ... وبنت رسول الله فى الفلوات
أحب قصى الرحم من أجل حبكم ... واهجر فيكم زوجتى وبنـاتى
وأكتم حبيكم مخافة كاشح ... عنيف لأهل الحق غير موات
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أوغد ... تقطع قلبى اثرهم حسرات
خروج امام لا محالة كأن ... يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزى على النعماء والنعمات
فيانفسى طيبى ثم يانفس ابشرى ... فغير بعيد كلما هواتى
قفا نسأل الدار التى خف أهلها ... متى عهدها با لصوم والصلوات
وأين الاولى شطت بهم غربة النوى ... أفانين بالأطراف مفترقات
هم أهل ميراث النبى اذا اعتزوا ... وهم خير سادات وخير حمات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة ... وأخرى بفخ نالها صلواتى
وأخرى بارض الجوزجان محلها ... وقبر بيا خمرى لدى الغربات
وقبر ببغداد لنفس زكية ... تضمنها الرحمان فى الغرفات
فاما الممضات التى ليس با لغاً ... مبالغها منى بكنه صفات
نفوس لدى النهرين من ارض كربلا ... معرسهم فيها بشط فرات
تقسمهم نهب المنون فما ترى ... لهـم عفرة مغشية الحجرات
وقد كان منهم بالحجون وأهلها ... ميامين نحارون فى السنوات
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمد ... وجبريل والقرآن ذى السورات
ملامك فى أهل النبى فانهم ... أوداى ما عاشو أو أهل ثقاتى
تخيرتهم رشداً لأمرى لانهم ... على كل حال خيرة الخيرات
فيارب زدنى فى يقينى بصيرة ... وزد حبهم يارب فى حسناتى
بنفسى أنتم من كهول وفتية ... لفك عناة أو لحمل ديات
لقد خفت فى الدنيا وأيام عيشها ... وانى لأرجو الامن بعد وفاتى

قوله : قبور بكوفان بريد الكوفة واسمها كوفان وهي الرملة الحمراء وبها سميت وطيبة المدينة سماها رسول الله ﷺ بذلك وفخ اسم الشعب الذي فيه محمد ابن الحنفية بينه وبين مكة ستة أميال والمقتول فيه الحسين بن علي بن حسن بن حسن ابن علي عليه السلام قتله فيه موسى بن عيسى في أيام موسى الهادي سنة تسع وستين ومائة وكان معه سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن فضربوا عنقه بمكة .

فاما الذي بارض الجوزجان فيحيى بن زيد وسنذكر ذلك ، خرج في أيام الوليد بن عبد الملك فقتل في المعركة .

وقال ابن سعد في (الطبقات) أم ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب قال لما ظهر محمد ابن عبد الله بالمدينة وسلم عليه بالخلافة بعث أخاه ابراهيم الى البصرة فدخلها أول شهر رمضان في هذه السنة يعني سنة خمس وأربعين وقبض وخرج معه من الفقهاء على أبي جعفر عيسى بن يونس ومعاذ بن معاذ وعباد بن العوام واسحاق بن يوسف الازرق ومعاوية بن هيثم بن بشير في جماعة من العلماء ولم يزل مقيما بالبصرة حتى قتل أخوه محمد بالمدينة فسار الى العراق فقتل وكان له من الولد حسن بن امامة بنت عصمة كلابية وعلي لأم ولد .

وفي هذه السنة قتل أبو جعفر محمد الديباج وهو يعلم ببراءة ساحته وسببه انه حبسه مع عبد الله بن حسن بن حسن فكتب اليه نائبه أبو عون بخراسان ان خراسان قد انتقضت علينا بخروج محمد وابراهيم وطال عليهم أمرهما فضرب عنق محمد الديباج وبعث برأسه اليه وبعث معه رجالا يحلفون بالله انه رأس محمد ابن عبد الله بن حسن وان أمه فاطمة بنت رسول الله فلما انكشف الامر لأهل خراسان قالوا : لم نطلع لابي جعفر على كذبة غير هذه .

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن حسن بن حسن ومن معه .

فقال ابن سعد في (الطبقات) حدثنا الواقدي قال أول من مات منهم في

الحبس عبد الله بن حسن فقال السجان ايخرج أقربكم فليصل عليه فخرج أخوه حسن بن حسن بن حسن فصلى عليه وذلك فى يوم عيد الأضحى وهو ابن خمس وسبعين سنة وقيل ابن اثنتين وسبعين سنة ، وقيل توفى فى بغداد والأول أصح وقيل كان ابن ست وسبعين سنة والأول أشهر .

وذكر الخطيب فى (تاريخه) قال : أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن فقيده وحبسه فى داره فلما أراد الخروج الى الحج وقفت له ابنة صغيرة لعبد الله على الطريق واسمها فاطمة فلما مر بها أبو جعفر قالت :

ارحم كبيراً سنه متهدماً في السجن بين سلاسل وقيود
وارحم صغار فتى يزيد فانهم يتموا لفقدك لا لفقد يزيد
ان جدت بالرحم القريبة بيننا ما جدنا من جدكم ببعيد

فقال أبو جعفر اذكرتنيه ثم أحدره الى المطبق فكان آخر العهد به قولها (وارحم صغار فتى يزيد) انما وقع من فلتات لسان فاطمة لا أنه كان لعبد الله بن حسن ابن اسمه يزيد ولا يعرف فى آل أبى طالب من اسمه يزيد إلا يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وقد انكر عليه بنو هاشم هذا وهجروه لأجل ماسمى به

وذكر أبو الفرج الأصبهانى ان عمر بن عبد العزيز (رض) كان يحترم عبد الله بن حسن بن حسن ويعظمه ويقضى حوائجه ورآه يوماً واقفاً ببابه فقال له ألم اقل لك اذا كانت لك حاجة فارفعها الى فوالله انى لأستحى من الله ان يراك على بابى .

قال الواقدى: وأم عبدالله بن حسن فاطمة بنت الحسين عليه السلام وكان له من الولد محمد وابراهيم وقد ذكرناهما وموسى ، وادريس وهارون وفاطمة وزينب ورقية؛ وأم كلثوم؛ وأم كلهم هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الاسود ابن المطلب ، وعيسى . وادريس الاصغر صاحب الأندلس والبربر وداود وأمهم عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر المخزومى ؛ وسليمان ويحيى صاحب الديلم

وأمهما قريبة بنت ركيح بن أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) كنية عبد الله بن حسن بن حسن أبو محمد وهو من الطبقة الرابعة من التابعين من أهل المدينة ،

وقال وحكى الواقدى انه كان من العباد وكان له شرف وهيبة ولسان فصيح

قال الواقدى : وولده ادريس بن عبد الله كان بالمدينة صغيراً فلما خرج حسين بن على بفخ خرج معه فلما قتل حسين هرب إدريس إلى الأندلس وأقام هناك وولده بها وغلب أولاده على تلك الناحية وخلف بالمدينه ابنة اسمها فاطمة فتزوجها ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس .

وقال هشام واما على فطلبه هارون فلحق بالديلم فاجتمع اليه خلق كثير فبعث اليه هارون الفضل بن يحيى فآمنه فقدم عليه فرده الى المدينة فلما خرج حسين بن على بفخ صار اليه ثم افلت .

قال الواقدى : ثم مات بعد عبد الله بن حسن بن حسن ، ثم محمد الديباج الذى بعث برأسه أبو جعفر الى المشرق وهو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وأمه فاطمة بنت الحسين بن على ﷺ كان أبوه يدعى المطرف لجماله وكان أصغر ولد أمه وكان أخوته لامه يحبونه وبسببهم قتله أبو جعفر وكان له من الولد خالد ، وعبد العزيز ، وعبد الله ، والقاسم ، وعثمان وأمهم أم كلثوم بنت ابراهيم بن محمد بن طلحة التيمى ، وأمها لبانة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) كان معهم فى الحبس على بن حسن بن حسن ابن حسن بن على بن أبى طالب وهو أبو حسين بن على بن حسن بن حسن بن حسن صاحب فخ وكان من أفضل أهل زمانه نسكا وعبادة لم يأكل لاحد من أهل بيته طعاماً ولا من القطايع التى كانت أقطعها أبو عباس وابو جعفر ولا توضأ من تلك العيون ولا شرب منها وكانوا يبكون عليه فى الحبس ويقولون هذا البائس دهى بسببنا .

الباب التاسع في ذكر الحسين عليه السلام

وكنيته : أبو عبد الله ، ويلقب : با لسيد ، والوفى ، والولى ، والمبارك والسبط ، وشهيد كربلا ؛ ولد سنة أربع من الهجرة فى شعبان .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) علقت به فاطمة عليها السلام لخمس ليال خلون من ذى القعدة سنة ثلاث من الهجرة فكان بين ذلك و بين ولادة الحسن خمسون ليلة ووضعته فى شعبان لليال خلون منه سنة أربع .

قال ابن سعد ولما ولد اذن رسول الله صلى الله عليه وآله فى اذنه .

وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبه ويحمله على كتفيه ويقبل شفتيه وثناياه .

قال : ودخل عليه يوماً جبرئيل وهو يقبله ، قال اتحبه ؟ قال : نعم ؛ قال : أمتك ستقتله .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) أنبأنا عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى حدثنا حاتم بن أبى صغيرة عن سماك ان أم الفضل امرأة العباس قالت يارسول الله رأيت فيما يرى النائم كأن عضواً من أعضائك سقط فى بيتى فقال خيراً تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبان ابنك قثم قال فولدت فاطمة الحسين فكفلته أم الفضل قالت فاتيت به الى رسول الله فبينا هو يقبله إذ بال عليه فقال خذيه فاخذته فقرصته قرصة بكى منها فقال يا أم الفضل آذيتينى أبكيت ابنى ثم دعا بماء فحدره عليه حدراً وقال اذا كان غلاماً فاحدروه عليه حدراً واذا كانت جارية فاغسلوه غسلا ، وفى رواية انما يصب على بول الغلام ويغسل بول الجارية ؛ وفى رواية يا أم الفضل لقد أوجع قلبى ما فعلت به ثم قال ينضح أو يرش بول الغلام

ويغسل بول الجارية .

وقال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل أخبرنا مهدى عن محمد بن أبى يعقوب عن ابن أبى نعيم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله هما ريحانتاى من الدنيا يعنى الحسن والحسين ، وهذا الحديث فى افراد البخارى .

وقال احمد فى المسند حدثنا أبو نعيم أنبأنا سفيان عن يزيد بن أبى زياد عن أبى نعيم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وقد أخرجه الترمذى أيضاً وقال هذا حديث حسن صحيح وأخبرنا غير واحد عن محمد بن عبد الباقى .

أخبرنا أبو محمد الجوهرى : أنبأنا القاضى بن معروف ، حدثنا أبو محمد ابن صادق حدثنا يوسف ابن موسى القطان اخبرنا أبو بكر بن عياش حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذان ابناى فمن احبهما فقد احبنى ومن ابغضهما فقد ابغضنى يعنى الحسن والحسين .

وقال احمد فى (الفضائل) حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعى عن شداد ابن عمار عن واثلة بن الاسقع قال أتيت فاطمة عليها السلام اسألها عن على عليه السلام فقالت توجه الى رسول الله صلى الله عليه وآله فجلست انتظره واذا برسول الله صلى الله عليه وآله قد اقبل ومعه على والحسن والحسين قد اخذ بيد كل واحد منهم حتى دخل الحجرة فاجلس الحسن على فخذه اليمنى والحسين على فخذه اليسرى واجلس على وفاطمة بين يديه ثم لف عليهم كساه أو ثوبه ثم قرء (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) الآية ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى حقاً وهـــذا الحديث مشتمل على فضل الحسين وغيره .

وذكر احمد فى (الفضائل) عن على بن الحسين عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين وقال من احبنى واحب هذين واباهما

كان معى فى درجتى يوم القيامة .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) عن يعلى بن عبيد الله بن الوليد عن عبد الله ابن عبيد بن عمير قال حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد معه

وذكر ابن سعد أيضاً : ان الحسين جاء يوماً الى عمر وهو يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انزل عن منبر أبى فاخذه فاقعده الى جنبه ؛ وقال وهل أنبت الشعر على رؤسنا إلا أبوك .

وقال عكرمة : حدثنى ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب (رض) يحب الحسن والحسين ويقدمهما على ولده ولقد قسم يوماً فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما عشرة آلاف درهم واعطى ولده عبدالله الف درهم فعاتبه ولده وقال قد علمت سبقتى فى الإسلام وهجرتى وأنت تفضل على هذين الغلامين فقال ويحك يا عبد الله أيتنى بجد مثل جدهما وأب مثل ابيهما وأم مثل امهما وجدة مثل جدتهما وخال مثل خالهما وخالة مثل خالتهما وعم مثل عمهما وعمة مثل عمتهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوهما على وامهما فاطمة وجدتهما خديجة وخالهما ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالتهما زينب ورقية وأم كلثوم وعمهما جعفر بن أبى طالب وعمتهما أم هانى بنت أبى طالب .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) وقال : كان ابن عباس يمسك بركاب الحسن والحسين حتى يركبا ويقول هما ابنا رسول الله .

وذكر ابن سعد أيضاً عن أبى يحيى قال : قال مروان بن الحكم يوماً للحسن والحسين انكم أهل بيت ملعونين فقال له الحسين يا ملعون يا بن الملعون لقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباك وأنت فى صلبه نحن أهل بيت أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا .

وذكر الثعلبى فى تأويل قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) عن سفيان الثورى وسعيد بن جبير ان البحرين علياً وفاطمة والبرزخ

محمد رسول الله ﷺ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين «ع».

وقال ابن سعيد : كان الحسين يخضب بالحناء والكتم ، وفي رواية بالوسمة وفي رواية بالسواد .

(ذكر سيرته عليه السلام مختصراً)

قال علماء السير : أقام الحسين بعد وفاة أخيه الحسن يحج في كل عام من المدينة الى مكة ماشياً الى أن توفى معاوية وقام يزيد في سنة ستين وكان معاوية قد قال ليزيد لما أوصاه اني قد كفيتك الحل والترحال ووطأت لك البلاد والرجال واخضعت لك اعناق العرب واني لأخوف عليك ان ينازعك هذا الامر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمان بن أبي بكر ، فاما ابن عمر فرجل قد وقذته (١) العبادة واذا لم يبق أحد غيره بايعك ، واما الحسين فان أهل العراق ان يدعوه حتى يخرجوه فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فان له رحماً ماسة وحقا عظيماً ، وأما ابن أبي بكر فانه ليست له همة إلا في النساء واللهو فاذا رأى أصحابه قد صنعوا شيئاً صنع مثله ، واما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويطرق اطراق الافعوان ويراوغك مراوغة الثعلب فذاك ابن الزبير فان وثب عليك وامكنتك الفرصة منه فقطعه ارباً اربا .

فلما مات معاوية ، كان على المدينة الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان ، وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، فلم يكن ليزيدهم بعد موت أبيه إلا بيعة النفر الذين سماهم أبوه

فكتب الى الوليد بن عتبة فامره بأخذ البيعة عليهم اخذاً شديداً ليس فيه رخصة فلما وقف على الكتاب بعث الى مروان بن الحكم فاحضره واوقفه على كتاب يزيد واستشاره وقال كيف ترى ان اصنع بهؤلاء . قال أرى أن تبعث اليهم

(١) ـ وقذه : صرعه وتركه عليل

الساعة فتدعوهم الى البيعة والدخول فى الطاعة فان لم يفعلوا وإلا ضربت اعناقهم قبل ان يعلموا بموت معاوية لانهم إن علموا وثب كل واحد منهم فى جانب واظهر الخلاف والمنابذة ودعا الى نفسه إلا ابن عمر فانه لا يرى الولاية والقتال إلا أن يدفع عن نفسه أو يدفع اليه هذا الأمر عنواً ، فارسل الوليد عمر بن عثمان إلى الحسين وإلى عبد الله بن الزبير فوجدهما فى المسجد فقال أجيبا الأمير فقالا انصرف فالآن نأتيه .

ثم قال ابن الزبير للحسين : ظن فيما تراه بعث الينا فى هذه الساعة التى ليس له عادة بالجلوس فيها إلا لأمر .

فقال الحسين أظن طاغيتهم قد هلك فبعث الينا ليأخذ البيعة علينا ليزيد قبل أن يفشو فى الناس الخبر .

قال ابن الزبير هو ذاك فما تريد أن تصنع قال اجمع فتيانى وأذهب اليه فجمع أهله وفتيانه ثم قال اذا دعوتكم فاقتحموا .

ثم دخل على الوليد ومروان عنده فاقرأه كتاب يزيد ودعاه الى البيعة فقال مثلى لا يبايع سراً بل على رؤس الناس وهو أحب اليكم وكان الوليد يحب العافية فقال انصرف فى دعة الله حتى تأتينا مع الناس ، فقال له مروان والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت عليه أبداً حتى تكثر القتلى بينكما احبس الرجل عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه فوثب الحسين قائماً وقال يا ابن الزرقاء هو يقتلنى أو أنت كذبت ومنت ، ثم خرج فقال الوليد يا مروان والله ما أحب أن لى ما طلعت عليه الشمس وانى قتلت حسينا .

وأما ابن الزبير فانه قال الآن آتيكم ثم خرج فى الليل الى مكة على طريق الفرع هو وأخوه جعفر بن الزبير فارسلوا الطلب خلفهم ففاتهم .

وخرج الحسين فى الليلة الآتية باهله وفتيانه وقد اشتغلوا عنه بابن الزبير فلحق بمكة .

وبعث الوليد الى ابن عمر فقال : اذا بايع الناس بايعت .

وقال أبو سعيد المقرى: سمعت الحسين عليه السلام يتمثل تلك الليلة وهو خارج من المسجد بقول (١) ابن مفرغ :

لا ذعرت السوام فى غسق الصبح مغيراً ولا دعوت يزيدا
يوم أعطى من المهانة ضيماً والمنايا يرصدننى ان احيدا

ويروى: (حين أعطى مخافة الموت ضيماً) ويروى: (اذا دعوت يزيدا) .

قال : فقلت فى نفسى ما تمثل بهذين البيتين إلا لشىء يريده ، فخرج بعد ليلتين الى مكة .

وقال السدى: خرج الحسين من المدينة وهو يقرأ فخرج منها خائفاً يترقب فلما دخل مكة قال له عمرو بن سعيد ما اقدامك فقال عائذاً بالله وبهذا البيت ، واقام الحسين بمكة ولما بلغ يزيد ما صنع الوليد عزله عن المدينة وولاها عمرو ابن سعيد الأشدق .

وقال الواقدى : لم يكن ابن عمر بالمدينة حين مات معاوية بل كان بمكة ثم قدم المدينة بعد ذلك هو وابن عباس ولما استقر الحسين بمكة وعلم به أهل الكوفة كتبوا اليه يقولون إنا قد حبسنا أنفسنا عليك ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة فاقدم علينا فنحن فى مائة الف ، فقد فشا فينا الجور وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة نبيه ونرجوا أن يجمعنا الله بك على الحق وينفى عنا بك الظلم فانت احق بهذا الامر من يزيد وأبيه الذى غصب الامة فيها وشرب الخمر ولعب بالقرود والطنابير وتلاعب بالدين وكان ممن كتب اليه سليمان بن صردو المسيب بن نجبة ووجوه أهل الكوفة .

قال الواقدى: ولما نزل الحسين مكة كتب يزيد بن معاوية الى ابن عباس أما بعد فان ابن عمك حسينا وعدو الله ابن الزبير التويا ببيعتى ولحقا بمكة مرصدين للفتنة

(١) ــ هو يزيد ابن مفرغ ، الشاعر المشهور .

معرضين انفسهما للهلكة ، فاما ابن الزبير فانه صريع الفناء وقتيل السيف غداً وأما الحسين فقد احببت الاعذار اليكم أهل البيت مما كان منه وقد بلغني ان رجالا من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم ويمنونه الخلافه ويمنيهم الامرة وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتايج الارحام وقد قطع ذلك الحسين وبته وأنت زعيم أهل بيتك وسيد أهل بلادك فالقه فاردده عن السعي في الفرقة ورد هذه الأمة عن الفتنة فان قبل منك وأناب اليك فله عندي الامان والكرامة الواسعة واجرى عليه ما كان أبي يجريه على أخيه ، وان طلب الزيادة فاضمن له ما اريك الله انفذ ضمانك واقوم له بذلك وله على الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه ويعتمد في كل الامور عليه ، عجل بجواب كتابي وبكل حاجة لك إلي وقبلي والسلام .

قال هشام بن محمد وكتب يزيد في أسفل الكتاب :

يا أيها الراكب الغادي لمطيته ... على عذافرة في سيرها قحم
ابلغ قريشا على نأى المزار بها ... بيني وبين الحسين الله والرحم
وموقف بفناء البيت أنشده ... عهد الاله غداً يوفى به الذمم
هنيتم قومكم فخراً بأمكم ... أم لعمري حسان عفة كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد ... بنت الرسول وخير الناس قد علموا
اني لأعلم أوظناً لعالمه ... والظن يصدق أحياناً فينتظم
ان سوف يترككم ما تدعون به ... قتلى تهاداكم العقبان والرخم
ياقومنا لا تشبوا الحرب اذ سكنت ... وامسكوا بحبال السلم واعتصموا
قد غرت الحرب من قد كان قبلكم ... من القرون وقد بادت بها الامم
فانصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً ... فرب ذي بذخ زلت به القدم

فكتب اليه ابن عباس ، أما بعد فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة ، فاما ابن الزبير فرجل منقطع عنا برأيه وهواه يكاتمنا مع ذلك

أضغاناً يسرها فى صدره يورى علينا ورى الزناد لافك الله أسيرها فاراً فى أمره ما انت رآه . وأما الحسين فانه لما نزل مكة وترك حرم جده ومنازل آبائه سألته عن مقدمه فاخبرنى ان عمالك فى المدينة أساؤا اليه وعجلوا عليه بالكلام الفاحش فاقبل الى حرم الله مستجيراً به وسألقاه فيما أشرت اليه ولن ادع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ويطفى به النائرة ويخمد به الفتنة ويحقن به دماء الامة فاتق الله فى السر والعلانية ولا تبيتن ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة ولا ترصده بمظلمة ولا تحفر له مهواة فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه وكم من مؤمل املا لم يؤت امله وخذ بحظك من تلاوة القرآن ونشر السنة وعليك بالصيام والقيام لا تشغلك عنهما ملاهى الدنيا واباطيلها فان كل ما شغلت به عن الله يضر ويفنى ، وكل ما اشتغلت به من اسباب الآخرة ينفع ويبقى والسلام .

قال هشام بن محمد : ثم ان حسين كثرت عليه كتب أهل الكوفة وتواترت اليه رسلهم ان لم تصل الينا فانت آثم فعزم على المسير فجاء اليه ابن عباس ونهاه عن ذلك وقال له يا ابن عم ان أهل الكوفة قوم غدر قتلوا أباك وخذلوا أخاك وطعنوه وسلبوه وسلموه الى عدوه وفعلوا ما فعلوا ، فقال هذه كتبهم ورسلهم وقد وجب على المسير لقتال اعداء الله فبكا ابن عباس وقال وا حسيناه

وذكر المسعودى فى كتاب (مروج الذهب) : ان ابن عباس قال له ان كرهت المقام بمكة خوفاً على نفسك فسر الى اليمن فان فيها عزلة ولنا بها أنصار وأعوان وبها قلاع وشعاب وأكتب الى أهل الكوفة فان اخرجوا أميرهم وسلموها الى نايبك فسر اليهم فانك ان سرت اليهم على هذه الحالة لم آمن عليك منهم وان عصيتنى فاترك أهلك وأولادك هاهنا فوالله انى لخائف عليك ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وأهله ينظرون اليه .

قلت : وهذا معنى قول على عليه السلام لله در ابن عباس فانه ينظر من ستر رقيق

فلما يئس ابن عباس منه حزن لفقده ولقي ابن الزبير فقال يا ابن الزبير قرت عينك وأنشد :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

قال الواقدي: ولمـــا بلغ عبد الله بن عمر ما عزم عليه الحسين دخل عليه سفري فلامه ووبخه ونهاه عن المسير وقال له يا ابا عبد الله سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مالي وللدنيا وما للدنيا ومالي وأنت بضعة منه .

وذكر له نحو ما ذكر ابن عباس فلما رآه مصراً على المسير قبل ما بين عينيه وبكى وقال استودعك الله من قتيل .

ولما بلغ ابن الزبير عزمه دخل عليه وقال له لو اقمت هاهنا بايعناك فانت أحق من يزيد وأبيه وكان ابن الزبير أسرّ الناس بخروجه من مكة وانما قال له هذا لئلا ينسبه الى شيء آخر .

ولما بلغ محمد بن الحنفية مسيره وكان يتوضأ وبين يديه طشت فبكى حتى ملأه من دموعه ولم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره ولما كثروا عليه أنشد أبيات أخي الأوس .

سامضي فما في الموت عار على الفتى اذا ما نوى خيراً وجاهـد مغرما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرما
وان عشت لم اذمم وان مت لم ألم كـفى بك ذلا أن تعيش وترغما

ثم قرأ (وكان أمر الله قدراً مقدورا) ثم بعث الحسين قبل خروجه من مكة الى الكـوفة مسلم بن عقيل وقال له أنظر ما كتبوا به الينا فان كان حقاً فاخبرني فاستعفاه مسلم فلم يعفه فقال له يا ابن عم الناس كثير فبالله لا تلق الله بدمي فقال له لابد من مسيرك فسار حتى أتى الـكوفة .

وأما الحسين عليه السلام : فانه خرج من مكة سابع ذي الحجة سنة ستين فلمـا

وصل بستان بنى عامر لقى الفرزدق الشاعر وكان يوم التروية فقال له الى أين يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الموسم قال لو لم اعجل لاخذت اخذاً فاخبرنى يا فرزدق عما وراءك فقال تركت الناس بالعراق قلوبهم معك وسيوفهم مع بنى أمية فاتق الله فى نفسك وارجع .

فقال له : يا فرزدق ان هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان وأظهروا الفساد فى الأرض وابطلوا الحدود وشربوا الخمور واستأثروا فى أموال الفقراء والمساكين وأنا أولى من قام بنصرة دين الله واعزاز شرعه والجهاد فى سبيله لتكون كلمة الله هى العليا ، فاعرض عنه الفرزدق وسار .

﴿ ذكر مسير مسلم بن عقيل وقتله ﴾

قال علماء السير : ولما قدم مسلم الكوفة نزل على رجل يقال له عوسجة ودب اليه أهل الكوفة فبايعه منهم اثنى عشر الفاً وقيل ثمانية عشر الفاً فكتب إلى الحسين يخبره بذلك فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية فدخل على النعمان بن بشير وكان والياً على الكوفة فقال له انك ضعيف مستضعف قد فسدت البلاد وأخبره بقصة مسلم فقال له النعمان والله لئن أكون ضعيفاً فى طاعة الله أحب الىّ من أن أكون قوياً فى معصية الله والله لا هتكت ستراً ستره الله .

فكتب الى يزيد بقوله وكان يزيد أبغض الناس فى عبيد الله بن زياد وانما احتاج اليه .

فكتب اليه أنى قد وليتك الكوفة مع البصرة وان الحسين قد سار الى الكوفة فاحترز منه وان مسلم بن عقيل بالكوفة فاقتله فاقبل ابن زياد فى وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثما فما مر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا وعليك السلام يابن بنت رسول الله وهم يظنون انه الحسين عليه السلام فلم يزل كذلك حتى نزل قصر الامارة فدعى مولى له فاعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال اذهب فسل عن الرجل الذى يبايعه أهل الكوفة فاعلمه انك من شيعته وادفع اليه هذا المال

ليتقوى به فلم يزل يتلطف حتى دخل على مسلم بن عقيل وعنده هانى بن عروة فبايعه ودفع اليه المال وتحول مسلم بن عقيل الى دار هانى بن عروة المرادى ، فقال ابن زياد لأهل الكوفة ما بال هانى بن عروة لم يأتنى فقال محمد بن الأشعث أنا آتيك به فجاء محمد فدخل على هانى وقال له ان الأمير قد ذكرك ولم يزل به حتى جاء به اليه وعند ابن زياد شريح القاضى . فلما نظر اليه ابن زياد قال اتتك بخائن رجلاه فلما سلم عليه قال له يا هانى أين مسلم فقال لا أدرى فامر ابن زياد مولاه الذى أعطاه الدراهم فخرج فلما رآه هانى اسقط فى يديه وقال والله ما دعوته وانما جاء فرمى بنفسه على فى منزلى فقال آتينى به فقال والله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه فضربه ابن زياد بقضيب فشجه ومال هانى الى سيف شرطى ليأخذه فدفع عنه . فقال ابن زياد قد احل الله دمك واجتمعت مذحج على باب القصر وصاحوا فقال ابن زياد للقاضى شريح اخرج اليهم وقل لهم انما حبسه ليسأله فقال له هانى يا شريح اتق الله فانه قاتلى فخرج اليهم شريح فقال لهم ذلك فتفرقوا .

وبلغ مسلم بن عقيل الخبر فخرج من دار هانى ونادى بشماره فاجتمع اليه أربعة آلاف من أهل الكوفة فعبأهم وسار إلى القصر وكان عند ابن زياد وجوه أهل الكوفة فقال لهم قوموا ففرقوا عشايركم عن مسلم وإلا ضربت اعناقكم فصعدوا على القصر وجعلوا يكلمونهم فتفرق من كان مع مسلم وتسللوا عنه ودهمه الليل وقد بقى وحده فجاء الى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت اليه فقال لها يا أمة الله اسقينى ماءاً فسقته وقالت من أنت فقال أنا مسلم بن عقيل فقالت ادخل فدخل وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث فعرفه ابنها فانطلق فاخبر ابن الأشعث فاخبر ابن زياد فبعث اليه عمرو بن حريث المخزومى وكان على شرطته ومعه محمد بن الاشعث فأحاطوا بالدار فخرج اليهم مسلم يقاتل فآمنه ابن الاشعث وجاء به الى ابن زياد فامر به فاصعد الى أعلى القصر فضربت عنقه والقى رأسه الى الناس وصلبت جثته بالكناسة ثم فعل بهانى بن عروة كذلك فقال الشاعر :

فان كنت لا تدرين بالموت فانظرى إلى هانى بالسوق وابن عقيل
أصابهما ريب المنون فاصبحا أحاديث من يسعى بكل سبيل

وقال آخر فى ممالاة ابن الاشعث على مسلم بن عقيل ،

وتركت عمك لم تقاتل دونه فشلا ولولا أنت كان منعا
وقتلت وافد حزب آل محمد وسلبت أسيافاً له ودروعا

وكان ابن الاشعث قد سلبه قبل أن يأتى به ابن زياد وكان قتل مسلم لثمان مضين من ذى الحجة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم وقيل يوم رحيله ولم يعلم الحسين بما جرى فى الكوفة .

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل الى دمشق الى يزيد ، وهو أول رأس حمل من رؤس بنى هاشم وجثة مسلم أول جثة صلبت منهم .

وذكر ابن هشام بن محمد وابن اسحاق فى قصة مسلم بن عقيل ما هو أتم من هذا ، فقالا لما خرج الحسين عليه السلام من المدينة لقيه عبد الله بن مطيع فقال يا أبا عبد الله الى اين جعلت فداك فقال الى مكة فقال له اياك وأهل الكوفة وذكر غدرهم وفعلهم بعلى عليه السلام والحسن ; ثم قال له الزم الحرم فانك سيد العرب وان يعدلوا بك احداً ويأتيك الناس من كل جانب فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك فاقبل حتى نزل مكة واختلف الناس اليه من الآفاق وابن الزبير قد لزم الكعبة يصلى عندها نهاراً ويطوف ليلا وبين كل راحتين وفى كل يوم يأتى حسيناً وهو اثقل خلق الله على ابن الزبير لعلمه بميل الناس الى الحسين دونه وكان ابن الزبير يشير اليه بالخروج .

قال ابن اسحاق: فلما بلغ الشيعة بالكوفة ان الحسين بمكة وانه قد امتنع من بيعة يزيد اجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد فقال لهم ياقوم قد امتنع الحسين من بيعة يزيد وانتم شيعة أبيه فان كنتم تنصرونه وتجاهدوا عدوه فا كتبوا اليه وان خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل بنفسه ، فقالوا لا والله بل ننصره

ونبذل نفوسنا دونه فكتبوا اليه بما قدمنا ذكره ، وبعثوا الكتاب مع عبد الله ابن سبع الهمدانى وعبد الله بن وال فقدما الى الحسين لعشرة مضين من رمضان ثم بعثوا بعدهما بيومين قيس بن مسهر الصيداوى وعبد الرحمان بن عبد الله الارحبى وعمارة بن عبد الله السلولى ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من أهل الكوفة ثم لبثوا يومين وسرحوا هانى بن هانى السبيعى وسعيد بن عبدالله الحنفى وكتبوا معهما الى الحسين كتاباً فيه الناس ينتظرون قدومك لا رأى لهم فى غيرك فى هلا العجل العجل .

وكتب اليه شبث بن ربعى وحجار بن أبجر وزيد بن الحرث وعروة ابن قيس فى آخرين ، أما بعد : فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار فاقدم فانك تقدم على جند مجند لك والسلام .

واجتمعت الرسل كلها بمكة عنده ، فحينئذ بعث اليهم مسلم بن عقيل وكتب معه كتاباً قد بعثت اليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى وأمرته أن يكتب الىّ بحالكم فان كتب إلى انه قد اجتمع رأى ملأكم وذى الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم قدمت عليكم وإلا لم اقدم والسلام .

ثم دعا مسلم بن عقيل فبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوى وعمارة بن عبد الله السلولى وعبد الرحمان بن عبد الله الارحبى وأمره بكتمان الامر فسار مسلم الى الكوفة فلما وصلها نزل دار المختار بن أبي عبيدة الثقفى واقبلت الشيعة اليه فقرأ عليهم كتاب الحسين فبكوا بأجمعهم ثم قالوا والله لنضربن بين يديه بسيوفنا حتى نموت جميعاً وبلغ النعمان بن بشير الخبر فخطب وقال اخذروا الفتن وسفك الدماء وكان النعمان يحب العافية فناداه عبدالله بن مسلم بن السعيد الحضرمى حليف بنى أمية والله انه لا يصلح ماترى إلا الغشم وان رأيك رأى المستضعفين فقال لأن أكون ضعيفاً فى طاعة الله خيراً من ان أكون قوياً فى معصية الله .

فكتب عبدالله إلى يزيد بذلك فعزل النعمان وولى ابن زياد، فلما دخل ابن زياد

الكوفة طلب مسلم بن عقيل على ما قدمناه وقتله وبعث برأسه ورأس هانى بن عروة الى يزيد وكتب اليه الحمد لله الذى أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه. فكتب اليه يزيد يشكره ويقول: قد عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش وقد صدق ظنى فيك وبلغنى ان الحسين قد توجه الى العراق فضع له المناظر والمسالح واحترس منه واحبس على الظنة وخذ على التهمة واكتب الىّ فى كل ما يحدث من خير وشر والسلام.

وقال هشام: كان مخرج الحسين من المدينة الى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان فأقام بمكة شهر شعبان ورمضان وشوال وذى القعدة وخرج منها لثمان ليال مضين من ذى الحجة يوم الثلاثا وكان يوم التروية فى اليوم الذى خرج فيه مسلم بن عقيل بالكوفة

وقال هشام بن محمد أيضاً: كان الحسين قد بعث قيس بن مسهر الى مسلم ابن عقيل ليستعلم خبره قبل ان يصل اليه فأخذه ابن زياد وقال له قم فى الناس واشتم الكذاب ابن الكذاب يعنى الحسين فقام على المنبر وقال أيها الناس انى تركت الحسين بالحاجر وأنا رسوله اليكم لتنصروه فلعن الله الكذاب ابن الكذاب ابن زياد فطرح من القصر فمات.

(ذكر وصول الحسين عليه السلام إلى العراق)

قال علماء السير: ولم يزل الحسين قاصداً الكوفة مجداً فى السير ولا علم له بما جرى على مسلم بن عقيل حتى اذا كان بينه وبين القادسيه ثلاثة أميال تلقاه الحر ابن يزيد التميمى فسلم عليه وقال أين تريد يابن رسول الله؟ قال أريد هذا المصر فقال له ارجع فوالله ما تركت لك خلفى خيراً ترجوه وأخبره بقتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وقدوم ابن زياد الكوفة واستعداده له فهم بالرجوع وكان معه اخوة مسلم بن عقيل فقالوا والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل فقال لا خير فى الحياة بعدكم ثم سار فلقيه أوايل خيل ابن زياد، فلما رأى ذلك عدل الى

كربلا فاسند ظهره الى قصب وحلف ألا يقاتل إلا من وجه واحد ، فنزل وضرب ابنيته وكان فى خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل .

وكان (١) ابن زياد قد جهز عمر بن سعد ابن أبى وقاص لقتال الحسين فى أربعة آلاف وجهز خمسمائة فارس فنزلوا على الشرايع .

(١) - قلت : الذى استفاض فى روايات الشيعة وهم أهل هذا البيت وأدرى بما فى البيت ؛ ان العسكر الذين أحاطوا با لحسين وأهله عليهم السلام يقربون الى ثلاثين الفاً ، بل حكى أزيد من ذلك الى مائة الف وأكثر ، والثلاثون الفاً هو المروى عن صادق أهل البيت عليهم السلام ، ومن اشعار رجزه المعروفة فى المعركة :

وابن سعد قد رمانى عنوة بجنود كوكوف الهاطلين

وفى كتاب (مطالب السئول) من تأليفاتهم انهم كانوا إثنين وعشرين الفاً ، وفى كتاب محمد بن أبى طالب ما حاصله : ان ابن زياد سير ابن سعد الى الحسين فى تسعة آلاف ؛ ثم يزيد بن ركاب الكلبى فى الفين والحصين بن نمير السكونى فى أربعة آلاف والمازنى فى ثلاثة آلاف ونصر بن فلان فى الفين فذلك عشرون الفا ما بين فارس وراجل .

وذكر السيد ابن طاوس (ره) : ان الحسين عليه السلام بعد قتل أصحابه وأنصاره دعا الناس الى البراز فلم يزل يقتل كل من برز اليه حتى قتل مقتلة عظيمة ، وعن بعض من حضر المعركة انه قال والله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جاشا منه وان كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليهم بسيفه فينكشفون عنه انكشاف المعزى اذا شد فيها الذئب ولقد كان يحمل فيهم وقد تكاملوا ثلاثين الفاً فينهزمون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر ثم يرجع الى مركزه وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (وقال) ابن شهراشوب ومحمد بن أبى طالب ولم يزل يقاتل حتى قتل الف رجل وتسعمائة رجل وخمسين -

وقال ابن زياد لعمر بن سعد : إكفني هذا الرجل ـ وكان عمر يكره قتاله ـ فقال أعفني ؛ فقال لا أعفيك ، وكان ابن زياد قد ولى عمر بن سعد الرى وخوزستان فقال قاتله وإلا عزلتك فقال امهلني الليلة فامهله ففكر فاختار ولاية الرى على قتل الحسين فلما اصبح غدا عليه فقال أنا اقاتله .

قال محمد بن سيرين : وقد ظهرت كرامات على بن أبي طالب عليه السلام فى هذا فانه لقى عمر بن سعد يوماً وهو شاب فقال ويحك يا ابن سعد كيف بك اذا اقمت يوماً مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار .

وقال الواقدى وغيره : لما رحل الحسين عليه السلام من القادسية وقف يختار مكاناً ينزل فيه واذا سواد الخيل قد أقبل كالليل وكأن راياتهم اجنحة النسور واسنتهم اليعاسيب فنزلوا مقابلهم ومنعوهم الماء ثلاثة أيام ، فناداه عبد الله بن حصن الأزدى يا حسين ألا تنظر الى الماء كأنه كبد السماء ووالله لاتذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً . فقال الحسين اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً فكان بعد ذلك يشرب الماء ولا يروى حتى سق بطنه فمات عطشاً .

وناداه عمرو بن الحجاج ياحسين هذا الماء تلغ فيه الكلاب وتشرب منه

ـ رجلا فقال عمر بن سعد لقومه الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون هذا ابن الانزع البطين هذا ابن قتال العرب فاحملوا عليه من كل جانب وكانت الرماة أربعة آلاف فرموه بالسهام ، قلت : والعجب ان المصنف مع بعض انصافه فى غير المقام ما أنصف هاهنا بل هون الأمر وسهل الخطب وأراد إخفاء الشجاعة الحسينية الموروثة من أبيه وجده صلى الله عليهما وعلى آلهما فقد حكى ان الناس بعد وقعة الطف ما كانوا يذكرون شجاعة من سلف حتى أمير المؤمنين عليه السلام وانما يذكرون شجاعته وشجاعة أصحابه وأولاده فان على بن الحسين قتل من القوم مائتى فارس شجاع ويقرب منه غيره والذى يظهر ان المقتولين منهم يزيدون على الاربعة آلاف والذين ذكرهم المصنف .

خنازير أهل السواد والحمر والذئاب وما تذوق منه والله قطرة حتى تذوق الحميم في نار الجحيم فكان سماع هذا الكلام على الحسين أشد من منعهم إياه الماء . قال فلما اشتد بالحسين وأصحابه العطش بعث بالعباس بن علي عليه السلام أخيه الى المشارع في ثلاثين فارساً وعشرين راجلا فاقتتلوا عليه ولم يمكنوهم من الوصول اليه .

وكان عمر بن سعد يكره قتال الحسين فبعث اليه يطلب الاجتماع به فاجتمعا خلوة فقال له عمر ما جاء بك فقال أهل الكوفة فقال ماعرفت ما فعلوا معكم فقال من خادعنا في الله انخدعنا له ، فقال له عمر قد وقعت الآن فما ترى فقال دعوني ارجع فأقيم بمكة أو المدينة أو أذهب الى بعض الثغور فاقيم به كبعض أهله فقال أكتب الى ابن زياد بذلك فكتب الى ابن زياد يخبره بما قال فهم ابن زياد ان يجيبه الى ذلك فقال شمر بن ذي الجوشن الكلابي لاتقبل منه حتى يضع يده في يدك فانه ان افلت كان أولى بالقوة منك وكنت أولى بالضعف منه فلا ترض إلا بنزوله على حكمك ؛ فقال ابن زياد نعم ما رأيت وكتب الى ابن سعد أما بعد: فاني لم أبعثك إلى الحسين لتطاوله وتمنيه السلامة وتكون شافعاً له عندي فان نزل على حكمي ووضع يده في يدي فابعث به اليّ وان أبى فازحف عليه واقتله وأصحابه وأوطىء الخيل صدره وظهره ومثل به وان ابيت فاعتزل عملنا وسلمه الى شمر بن ذي الجوشن فقد أمرناه فيك بامر وكتب الى أسفل الكتاب :

الآن حين تعلقته حبالنا يرجو الخلاص ولات حين مناص

ورفع الكتاب الى شمر وقال : اذهب اليه فان فعل ما أمرته به وإلا فاضرب عنقه وأنت الامير على الناس وأبعث اليّ برأسه .

قلت : وقد وقع في بعض النسخ ان الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد دعوني أمضي الى المدينة أو الى يزيد فاضع يدي في يده ولا يصح ذلك عنه فان عقبة بن سمعان قال صحبت الحسين من المدينة الى العراق ولم أزل معه الى ان قتل والله ما سمعته قال ذلك .

قال الواقدى : ولما وصل شمر الى عمر بن سعد ناداه عمر بن سعد لا أهلا والله بك ولا سهلا يا ابرص لا قرب الله دارك ولا ادنى مزارك وقبح ما جئت به ، ثم قرأ الكتاب وقال والله لقد ثنيته عما كان فى عزمه ولقد اذعن ولكنك شيطان فعلت ما فعلت فقال له شمر ان فعلت ما قال الأمير وإلا فخل بينى وبين العسكر فبعث عمر الى الحسين فاخبره بما جرى فقال والله لا وضعت يدى فى يد ابن مرجانة أبداً وأنشد :

(لا ذعرت السوام فى فلق الصبح)

وقد ذكرناه . وذكره جدى أبو الفرج فى كتاب (المنتظم) ان شمر بن ذى الجوشن وقف على أصحاب الحسين وقال اين بنو أختنا ؟ فخرج اليه العباس وعثمان وجعفر بنو على بن أبى طالب عليه السلام فقالوا ما الذى تريد ؟ فقال أنتم يابنى أختى آمنون فقالوا لعنك الله ولعن أمانك اتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له .

قلت ومعنى قول شمر أين بنى اختنا يشير الى أم البنين بنت حزام الكلابية وشمر كان كلابياً .

وقال ابن جرير : وكان شمر قد أخذ من ابن زياد اماناً لبنيها وكانت تحت على عليه السلام وهؤلاء الثلاثة بنوها .

وذكر ابن جرير أيضاً : أن جرير بن عبد الله بن مخلد الكلابى . كانت أم البنين عمته فاخذ لهم أماناً هو وشمر بن ذى الجوشن .

(ذكر مقتله عليه السلام)

قال هشام ثم ان عمر بن سعد لما يئس منه نادى ياخيل الله اركبى فزحفوا اليه ولما علم الحسين انهم قاتلوه عرض على أصحابه وأهله الانصراف وان يتفرقوا عنه فبكوا وقالوا اقبح الله العيش بعدك وسمعته اخته زينب بنت على عليه السلام فقامت تجر ثوبها وتقول واثكلاه ليت الموت اعدمنى الحياة اليوم قتل أبى على اليوم

ماتت أمي فاطمة اليوم مات أخي الحسن يا خليفة الماضين ويا ثمال الباقين ثم لطمت وجهها والحسين يعزيها وهي لا تقبل العزاء . والثمال الغياث وأصله من الثميلة وهي البقية من الماء .

ثم قال الحسين مايقال لهذه الأرض ؟ فقالوا (كربلا) ويقال لها أرض (نينوى) قرية بها فبكى وقال كرب وبلاء ، اخبرتني أم سلمة قالت : كان جبرئيل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معي فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ابني فتركتك فاخذك ووضعك في حجره فقال جبرئيل أتحبه ؟ قال نعم ، قال فان أمتك ستقتله . قال وان شئت أن أريك تربة ارضه التي يقتل فيها؟ قال نعم، قالت: فبسط جبرئيل جناحه على أرض كربلا فاراه إياها ، فلما قيل للحسين هذه أرض كربلا شمها وقال هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرائيل رسول الله وانني اقتل فيها.

وفي رواية : قبض منها قبضة فشمها وقد ذكر ابن سعد في (الطبقات) عن الواقدي بمعناه وقال : فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده تربة حمراء .

وذكر ابن سعد أيضاً عن الشعبي قال لما مر علي عليه السلام بكربلا في مسيره الى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات وقف ونادى صاحب مطهرته اخبر أبا عبد الله ما يقال لهذه الأرض فقال كربلا فبكا حتى بلّ الأرض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال كان عندي جبرئيل آنفاً واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشط الفرات بموضع يقال له كربلا ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب فشمني اياها فلم املك عيني ان فاضتا .

وقد روى الحسن بن كثير وعبد خير قالا : لما وصل علي عليه السلام الى كربلا وقف وبكى وقال بابيه اغيلمة يقتلون هاهنا هذا مناخ ركابهم هذا موضع رحالهم هذا مصرع الرجل ثم ازداد بكاؤه ، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قام يصلي ويدعو ويترحم على أخيه الحسن ، وذلك لأن الحسن قال له لما احتضر يا أخي اسمع ما أقول ان اباك لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تسوف الى هذا الامر

رجاء ان يكون صاحبه فصرف عنه الى غيره ؛ فلما احتضر أبو بكر تسوف أن يكون صاحبه فصرف عنه الى عمر فلما احتضر عمر تسوف ان يكون صاحبه فصرف عنه الى عثمان تجرد أبوك للطلب بالسيف ولم يدركه وابى الله ان يجمل بيننا أهل البيت النبوة والدنيا والخلافة والملك فاياك وسفهاء أهل الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص .

ولما طلع الفجر : وهو يوم الجمعة عاشر المحرم ؛ وقيل يوم السبت من سنة احدى وستين عبىء أصحابه ميمنة وميسرة وكانوا كما ذكرنا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل ؛ وقال قوم كانو سبعين فارساً ومائة راجل وقيل كان معه ثلاثون فارساً .

وذكر المسعودى : انه كان معه الف والاول أصح .

وقال المسعودى : قتل منهم احد وثمانون نفساً ولم يحضر قتال الحسين أحد من أهل الشام بل كلهم من أهل الكوفة ممن كاتبه وكانوا ستة آلاف مقاتل فاعطى الحسين الراية أخاه العباس وجعل البيوت والحرم خلفه فاطلق القوم النار من وراء البيوت فناداه شمر يا حسين تعجلت النار فى الدنيا فقال له الحسين يا ابن راعية المعزى إلى تقول هذا أنت والله أولى بها صلياً ؛ ثم ناداه محمد بن الاشعث ابشر الساعة ترد الجحيم فقال من هذا فقالوا ابن الاشعث فقال لعنك الله وقومك

ثم نادى الحسين يا أهل الكوفة أما هذه كتبكم إلىّ اقدمتمونى وغررتمونى أين عهودكم ومواثيقكم فلم يجبه أحد ، وفى رواية انه نادى يا شبث بن ربعى ويا حجار بن الحر ويا قيس بن الاشعث ويا زيد بن الحرث ويا فلان ويا فلان ألم تكتبوا الىّ ؟ فقالوا ما ندرى ما تقول .

وكان الحر بن يزيد اليربوعى من ساداتهم فقال له بلى والله لقد كاتبناك ونحن الذين اقدمناك فابعد الله الباطل وأهله والله لا أختار الدنيا على الآخرة ثم ضرب رأس فرسه ودخل فى عسكر الحسين فقال له الحسين أهلا بك وسهلا

أنت والله الحر في الدنيا والآخرة ثم ناداهم الحر ويحكم لا أم لكم أنتم الذين أقدمتموه فلما أتاكم اسلمتموه فصار كالاسير ومنعتموه وأهله الماء الجاري الذي تشرب منه اليهود والنصارى والمجوس ويتمرغ فيه خنازير السواد بئس ما خلفتم محمداً في أهله وذريته واذا لم تنصروه وتفوا له بما حلفتم عليه فدعوه يمضي حيث شاء من بلاد الله أما أنتم بالله مؤمنون وبنبوة محمد جده مصدقون وبالمعاد موقنون ثم حمل وقال :

أضرب في أعناقكم بالسيف عن خير من حل منى والخيف

وقتل منهم جماعة ، ثم تكاثروا عليه فقتلوه .

قال الواقدي : أول من رمى في عسكر الحسين بسهم عمر بن سعد .

وقال هشام بن محمد: لما رآهم الحسين مصرين على قتله أخذ المصحف ونشره وجعله على رأسه ونادى بيني وبينكم كتاب الله وجدي محمد رسول الله ياقوم بم تستحلون دمي الست ابن بنت نبيكم ألم يبلغكم قول جدي في وفي أخي هذان سيدى شباب أهل الجنة إن لم تصدقوني فسألوا جابراً وزيد ابن أرقم وأبا سعيد الخدري أليس جعفر الطيار عمي ؟ فناداه شمر الساعة ترد الهاوية ، فقال الحسين (الله أكبر) اخبرني جدي رسول الله فقال رأيت كأن كلباً ولغ في دماء أهل بيتي وما أخالك إلا إياه ، فقال شمر أنا اعبد الله على حرف ان كنت أدري ما تقول فالتفت الحسين فاذا بطفل له يبكي عطشاً فاخذه على يده وقال ياقوم إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل ؛ فرماه رجل منهم بسهم فذبحه ، فجعل الحسين يبكي ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا ، فنودي من الهوى دعه يا حسين فان له مرضعاً في الجنة ؛ ورماه حصين بن تميم بسهم فوقع في شفتيه فجعل الدم يسيل من شفتيه وهو يبكي ويقول اللهم اني أشكو اليك ما يفعل بي وباخوتي وولدي وأهلي ثم اشتد به العطش فهم أن يلقي نفسه بين القوم ثم شرفت نفسه عن ذلك ثم جاء وقت صلاة الظهر فصلى باصحابه صلاة الخوف فبينا هم في الصلاة تكالبوا عليه

فحمل زهير بن القين يذب عن الحسين ويقول :

أنا زهير وأنا ابن القين اردكم بالسيف عن حسين

ثم صاح زهير بالحسين :

اقدم هديت هادياً مهديا اليوم تلقى جدك النبيا

وحسناً والمرتضى عليا

فخفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول رأيت الساعة جدى رسول الله وهو يقول يا بنى اصبر الساعة تأتي الينا ، وصاح شمر ما تنتظرون به احملوا عليه فتشدد الحسين ولبس سراويلا ضيقاً فاعجلوه ، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فسقط ، وضربه زرعة بن شريك التميمى على كتفه اليسرى فابانها فجعل يبكى ، وحمل عليه سنان بن أنس النخعى فطعنه برمح فى ترقوته ثم نزل فحز رأسه بعد أن ذبحه . وقد اختلفوا فى قاتله على أقوال أحدها : سنان بن أنس النخعى ، (قاله هشام بن محمد) . والثانى (الحصين بن نمير رماه بسهم ثم نزل فذبحه وعلق رأسه فى عنق فرسه ليتقرب به الى ابن زياد) . والثالث مهاجر بن أوس التميمى . (والرابع كثير بن عبد الله الشعبى) (والخامس شمر بن ذى الجوشن) . والاصح انه سنان بن أنس النخعى وشاركه شمر بن ذى الجوشن .

ولما دخل سنان على الحجاج قال له أنت قاتل الحسين ؟ قال نعم ، قال ابشر فانك أنت واياه لا تجتمعان فى دار أبداً .

قالوا فما سمع من الحجاج كلمة خيراً منها ، ثم عدوا ما فى جسده فوجدوه ثلاثاً وثلاثين طعنة برمح وأربعاً وثلاثين ضربة بسيف ووجدوا فى ثيابه مائة وعشرين رمية بسهم ، وسلبوه جميع ما كان عليه حتى سرواله اخذه بجر بن كعب التميمى ، واخذ قميصه اسحاق بن حوية الحضرمى ، واخذ سيفه القلانس النهشلى ، واخذ قطيفته قيس بن الأشعث الكندى ، واخذ نعليه الأسود بن خالد الازدى ، واخذ عمامته جابر بن يزيد ، واخذ برنسه مالك بن بشير الكندي

وقال عمر بن سعد من جاء برأس الحسين فله الف درهم .

وقال عمر أيضاً: من يوطىء الخيل صدره ؟ فأوطؤا الخيل ظهره وصدره ووجدوا فى ظهره آثاراً سوداً فسألوا عنها فقيل كان ينقل الطعام على ظهره فى الليل الى مساكن أهل المدينة ، واخذ ملحفة فاطمة بنت الحسين واحد ، واخذ حليها آخر وعروا نساؤه وبناته من ثيابهن .

قال الواقدى: وجاء سنان بن أنس (وقيل شمر) فوقف على باب فسطاط عمر بن سعد وقال :

أوقر ركابي فضة وذهبا   أنا قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أماً وابا   وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فناداه عمر بن سعد : أو مجنون أنت لو سمعك ابن زياد لقتلك .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) ان سنان بن أنس النخعى جاء الى باب ابن زياد وانشد هذه الأبيات فلم يعطيه ابن زياد شيئاً .

﴿ ذكر من قتل مع الحسين عليه السلام من أهله ﴾

قال هشام بن محمد : قتل من آل أبي طالب جماعة ، منهم : الحسين بن على عليه السلام قتله سنان بن أنس ، والعباس بن على قتله زيد بن رقاد ، وقتل أخوه جعفر وعبد الله وعثمان وهم من أم البنين التى ذكرناها ؛ وقتل محمد بن على «ع» وأمه أم ولد ، وقتل أبو بكر بن على وأمه ليلى بنت مسعود بن دارم ؛ وقتل على بن الحسين بن على وهو على الاكبر وأمه ليلى بنت مرة الثقفية ، قتله مرة ابن سعد العبدى ؛ وقتل عبد الله بن الحسين وأمه الرباب بنت أمرء القيس قتله هانى بن ثابت الحضرمى ؛ واستصغروا على بن الحسين فلم يقتلوه ؛ وقتلوا أبا بكر بن الحسين بن على وأمه أم ولد قتله عبد الله بن عقبة الغنوى ؛ وقتل عبد الله بن الحسن بن على «ع» وأمه أم ولد قتله سعد بن عمر بن نفيل الازدى وقتل عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه جمانة بنت المسيب بن نجبة

قتله عبد الله بن قطبية الطائي . وكان لجعفر ولد آخر اسمه عون أمه أسماء بنت عميس وقد ذكرناه ؛ وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه الخوط بنت حفصة تيمية ، وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب وأمه أم البنين ابنة النفراء قتله بشر بن حوط الهمداني ، وقتل أخوه عبد الله بن عقيل وأمه أم ولد قتله عمر بن صبيح . وقد ذكرنا ان ابن زياد قتل مسلم بن عقيل وأمه أم ولد ، وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل وأمه رقية بنت علي «ع» وأمها أم ولد قتله عمر ابن صبيح الصيداوي ، وقتل محمد بن مسلم بن عقيل وأمه أم ولد قتله لقيط بن ياسر الجهني (واستصغروا الحسن بن الحسن بن علي فلم يقتلوه) واستصغروا أيضاً عمر بن الحسن بن علي «ع» فلم يقتلوه وتركوه .

فالحاصل إنهم قتلوا من آل أبي طالب تسعة عشر . سبعة لعلي «ع» الحسين ، والعباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، ومحمد ، وأبو بكر ، ومن ولد الحسين اثنان علي ، وعبد الله ، ومن ولد الحسن بن ثلاثة أبو بكر ، والقاسم وعبد الله ، ومن ولد عبد الله بن جعفر اثنان عون ، ومحمد ؛ ومن ولد عقيل خمسة ، مسلم ؛ وجعفر ، وعبد الله بن مسلم بن عقيل وأخاه محمد بن مسلم .

وذكر المدايني : انه قتل مع الحسين عبدالرحمان بن عقيل وعون بن عقيل ، فعلى هذا هم احد وعشرون . وفيهم يقول سراقة الباهلي :

يا عين ابكي بعبرة وعويل واندبي ان ندبت آل الرسول
سبعة منهم لصلب علي قد ابيدوا وسبعة لعقيل
لعن الله حيث حل زياداً وابنه والعجوز ذات بعول

يعني - (سمية) - وكانت من البغايا وقصتها مشهورة ، وقيل مرجانة .

وقال الشعبي ، أول قتيل منهم : العباس بن علي ، ثم علي بن الحسين الأكبر خرج وهو يقول :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي
من شمر وعمر وابن الدعي

فطعنه رجل فقتله ، ثم من بعده عون بن جعفر ثم القاسم بن الحسن بن علي ثم عبد الله بن الحسين ثم عبدالله بن علي . ثم عثمان بن علي ؛ ثم عبد الرحمان ابن عقيل ثم محمد بن عبد الله بن جعفر ؛ ثم الحسين «ع» وتتابعوا بعده وكان زهير بن القين قد قتل مع الحسين .

وقالت امرأة لغلام له اذهب فكفن مولاك ، فذهب فرأى الحسين مجرداً فقال اكفن مولاي وادع الحسين لا والله فكفنه ثم كفن مولاه في كفن آخر .

وحكى محمد بن سعد عن محمد بن الحنفية انه قال : لقد قتلوا تسعة عشر شاباً كلهم ركنوا (١) في رحم فاطمة وهذا يدل على انه قتل معه خلق كثير من أهله من أولاده وأولاد الحسن بن علي عليه‌السلام .

وكان مقتله يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ، لأنه صلى صلاة الخوف بأصحابه (وقيل يوم السبت) وقد ذكرناه .

﴿ ذكر انفاذ الرؤس والسبايا إلى ابن زياد ﴾

قال هشام بن محمد ، والواقدي ، وابن اسحاق : ثم بعث عمر بن سعيد إلى ابن زياد برأس الحسين ورؤس أصحابه وبناته ومن بقي من الاطفال مع خولي بن يزيد الأصبحي وفيهم علي بن الحسين الاصغر وكان مريضاً فلما مروا على جثة الحسين بن علي «ع» صاحت زينب بنت علي وامحمداه صلى عليك إله السماء هذا حسين مرمل بالعراء في الدماء وبناتك سبايا وذيتك قتلى تسفي عليهم الصبا يا محمداه فابكت كل عدو وصديق ؛ وحمل مع رأس الحسين اثنان وتسعون رأساً

وفي أفراد البخاري عن ابن سيرين قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد جعل طست وجعل يضرب ثناياه بالقضيب وقال في حسنه شيئاً

(١) ـ وفي نسخة : كلهم ركضوا في رحم .

وكان عنده أنس بن مالك فبكى وقال كان أشبههم برسول الله وكان مخضوباً بالوسمة .

وروى انه كان مخضوباً بالسواد ، قالوا ولا يثبت فى ذلك وانما غيرته الشمس .

وقد روى ابن أبى الدنيا : انه كان عند ابن زياد زيد ابن ارقم فقال له ارفع قضيبك فوالله لطال ما رأيت رسول الله ﷺ يقبل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكى فقال له ابن زياد ابكى الله عينيك لولا انك شيخ قد خرفت لضربت عنقك فنهض زيد وهو يقول : أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة والله ليقتلن أخياركم وليستعبدن شراركم فبعداً لمن رضى بالذل والعار .

ثم قال يا ابن زياد لاحدثنك حديثاً اغلظ من هذا رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى ثم وضع يده على يافوخيهما ثم قال اللهم انى استودعك إياهما وصالح المؤمنين فكيف كانت وديعة رسول الله ﷺ عندك يا ابن زياد .

وقال هشام بن محمد : لما وضع الرأس بين يدى ابن زياد قال له كاهنه قم فضع قدمك على فم عدوك فقام فوضع قدمه على فيه ثم قال لزيد بن ارقم كيف ترى فقال والله لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعاً فاه حيث وضعت قدمك .

وقيل ان هذه الواقعة جرت ليزيد بن معاوية مع زيد بن أرقم .

وذكر ابن جرير : ان الذى كان حاضراً عند يزيد أبو برزة الأسلمى لما نذكر .

وقال الشعبى : كان عند ابن زياد قيس بن عباد فقال له ابن زياد ما تقول فىّ وفى حسين فقال يأتى يوم القيامة جده وأبوه وأمه فيشفعون فيه ويأتى جدك وأبوك وأمك فيشفعون فيك فغضب ابن زياد وأقامه من المجلس .

وقال المداينى : كان ممن حضر الواقعة رجل من بكر بن وايل يقال له جابر

أو جبير فلما رأى ما صنع ابن زياد قال فى نفسه لله على الا أصيب عشرة من المسلمين خرجوا على ابن زياد إلا خرجت معهم فلما طلب المختار بثأر الحسين والتقى العسكران برز هذا الرجل وهو يقول :

وكل شىء قد أراه فاسداً   إلا مقام الرمح فى ظل الفرس

ثم حمل على صفوف ابن زياد وصاح : يا ملعون يا ابن ملعون ويا خليفة الملعون فتفرق الناس عن ابن زياد فالتقيا بطعنتين فوقعا قتيلين .

وقيل انما قتل ابن زياد ابراهيم بن الأشتر لما نذكر .

وقال هشام : لما حضر على بن الحسين الأصغر مع النساء عند ابن زياد وكان مريضاً قال ابن زياد كيف سلم هذا اقتلوه فصاحت زينب بنت على : يا ابن زياد حسبك من دمائنا ان قتلته فاقتلنى معه وقال على يا بن زياد إن كنت قاتلى فانظر الى هذه النسوة من بينه وبينهن قرابة يكون معهن ، فقال ابن زياد أنت وذاك .

قال الواقدى : وانما استبقوا على بن الحسين لأنه لما قتل أبوه كان مريضاً فمر به شمر فقال اقتلوه ثم جاء عمر بن سعد فلما رآه قال لاتتعرضوا لهذا الغلام ثم قال لشمر ويحك من للحرم .

قال على : فاخذنى رجل من أهل الكوفة فاكرمنى وتركنى فى منزله وجعل كلما دخل علىّ وخرج يبكى ، فاقول ان يكن عند رجل من أهل الكوفة خير فعند هذا ، فبينا أنا ذات يوم عنده اذا منادى ابن زياد من كان عنده على بن الحسين فليأت به وله ثلاثمائة درهم قال فدخل وهو يبكى ويقول أخاف منهم فربط يدى الى عنق وسلمنى اليهم وأخذ الدراهم .

وقال ابن هشام : قال ابن زياد فى ذلك المجلس لزينب الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب احدوثتكم ، فقالت بل الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وطهرنا به تطهيرا وانما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وان الله كتب القتل على أهلنا فبرزوا

الى مضاجعهم وسيجمع الله بيننا وبينكم فنحاكم بين يديه .

قال ابن أبي الدنيا : ثم جمع ابن زياد الناس فى المسجد ثم خطب وقال : الحمد لله الذى قتل الكذاب ابن الكذاب حسين وشيعته ، فقام اليه عبد الله بن عفيف الازدى وكان منقطعاً فى المسجد ذهبت عينه اليمنى (١) مع على عليه السلام يوم صفين فقال يا ابن مرجانة الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذى ولاك يا ابن مرجانة اتقتلون أولاد النبيين وتتكلمون بكلام الفاسقين .

فقال ابن زياد دونكم واياه ، فصاح عفيف بشعار الازد فثار اليه منهم سبعمائة رجل فحملوه الى داره .

ثم قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله الى أهله وهو يقول فى طريقه ما رجع أحد مثل ما رجعت اطعت الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر وعصيت الحاكم العدل وقطعت القرابة الشريفة ، وهجره الناس وكان كلما مرّ على ملأ من الناس اعرضوا عنه وكلما دخل المسجد خرج الناس منه وكل من رآه قد سبه فلزم بيته الى ان قتل .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) قال : قالت مرجانة أم ابن زياد لابنها يا خبيث قتلت ابن رسول الله والله لا ترى الجنة ابداً ثم ان ابن زياد نصب الرؤس كلها بالكوفة على الخشب وكانت زيادة على سبعين رأساً وهى أول رؤس نصبت فى الإسلام بعد رأس مسلم بن عقيل بالكوفة .

وذكر عبد الله بن عمرو الوراق فى كتاب (المقتل) أنه لما حضر الرأس بين يدى ابن زياد أمر حجاماً فقال قوره فقوره واخرج لغاديده ونخاعه وما حوله من اللحم ، واللغاديد ما بين الحنك وصفحة العنق من اللحم .

فقام عمرو بن حريث المخزومى فقال لابن زياد قد بلغت حاجتك من هذا الراس فهب لى ما القيت منه فقال ما تصنع به فقال أواريه فقال خذه فجمعه فى

(١) ـ وفى نسخة : عينه اليسرى .

مطرف خز كان عليه وحمله الى داره فغسله وطيبه وكفنه ودفنه عنده فى داره وهى با لكوفة تعرف بدار الخز دار عمرو بن حريث المخزومى ؛ وقيل ان الرباب بنت أمرىء القيس زوجة الحسين أخذت الرأس ووضعته فى حجرها وقبلته وقالت :

واحسيناً فلا نسيت حسينا   أقصدته أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً   لاسقى الله جانبى كربلاء

وقال عبيد بن عمير : لقد رأيت فى هذا القصر عجباً (يعنى قصر الكوفة) رأيت رأس الحسين بين يدى ابن زياد موضعاً . ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار موضعاً ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير ، ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير بين يدى عبد الملك بن مروان . قيل له فكم كانت المدة ؟ فقال : مقدار ثلاث سنين فأف لدنيا تنتهى الى هذا .

ثم ان ابن زياد حط الرؤس فى يوم الثانى وجهزها والسبايا الى الشام الى يزيد بن معاوية .

﴿ ذكر حمل الرأس الى يزيد ﴾

قال الواقدى : ثم دعا ابن زياد زجر بن قيس الجعفى وسلم اليه الرؤس والسبايا وجهزه الى دمشق ، فحكى ربيعة بن عمر وقال كنت جالساً عند يزيد بن معاوية فى بهو له إذ قيل هذا زحر بن قيس بالباب فاستوى جالساً مذعوراً واذن له فى الحال فدخل فقال ما وراك فقال ما تحب ابشر بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين فى سبعين راكباً من أهل بيته وشيعته فعرضنا عليهم الامان والنزول على حكم ابن زياد فابوا واختاروا القتال فما كان الا كنومة القايل أو جز جزور حتى اخذت السيوف مأخذها من هام الرجال جعلوا يلوذون بالآكام فهاتيك اجسامهم مجردة وهم صرعى فى الفلاة .

قال : فدمعت عينا يزيد وقال لعن الله ابن مرجانة ورحم الله أبا عبد الله

لقد كنا نرضى منكم يا أهل العراق بدون هذا قبح الله ابن مرجانة لو كان بينه وبينه رحم ما فعل به هذا .

فلما حضرت الرؤس عنده قال فرقت سمية بيني وبين أبي عبد الله وانقطع الرحم لوكنت صاحبه لعفوت عنه ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، رحمك الله يا حسين لقد قتلك رجل لم يعرف حق الارحام .

وفى رواية : لعن الله ابن مرجانة لقد اضطره الى القتل لقد سأله ان يلحق ببعض البلاد أو الثغور فمنعه لقد زرع لي ابن زياد فى قلب البر والفاجر والصالح والطالح العداوة ثم تنكر لابن زياد ولم يصل زجر بن قيس بشيء .

ثم بعث بالرأس الى ابنته عاتكة فغسلته وطيبته .

قلت : وهكذا وقعت هذه الرواية رواها هشام بن محمد .

وأما المشهور عن يزيد فى جميع الروايات : انه لما حضر الرأس بين يديه جمع أهل الشام وجعل ينكت عليه بالخيزران ويقول أبيات ابن الزبعرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا وقعة الخزرج من وقع الأسل
قـــد قتلنا القرن من ساداتهم وعدلنا (١) قتل بدر فاعتدل

حكى القاضي أبو يعلى عن احمد بن حنبل فى كتاب (الوجهين والروايتين) انه قال : إن صح ذلك عن يزيد فقد فسق .

قال الشعبي وزاد فيها يزيد فقال :

لعبت هـاشم بالملك فـلا خـبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف ان لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل

قال مجاهد : نافق ، وقال الزهري : لما جاءت الرؤس كان يزيد فى منظره على جيرون فانشد لنفسه :

لما بدت تلك الحمول واشرقت تلك الشموس على ربى جيرون

(١) - وفى نسخة : (وعدلناه ببدر فاعتدل) .

نعب الغراب فقلت(١) صح أو لا تصح فلقد قضيت من الغريم ديونى

وذكر ابن أبي الدنيا انه لما نكت بالقضيب ثناياه انشد لحصين بن الحمام المرى :

صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيافنا تفرين هاماً ومعصما
نفلق هاماً من رؤس احبة الينا وهم كانوا أعق واظلما

قال مجاهد فوالله لم يبق فى الناس أحد إلا من سبه وعابه وتركه .

قال ابن أبي الدنيا : وكان عنده أبو برزة الأسلمى فقال له يا يزيد أرفع قضيبك فوالله لطال ما رأيت رسول الله ﷺ يقبل ثناياه .

وذكر البلاذرى : ان الذى كان عند يزيد وقال هذه المقالة أنس ابن مالك وهو غلط من البلاذرى لأن أنساً كان بالكوفة عند ابن زياد ولما جيء بالرأس بكى وقد ذكرناه .

وقال هشام : لما أنشد يزيد الأبيات قال له على بن الحسين بل ما قال الله أولى (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى انفسكم إلا فى كتاب من قبل نبرأها) فقال يزيد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير .

وكان على بن الحسين والنساء موثقين فى الحبال فناداه على يا يزيد ماظنك برسول الله لو رآنا موثقين فى الحبال عرايا على أقتاب الجمال فلم يبق فى القوم إلا من بكى .

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن البصرى قال ضرب يزيد رأس الحسين ومكاناً كان يقبله رسول الله ﷺ ثم تمثل الحسن :

سمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل

وقال ابن سعد بعث ابن زياد بالرأس مع محفز بن ثعلبة العايذى وأمر يزيد نسائه فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام .

(١) - وفى نسخة : (نعب الغراب فقلت نح أو لا تنح)

وحكى هشام بن محمد عن أبيه عن عبيد بن عمير قال : كان رسول قيصر حاضراً عند يزيد فقال ليزيد هذا رأس من ؟ فقال رأس الحسين قال ومن الحسين قال ابن فاطمة ، قال ومن فاطمة ؟ قال بنت محمد ، قال : نبيكم ؟ قال نعم ، قال : ومن أبوه ؟ قال علي بن أبي طالب ، قال ومن علي بن أبي طالب ؟ قال ابن عم نبينا ، فقال تباً لكم ولدينكم ما أنتم وحق المسيح على شيء ، ان عندنا في بعض الجزاير دير فيه حافر حمار ركبه عيسى السيد المسيح ونحن نحج اليه في كل عام من الاقطار وننذر له النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم فاشهد انكم على باطل ثم قام ولم يعد اليه .

وحكى محمد بن سعد في (الطبقات) عن محمد بن عبد الرحمان قال لقيني رأس الجالوت فقال ان بيني وبين داود سبعين نبياً وان اليهود تعظمني وتحترمني وأنتم قتلتم ابن بنت نبيكم .

وذكر عبد الملك بن هاشم في كتاب (السيرة) الذي أخبرنا القاضي الاسعد أبو البركات عبد القوي ابن أبي المعالي ابن الحبار السعدي في جمادى الاول سنة تسع وستمائة بالديار المصرية قراءة عليه ونحن نسمع قال : أنبأنا أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة قال أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسن الخلعي أنبأنا أبو محمد عبد الرحمان ابن عمر بن سعيد النحاس النحيبي أنبأنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن رنجويه البغدادي أنبأنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله البرقي أنبأنا أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي البصري . قال لما انفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى موثقين في الحبال منهم نساء وصبيان وصبيات من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله على اقتاب الجمال موثقين مكشفات الوجوه والرؤس وكلما نزلوا منزلا اخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل الى وقت الرحيل ثم يعيدوه الى الصندوق ويرحلوا فنزلوا

بعض المنازل وفى ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادته واسندوا الرمح الى الدير فلما كان فى نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس الى عنان السماء فاشرف على القوم وقال من أنتم ؟ قالوا نحن أصحاب ابن زياد قال وهذا رأس منَ ؟ قالوا رأس الحسين ابن على بن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قال نبيكم ؟ قالوا نعم قال بئس القوم أنتم لو كان للمسيح ولد لأسكنّاه احداقنا ثم قال هل لكم فى شيء قالوا وما هو قال عندى عشرة آلاف دينار تأخذونها وتعطونى الرأس يكون عندى تمام الليلة واذا رحلتم تأخذونه قالوا وما يضرنا فناولوه الرأس وناولهم الدنانير فاخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكى الليل كله فلما اسفر الصبح قال يا راس لا املك إلا نفسى وأنا أشهد ان لا إله إلا الله وأن جدك محمداً رسول الله واشهد الله انى مولاك وعبدك ثم خرج عن الدير ومافيه وصار يخدم أهل البيت .

قال ابن هشام فى السيرة : ثم انهم أخذوا الرأس وساروا فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض تعالوا حتى نقسم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منا فاخذوا الاكياس وفتحوها واذا الدنانير قد تحولت خزفاً وعلى احد جانب الدينار مكتوب (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الآية وعلى الجانب الآخر (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) فرموها فى بردا (١) .

وذكر هشام بن محمد : انه لما دخل النساء على يزيد نظر رجل من أهل الشام الى فاطمة بنت الحسين عليه السلام وكانت وضيئة فقال ليزيد هب لى هذه فانهن لنا حلال فصاحت الصبية وارتعدت واخذت بثوب عمتها زينب فصاحت زينب ليس ذلك الى يزيد ولا كرامة فغضب يزيد وقال لو شئت لفعلت فقالت زينب صلّ الى غير قبلتنا ودن بغير ملتنا وافعل ما شئت فسكن غضبه .

(١) — بردا : نهر بدمشق . مخرجه من الزبدانى .

وقال الزهرى لما دخلت نساء الحسين وبناته على نساء يزيد قمن اليهن وصحن وبكين واقمن المأتم على الحسين ثم قال يزيد لعلى الأصغر ان شئت اقمت عندنا فبررناك ؛ وان شئت رددناك الى المدينة فقال لا أريد إلا المدينة فرده اليها مع أهله .

وقال الشعبي : لما دخلت نساء الحسين على نساء يزيد قلن وا حسيناه فسمعهن يزيد فقال :

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح

وكان فى السبايا الرباب بنت أمرىء القيس زوجة الحسين وهى أم سكينة بنت الحسين وكان الحسين يحبها حباً شديداً وله فيها أشعار منها :

لعمرك اننى لأحب داراً تحل بها سكينة والرباب
احبهما وابذل فوق جهدى وليس لعاذل عندى عتاب
وليس لهم وان عتبوا مطيعاً حياتى أو يغيبنى التراب

فخطبها يزيد والاشراف من قريش فقالت والله لا كان لى حموٌ آخر بعد ابن رسول الله وعاشت بعد الحسين سنة ثم ماتت كمداً .

ولم تستظل بعد الحسين بسقف .

وذكر ابن جرير فى تاريخه ان يزيد لما جيء برأس الحسين سرّ أولا ثم ندم على قتله وكان يقول وما علىّ لو احتملت الأذى وانزلت الحسين معى فى دارى حفظاً لقرابة رسول الله ورعاية لحرمته لعن الله ابن مرجانة لقد بغضنى الى المسلمين وزرع لى فى قلوبهم البغضاء ثم غضب على ابن زياد ونوى قتله .

واختلفوا فى الرأس على أقوال : اشهرها انه رده الى المدينة مع السبايا ثم رد الى الجسد بكربلا فدفن معه ، قاله هشام وغيره .

والثانى : انه دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام قاله ابن سعد قال لما وصل الى المدينة كان سعيد بن العاص والياً عليها فوضعه بين يديه واخذ بارنبة أنفه

ثم أمر به فكفن ودفن عند أمه فاطمة عليها السلام .

وذكر الشعبي : ان مروان بن الحكم كان بالمدينة فاخذه وتركه بين يديه وتناول ارنبة انفه وقال :

يا حبذا بردك في اليدين　　ولونك الاحمر في الخدين

والله لكأني انظر الى ايام عثمان ، وقال ابن الكلبي سمع سعيد بن العاص أو عمرو بن سعيد الضجة من دور بني هاشم فقال :

عجت نساء بني تميم عجة　　كعجيج نسوتنا غداة الارنب

والبيت لعمرو بن معدي كرب والرواية (عجت نساء بني زياد) .

وروى ان مروان أنشد :

ضرب الدوسر فيهم ضربة　　اثبتت أوتاد ملك فاستقر

والثالث : انه بدمشق حكى ابن ابي الدنيا قال وجد رأس الحسين في خزانة يزيد بدمشق فكفنوه ودفنوه بباب الفراديس وكذا ذكر البلاذري في (تاريخه) قال هو بدمشق في دار الامارة وكذا ذكر الواقدي ايضاً .

والرابع : انه بمسجد الرقه على الفرات بالمدينة المشهورة . ذكره عبد الله ابن عمر الوراق في كتاب (المقتل) وقال لما حضر الراس بين يدي يزيد بن معاوية قال لأبعثنه الى آل ابي معيط عن راس عثمان وكانوا بالرقة فبعثه اليهم فدفنوه في بعض دورهم ثم ادخلت تلك الدار في المسجد الجامع قال وهو الى جانب سدرة هناك وعليه شبيه النيل لا يذهب شتاءاً ولا صيفا .

والخامس : ان الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس الى عسقلان ثم نقلوه الى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يزار في الجملة ففي اى مكان راسه او جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر قاطن في الأسرار والخواطر انشدنا بعض اشياخنا في هذا المعنى :

لا تطلبوا المولى حسين　　بارض شرق أو بغرب

ودعوا الجميع وعرجوا نحوى فشهده بقلبى

واختلفوا فى سنه على أقوال أحدها ست وخمسون سنة قاله الواقدى لأنه ولد سنة أربع من الهجرة ، والثانى خمس وخمسون قاله السدى ، والثالث ثمان وخمسون .

(حديث الجمال التى حمل عليهـا الرأس والسبايا)

أخبرنا غير واحد عن عبد الوهاب بن المبارك أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار أنبأنا الحسين بن على الطناجيرى حدثنا عمر بن احمد بن شاهين حدثنا احمد ابن عبد الله بن سالم حدثنا على بن سهل حدثنا خلد بن خداش حدثنا حماد بن زيد عن ابن مرة عن أبى الوصين مروان بن الوصين قال نحرت الابل التى حمل عليها رأس الحسين وأصحابه فلم يستطيعوا أكل لحومها كانت أمر من الصبر .

وقال الواقدى لما وصل الرأس إلى المدينة والسبايا لم يبق بالمدينة أحد وخرجوا يضجون بالبكاء وخرجت زينب بنت عقيل بن أبى طالب كاشفة وجهها ناشرة شعرها تصيح وا حسيناه وا اخوتاه وا أهلاه وا محمداه ثم قالت :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
باهل بيتى وأولادى أما لكم عهد اما انتم توفون بالذمم
ذريتى وبنوا عمى بمضيعة منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

(ذكر قول أم سلمة ، والحسن البصرى ، والربيع بن خيثم ، وغيرهم ماقالوا فيه)

ذكر ابن سعد عن أم سلمة لما بلغها قتل الحسين عليه السلام قالت أوقد فعلوها ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ثم بكت حتى غشى عليها .

وروى ابن سعد : انها قالت : لعن الله أهل العراق .

وقال الزهرى : لما بلغ الحسن البصرى قتل الحسين بكى حتى اختلج صدغاه

ثم قال وا ذلـ أمة قتلت ابن بنت نبيهـا والله ليردن رأس الحسين الى جسده ثم لينتقمن له جده وأبوه من ابن مرجانة .

وقال الزهرى : لمـا بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين بكى وقال لقد قتلوا فتية لو رآهم رسول الله ﷺ لاحبهم اطعمهم بيده واجلسهم على فخذه .

وذكره ابن سعد أيضاً ، وحكى الزهرى عن الحسن البصرى انه قال أول داخل دخل على العرب ادعاء معاوية زياد بن أبيه وقتل الحسين عليه السلام .

وقال عامر الشعبي: لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل الحسين عليه السلام خطب بمكة وقال : ألا ان أهل العراق قوم غدر وفجر ألا وأن أهل الكوفة شرارهم انهم دعوا الحسين ليولوه عليهم ليقيم أمورهم وينصرهم على عـــدوهم ويعيد معالم الإسلام فلما قدم عليهم ثاروا عليه يقتلوه وقالوا له إن لم تضع يدك فى يد الفاجر الملعون ابن زياد الملعون فيرى فيك رأيه فاختار الوفاة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله حسينا واخزى قاتله ولعن من أمر بذلك ورضى به افبعد ماجرى على أبي عبد الله ما جرى يطمئن أحد الى هؤلاء أو يقبل عهود الفجرة الغدرة أما والله لقد كان صواماً بالنهار قواماً بالليل وأولى بينهم من الفاجر ابن الفاجر والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الحداء ولا بالصيام شرب الخمور ولا بقيام الليل الزمور ولا بمجالس الذكر الركض فى طلب الصيود واللعب بالقرود قتلوه فسوف يلقون غيا ألا لعنة الله على الظالمين ثم نزل .

﴿ ذكر منام ابن عباس ﴾

أخبرنا زيد بن الحسن اللغوى أنبأنا أبو منصور القزاز أنبأنا احمد بن على ابن ثابت أنبأنا ابن زرق أنبأنا محمد بن عمر الحافظ حدثنا الفضل بن الحباب حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعى حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فقلت يارسول الله ماهذه القارورة قال دم الحسين وأصحابه مازلت

التقطه منذ اليوم قال فنظرنا فاذاً قد قتل الحسين فى ذلك اليوم ، وقيل الذى رأى المنام عمار بن أبي عمار .

﴿ ذكر نوح الجن عليه ﴾

حكى الزهرى : عن أم سلمة قالت : ما سمعت نواح الجن إلا فى الليلة التى قتل فيها الحسين سمعت قائلا يقول :

ألا يا عين فاحتلفى بجهد   ومن يبكى على الشهداء بعدى
على رهط تقودهم المنايا   الى متجبر فى ثوب عبد

قالت : فعلمت انه قد قتل الحسين . وقال الشعبي: سمع أهل الكوفة قائلا يقول فى الليل :

أبكى قتيلا بكربلاء   مضرج الجسم بالدماء
أبكى قتيلا الطغاة ظلماً   بغير جرم سوى الوفاء
أبكى قتيلا بكى عليه   من ساكن الارض والسماء
هتك أهلوه واستحلوا   ما حرّم الله فى الإماء
يا بأبي جسمه المعرى   إلا من الدين والحياء
كل الرزايا لها عزاء   وما لذا الرزء من عزاء

وقال الزهرى : ناحت عليه الجن فقالت :

خير نساء الجن يبكين شجيات   ويلطمن خدوداً كالدنانير نقيات
ويلبسن ثياب السود بعد القصبيات

قال ومما حفظ من قول الجن :

مسح النبي جبينه   وله بريق فى الخدود
أبواه من عليا قريش   وجده خير الجدود
قتلوك يا ابن الرسول   فاسكنوا نار الخلود

﴿ ذكر بعض مراثيه ﴾

ذكر هشام بن محمد قال : لما قتل الحسين عليه السلام سمع قاتلوه قائلا يقول من السماء :

أيها القاتلون جهلا حسينا   إبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم   من نبي ومرسل وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود   وموسى وصاحب الأنجيل

فكانوا يرون انه بعض الملائكة وقد أكثر الناس فيها .

قال السدي : أول من رثاه عقبة بن عمرو العبسي فقال :

إذا العين قرت في الحياة وأنتم   تخافون في الدنيا فاظلم نورها
مررت على قبر الحسين بكربلا   ففاضت عليه من دموعي غزيرها
وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه   ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وناديت من حول الحسين عصائباً   أطافت به من جانبيه قبورها
سلام على أهل القبور بكربلا   وقل لها مني سلام يزورها
سلام بآصال العشي وبالضحى   تؤديه نكباء الرياح ومورها
ولا برح الزوار زوار قبره   يفوح عليهم مسكها وعبيرها

وقال الربيع بن أنس : رثاه عبد الله بن الحر فقال :

يقول أمير غادر أي غادر   ألا كنت قاتلت الشهيد بن فاطمة
ونفسي على خذلانه واعتزاله   وبيعة هذا الناكث العهد لائمة
فيا ندمي ألا أكون نصرته   ألا كل نفس لا تسدد نادمة
واني على أن لم أكن من حماته   لذو حسرة ما ان تفارق لازمة
سقى الله أرواح الذين تآزروا   على نصره سقيا من الغيث دائمة
وقفت على اطلالهم ومحالهم   فكاد الحشى ينفض والعين ساجمة
لعمري لقد كانوا سراعاً الى الوغى   مصاليت في الهيجا حماة خضارمة

فان يقتلوا فى كل نفس بقية　　على الارض قد اضحت لذلك واجمة
وما ان رأى الراؤن أفضل منهم　　لدى الموت سادات وزهر قماقمة
أيقتلهم ظلماً ويرجوا ودادنا　　فدع خطة ليست لنا بملائمة
لعمرى لقد ارغمتمونا بقتلهم　　فكم ناقم منا عليكم وناقمة
أهم مراراً أن أسير بجحفل　　الى فئة زاغت عن الحق ظالمة
فكفوا وإلا زرتكم فى كتايب　　أشد عليكم من زحوف الديالمة

ولما بلغ ابن زياد هذه الابيات طلبه فقعد على فرسه ونجا منه ، وقال آخر من أبيات وقد مر بكربلا :

كربلا لا زلت كرباً وبلا　　ما لقى عندك أهل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا　　من دم سال ومن دمع جرى
يا رسول الله لو أبصرتهم　　وهم ما بين قتل وسبا
من رميض يمنع الظل ومن　　عاطش يسقى أنابيب القنا
جزروا جزر الاضاحى نسله　　ثم ساقوا أهله سوق الاما
هاتفات برسول الله فى　　شدة الخوف وعثرات الخطا
قتلوه بعد علم منهم　　انه خامس أصحاب الكسا
ليس هذا لرسول الله يا　　أمة الطغيان والكفر جزا
يا جبال المجد عزاً وعلا　　وبدور الأرض نوراً وسنا
جعل الله الذى نالكم　　سبب الحزن عليكم والبكا
لا أرى حزنكم يسلى ولا　　رزؤكم ينسى وان طال المدا

وذكر المدائنى ، عن رجل من أهل المدينة قال : خرجت أريد اللحاق بالحسين عليه السلام - لما توجه الى العراق - فلما وصلت الربذة اذا برجل جالس فقال لى ياعبد الله لعلك تريد ان تمد الحسين؟ قلت نعم، قال وأنا كذلك ولكن اقعد فقد بعثت صاحباً لى والساعة يقدم بالخبر، قال فامضت إلا ساعة وصاحبه

قد اقبل وهو يبكى فقال له الرجل ما الخبر فقال :

والله ما جئتكم حتى بصرت به ... فى الأرض منعفر الخدين منحوراً
وحوله فتية تدمى نحورهم ... مثل المصابيح يغشون الدجى نورا
وقد حثثت قلوصى كى أصادفهم ... من قبل ما ينكحون الخرد الحورا
يا لهف نفسى لو انى لحقتهم ... اذاً (١) تقرت اذا حلوا أساريرا

فقال الرجل الجالس :

اذهب فلا زال قبراً أنت ساكنه ... حتى القيامة يسق الغيث ممطورا
فى فتية بذلوا لله انفسهم ... قد فارقوا المال والأهلين والدورا

وذكر الشعبى وحكاه ابن سعد أيضاً قال : مر سليمان بن قتة (٢) بكربلا فنظر الى مصارع القوم فبكى حتى كاد أن يموت ثم قال :

وإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقاباً من قريش فذلت
مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وان أصبحت منهم برغمى تخلت
ألم تران الأرض أضحت مريضة ... لفقد حسين والبلاد اقشعرت

فقال له عبد الله بن حسن بن حسن هلاقلت (أذل رقاب المسلمين فذلت)

وأنشدنا أبو عبد الله محمد بن البنديجى البغدادى قال : أنشدنا بعض مشايخنا ان ابن الهبارية الشاعر اجتاز بكربلا فجلس يبكى على الحسين وأهله وقال بديهاً :

أحسين والمبعوث جدك بالهدى ... قسماً يكون الحق عنه مسايلى
لوكنت شاهد كربلا لبذلت فى ... تنفيس كربك جهد بذل الباذل
وسقيت حد السيف من اعدائكم ... عللا وحد السمهرى الذابل
لكننى اخرت عنك لشقوتى ... فبلابلى بين الغرى وبابل

---

(١) ـ وفى نسخة : (اذاً لحليت إذ حلوا أساويرا)
(٢) ـ قتة : كضبة ـ سليمان التابعى .

هبنى حرمت النصر من اعدائكم فاقل من حزن ودمع سايل

ثم نام في مكانه فرأى رسول الله ﷺ في المنام فقال له يا فلان جزاك الله عني خيراً إبشر فان الله قد كتبك ممن جاهد بين يدى الحسين .

وأنشدنا أبو عبد الله النحوى بمصر قال : كحل بعض العلماء عينه يوم عاشورا فعوتب على ذلك فقال :

وقائل لم كحلت عيناً يوم استباحوا دم الحسين
فقلت كفوا احق شيء تلبس فيه السواد عيني

وقد ذكر جدى في كتاب (التبصرة) وقال انما سار الحسين الى القوم لانه رأى الشريعة قد دثرت فجد في رفع قواعد أصلها فلما حصروه فقالوا له انزل على حكم ابن زياد فقال لا أفعل واختار القتل على الذل وهكذا النفوس الآبية ثم أنشد جدى رحمه الله فقال :

ولما رأوا بعض الحياة مذلة عليهم وعز الموت غير محرم
أبوا ان يذوقوا العيش والذل واقع عليه وماتوا ميتة لم تذمم
ولا عجب للاسد ان ظفرت بها كلاب الأعادى من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وحتف عليّ في حسام ابن ملجم

(ذكر الحمرة التي ظهرت في السماء وما يلتحق بها)

ذكر ابن سعد في (الطبقات) ان هذه الحمرة لم تر في السماء قبل ان يقتل الحسين .

قال جدى أبو الفرج في كتاب (التبصرة) لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فليستدل بذلك على غضبه وانه أمارة السخط والحق سبحانه ليس بجسم فاظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق ، وذلك دليل على عظم الجناية .

وذكر جدى أيضاً في هذا الكتاب ولما اسر العباس يوم بدر سمع رسول

الله ﷺ أنينه فما نام تلك الليلة فكيف لو سمع أنين الحسين .

قال ولما اسلم وحشى قاتل حمزة قال له رسول الله غيب وجهك عنى فانى لا أحب من قتل الأحبة قال وهذا والإسلام يجب ما قبله فكيف يقدر الرسول أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على اقتاب الجمال .

وقال ابن سرين : لما قتل الحسين اظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة .

وأخبرنا غير واحد عن على بن عبيد أنبأنا على بن احمد اليسرى أنبأنا أبو عبد الله بن بطة أنبأنا محمد بن هارون الحضرمى حدثنا هلال بن بشر بن عبد المطلب بن موسى عن هلال بن ذكوان قال لما قتل الحسين مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنما لطخت الحيطان بالدم من صلاة الفجر الى غروب الشمس ، قال وخرجنا فى سفر فمطرنا مطراً بقى أثره فى ثيابنا مثل الدم .

وقال ابن سعد مارفع حجر فى الدنيا إلا وتحته دم عبيط ، ولقد مطرت السماء دماً بقى أثره فى الثياب مدة حتى تقطعت .

وقال السدى : لما قتل الحسين بكت السماء وبكائها حمرتها .

وقال ابن سرين : وجد حجر قبل مبعث النبى ﷺ بخمس مائة سنة عليه مكتوب بالسريانية فنقلوه الى العربية فاذا هو :

أترجوا أمة قتلت حسيناً　　شفاعة جده يوم الحساب

وقال سليمان بن يسار وجد حجر عليه مكتوب :

لا بد أن ترد القيامة فاطمة　　وقميصها بدم الحسين ملطخ

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه　　والصور فى يوم القيامة ينفخ

﴿ حديث عبد الله بن عمر (رض) ﴾

قال احمد فى المسند : حدثنا أبو النضر حدثنا مهدى عن محمد بن أبى يعقوب عن ابن أبى نعيم قال جاء رجل الى ابن عمر وانا جالس عنده يسأله عن دم

البعوض يكون فى الثوب طاهر هو أم نجس فقال له ابن عمر من أين أنت قال من أهل العراق فقال انظروا الى هذا يسألنى عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله وقد سمعته يقول هما ريحانتاى من الدنيا انفرد باخراجه البخارى.

﴿ ذكر الكتاب الذى كتبه يزيد بن معاوية إلى ابن عباس ﴾

ذكر الواقدى . وهشام وابن اسحاق وغيرهم قالوا : لما قتل الحسين عليه السلام بعث عبد الله بن الزبير الى عبد الله بن عباس ليبايعه ، وقال أنا أولى من يزيد الفاسق الفاجر وقد علمت سيرتى وسيرته وسوابق أبى الزبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوابق معاوية فامتنع ابن عباس ، وقال الفتنة قائمة وباب الدماء مفتوح ومالى ولهذا إنما أنا رجل من المسلمين فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فكتب الى ابن عباس سلام عليك ، أما بعد : فقد بلغنى أن الملحد فى حرم الله دعاك لتبايعه فأبيت عليه وفاءاً منك لنا فانظر من بحضرتك من أهل البيت ومن يرد عليك من البلاد فاعلمهم حسن رأيك فينا وفى ابن الزبير ، وان ابن الزبير إنما دعاك لطاعته والدخول فى بيعته لتكون له على الباطل ظهيراً وفى المأثم شريكاً وقد اعتصمت فى بيعتنا طاعة منك لنا ولما تعرف من حقنا فجزاك الله من ذى رحم خير ما جازى به الواصلين أرحامهم الموفين بعهودهم فما أنس من الأشياء ما أنا بناس برك وتعجيل صلتك بالذى أنت أهله فانظر من يطلع عليك من الآفاق فحذرهم زخارف ابن الزبير وجنبهم لقلقة لسانه فانهم منك اسمع ولك أطوع والسلام .

فكتب اليه ابن عباس : بلغنى كتابك تذكر إنى تركت بيعة ابن الزبير وفاءاً منى لك ولعمرى ما اردت حمدك ولا ودك ترانى كنت ناسياً قتلك حسيناً وفتيان بنى المطلب مضرجين بالدماء مسلوبين بالعراء تسفى عليهم الرياح وتنتابهم الضباع حتى اتاح الله لهم قوماً واروهم فما انس ما انس طردك حسيناً من حرم الله وحرم رسوله وكتابك الى ابن مرجانة تأمره بقتله ، وإنى لأرجو من الله أن يأخذك عاجلا حيث قتلت عترة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ورضيت بذلك ، وأما قولك إنك غير

ناس برى فاحبس أيها الانسان برك عني وصلتك فانى حابس عنك ودى ولعمرى إنك ما تؤتينا مما لنا من فى قبلك إلا اليسير وإنك لتحبس عنا منه العرض الطويل ثم إنك سألتنى ان احث الناس على طاعتك وان أخذلهم عن ابن الزبير فلا مرحباً ولا كرامة تسألنى نصرتك ومودتك وقد قتلت ابن عمى وأهل رسول الله مصابيح الهدى ونجوم الدجى غادرتهم جنودك بامرك صرعى فى صعيد واحد قتلى أنسيت انفاد أعوانك الى حرم الله لتقتل الحسين فما زلت وراءه تخيفه حتى اشخصته إلى العراق عداوة منك لله ورسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فنحن أولئك لا آبائك الجفاة الطغاة الكفرة الفجرة أكباد الابل والحمير الاجلاف أعداء الله وأعداء رسوله الذين قاتلوا رسول الله فى كل موطن وجدك وأبوك هم الذين ظاهروا على الله ورسوله ولكن ان سبقتنى قبل أن أخذ منك ثأرى فى الدنيا فقد قتل النبيون قبلى وكفى بالله ناصراً ولتعلمن نبأه بعد حين ثم إنك تطلب مودتى وقد علمت لما بايعتك ما فعلت ذلك إلا وأنا أعلم أن ولد أبى وعمى أولى بهذا الامر منك ومن أبيك ولكنكم معتدين مدعين أخذتم ما ليس لكم بحق وتعديتم الى من له الحق وإنى على يقين من الله ان يعذبكم كما عذب قوم عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، يا يزيد وان من أعظم الشماتة حملك بنات رسول الله وأطفاله وحرمه من العراق إلى الشام أسارى مجلوبين مسلوبين ترى الناس قدرتك علينا وإنك قد قهرتنا واستوليت على آل رسول الله وفى ظنك إنك أخذت بثار أهلك الكفرة الفجرة يوم بدر وأظهرت الانتقام الذى كنت تخفيه والاضغان الذى تكمن فى قلبك كمون النار فى الزناد وجعلت أنت وأبوك دم عثمان وسيلة الى اظهارها فالويل لك من ديان يوم الدين ووالله لئن أصبحت آمناً من جراحة يدى فما أنت بآمن من جراحة لسانى الكثكث وأنت المفند المثبور ولك الاثلب وأنت المذموم ولا يغرنك أن ظفرت بنا اليوم فوالله لئن لم نظفر بك اليوم لنظفرن غداً بين يدى الحاكم

العدل الذى لا يجور فى حكمه وسوف يأخذك سريعاً اليماً ويخرجك من الدنيا مذموماً مدحوراً أثيماً فعش لاأبا لك ما استطعت فقد ازداد عند الله ما اقترفت والسلام على من اتبع الهدى .

قال الواقدى : فلما قرأ يزيد كتابه أخذته العزة بالاثم وهم بقتل ابن عباس فشغله عنه أمر ابن الزبير ثم أخذه الله بعد ذلك بيسير أخذاً عزيزاً .

(الكثكث) بكسر الكاف فتات الحجارة والتراب وبفتح الكاف أيضاً و (الفند) ضعف الرأى و (الأثلب) التراب أيضاً و (الثبور) الهلاك ، كل هذا فى معنى الدعاء على الانسان وذمه .

(ذكر أولاد الحسين عليه السلام)

(على الأكبر) : قتل مع أبيه يوم كربلا ولا بقية له ، وأمه آمنة بنت أبى مر بن عروة بن مسعود الثقفى وأمها بنت أبى سفيان بن حرب ، (وعلى الأصغر وهو زين العابدين) والنسل له وأمه أم ولد ، قال ابن قتيبة كانت أسدية ويقال لها السلافة وقيل غزالة ، تزوجها بعد الحسين زبيد مولى الحسين فولدت له عبدالله فهو أخو على زين العابدين بالرضاعة ويقال اسم زبيد زيد ، وعقبه ينزلون ينبع .

وقال الزهرى : زوجها من زبيد ولدها . . . . ثم اعتق زين العابدين جارية له فتزوجها فعابه عبد الملك بن مروان فكتب اليه زين العابدين لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة اعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية وصفية وتزوجهما ، واعتق زيد بن حارثة وزوجه زينب بنت جحش بنت عمته .

وقال الزهرى : كان على باراً بامه لم يأ كل معها فى قصعة قط فقيل له فى ذلك فقال أخاف أن أمد يدى الى ما وقعت عينها عليه فأكون عاقاً لها ، وكان للحسين من الولد أيضاً جعفر لا بقية له وأمه السلافة قضاعية ، وفاطمة أمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله ؛ وعبد الله قتل مع أبيه يوم الطف ، وسكينة وأمها الرباب بنت امرىء القيس وقد ذكرناها ، ومحمد قتل مع أبيه .

فاما فاطمة بنت الحسين فكانت عند الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام ثم تزوجها عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان فاولدها الديباج وقد ذكرناه .

وأما سكينة : فتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له عثمان الذى يقال له قرين ، ثم تزوجها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان اخو عمر بن عبد العزيز ، ثم فارقها قبل الدخول بها وماتت فى أيام هشام بن عبد الملك ولها السيرة الجميلة والكرم الوافر والعقل التام وهذا قول ابن قتيبة .

أما غيره فيقول اسمها آمنة وقيل اميمة وأول من تزوجها مصعب بن الزبير قهراً وهو الذى ابتكرها ثم قتل عنها وقد ولدت له فاطمة وكانت من الجمال والأدب والظرف والسخاء بمنزلة عظيمة وكانت تأوى الى منزلها الأدباء والشعراء والفضلاء فتجيزهم على مقدارهم وكان مصعب بن الزبير اصدقها ستمائة الف ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير خطبها فقالت ابعد ماقتل ابن الزبير لا والله لا كان هذا أبداً .

وقال هشام بن محمد : اجتمع على بابها جماعة من الشعراء لتخاير بينهم ، وكانوا يرضون بحكمها لما يعرفون من أدبها وبصارتها بالشعر فاحسنت ضيافتهم واكرمتهم ، وكان فيهم الفرزدق ، وجرير ، وكثير عزة ، ونصيب ، وجميل فنصبت بينها وبينهم ستارة واذنت لهم فدخلوا عليها ، وكانت لها جارية قد روت الأشعار والاخبار وعلمتها الأدب فخرجت من عندها الجارية فقالت أيكم الفرزدق ؟ فقال ها أنا ، فقالت ألست القائل :

هما دلتانى من ثمانين قامة　　كما انقض بازأقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا　　احى فيرجى أم قتيل نحاذره

فقال نعم ، فقالت فما الذى دعاك الى افشاء سرك وسرها هلاسترت عليها وعلى نفسك خذ هذه الف دينار والحق باهلك .

ثم قالت : أيكم جرير ؟ فقال ها أنا ، فقالت ألست القائل :

طرقتك صايدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فاذهبي بسلام

قال نعم . قالت وأى ساعة احلى من ساعة الزيارة ، خذ هذه الف دينار والحق باهلك .

ثم قالت : أيكم كثير عزة ؟ فقال ها أنا ذا . فقالت أنت القائل :

يقر بعيني ما يقر بعينها   واحسن شيء ما به العين قرت

فقال نعم ، قالت أفسدت الحب بهذا التعريض خذ هذه الف دينار وانصرف .

ثم قالت : أيكم نصيب ؟ فقال ها أنا ذا ، فقالت أنت القائل :

من عاشقين تواعدا وتراسلا   حتى اذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة والذها   حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قال نعم ، قالت وهل فى الحب تدانى؟ خذ هذه الف دينار وانصرف .

ثم قالت : ايكم جميل ؟ قال ها أناذا ، فقالت ان مولاتى تسلم عليك ولم تزل مشتاقة اليك منذ سمعت قولك :

فياليت شعرى هل ابيتن ليلة   بوادى القرى انى اذاً لسعيد

لكل حديث بينهن بشاشة   وكل قتيل بينهن شهيد

قال : جزاك الله خيراً ، جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهيدا ، قد حكمنا لك على الجميع خذ هذه أربعة آلاف دينار وانصرف راشداً .

وروى ان الجارية كانت تدخل على مولاتها فى كل مرة ثم تخرج فتقول : أين فلان وتذكر شعره .

قال هشام : وكانت قد ولدت من مصعب ابنة سمتها اللباب وكانت فائقة الجمال لم يكن فى عصرها اجمل منها فكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول ما ألبسها إياه إلا حتى تفضحه . واختلفوا فى وفاتها ، قال ابن سعد : توفيت بالمدينة سنة سبع

عشرة ومائة وكان على المدينة خالد بن عبدالله بن الحرث بن الحكم فقال انتظرونى حتى اصلى عليها وخرج فى حاجة فخافوا عليها ان تتغير فاشتروا لها كافوراً بثلاثين ديناراً ثم أمر شيبة بن نصاح فصلى عليها .

وأما غير ابن سعد فانه يقول : انها توفيت بمكة فى هذه السنة ، وفى هذه السنة أيضاً توفيت اختها لأبيها فاطمة بنت الحسين عليه السلام وأمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله تزوجها ابن عمها حسن بن حسن بن على فولدت له عبد الله وابراهيم ، وحسن ، وزينب ثم مات عنها ؛ فخلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان زوجها منه ابنها عبدالله بن حسن بن حسن بأمرها فولدت منه محمد الديباج وقد ذكرناه ، وفاطمة هذه هى التى خطبها عبد الرحمان ابن الضحاك بن قيس الفهرى وكان والياً على المدينة فامتنعت عليه فآذاها وضيق عليها فبعثت الى يزيد ابن عبد الملك تشكوه فشق على يزيد ذلك وغضب وقال بلغ من أمر عبدالرحمان أن يتعرض لبنات رسول الله ! من يسمعنى موته وأنا على فراشى هذا ؟ ثم بعث اليه من طاف به المدينة فى جبة صوف ثم عزله واغرمه أمواله كلها ومات فقيراً وكانت وفاة فاطمة بالمدينة والله الموفق للصواب .

فصل فى عقوبة قاتليه

والإنتصار من ظالميه

قال الزهرى : مابقى منهم أحد إلا وعوقب فى الدنيا ، أما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك فى مدة يسيرة .

وقال جدى أبو الفرج فى كتاب (المنتظم) عن ابن عباس قال أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وآله إنى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين الفاً وإنى قاتل بابن فاطمة سبعين الفاً ، وسبعين الفاً ، وفى رواية : وإنى قاتل بابن بنتك .

قلت : وقد ذكر جدى هذا الحديث فى (الموضوعات) ورواه عن القرا عن الخطيب باسناده الى ابن عباس ، فكيف يذكره فى (التاريخ) ولم ينبه فيه والعلة فيه محمد بن شداد فانه فى اسناده ابن الخطيب . رواه عن ابن نباح عن محمد ابن ابراهيم عن ابن شداد وهو المسمعى عن أبى نعيم عن عبد الله بن حبيب عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومحمد بن شداد ضعيف باتفاقهم ، ثم هذه الجملة لم يقل به الحسين عليه السلام .

وحكى الواقدى عن ابن الرماح قال : كان بالكوفة شيخ اعمى قد شهد قتل الحسين فسألناه يوماً عن ذهاب بصره فقال كنت فى القوم وكنا عشرة غير انى لم اضرب بسيف ولم اطعن برمح ولا رميت بسهم فلما قتل الحسين وحمل رأسه رجعت الى منزلى وأنا صحيح وعيناى كأنهما كوكبان فنمت تلك الليلة فاتانى آت فى المنام وقال اجب رسول الله، قلت مالى ولرسول الله فاخذ بيدى وانتهرنى ولزم تلبابى وانطلق بى الى مكان فيه جماعة ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس وهو مغتم متحير حاسر عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع واذا أصحابى العشرة مذبحين بين يديه فسلمت عليه فقال لا سلم الله عليك ولا حياك ياعدو الله الملعون اما استحييت منى تهتك حرمتى وتقتل عترتى ولم ترع حقى ؟ قلت يارسول الله ماقاتلت قال نعم ولكنك كثرت السواد واذا بطاست عن يمينه فيه دم الحسين فقال اقعد فجثوت بين يديه فاخذ مروداً واحماه ثم كحل به عينى فاصبحت اعمى كما ترون .

وحكى هشام بن محمد عن القاسم بن الاصبغ المجاشعى قال : لما أتى بالرؤس الى الكوفة اذا بفارس احسن الناس وجهاً قد علق فى لبب فرسه رأس غلام امرد كأنه القمر ليلة تمامه والفرس يمرح فاذا طاطا رأسه لحق الرأس بالأرض فقلت له رأس من هذا ؟ فقال هذا رأس العباس بن على ؛ قلت ومن أنت ؟ قال حرملة بن الكاهل الاسدى ، قال فلبثت اياماً واذا بحرملة ووجهه اشد سواداً من القار فقلت له لقد رأيتك يوم حملت الرأس وما فى العرب انضر وجهاً منك

وما أرى اليوم لا اقبح ولا اسود وجهاً منك فبكى وقال والله منذ حملت الرأس والى اليوم ما تمر على ليلة إلا واثنان يأخذان بضبعى ثم ينتهيان بى الى نار تأجج فيدفعانى فيها وأنا انكص فتسفعنى كما ترى ثم مات على اقبح حال .

وحكى السدى قال : نزلت بكربلا ومعى طعام للتجارة فنزلنا على رجل فتعشينا عنده وتذاكرنا قتل الحسين وقلنا ما شرك احد فى دم الحسين إلا ومات اقبح موتة فقال الرجل ما أكذبكم أنا شركت فى دمه وكنت فيمن قتله وما اصابنى شىء قال فلما كان آخر الليل اذا بصياح قلنا ما الخبر قالوا قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت اصبعه ثم دب الحريق فى جسده فاحترق ؛ قال السدى فانا والله رأيته كأنه حممة .

فصل

فاما قتل ابن زياد وجماعة آخرين فذكر علماء السير قالوا : لما قتل الحسين سقط فى ايدى القوم الذين قعدوا عن نصرته وقاموا مكفرين نادمين ، فلما مات يزيد بن معاوية منتصف ربيع الاول سنة أربع وستين تحركت الشيعة بالكوفة وكانوا يخافون منه وقيل انما تحركت فى هذه السنة قبل موت يزيد وهو الأصح .

فذكر هشام بن محمد قال : لما قتل الحسين تحركت الشيعة وبكوا ورأوا إنه لاينجيهم ولايغسل عنهم العار والاثم إلا قتل من قتل الحسين أويقتلوا فيه عن آخرهم وفزعوا إلى خمسة من رؤساء أهل الكوفة وهم سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة مع رسول الله ﷺ ؛ والمسيب بن نجبة الفزارى وكان من أصحاب على عليه السلام وخيارهم ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى ، وعبد الله بن والى التيمى ؛ ورفاعة بن شداد البجلى ، وكان اجتماعهم فى منزل سليمان بن صرد فاتفقوا وتعاهدوا وتعاقدوا على المسير الى قتال أهل الشام والطلب بدم الحسين وان يكون اجتماعهم بالنخيلة سنة خمس وستين .

قلت : وما لقتالهم لأهل الشام معنى لأنه لم يحضر أحد من أهل الشام قتال الحسين وانما قتله أهل الكوفة ، فان كان طلبهم ليزيد فقد مات وقد كان ينبغى أن يقتلوا قتلته بالكوفة يطلبوا ابن زياد ثم انهم كاتبوا الشيعة فأجابهم أهل الامصار وقيل انهم تحركوا عقيب قتل الحسين أول سنة أحدى وستين ولم يزالوا فى جمع الأموال والاستعداد حتى مات يزيد .

ثم ان المختار بن أبى عبيدة فى هذه السنة وثب بالكوفة فى رمضان يوم الجمعة بعد موت يزيد بخمسة أشهر وكان قدومه من مكة من عند عبدالله بن الزبير نايباً عنه فى زعمه فوجد الشيعة قد اجتمعوا على سليمان بن صرد فحسده فقال انما جئت من عند محمد بن الحنفية وهو المهدى وأنا أمينه ووزيره فانضمت اليه طائفة من الشيعة وجمهورهم مع سليمان بن صرد فكان المختار يحسده له ويقول ليس لسليمان خبرة بالحرب وانه يقتلكم ويقتل نفسه ووالله لأقتلن بقتلة الحسين عدد من قتل على دم يحيى بن زكريا ، ولما دخلت سنة خمس وستين اجتمع سليمان بن صرد بالنخيلة مع الشيعة وكان قد حلف له من الكوفة ثمانية عشر الفاً فصفى له خمسة آلاف فلما عزم على المسير الى الشام قال له عبدالله بن سعد تمضى الى الشام وقتلة الحسين كلهم بالكوفة عمر بن سعد ورؤس الارباع .

قلت : وهذا موافق لما أوردته من المواخذة .

فقال سليمان : هو ماتقول غير ان الذى جهز اليه الجيوش بالشام هو الفاسق بن الفاسق ابن مرجانة وكان ابن زياد لما بلغه موت يزيد هرب من الكوفة الى الشام فالتجى الى مروان بن الحكم وهو الذى ولاه الخلافة ، قال سليمان فاذا قتلناه عدنا الى قتلة الحسين عليه السلام ثم سار سليمان بمن معه وكانوا يسمون (التوابين) فلم يزالوا سائرين الى عين ورده وهى بالخابور قريبة من اعمال قرقيسيا فالتقاهم عبيدالله بن زياد هناك فى جيوش أهل الشام جهزهم معه مروان بن الحكم فاقتتلوا أياماً وكانوا فى أربعة آلاف وابن زياد فى ثلاثين الفاً ثم التقوا يوماً فكانت

لسليمان فى أول النهار ثم عادت عليه فى آخره وقيل لم يكن ابن زياد حاضراً بل كان مقدم الجيش الحصين بن نمير ثم قتل سليمان وافترقوا وكانت الوقعة فى رجب ومات مروان بن الحكم فى رمضان .

ذكر ابن جرير أن ابن زياد لما فرغ من التوابين جاءه نعى مروان بالطاعون فسار حتى نزل الجزيرة .

وقيل ان الواقعة كانت بالشام بعين وردة من عمل بعلبك ، والاول اصح ذكره ابن سعد وغيره ، ثم عاد من بقى من التوابين الى العراق فوثب المختار ابن أبى عبيدة وجاءه الامداد من البصرة والمدائن والامصار وقام معه ابراهيم بن الاشتر النخعى وخرج والشيعة معه ينادون يا لثارات الحسين .

(ذكر سليمان بن صرد)

قال ابن سعد : هو من الطبقة الثالثة من المهاجرين ، وكنيته أبو المطرف صحب رسول الله ﷺ وكان إسمه يسار فسماه رسول الله ﷺ سليمان وكان له سن عالية وشرف فى قومه فلما قبض رسول الله ﷺ تحول فنزل الكوفة وشهد مع على عليه السلام (الجمل وصفين) وكان فى الذين كتبوا إلى الحسين ان يقدم الكوفة غير انه لم يقاتل معه خوفاً من ابن زياد ، ثم قدم بعد قتل الحسين لجمع الناس فالتقوا بعين وردة وهى من اعمال قرقيسيا وعلى أهل الشام الحصين بن نمير فاقتتلوا فترجل سليمان فرماه الحصين بن نمير بسهم فقتله فوقع وقال فزت ورب الكعبة وقتل معه المسيب بن نجبة فقطع رأسيهما وبعث بهما الى مروان ابن الحكم ، وقال : وكان سن سليمان يوم قتل ثلاث وتسعون سنة ولما دخلت سنة ست وستين اعلن المختار بالطلب بثأر الحسين وكان ابن زياد بالجزيرة ثم نفى المختار عبد الله بن مطيع والى ابن الزبير على الكوفة الى مكة وملك القصر ثم أخذ المختار من شهد قتل الحسين باقبح القتلات واشنعها فلم يبق من الستة آلاف

الذين قاتلوه مع عمر بن سعد وملكوا الشرائع احداً وبعث الى خولى بن يزيد الأصبحى الذى حمل رأس الحسين الى ابن زياد فاحاطوا بداره فاختبأ فى المخرج فقالوا لامرأته أين هو ؟ فقالت فى المخرج فاخرجوه فتلوا به وحرقوه ؛ وقال المختار لأقتلن رجلا يرضى بقتله أهل السموات والارض ، وقد كان أعطى عمر ابن سعد أماناً ان لايخرج من الكوفة فاتى رجل الى عمر وقال له : قد قال المختار كذا وكذا والله مايريد سواك فارسل اليه عمر ولده حفصاً وقال للمختار يقول لك أبى أتفى لنا بالذى وعدتنا أو بالذى كان بيننا وبينك؟ فقال لحفص اجلس؛ ثم سار المختار رجلين فغابا ثم عادا وبيد أحدهما رأس عمر بن سعد فقال ولده حفص اقتلتم أبا حفص فقال المختار أنت تطمع الحياة بعده لا خير لك فيها فضرب عنقه ، وقال المختار عمر بالحسين وحفص بعلى بن الحسين ولا سواء ؛ ثم قال : والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا ولا بأنملة من انامله ؛ ثم قتل شمر أقبح قتلة ، وقيل ذبح شمر كما ذبح الحسين . وكان شمر أبرص وأوطأ الخيل صدره وظهره .

قال أبو سعد : قدم أبو شمر الضبابى الكلابى وكنيته أبو شمر ؛ ويقال أبو النابغة ويقال له ذو الجوشن ، قدم على رسول الله ﷺ فقال له أسلم ؟ فلم يفعل ، فقال له رسول الله ﷺ ما يمنعك ان تكون فى أول هذا الامر ؟ فقال رأيت قومك كذبوك واخرجوك وقاتلوك فان ظهرت عليهم تبعتك وان لم تظهر عليهم لم اتبعك ؛ فقال له رسول الله ﷺ سترى ظهورى عليهم .

قال ذو الجوشن : فوالله انى لفى قومى اذ قدم علينا ركب فقلنا ما الخبر ؟ فقالوا ظهر محمد على قومه وكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه رسول الله ﷺ .

قال ابن سعد : وكان ذو الجوشن جاء رسول الله ﷺ بعد فراغه من بدر وأهدى له فرساً يقال لها العرجاء فلم يقبلها منه .

قال ابن سعد : وبعث المختار بالرؤس الى محمد بن الحنفية ثم جاء ابن زياد فنزل الموصل فى ثلاثين الفاً فجهز اليه المختار ابراهيم بن الاشتر فى ثلاثة آلاف وقيل فى سبعة آلاف وذلك فى سنة تسع وستين فالتقى بابن زياد فقتله على الزاب وكان من غرق من أصحابه أكثر ممن قتل واختلفوا فى قاتل ابن زياد .

فذكر ابن جرير عن ابراهيم بن الاشتر انه قال : قتلت رجلا شممت منه رائحة المسك على شاطىء نهر جاذر قال ضربته فقددته نصفين ، وقيل ان الذى قتله شريك بن جرير التغلبي ، وقيل جابر أو جبير ، وقد ذكرناه ، وبعث ابن الاشتر برأس ابن زياد الى المختار فجلس فى القصر والقيت الرؤس بين يديه فالقاها فى المكان الذى وضع فيه رأس الحسين وأصحابه ونصب المختار رأس ابن زياد فى المكان الذى نصب فيه رأس الحسين ثم القاه فى اليوم الثانى فى الرحبة مع الرؤس .

قال عمار بن عمير : فبينا انا واقف عند الرؤس بالكناسة اذ قال الناس قد جاءت قد جاءت فاذا حية عظيمة تتخلل الرؤس حتى دخلت فى منخرى ابن زياد وخرجت فغابت ساعة ثم عادت ففعلت كذلك وقيل انما فعلت الحية ذلك بالقصر بين يدى المختار فقال المختار دعوها وفى رواية فعلت ذلك ثلاثة أيام.

فصل فى يزيد بن معاوية

ذكر علماء السير عن الحسن البصرى انه قال : قد كانت فى معاوية هنات لو لقى أهل الارض ببعضها لكفاهم وثوبه على هذا الأمر واقتطاعه من غير مشورة من المسلمين، وادعاؤه زياداً . وقتله حجر بن عدى وأصحابه وبتوليته مثل يزيد على الناس .

قال : وقد كان معاوية يقول لولا هواى فى يزيد لا بصرت رشدي .

وذكر جدى أبو الفرج فى كتاب (الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد) وقال : سألنى سائل فقال ما تقول فى يزيد بن معاوية ؟ فقلت له يكفيه مابه ، فقال اتجوز لعنه ؟ فقلت قد أجاز العلماء الورعون منهم احمد بن حنبل فانه ذكر فى حق يزيد ما يزيد على اللعنة .

قال جدى وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزاز أنبأنا أبو اسحاق البرمكى أنبأنا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر أنبأنا احمد بن محمد بن الخلال حدثنا محمد بن على عن مهنا بن يحيى قال : سألت احمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية فقال : هو الذى فعل ما فعل قلت ما فعل ؟ قال نهب المدينة قلت فتذكر عنه الحديث ؟ قال لا ، ولا غرامة (١) لا ينبغى لاحد ان يكتب عنه الحديث .

وحكى جدى أبو الفرج عن القاضى أبى يعلى بن الفراء فى كتابه (المعتمد فى الأصول) باسناده الى صالح بن احمد بن حنبل قال : قلت لأبى ان قوماً ينسبوننا الى توالى يزيد ؟ فقال يابنى وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله فقلت فلم لا تلعنه ؟ فقال وما رأيتنى لعنت شيئاً يابنى لم لاتلعن من لعنه الله فى كتابه فقلت وأين لعن الله يزيد فى كتابه ؟ فقال فى قوله تعالى (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى أبصارهم) فهل يكون فساد اعظم من القتل (٢) وفى رواية : لما سأله صالح فقال : يابنى ما أقول فى رجل لعنه الله فى كتابه وذكره .

قال جدى وصنف القاضى أبو يعلى كتاباً ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيداً وقال فى الكتاب المذكور الممتنع من جواز لعن يزيد أما ان يكون غير عالم بذلك أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك وربما استفز (٣) الجهال بقوله ﷺ : المؤمن لا يكون لعاناً .

---

(١) ـ لا ولا كرامة الخ .

(٢) ـ من قتل الحسين عليه السلام . (٣) ـ وربما استفز الجهال الخ .

قال القاضى : وهذا محمول على من لا يستحق اللعن ، فان قيل فقوله تعالى (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الأرض) نزلت فى منافقى اليهود فقد أجاب جدى عن هذا فى الرد على المتعصب وقال الجواب ان الذى نقل هذا مقاتل ابن سليمان ذكره فى تفسيره وقد اجمع عامة المحدثين على كذبه كالبخارى ووكيع والساجى والسدى والرازى والنسائى وغيرهم ؛ وقال فسرها احمد بانها فى المسلمين فكيف يقبل قول احمد انها نزلت فى المنافقين ؛ فان قيل فقد قال النبى ﷺ أول جيش يغزوا القسطنطينية (١) مغفور له ويزيد أول من غزاها ، قلنا فقد قال النبى ﷺ لعن الله من اخاف مدينتى والآخر ينسخ الاول .

قال احمد فى المسند : حدثنا أنس بن عياض حدثنى يزيد بن حفصة عن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبى صعصعة عن عطاء بن يسار عن السايب بن خلاد ان رسول الله ﷺ قال : من اخاف أهل المدينة ظلماً اخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا .

وقال البخارى حدثنا حسين بن حريث أنبانا أبو الفضل عن جميدة عن عائشة قالت سمعت سعداً يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يكيد أهل المدينة إلا انماع كما يماع الملح فى الماء .

واخرجه مسلم أيضاً بمعناه، وفيه لا يريد أهل المدينة احد بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص ؛ ولا خلاف ان يزيد أخاف أهل المدينة وسبى أهلها ونهبها واباحها وتسمى وقعة الحرة وسببه ما رواه الواقدى وابن اسحاق وهشام بن محمد أن جماعة من أهل المدينة وفدوا على يزيد سنة اثنتين وستين بعد ما قتل الحسين فرأوه يشرب الخمر ويلعب بالطنابير والكلاب فلما عادوا الى

(١) ـ وأما قوله ﷺ أول جيش يغزوا القسطنطينية فإنما عنى أبو ايوب الأنصارى لأنه كان فيهم .

المدينة اظهروا سبه وخلعوه وطردوا عامله عثمان بن محمد بن أبى سفيان وقالوا قدمنا من عند رجل لا دين له يسكر ويدع الصلاة وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل ؛ وكان حنظلة يقول ياقوم والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء رجل ينكح الامهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة ويقتل أولاد النبيين والله لو يكون عندى احد من الناس لا بلى الله فيه بلاءاً حسناً ، فبلغ الخبر الى يزيد فبعث اليهم مسلم بن عقبة المرى فى جيش كثيف من أهل الشام فاباحها ثلاثاً وقتل ابن الغسيل والاشراف واقام ثلاثاً ينهب الاموال ويهتك الحريم .

قال ابن سعد وكان مروان بن الحكم يحرض مسلم بن عقبة على أهل المدينة فبلغ يزيداً فشكر مروان وقربه وادناه ووصله .

وذكر المداينى فى كتاب (الحرة) عن الزهرى قال : كان القتلى يوم الحرة سبعمائة من وجوه الناس من قريش والانصار والمهاجرين ووجوه الموالى ؛ واما من لم يعرف من عبد أو حر أو امرأة فعشرة آلاف وخاض الناس فى الدماء حتى وصلت الدماء الى قبر رسول الله ﷺ وامتلأت الروضة والمسجد قال مجاهد التجأ الناس الى حجرة رسول الله ومنبره والسيف يعمل فيهم .

وكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين فى ذى الحجة فكان بينها وبين موت يزيد ثلاثة اشهر ما امهله الله بل اخذه اخذ القوى وهى ظالمة وظهرت فيه الآثار النبوية والاشارات المحمدية .

وذكر أبو الحسن المداينى عن أم الهيثم بنت يزيد قالت : رأيت امرأة من قريش تطوف با لبيت فعرض لها أسود فعانقته وقبلته فقلت لها ما هذا منك قالت هذا ابنى من يوم الحرة وقع علىّ أبوه فولدته .

وذكر أيضاً المداينى عن أبى قرة قال : قال هشام بن حسان ولدت الف امرأة بعد الحرة من غير زوج ، وغير المداينى يقول عشرة آلاف امرأة .

وقال الشعبي : أليس قد رضي يزيد بذلك وأمر به وشكر مروان بن الحكم على فعله ثم سار مسلم بن عقبة من المدينة الى مكة فمات في الطريق فأوصى الى الحصين بن نمير فضرب الكعبة بالمجانيق وهدمها واحرقها وجاء نعي يزيد لعنه الله في ربيع .

وقال جدي : ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر وحمل الرؤس اليه وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه وحمل آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على ان يدفع فاطمة بنت الحسين الى الرجل الذي طلبها وانشاده أبيات ابن الزبعري : (ليت أشياخي ببدر شهدوا) ورده الرأس الى المدينة وقد تغيرت ريحه وما كان مقصوده إلا الفضيحة واظهار رائحة الرأس فيجوز ان يفعل هذا بالخوارج اليس باجماع المسلمين ان الخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون ، وكذا قول يزيد لي ان اسبيكم لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين قولا يقنع لقايله وفاعله باللعنة ولو لم يكن في قلبه احقاد جاهلية واضغان بدرية لاحترم الرأس لما وصل اليه ولم يضربه بالقضيب وكفنه ودفنه وأحسن الى آل رسول الله .

قلت والذي يدل على هذا انه استدعى ابن زياد اليه واعطاه أموالا كثيرة وتحفاً عظيمة وقرب مجلسه ورفع منزلته وادخله على نسائه وجعله نديمه وسكر ليلة وقال للمغني غن ثم قال يزيد بديهيا :

اسقني شربة تروي فؤادي ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً ومبيد الأعداء والحساد

وقال ابن عقيل : ومما يدل على كفره وزندقته فضلا عن سبه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالالحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد . فمنها قوله في قصيدته التي أولها :

علية هاتى واعلنى وترنمى　　بذلك أنى لا أحب التناجيا
حديث أبى سفيان قدماً سمى بها　　الى أحـد حتى أقام البواكيا
الاهات فاسقينى على ذاك قهوة　　تخيرها العنسى كرماً شاميا
اذا ما نظرنا فى أمور قديمـة　　وجدنا حلالا شربها متواليا
وان مت يا أم الاحيمر فانكحى　　ولا تأملى بعد الفراق تلاقيا
فان الذى حدثت عن يوم بعثنا　　أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بد لى من أن أزور محمداً　　بمشمولة صفراء تروى عظاميا

قلت ومنها قوله :

ولولم يمس الأرض فاضل بردها　　لما كان عندى مسحة فى التيمم

ومنها : (لما بدت تلك الحمول واشرقت) وقد ذكرناها . ومنها قوله :

معشر الندمان قوموا　　واسمعوا صوت الأغانى
واشربوا كأس مـدام　　واتركوا ذكر المغانى
أشغلتنى نغمة العيدان　　عن صوت الأذانى
وتعوضت عن الحور　　خموراً فى الدنان

الى غير ذلك مما نقلته من ديوانه ، ولهذا تطرق الى هـــذه الأمة العار بولايته عليها ، حتى قال أبو العلاء المعرى يشير بالشنار اليها :

أرى الايام تفعل كل نكر　　فما أنا فى العجائب مستزيد
أليس قريشكم قتلت حسينا　　وكان على خلافتكم يزيد

قلت : ولما لعنه جدى أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر واكابر العلماء قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا فقال جدى (ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) .

وحكى لى بعض اشياخنا عن ذلك اليوم : ان جماعة سألوا جدى عن يزيد فقال ما تقولون فى رجلٍ ولىَ ثلاث سنين فى السنة الأولى قتل الحسين فى الثانية

أخاف المدينة واباحها وفى الثالثة رمى الكعبة بالمجانيق وهدمها ، فقالوا نلعن فقال فالعنوه .

وقال جدى فى كتاب (الرد على المتعصب العنيد) قد جاء فى الحديث : لعن من فعل ما لا يقارب عشر معشار فعل يزيد ، وذكر الأحاديث التى ذكرها البخارى ، ومسلم فى (الصحيحين) مثل حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ انه لعن الواشمات والمتوشمات ، وحديث ابن عمر لعن الله الواشمة والمتوشمة ولعن الله المصورين ، وحديث جابر لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله ، الحديث وحديث ابن عمر فى مسند أحمد لعنت الخمر على عشرة وجوه الحديث ، وأورد أخباراً كثيرة فى هذا الباب وهذه الأشياء دون فعل يزيد فى قتله الحسين واخوته وأهله ونهب المدينة وهدم الكعبة وضربها بالمجانيق واشعاره الدالة على فساد عقيدته ومن رام الزيادة على هذا فليقف على كتابه المسمى (بالرد على المتعصب العنيد) .

الباب العاشر في ذكر محمد ابن الحنفية

وكنيته : أبو القاسم ، وقيل أبو عبد الله ، وهو من الطبقة الأولى من التابعين ، ولد بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وقال احمد فى المسند : حدثنا وكيع حدثنا مطر حدثنا منذر حدثنا محمد بن الحنفية عن أبيه على عليه السلام قال : قلت يارسول الله أرأيت ان ولد لى بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال نعم .

قال الزهرى : فكانت رخصة من رسول الله ﷺ لعلى عليه السلام ، فان قيل : فقد روى يولد لك ابن قد نحلته اسمى وكنيتى .

قلت : حدثنا رواة أحمد فى المسند ولم يتكلم فيه احد وانما الحديث الذى

رواه أخرجه مشايخنا عن القزاز عن الخطيب ولفظه عن على عليه السلام قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يولد لك ولد قد نحلته اسمى وكنيتى فى اسناده الحسن بن بشير احاديثه منكرة ، أما الحديث الذى رويناه فلا مطعن فيه .

قلت : وقد تسمى بهذا الاسم وتكنى بهذا الكنية جماعة فى الإسلام ، محمد ابن أبى بكر الصديق فان كنيته أبو القاسم ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد ابن أبى وقاص . ومحمد بن عبد الرحمان بن عوف ، ومحمد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد بن حاطب بن أبى بلتعة ، ومحمد بن الأشعث بن قيس فى آخرين ، وأم محمد خولة بنت جعفر بن قيس الحنفى ، وكانت أم ولد من سبى اليمامة .

قال الزهرى : كان محمد من اعقل الناس واشجعهم معتزلا عن الفتن وما كان فيه الناس .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) لما استولى ابن الزبير على الحجاز وقتل الحسين بعث ابن الزبير الى ابن الحنفية يقول له بايعنى وبعث اليه عبد الملك بن مروان يقول له كذلك فقال لهما انما أنا رجل من المسلمين اذا اجتمع الناس على امام بايعته فلما قتل ابن الزبير بايع عبد الملك .

وقال وهب بن منبه : كانت القلوب مائلة الى محمد ابن الحنفية ، وكان المختار ابن أبى عبيدة يدعو اليه بالكوفة ويراسله ويقول انه المهدى وهذا مذهب الكيسانية وهم طائفة من الامامية أصحاب المختار ابن أبى عبيدة ، وكان المختار يلقب بكيسان ، وجماعة من الكيسانية يزعمون ان محمد ابن الحنفية لم يمت وانه مقيم بجبل رضوى فى شعب منه ومعه أربعون من أصحابه دخلوا ذلك الشعب فلم يوقف لهم على أثر وانهم أحياء يرزقون ، وفيهم يقول كثير عزة (وكان من الكيسانية) :

ألا إن الأئمة من قريش   ولاة الأمر أربعة سواء
علىٌّ والثلاثة من بنيه   هم الأسباط ليس لهم خفاء

فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

وقوله : سبط مجازاً ، وانما أراد الولد ، ولوقال ابن لا يذوق الموت كان أولى . ومن الكيسانية السيد الحميرى واسمه اسماعيل بن محمد وهو القائل :

ألا قل للإمام فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منـــا وسموك الخليفة والإمـاما
وعدوا أهل هذا الأرض طراً مقامك فيهم ستين عاما
وماذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما
لقد امسى بمورق شعب رضوى تراجعه الملائكة الكراما
هدانا الله إذ حزنا لأمر به ولديه نلتمس التماما

وقال السيد أيضاً :

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى وبنا اليه من الصبابة أشوق
حتى متى وإلى متى وكم الذى يا بن الوصى وأنت حى ترزق

قال الواقدى ولما علم ابن الزبير بقصة محمد مع المختاروطلب منه ان يبايعه حبسه فى مكان يقال له حبس عارم وفيه يقول كثير يخاطب ابن الزبير :

يخبر من لاقيت انك عابد بل العابد المظلوم فى حبس عارم
ومن يرهذا الشيخ فى الخيف والمنى من الناس يعلم انه غير ظالم
سمى نبى الله وابن وصيه وفكاك اغلال وقاضى المغارم

وقال هشام : وانما حبسه فى قبة زمزم وحبس معه عشرين من وجوه عشيرته وجماعة من بنى هاشم لم يبايعوه وضرب لهم اجلا إن لم يبايعوه فيه وإلا حرقهم با انار وأشار بعض من كان مع محمد ان يبعث الى المختار فيعرفه حديثهم وما توعدهم به ابن الزبير .

وقال فى كتابه : ياأهل الكوفة لا تخذلونا كما خذلتم الحسين فلماقرأ المختار

كتابه بكى وجمع الأشراف وقرأ عليهم الكتاب وقال هذا كتاب مهديكم وسيد أهل بيت نبيكم وقد تركهم الرسول ينتظرون القتل والحريق ولست أبا اسحاق إن لم انصرهم واسرب الخيل فى اثر الخيل كالسيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل ثم سرح اليهم عبدالله الجدلى فى الف فارس واتبعه بالف ثم بالف والف فساروا حتى هجموا على مكة ونادوا يا ثارات الحسين ووافوا الحطب على باب القبة ولم يبق من الأجل سوى يومين فكسروا باب القبة واخرجوا محمداً ومن معه وسلموا عليه وقالوا خل بيننا وبين عدو الله المحل ابن الزبير فقال محمد لا استحل القتال فى حرم الله ثم تتابع عدد المختار حتى خرج محمد فى أربعة آلاف فخرج الى ايلة فاقام بها مدة سنتين وكان ابن الزبير قد احرق داره وقيل بل اقام با لطايف وهو الأشهر .

﴿ ذكر نبذة من كلامه (رض) ﴾

أخبرنا غيرواحد عن اسماعيل بن احمد السمرقندى أنبأنا عمرو بن عبيدالله البقال أنبأنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا عثمان بن احمد الدقاق حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا هارون بن معروف عن عبد الله ابن المبارك حدثنا الحسين بن عمر الفقيمى عن منذر الثورى ، قال كان محمد بن الحنفية يقول ليس بحكيم من لم يعاشر با لمعروف من لا يجد من معاشرته بدأ حتى يجعل الله له من امره فرجاً ومخرجاً ، وبه قال الثورى قال محمد من كرمت نفسه عليه هانت الدنيا فى عينيه . وبه قال الثورى ، قال محمد ان الله جعل الجنة ثمنا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها وقال أيضاً : كل ما لا ينبغى به وجه الله فهو مضمحل .

وذكر أبو نعيم فى كتاب (الحلية) وقال حدثنا احمد بن محمد بن سنان حدثنا محمد ابن اسحاق السراج الثقفى حدثنا عمر بن محمد بن الحسن حدثنا أبى عن حماد بن سلمة عن على ابن زيد بن جدعان عن على بن الحسين عليه السلام قال : كتب ملك الروم الى عبدالملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليبعثن اليه مائة الف

فى البر ومائة الف فى البحر أو يؤدى اليه الجزية فكتب عبد الملك الى الحجاج وكان با لحجاز توعد محمد بن الحنفية بالقتل وأخبرنى بجوابه وكان عبد الملك قد خاف خوفاً عظيماً فلما وصل كتابه الى الحجاج كتب الى محمد يتواعده فكتب محمد الى الحجاج ، أما بعد فان لله تعالى فى كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة الى خلقه وأنا أرجو ان ينظر الىّ نظرة يمنعنى منك .

فكتب الحجاج بذلك الى عبد الملك فكتب عبد الملك الى ملك الروم بذلك فكتب اليه ملك الروم مالك ولهذا الكلام ما خرج منك ولا من أهل بيتك وانما خرج من بيت النبوة .

وفى رواية ان الحجاج لما قدم والياً على الحجاز كتب محمد الى عبد الملك يقول الحجاج من قد علمت فلا تجعل له على سلطاناً بيد ولا لسان ، فكتب عبد الملك الى الحجاج ينهاه عنه فالتقاه فى الطواف فعض على شفته ثم قال لولا أمير المؤمنين لفعلت وفعلت فقال له محمد ويحك يا حجاج ان لله تعالى فى كل يوم وذكره .

وقال الثورى بالاسناد المتقدم قال محمد يوماً لبعض ولده اذا شئت ان تكون اديباً فخذ من كل شىء أحسنه وان شئت أن تكون عالماً فاقتصر على فن من الفنون وبه قال الثورى عن على بن الحسين قال : قال الأشتر النخعى لمحمد بن الحنفية يوماً من أيام صفين قم بين الصفين وأمدح أمير المؤمنين وذاكر بعض مناقبه فبرز محمد بين الصفين وأومى الى عسكر معاوية وقال يا أهل الشام اخسئوا يا ذرية النفاق وحشو النار وحطب جهنم عن البدر الزاهر والقمر الباهر والنجم الثاقب والسنان النافذ والشهاب المنير والحسام المبير والصراط المستقيم والبحر الخضم العليم من قبل ان نطمس وجوهاً فنردها على ادبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا أو ماترون أى عقبة تقتحمون وأى هضبة تتسنمون وانى تؤفكون بل ينظرون اليك وهم لا يبصرون اصنو رسول الله

تستهدفون ويعسوب دين الله تلمزون فأى سبيل رشاد بعد ذلك تسلكون وأى خرق بعد ذلك ترقعون هيهات هيهات برز والله فى السبق وفاز بالخصل واستولى على الغاية واحرز الفصل الخطاب فانحسرت عنه الأبصار وانقطعت دونه الرقاب وفرع الذروة العليا وبلغ الغاية القصوى فعجز من رام سعيه وعناه الطلب وفاته المأمول والأرب ووقف عند شجاعته الشجاع الهمام وبطل سعى البطل الضرغام وأنى لهم التناوش من مكان بعيد خفضاً خفضاً ومهلا مهلا افلصديق رسول الله تنكثون أم لأخيه تسبون وهو شقيق نسبه اذا نسبوا ونديد هارون اذا مثلوا وذو قوى كبرها اذا امتحنوا والمصلى الى القبلتين اذانحرفوا والمشهور له بالإيمان اذا كفروا والمدعو بخيبر اذا نكلوا والمندوب لنبذ عهد المشركين اذا نكثوا والمخلوف على الفراش ليلة الهجرة اذا جبنوا والثابت يوم احـــد إذ هربوا والمستودع للأسرار ساعة الوداع إذ حجبو :

هذى المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وكيف يكون بعيداً من كل سناً وسمو وثناء وعلو وقد نجله ورسول الله أبوه وانجبت بينهما جدود ورضعا بلبان ودرجا فى سنن وتفيآ بشجرة وتفرعا من أكرم اصل فرسول الله للرسالة وأمير المؤمنين للخلافة رتق الله به فتق الإسلام حتى انجابت طخية الريب وقمع نخوة النفاق حتى ارفأن جيشانه وطمس رسم الجاهلية وخلع ربقة الصغار والذلة وكفت الملة العوجاء ورنق شربها وحلاها عن وردها واطئا كواهلها آخذاً باكظامها يقرع هاماتها ويرخصها عن مال الله حتى كلمها الخشاش وعضها الثقاف ونالها فرض الكتاب فجرجرت جرجرة العود الموقع فرادها وقرأ فلفظته أفواهها وأزلقته بابصارها ونبت عن ذكره اسماعها فكان لها كاسم المقر والزعاف المزعف لا يأخذه فى الله لومة لائم ولا يزيله عن الحق تهيب متهدد ولا يحيله عن الصدق ترهب متوعد فلم يزل كذلك حتى اقشعت غيابة الشرك وخنع طيخ الأفك وزالت قحم الاشراك فيه

حتى تنسمتم روح النصفة وقطعتم قسم السوء بعد ان كنتم لوكة الآ كل ومذقة الشارب وقبسة العجلان بسياسة مأمون الحرفة مكتهل الحنكة طب بادوائكم قنا بدوائكم مثقفا لأودكم كالئاً لحوزتكم حامياً لقاصيكم ودانيكم يقتات بالجبنة ويرد الخيس ويلبس الهدم ثم اذا سبرت الرجال وطاح الوشيط واستسلم المشيح وغمغمت الاصوات وقلصت الشفاه وقامت الحرب على ساق وخطر فينقها وهدرت شقاشقها وجمعت قطريها وسالت بابراق التي أمير المؤمنين هنالك مثبتاً لقطبها مديراً لرحاها قادحا بزندها موريا لهبها مذكيا جمرها دلافاً الى البهم ضراباً للقلل غصاباً للمهج تراكاً للسلب خواضاً لغمرات الموت مشكل امهات موتم أطفال مشتت آلاف قطاع اقران طافيا عن الجولة راكداً فى الغمرة يهتف باولاها فتنكف اخراها فتارة يطويها كطى الصحيفة وآونة يفرقها تفرق الوفرة فباى الآء أمير المؤمنين تمترون وعلى أى أمر مثل حديثه تاثرون وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون ؛ فلم يبق فى الفريقين إلا من اعترف بفضل محمد .

(تفسير غريبه)

الحصب ما رمى به فى النار ، والطمس ذهاب الاثر ؛ والصنوان تخرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صنو ؛ والجمع صنوان ويستهدفون يجعلونه هدفاً ، والخصل ان يقع السهم بلزق القرطاس فى المناضلة والتناوش التناول وقوله (هذى المكارم لا قعبان) قلت ولوكنت حاضراً هذا الكلام لقلت هذه الفصاحة لاسحبان ، ونحلته أعطيته . وانجبث من النجابة ورتق لأم ، والطخية شدة الظلمة ، وارفان نفر ثم سكن ، وجيشانه غليانه والكنف ضم بعض الشىء الى بعض ، ورنق بالنون أى كدر شربها ؛ وا قطام مجرى النفس ؛ والثقاف ما يسوى به الرماح ، والموقع الموقر الظهر ، والمقر الصبر ، وسم ذعاف قاتل سريعاً وهو بالذال المعجمة ؛ وارعفه قتله . والغيابة ما اظلك ، واختنع أى أخضع ، والطيخ التكبر ، والانهماك فى الباطل ، والقحم

التقحم ، والجبنة عامة الشجر ويقال للبن الحامض جبنة ؛ وتهدم الثوب بلى وطاح سقط ، والوشيط الخسيس والدخيل ؛ والمشيح المجـــد ، وفينقها لخلها والجمع فنق وافناق ، وقد ذكرنا الشقشقية فيما تقدم ؛ وقطراها جانباها ؛ والوفرة الشعر إلى شحمة الأذن .

(ذكر وفاته)

اختلفوا فى أى مكان توفى على ثلاثة أقوال احدهما بأيلة ، والثانى بالمدينة وصلى عليه ابان بن عثمان باذن ابنه أبى هاشم ودفن بالبقيع ؛ والثالث بالطائف وذلك فى سنة أحدى وثمانين فى أيام عبد الملك بن مروان وعمره خمس وستون سنة .

(ذكر أولاده)

أبو هاشم واسمه عبد الله وهو أكبر ولده وكان من العلماء الاشراف قدم على سليمان بن عبد الملك فاكرمه ثم سار الى فلسطين فبعث اليه سليمان من قعد له على الطريق بلبن مسموم فلما شرب منه احس بالموت فعدل الى الحميمة واجتمع بمحمد بن على بن عبدالله بن عباس واعلمه ان الأمر فى ولده وسلم اليه كتب الدعاة واوقفه على ما يفعل ثم مات عنده بالحميمة من ارض الشراة بناحية البلقاء وكان لأبى هاشم من الولد هاشم وبه كان يكنى ومحمد الاصغر لا بقية له وامهما بنت جلد كنانية ومحمد الأكبر ؛ ولبابة وامهما فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن عباس وعلى وأمه أم عثمان بنت أبى جدير قضاعية ، وطالب ؛ وعون ؛ وعبيد الله لامهات أولاد شتى ، وريطة وهى أم يحيى بن زيد بن على المقتول بخراسان وأم سلمة لام ولد .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) وقال كان أبو هاشم ثقة وكانت الشيعة يتوالونه وكان بالشام مع بنى هاشم وعندهم توفى رحمه الله .

وكان لمحمد بن الحنفية من الولد ، جعفر الأكبر ، وعلى ؛ وحمزة وجعفر الأصغر ، والحسن لامهات أولاد شتى ، وكان الحسن ، هذا من ظرفاء

بنى هاشم وهو أول من تكلم فى الارجاء وكان يقدم على أخيه أبى هاشم .

وقال ابن اسحاق أمه جمال بنت قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وتوفى فى خلافة عمر بن عبدالعزيز وليس له عقب ، وابراهيم وأمه مسرعة بنت عباد بن شيبان بن جابر عوفية ؛ والقاسم . وأم أبيها ؛ وعبد الرحمان وامهم أم عبد الرحمان وامها برة بنت عبد الرحمان بن الحرث بن نوفل ، وجعفر الأصغر وعون ، وعبد الله الاصغر وامهم أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب وعبد الله ؛ ورقية ، ومحمد وأمهم أم ولد ، وقال الزبير بن بكار وكان عبد الله أكبر ولد محمد وكنيته أبو هاشم وهو الذى سقاه سليمان بن عبد الملك اللبن مسموماً فاوصى الى ابن عمه محمد بن على بن عبد الله بن عباس ومات عنده بالحميمة أرض الشراة بناحية البلقاء .

اسند محمد بن الحنفية الحديث عن جماعة من الصحابة ومعظم حديثه عن أبيه على عليه السلام .

قال أبو نعيم حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطى حدثنا احمد بن يحيى بن زهير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال انكر على مارية أم ابراهيم فى قبطى ابن عم لها كان يزورها ويختلف اليها فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم خذهذا السيف وانطلق فان وجدته عندها فاقتله قال فقلت يارسول الله أكون فى أمرك اذا ارسلتنى كالسبيكة المحماة لايثنينى شىء حتى امضى لما أمرتنى به والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فقال نعم الشاهد يرى مالا يرى الغائب قال فاقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف واقبلت نحوه فعرف انى أريده فأتى نخلة فصعد فيها ثم رمى بنفسه على قفاه وسفر برجليه فاذا هو أجب ممسوح ليس له قليل ولا كثير فاغمدت السيف وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت الحزن .

الباب الحادي عشر

في ذكر خديجة وفاطمة عليهما السلام

أما خديجة فهي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى ويقال بالهمزة الى ان ينتهي نسبها الى عدنان وأمها فاطمة بنت زايدة من الأصم من ولد فهر بن مالك ، وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف وام هالة العرقة وهي قلابة بنت سعيد من بنى لوى بن غالب .

قال الواقدى وكانت خديجة وهي بكر قد ذكرت لورقة بن نوفل وكان ابن عمها فلم يقض بينهما نكاح فتزوجها أبو هالة واسمه هند بن النباش التميمي فولدت له هنداً وهالة اسم رجلين ثم تزوجها عتيق بن عابد المخزومي فولدت له جارية اسمها هند وكانت خديجة تدعى أم هند .

وحكى ابن سعد عن الواقدى قال كانت أسن من رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسة عشر سنة .

قال الواقدى وكانت ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث الى الشام فيكون عيرها كعير عامة قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله خمساً وعشرين سنة وليس له بمكة أسم إلا الأمين أرسلت اليه تسأله الخروج الى الشام مع عيرها مع مولاها ميسرة فسافر رسول الله صلى الله عليه وآله بعيرها الى الشام فرأى غلامها ميسرة منه في الطريق العجائب ورأى الغمامة تظله فلما قدم مكة رأت الغمامة على رأسه وحكى لها ميسرة ماشاهد فتزوجته بعد قدومه من الشام بيومين (١) زوجه اياها أبوها وقيل أخوها عمر بن خويلد

(١) ب - وفي نسخة بشهرين .

وقيل انما زوجها عمها عمرو وهى بنت أربعين سنة وهو الاصح لأنها ولدت قبل الفيل بخمسة عشر سنة والاصح ان الذى زوجها عمرو .

قال الواقدى مات أبو خديجة قبل الفجار الاول .

﴿ ذكر خطبة النكاح وعقد العقد ﴾

قال علماء السير حضر أبو طالب العقد ووجوه بنى هاشم والاشراف وعمومة رسول الله فخطب أبو طالب فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد ابن عبد الله لا يوزن به رجل الارجح به وان كان فى المال قل فالمال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم فضله ونسبه وقرابته وصدقه وامانته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى ومبلغه كذا وكذا وهو والله له بعد خطب جسيم وخطر جليل .

وقيل انه اصدقها عشرين بكرة وعشر أواق من الذهب وعبداً وأمة .

﴿ ذكر نبذة من فضائلها ﴾

قال هشام بن محمد : كان رسول الله ﷺ يودها ويحترمها ويشاورها فى أموره كلها وكانت وزير صدق وهى أول امرأة آمنت به ولم يتزوج فى حياتها احداً وجميع أولاده منها إلا ابراهيم بن مارية لما نذكر .

قال احمد فى المسند حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبدالله ابن جعفر عن على عليه السلام قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد متفق عليه والمراد بالأول نساء بنى اسرائيل وبالثانى نساء هذه الأمة .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى هريرة قال أتى جبرئيل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال يا محمد هذه خديجة قد اتتك فاقرأها السلام من ربها

وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولانصب ، القصب الدر المجوف والصخب الاصوات المختلفة ، والنصب التعب ومعناه انه لا بد لكل بيت من تعب واصلاح إلا قصور الجنة فانه لا تعب فى بنائها .

وقيل : لما تعبت فى تربية الاولاد حصلت لها الراحة بالمناسبة .

وفى الصحيحين أيضاً : ان عائشة (رض) قالت ماغرت على احد من نساء رسول الله ما غرت على خديجة وما رأيتها قط ولكن كان رسول الله يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطع اعضائها ويبعث بها الى صدايق خديجة .

فاقول كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول انها كانت ، وكانت وكان لى منها الاولاد الصدايق الحلايل .

وفى رواية عن عائشة قالت فادركتنى الغيرة يوماً فقلت وهل كانت إلا عجوزاً قد اخلف الله لك خيراً منها قالت فغضب حتى اهتز مقدم شعره وقال والله ما اخلف لى خيراً منها لقد آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس واسعفتنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله أولادها إذ حرمنى أولاد النساء ، قالت : فقلت فى نفسى والله لا أذكرها بسوء أبداً .

وفى رواية عن عائشة قالت أغضبت رسول الله ﷺ يوماً وقلت خديجة بالتصغير فزجرنى وقال: انى رزقت حبها واستأذنت عليه يوماً هالة أخت خديجة فارتاع لذلك وقال اللهم هالة بنت خويلد ، قالت فغرت وقلت وما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت فى الدهر فزجرنى وقال بمعنى ماتقدم ، ومعنى حمراء الشدقين ان المرأة اذا كبرت احمر شدقاها ، وقيل انه أرادت بالأحمر الابيض ومتى كبرت المرأة ابيض شدقاها وهو الاصح .

وكل هذه الروايات فى الصحيحين .

وقال الزهرى : بلغنا ان خديجة انفقت على رسول الله ﷺ أربعين الفاً وأربعين الفاً .

﴿ ذكر وفاتها (رض) ﴾

قال الواقدى توفيت خديجة بعد أن مضى من النبوة عشر سنين وهى بنت خمس وستين سنة قبل وفاة أبى طالب بثلاثة أيام وقيل بعد وفاته بشهر .

قال حكيم بن حزام دفناها بالحجون ونزل رسول الله ﷺ فى قبرها ولم يكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها .

وقال هشام توفيت ورسول الله ﷺ ابن سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر

وقال مجاهد : كانت وفاتها قبل ان تفرض الصلوات الخمس وهذا صحيح لأن الصلوات فرضت سنة اثنى عشر من النبوة ليلة المعراج .

وقال هشام كانت وفاتها العشر خلون من رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين

﴿ ذكر أولادها من رسول الله ﷺ ﴾

وقال ابن اسحاق كان له من الذكور : القاسم وبه كان يكنى مات بمكة قبل المبعث وله سنتان ، وعبد الله ويسمى الطيب ؛ مات أيضاً قبل النبوة وقيل بعدها بسنة والطاهر ولد فى الإسلام ولهذا سمى الطاهر وتوفى بعد المبعث وقيل الطيب والطاهر لقبان والأول أصح .

وقال احمد فى المسند حدثنا عثمان بن شيبة عن محمد بن فضل عن محمد بن عثمان عن أبى زادان عن على عليه السلام قال : قالت خديجة يا رسول الله أين ولدى منك فقال فى الجنة .

وقال ابن سعد كان بين كل ولدين سنة وقيل سنتان ، وأما البنات فزينب ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة عليهن السلام .

فاما زينب فتزوجها أبو العاص بن الربيع واسمه مقسم بن عبد العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة ولدت منه ولداً سماه علياً فتوفى وهو صغير .

وقال هشام تزوج أبو العاص زينب وهو مشرك واسر يوم بدر فمن عليه

رسول الله ﷺ على ان يجهز اليه زينب لجهزها اليه فلما خرجت من مكة لحقها هبار بن الأسود فطعن بعيرها فصرعها فأسقطت وردها وبقيت عند هند بنت زمعة ، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فتلطف له حتى ورد بها المدينة ففرح بها رسول الله ﷺ .

قال الواقدى: وذلك بعد غزاة خيبر وليس بصحيح وانما هو عقيب غزاة بدر ثم قدم زوجها أبو العاص على رسول الله ﷺ فاستجار بزينب فاجارته فامضى رسول الله ﷺ ذلك ورد زينب عليه رسول الله ﷺ با لنكاح الأول وقيل انما ردها بنكاح جديد وقيل انما اسلم قبل انقضاء عدتها وقيل كان هذا ثم نسخ يعنى النكاح الأول وكان لابى العاص من زينب ابنة يقال لها امامة تزوجها المغيرة ابن نوفل وفارقها فتزوجها على ﷺ بعد موت فاطمة وقيل انما تزوجها بوصية فاطمة وهذه امامة هى التى كان رسول الله ﷺ يحملها على كتفه وهى طفلة حتى فى الصلاة فاذا سجد وضعها على الارض واذا قام علا لحملها وتوفيت زينب سنة ثمان من الهجرة .

وأما رقية فكان رسول الله ﷺ زوجها عتبة بن أبى لهب (١) وزوج أم كلثوم عتيبة بن أبى لهب فلما نصب أبو لهب العداوة لرسول الله ﷺ أمر ابنيه عتبة وعقبة بطلاقهما فطلقاهما قبل الدخول فتزوجهما عثمان تزوج فى الجاهلية رقية زوجه رسول الله ﷺ اياها أولا فولدت له عبد الله وهاجرت معه الى الحبشة ثم عادت معه الى المدينة وتوفيت سنة اثنتين من الهجرة والنبى ﷺ ببدر وكان لها من عثمان بن عفان عبد الله نقره ديك فى عينه فمات سنة أربع من الهجرة وله ست سنين فزوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم فتوفيت عنده سنة سبع من الهجرة وكان تزويجها من عثمان سنة ثلاث من الهجرة .

(١) ـ وفى نسخة : عقبة بن أبى كثير .

فصـــل

وأما فاطمة عليها السلام قال علماء السير ولدتها خديجة وقريش تبني البيت الحرام قبل النبوة بخمس سنين وهي أصغر بنات رسول الله وتزوجها علي عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي الحجة أو رجب وقيل في صفر والأول أشهر .

﴿ ذكر تزويجها وفضلها ﴾

قال هشام : وأهديت اليه في بردين وفي يديها دملوجان من فضة ومعها خميلة ومرفقة من أدم حشوها ليف وقربة ومنخل وجراب .

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا ابراهيم بن عبد الصمد البصري حدثنا ابراهيم بن يسار حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه قال اخبرني من سمع علي بن أبي طالب يقول على منبر الكوفة لما أردت ان اخطب فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرت انه لا شيء لي ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبها فقال وهل عندك شيء قلت لا قال فاين درعك الحطمية فقلت عندي وكان رسول الله (ص) قد وهبها لي فاتيته بها فانكحني إياها على الدرع فلما ان دخلت عليّ قال لا تحدثن حدثاً حتى آتيكما فاستاذن رسول الله (ص) علينا وعلينا كساء أو قطيفة قال فتخشخشنا فقال مكانكما على حالكما فدخل علينا فجلس عند رؤسنا ودعا بماء فدعى فيه با لبركة ورشه علينا قال علي فقلت يا رسول الله ايما أحب اليك أنا أم هي فقال هي أحب الى منك وأنت أعز علي منها .

قال الشعبي : وكان قيمة درعه خمسة دراهم وغيره يقول خمسمائة درهم .

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا أبو عمر محمد بن محمود الأصبهاني حدثنا علي بن خشرم المروزي أنبانا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال خطب أبو بكر رضي الله عنه فاطمة عليها السلام فقال رسول الله

عليه السلام انها صغيرة وانى انتظر بها القضاء فلقيه عمر فاخبره فقال ردك ثم خطبها عمر فرده ثم خطبها على عليه السلام فزوجه إياها وقال ان الله أمرنى أن أزوج علياً فاطمة فباع على عليه السلام بعيراً وبعض متاعه وتزوجها .

وذكره ابن سعد فى (الطبقات) وقال فيه كان رسول الله (ص) قد وعد علياً بها قبل ان يخطبها أبو بكر وعمر .

وذكر ابن سعد أيضاً عن محمد بن على قال تزوج على فاطمة على اهاب شاة وذلك فى رجب بعد الهجرة بخمسة اشهر و بنى بها بعد مرجعه من بدر وفاطمة يومئذ بنت ثمان عشرة سنة .

وقال ابن سعد حدثنا أبو اسامة عن مجالد عن عامر قال : قال على عليه السلام لقد تزوجت فاطمة مالى ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ، ومالى ولها خادم غيرها .

وقال احمد فى (الفضائل) حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن أبى زيد المدنى قال لما اهديت فاطمة الى على عليه السلام لم تجد عنده إلا رملا مبسوطاً ووسادة وكوزاً وجرة فارسل اليه رسول الله (ص) لا تقرب زوجتك حتى آتيك فجاء رسول الله (ص) فدعى بماء فقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم نضح به صدر على عليه السلام ووجهه ثم دعى بفاطمة فقامت اليه فى مرطها وهى تصعد عرقاً من الحياء فنضح عليهما من الماء وقال لها امانى لم انكحك إلا أحب أهلى الى واعزهم علىّ أو عندى ثم خرج وقال دونك أهلك وما زال يدعو لنا حتى دخل الحجرة فرأى سواداً من وراء الباب فقال من هذا فقالت اسماء قال بنت عميس قالت نعم قال امع بنت رسول الله جئت كرامة لرسول الله قالت نعم فدعى لها وفى رواية انه جهز رسول الله (ص) فاطمة فى خميلة وهى القطيفة

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) ان رسول الله (ص) لما دخل على عليه السلام على فاطمة جاء فطرق الباب وقال أين أخى فجاءت أم أيمن فقالت يا رسول الله

كيف يكون أخاك وقد زوجته ابنتك قال هو ذاك ثم دخل عليهما فدعى لهما ووقاهما قال وانما فعل رسول الله (ص) ذلك لأن اليهود كانوا يأخذون الرجل عن أهله.

وفى رواية جهزها رسول الله (ص) ومعها قربة من ادم ووسادة من ادم حشوها ليف وجلد كبش يناماه عليه بالليل ويعلفان الناضح عليه فى النهار ورحا وجرة .

وذكر ابن سعد قال لما خطب على عليه السلام فاطمة دنى رسول الله (ص) من خدرها وقال ان علياً يذكر فاطمة فسكتت فزوجها منه قلت فصار ذلك اصلا فى كل بكر إنها تستأمر سواء كان لها أب أو غيره عند أبى حنيفة ولا تجز أصلا وعند الشافعى واحمد تخير لما عرف فى موضعه .

وفى رواية : لما خطبها خرج الى الانصار فقالوا له ما قال لك ؟ فقال : قال لى مرحباً واهلا فقالوا له ابشر فقد اعطاك الرحب والأهل .

وقال احمد فى (الفضائل) حدثنا حميد بن عبد الرحمان الرواسى حدثنا أبى عن عبد الكريم بن سليط عن أبى بريدة عن أبيه قال. لما أراد النبى (ص) أن يجهز فاطمة الى على عليه السلام قال لأصحابه لابد للعرس من وليمة فقال سعد بن أبى وقاص يا رسول الله عندى كبش ، وقال آخر عندى فرق من ذرة .

وأخبرنا جدى أبو الفرج رحمه الله قال أنبأنا أبو منصور القزاز أنبأنا أبو بكر الخطيب أنبأنا محمد بن احمد بن الشاكر المؤذن أنبأنا عبدالله بن محمد بن جعفر بن حسان أنبأنا عبدالرحمان بن سالم الرازى حدثنا محمود بن غيلان حدثنا احمد بن صالح المصرى عن ابراهيم الحجاج عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : لما زوج رسول الله (ص) فاطمة من على عليه السلام قالت يا رسول الله زوجتنى من رجل فقير ليس له مال ؟ فقال لها رسول الله (ص) أما ترضين ان الله تعالى اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر زوجك .

وفى رواية : زوجتنى من عائل لا شىء له فقال لها رسول الله ﷺ أما ترضين أن يكون الله اطلع على أهل الارض فاختار منهم رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك .

وقد تكلموا فى هذا الحديث وقالوا رواه عبدالرزاق ، وقالوا كان منسوباً الى التشيع ، وقد ذكرنا ان عبد الرزاق من كبار العلماء وانه شيخ احمد بن حنبل وقد اخرج عنه فى الصحيحين فلا يلتفت الى من تكلم فيه لغرض فاسد .

قلت : وقد ذكر جدى أبو الفرج فى كتاب (المنتخب) فى فضائل فاطمة وقال أمر الله تعالى الجنان ليلة عرسها فحملت حللا وحلياً فنثرته على الملائكة ثم قال جدى عقيب هذا ياعجبا يكون الحلل والحلى لمن يكون فراشها جلد كبش هلا حلت لها منها حلة ثم قال كلا مركب الملك أجل من أن يحلى ، ثم ذكر حديث نثر الحلل والحلى فى الموضوعات فرواه عن القزاز عن الخطيب باسناده الى ابن مسعود رفعه ثم قال المتهم بوضع هذا الحديث خلد بن عمر الحصى .

قلت : فما الذى دعاه الى ذكر حديث على وجه المدح ثم يضعفه فى مكان آخر على ان يقوله والمتهم به خلد بن عمر ولا يسقط الحديث لأنه لم يقطع به

وقال احمد فى المسند حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا زكريا بن أبي زائد عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن عائشة (رض) قالت : أقبلت فاطمة كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال مرحباً يابنتى ثم اجلسها عن يمينه ثم اسر اليها حديثاً فبكت فقلت استخصك رسول الله ﷺ وأنت تبكين ثم انه اسر اليها فضحكت ، قالت فقلت لها ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن ما أسر اليك فقالت ما كنت لأفشى سر رسول الله حتى اذا قبض سألتها فقالت انه أسر الىّ وقال : كان جبرئيل يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة وانه عارضنى به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلى وانك أول أهلى لحوقا بى ولنعم السلف انا لك فبكيت لذلك فقال ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة فذلك الذي

اضحكني ، متفق عليه ولم يخرج البخاري ومسلم لفاطمة فى الصحيحين سواه .

قالوا : وقد روت عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثاً ، وقيل ثمانين حديثاً وانها يسيرة بالنسبة اليها .

وقد أخرج مسلم عن المسور بن مخرمة ان رسول الله ﷺ قال : فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها فمن أغضبها فقد اغضبنى.

واخرجه الترمذى أيضاً فقال : حدثنا قتيبة عن الليث عن ابن أبى مليكة عن المسور بن مخرمة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك على المنبر واخرجه البخارى أيضاً عن أبى الوليد عن ابن عتيبة عن عمر بن دينار عن ابن أبى مليكة عن المسور بن مخرمة .

وقال أبو أحمد بن محمد بن الغطريف الجرجانى ، وقد تقدم اسنادنا اليه فى آخر فضائل على ﷺ فى الباب الثانى من الكتاب حدثنا عمرو بن محمد الكاغذى حدثنا ابن أبى الصقر حدثنا عبد الله بن محمد بن سالم حدثنا الحسين بن زيد عن عمرو بن على عن جعفر بن محمد عن أبيه على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة «ع» ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك .

وأخبرنا غير واحد عن اسماعيل بن احمد السمرقندى أنبأنا عمرو بن عبد الله البقال أنبأنا أبو الحسين بن بشران حدثنا عثمان بن احمد الدقاق حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا هارون بن معروف عن عبد الله بن المبارك حدثنا الحسن ابن عمرو بن القفيمى عن منذر الثورى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الموقف غضوا أبصاركم ونكسوا رؤسكم لتجوز فاطمة بنت محمد على الصراط .

فإن قيل : فقد ذكره جدك فى الأخبار الواهية؟ والجواب انما ذكره هناك عن على وأبى سعيد وأبى هريرة وأبى أيوب وعائشة وضعف طرقهم ، وقال فى

طريق على عباس بن الوليد بن بكار وعبد الحميد بن يحيى ، وأما حديث أبي سعيد ففيه العباس بن بكار ، وفى حديث الى هريرة الغرومى ، وفى حديث أبي أيوب سعد بن طريف وفى حديث عائشة شاد بن فياض وكلهم ضعفاء ، اما حديثنا فاسناده صحيح ورجاله ثقات وطريق ابن عمر لم يذكر فى الواهية على ان جدى رحمه الله قد قال فى (المنتخب) : وبعث رسول الله (ص) بين يديها وصايف غضوا أبصاركم .

وقال أبو نعيم فى (الحلية) : حدثنا محمد بن احمد بن الحسن حدثنا عبدالله ابن احمد بن حنبل حدثنا عباس بن الوليد حدثنا عبد الواحد بن زياد عن سعيد الحريرى عن أبي الورد عن ابن اعيد قال : قال لى على عليه السلام ألا أخبرك عنى وعن فاطمة كانت ابنة رسول الله (ص) وأكرم أهله عليه وكانت زوجتى فجرت بالرحى حتى أثرت فى يدها واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها وقامت بالبيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى أصابها من ذلك ضر ولقد كانت تعجن وان قصها ليضرب الجفنة أو يكاد يضربها .

وقد أخرج احمد فى الفضائل بمعناه فقال : حدثنا عفان عن حماد بن سلمة عن عطا بن السايب عن أبيه عن على عليه السلام قال لم يكن لنا خادم فقلت لفاطمة والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه خادماً فقالت والله وأنا قد طحنت حتى مجلت يداى ثم انت النبي (ص) فاستحيت ان تطلب منه شيئاً فرجعت فاخذها على عليه السلام وجاء الى رسول الله (ص) فذكرا له ما اتيا فقال ألا تحبان ان أعطيكما ما هو أفضل مما سئلتما قلنا بلى قال تسبحان الله ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين ، وتكبران أربعاً وثلاثين دبر كل صلاة واذا اويتما الى فراشكما تسبحان .

وذكره وفى رواية تسبحان دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً

قلت : وهذا حديث طويل وقد أخرجه مسلم فى الصحيح بمعناه مفرقا ،

فاخرج مسلم عن أبى هريرة بعضه فقال أتت فاطمة تسأل النبى (ص) خادماً فقال لها قولى (اللهم رب السموات السبع والارضين السبع ورب العرش العظيم ربنا وسعت كل شيء) وذكره واخرجه البخارى أيضاً .

وفى المسند فقال على : فوالله ما تركتهن منذ علمنى رسول الله (ص) اياهن فقال ابن الكوا ولا ليلة صفين فقال قاتلكم الله يا أهل العراق ولا ليلة صفين والقص الصدر وجعلت تقطعت .

واخرجه أحمد أيضاً فى المسند بهذا الاسناد وقال فيه : فجاءت فاطمة الى رسول الله (ص) فقال لها ما جاء بك يا بنية فقال جئت لأسلم عليك واستحييت ان تسأله ورجعت فقال لها ما فعلت قالت استحييت ان أسأله فاتيا جميعاً فقال على يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى ، وقالت فاطمة لقد طحنت حتى مجلت يداى فاخدمنا خادماً فقال والله لا اعطيكما وادع أهل الصفة يطوى بطونهم من الجوع ولكن أبيعهم وانفق عليهم اثمانهم ثم قال تحمدان عشراً وذكره وسنوت استقيت با لسانية .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) حدثنا على بن محمد عن حباب بن موسى العبيدى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال ﷺ بتناليلة بغير عشاء واصبحنا كذلك فخرجت التمس ما اشترى به لحماً فالتمست فاشتريت لحماً ثم أتيت به فاطمة فطبخته ودعونا رسول الله (ص) فجاء فقال اغرف لنسائى فغرفت للتسع ثم قال اغرف لأبيك ولبعلك فغرفت ثم رفعت القدر وانها لتفيض فا كلنا منها ما شاء الله تعالى .

﴿ ذكر إيثارهم با لطعام ﴾

قال علماء التأويل : فيهم نزل قوله تعالى (يوفون با لنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا) الآيات .

أنبأنا أبو المجد محمد بن أبي المكارم القزويني بدمشق سنة اثنتين وعشرين وستمائة قال أنبأنا أبو منصور محمد بن اسعد بن محمد العطاري أنبأنا الحسين بن مسعود البغوي أنبأنا احمد بن ابراهيم الخوارزمي أنبأنا أبو اسحاق احمد بن محمد ابن ابراهيم الثعلبي أنبأنا عبد الله بن حامد أنبأنا أبو محمد احمد بن عبد الله المزني حدثنا محمد بن احمد بن سهيل الباهلي حدثنا عبد الرحمان بن محمد بن هلال حدثني القاسم بن يحيي عن أبي علي العزي عن محمد بن السايب عن أبي صالح عن ابن عباس ، ورواه أيضاً مجاهد عن ابن عباس قال في قوله تعالى (يوفون با لنذر) الآية قال مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما رسول الله (ص) ومعه أبو بكر وعمر (رض) وعادهما عامة العرب فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً فكل نذر لا يكون له وفاء فليس بشيء فقال علي عليه السلام على لله ان برأ ولداي مما بهما صمت لله ثلاثة أيام شكراً وقالت فاطمة كذلك وقالت الجارية يقال لها فضة كذلك فا لبس الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فا نطلق علي عليه السلام الى شمعون بن حانا اليهودي فاستقرض منه ثلاثة اصوع من شعير فجاء به الى فاطمة فقامت الى صاع فطحنته وخبزته خمسة اقراص لكل واحد منهم قرص وصلى علي عليه السلام المغرب مع النبي (ص) ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم فجاء سائل أو مسكين فوقف على الباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مسا كين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي عليه السلام فقال :

فاطم ذات المجد واليقين يا بنت خير الناس اجمعين
أما ترين البائس المسكين قد قام با لباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين يشكو الينا جائع حزين
كل امرأ بكسبه رهين وفاعل الخيرات يستبين
موعـــده جنة عليين حرمها الله على الضنين

وللبخيل موقف مهين تهوى به النار الى سجين
شرابه الحميم والغسلين

فقالت فاطمة عليها السلام :

أطعمه ولا ابالى الساعة ارجو إذا أشبعت ذا مجاعة
ان الحق الاخيار والجماعة واسكن الخلد ولى شفاعة

قال فاعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء القراح ، ولما كان اليوم الثانى طحنت فاطمة من الشعير وصنعت منه خمسة اقراص وصلى على ﷺ المغرب وجاء الى المنزل فجاء يتيم فوقف على الباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدى اطعمونى مما رزقكم الله اطعمكم الله من موائد الجنة ؟ فقال على ﷺ :

فاطم بنت السيد الكريم بنت نبى ليس بالذميم
قد جاءنا الله بذا اليتيم قد حرم الخلد على اللئيم
يحمل فى الحشر الى الجحيم شرابه الصديد والحميم
ومن يجود اليوم فى النعيم شرابه الرحيق والتسنيم

فقالت فاطمة عليها السلام :

انى اطعمه ولا ابالى وأوثر الله على عيالى
أمسوا جياعاً وهم اشبالى

فرفعوا الطعام وناولوه اياه . ثم أصبحوا وأمسوا فى اليوم الثانى كذلك كما كانوا فى الاول فلما كان فى اليوم الثالث طحنت فاطمة باقى الشعير ووضعته فجاء على ﷺ بعد المغرب فجاء أسير فوقف على الباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد أسير محتاج تأسرونا ولا تطعمونا اطعمونا من فضل ما رزقكم الله فسمعه على ﷺ فقال :

فاطم يا بنت النبي أحمد بنت نبي سيد مسود
منى على أسيرنا المقيد من يطعم اليوم يجده فى الغد
عند العلى الماجد الممجد من يزرع الخيرات سوف يحصد

فقالت فاطمة عليها السلام :

لم يبق عندى اليوم غير صاع قد مجلت كفى مع الذراع
ابناى والله من الجياع أبوهما للخير ذو اصطناع

ثم رفعوا الطعام واعطوه للأسير ، فلما كان اليوم الرابع دخل على ﷺ على النبي ﷺ يحمل ابنيه كالفرخين فلما رآهما رسول الله ﷺ قال واين ابنتي ؟ قال فى محرابها فقام رسول الله ﷺ فدخل عليها ولقد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع فقال النبي ﷺ واغوثاه بالله آل محمد يموتون جوعاً فهبط جبرئيل وهو يقرأ (يوفون بالنذر) الآية فان قيل فقد أخرج هذا الحديث جدك فى الموضوعات .

وقال : أخبرنا به ابن ناصر عن محمد بن أبى نصر الحميدى عن الحسن بن عبد الرحمان عن أبى القاسم السقطى عن عثمان بن احمد الدقاق عن عبد الله بن ثابت عن أبى الهذيل عن عبد الله السمرقندى عن عبد الله بن كثير عن الاصبغ ابن نباته قال مرض الحسن والحسين وذكره ثم قال جدك قد نزه الله ذنيك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك . ونزههما عن منع الطفلين عن أكل الطعام ، وفى اسناده الاصبغ بن نباتة : متروك الحديث ، والجواب أما قوله قد نزه الله ذنيك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك فهذا على عادة العرب فى الرجز والجنب كقول القائل : (والله لولا الله ما اهتدينا) ونحو ذلك وقد تمثل به النبي ﷺ وأما قوله عن الأصبغ بن نباتة فنحن ما رويناه عن الاصبغ ولا له ذكر فى اسناد حديثنا ، وانما أخذوا على الاصبغ زيادة زادوها فى الحديث وهى أن رسول الله ﷺ قال فى آخره اللهم انزل على آل محمد كما أنزلت على مريم بنت

عمران فاذا (جفنة) تفور مملوة ثريداً مكللة بالجواهر وذكر الفاظاً من هذا الجنس

والعجب من قول جدى وانكاره وقد قال فى كتاب (المنتخب) يا علماء الشرع أعلمتم لم آثرا وتركا الطفلين عليهما أثر الجوع آثراهما خفى عنهما سر ابداء بمن تعول ما ذاك إلا لأنهما علما قوة صبر الطفلين وانهما غصنان من شجرة أظل عند ربى وبعض من جملة فاطمة بضعة منى وفرخ البط سابح .

فصـــل

وقد اشتملت سورة (هل أتى) من فضائل أهـل البيت على معانى ، منها قوله (يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) لم ذكر الكافور وهو لايشرب ؟ فالجواب من وجوه أحدها : انه أراد بياض الكافور فى حسنه وطيب ريحه وبرده كقوله حتى اذا جعله ناراً أى كنار ، والثانى : ان الكافور اسم لعين فى الجنة ، والثالث : انه لما غلبت عليهم حرارة الخوف فى الدنيا مزج لهم الكافور فى الجنة ، ومنها ان الهاء فى قوله (ويطعمون الطعام على حبه) تعود على الله تعالى وقيل على حب الثواب ، وقيل على حب الطعام لفاقتهم اليه ومنها قوله (لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً) المراد بالزمهرير القمر قال الشاعر :

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما ظهر

ومنها قوله : (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا) فان قيل فالمنظوم احسن فالجواب ان المراد به الانتشار فى الخدمة لما تعبوا فى الدنيا اقام الحق لهم خداماً فى الآخرة ، ومنها ان الله تعالى ذكر فى هذه السورة جميع ما يتعلق بنعيم الجنة ولذاتها كالأشجار والأنهار والولدان والطعام والقصور وجميع ما يتعلق بهذا الباب إلا الحور حتى عجب العلماء من شرح هـــذه الأجور واستطرفوا عدم ذكرهن فى هذا النعيم المذكور فقيل لهم ما ذاك إلا غيرة على زهراء الانس من ذكر الضراير أو لأن الحور مملوكات والمملوكات لا يذكرن مع الحراير .

وسمعت جدي ينشد في مجالس وعظه ببغداد في سنة ست وتسعين وخمسمائة بيتين ذكرهما في كتاب (تبصرة المبتدي) وهما :

أهوى علياً وإيماني محبته ... كم مشرك دمه من سيفه وكفا
إن كنت ويحك لم تسمع فضائله ... فاسمع مناقبه من (هل أتى) وكفى

﴿ ذكر ندبها لرسول الله (ص) وفصاحتها ﴾

روى السدي عن أشياخه قال : لما توفي رسول الله (ص) قامت تندبه وتقول :

أبي وا أبتاه أجاب رباً دعاه
جنة الفردوس مأواه من ربه ما أدناه
الى جبرئيل نعاه

ولما قال (ص) عند الموت وا كرباه قالت وا كرب ابتاه وقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم .

ولما دفن قالت يا انس : كيف طابت قلوبكم ان تحثوا التراب على رسول الله

وقال الشعبي : لما منعت ميراثها لاثت خمارها على رأسها أي عصبت يقال لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً ـ أي عصبها ـ وقيل اللوث الاسترخاء ; فعلى هذا يكون معنى لاثت ـ أي أرخت ـ وحمدت الله تعالى واثنت عليه ووصفت رسول الله (ص) بأوصاف فكان مما قالت : كان كلما فغرت فاغرة من المشركين فاها أو نجم قرن من الشياطين وطيء صماخه باخمصه واخمد لهبه بسيفه وكسر قرنه بعزمته حتى اذا اختار الله له دار أنبيائه ومقر أصفيائه واحبائه اطلعت الدنيا رأسها اليكم فوجدتكم لها مستجيبين ولغرورها ملاحظين هذا والعهد قريب والمدى غير بعيد والجرح لم يندمل فاني تأفكون وكتاب الله بين اظهركم ; يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي ، ودونكها مرحولة مذمومة ، فنعم الحاكم الحق ; والموعد القيامة ، (ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) ثم أومأت الى قبر رسول الله (ص) وقالت :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكبر النوب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واغتيل أهلك لما اغتالك الترب
وقد رزينا بما لم يرزه أحد ... من البرية لا عجم ولا عرب

ثم انها اعتزلت القوم ولم تزل تندب رسول الله (ص) وتبكيه حتى لحقت به

﴿ ذكر مرضها ووفاتها ﴾

قال علماء السير : لم تزل مريضة منذ توفى رسول الله (ص) ؛ وروى انها لما احست بالموت كتبت وصية وأشهدت عليها الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وأوصت الى على عليه السلام ثم الى أكبر ولده من بعده ؛ وكان فيما أوصت به حوايط سبعة : الحسنى والصافية والدلال والعواف والسبرمة والميثم ومال أم ابراهيم .

والاصح : انها لم تخلف شيئاً بل خرجت من الدنيا كما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واختلفوا فى غسلها ، فقال احمد فى (الفضائل) : حدثنا محمد بن يونس حدثنا مصعب بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق عن عبد الله ابن على بن أبى رافع عن أبيه عن أم سلمة قالت اشتكت فاطمة فرضتها فاصبحت يوماً كامثل ما كانت فخرج على عليه السلام فقالت يا امتاه اسكبى لى غسلا ففعلت فقامت واغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ثم قالت هاتى ثيابى الجدد فناولتها إياها فلبستها ثم قالت قدمى الفراش الى وسط البيت فقدمته فاضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت نحرها وقالت انى مقبوضة وقد اغتسلت فلا يكشفنى احد وقبضت فجاء على عليه السلام فاخبرته فبكى وقال والله لا يكشفها احد ثم حملها بغسلها ذلك وصلى عليها ودفنها وقال لاتخبرى الحسن والحسين قلت لا

فان قيل الحديث ضعيف فى اسناده ابن اسحاق ، كذبه مالك وفيه أيضاً علي بن عاصم متروك ، ثم الغسل إنما يكون لحدث الموت فكيف يصح قبله

والجواب قد اخرجه احمد فى (الفضائل) وأما ابن اسحاق فقد قال احمد يقبل قوله فى (المغازى والسير) واثنى عليه جماعة من العلماء وكان اماماً كبيراً وانما طعن مالك لأنه صنف الموطأ قال اروني إياه فانا بيطاره ، فبلغ ذلك مالكاً فشق عليه وقال ذاك دجال من الدجاجلة ، وقد اخذوا على مالك فى هذا فانه لا يقال من الدجاجلة بل من الدجالين .

وأما قولهم الغسل لحدوث الموت ؛ قلنا يحتمل ان تكون مخصوصة بذلك وقد ذكر هذا الحديث ابن سعد فى (الطبقات) عن يزيد عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق .

وروى ان الملائكة غسلتها ، وروى ان اسماء بنت عميس غسلتها والاصح ان علياً عليه السلام غسلها وكانت اسماء تصب عليه .

فان قيل فعند أبي حنيفة لا يجوز للرجل ان يغسل زوجته ؟ فالجواب ان علياً «ع» كان مخصوصاً بذلك ، ولما انكر عليه ابن مسعود وقال له أما سمعت رسول الله (ص) يقول : هى زوجتك فى الدنيا والآخرة فلم ينقطع السبب بينهما وصلى عليها علي «ع» وقيل العباس ، ودفنها ليلا بالبقيع ولما دفنها علي «ع» أنشد

لكل اجتماع من خليلين فرقة — وكل الذى دون الفراق قليل
وان افتقادى فاطماً بعد احمد — دليل على أن لا يدوم خليل

وقال أيضاً :

ألا أيها الموت الذى ليس تاركى — أرحني فقد افنيت كل خليل
أراك بصيراً بالذين احبهم — كأنك تنحو نحوهم بدليل

ثم جاء الى قبر رسول الله (ص) وقال : السلام عليك يا رسول الله وعلى ابنتك النازلة فى جوارك السريعة اللحاق بك قل تصبرى عنها وضعف تجلدى على فراقها ، ألا ان فى التأسى لى بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك مقنع فانا لله وإنا اليه راجعون ، فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة ، أما حزنى عليك فسرمد

وأما ليلى فسهد ، الى ان يختار الله لي دارك التى أنت بها مقيم وينقلنى من دار التكدير والتأثيم وستخبرك ابنتك بما لقينا بعدك فاحفها بالسؤال واستعلم منها الأمور والاحوال ، هذا ولم يطل العهد ولم يمتد الزمان فعليكما منى السلام سلام مودع لا قال ولا سئم ، فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين واعد للجرمين .

وقال احمد فى (الفضائل) حدثنا محمد بن يونس حدثنا حماد بن عيسى الجهنى حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ يا أبا الريحانتين عن قليل يذهب ركناك فلما توفى رسول الله (ص) قال علي هذا احد الركنين ، فلما توفيت فاطمة قال وهذا الركن الآخر .

وقد ذكرنا انها دفنت بالبقيع ، وقيل انها دفنت فى زاوية دار عقيل وبين قبرها وبين الطريق سبعة اذرع ، قال عبد الله بن جعفر ما ادركت أحداً يشك ان قبرها فى ذلك الموضع ، واختلفوا كم كان بين وفاتها ووفاة رسول الله (ص) على اقوال أحدها : ستة أشهر إلا عشرة أيام لأنها توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشر ورسول الله (ص) توفى فى ربيع الاول فى الثانى عشر منه ، فى هــــذه السنة ، والثانى فى ثلاثة اشهر قاله عمر بن دينار والثالث شهران وعشرة ايام قاله أبو الزبير ، والرابع أربعون يوماً والاول اصح

واختلفوا فى مبلغ سنها على اقوال احدها : ثمان وعشرون سنة وستة اشهر والثانى : تسع وعشرون سنة والثالث : ثلاثون سنة .

قلت : ورأيت فى كتاب مواليد أهل البيت عليهم السلام وعليه خط محمد بن الخشاب ، وقد رواه عن أبى منصور محمد بن عبد الملك بن حيزون عن الحسن ابن عرفة عن الحسن بن دوما عن احمد بن نصر بن عبد الله الذراع النهروانى عن حرب بن محمد المؤدب عن الحسن بن محمد العمى البصرى عن محمد بن سنان عن محمد بن مسكان عن أبى نصر عن جعفر بن محمد الصادق قال : ولدت فاطمة

بعد النبوة بخمس سنين أقامت مع أبيها ثمان سنين بمكة واقامت بالمدينة عشر سنين واقامت مع على عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ سبعين يوماً ، وفى رواية أربعين يوماً ، وتوفيت وهى بنت ثمان عشرة سنة .

قلت : هذه الرواية ليست بشيء لاجماع المؤرخين انها ولدت قبل النبوة بخمس سنين واقامت بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر أو ستة أشهر على ما ذكرناه ويحتمل ان الغلط من الناسخ أراد أن يكتب قبل النبوة فكتب بعد النبوة أو أراد ان يكتب ثمان وعشرين فكتب ثمان عشرة .

﴿ ذكر أولادها عليها السلام ﴾

كان لها من الولد : الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، ولدت حسناً أولا ثم حسيناً ثم زينب ثم أم كلثوم ، فتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له عوناً وعبد الله وماتت عنده ، وأما أم كلثوم فخطبها عمر بن الخطاب فى خلافته فامتنع على عليه السلام من تزويجها منه ، وقال هى صغيرة وانى ارصدها لابن أخى جعفر فشق ذلك على عمر ، فقال العباس زوجها منه فقد بلغنى عنه كلام فزوجه إياها فقال عمر (رض) ما أردت إلا الجمع بين السبب والنسب عن رسول الله .

وذكر جدى فى كتاب (المنتظم) ان علياً بعثها الى عمر لينظرها وان عمر كشف ساقها ولمسها بيده .

قلت : وهذا قبيح والله لو كانت أمة لما فعل بها هذا ، ثم باجماع المسلمين لا يجوز لمس الأجنبية فكيف ينسب عمر الى هذا ، والذى روى لنا أن علياً لما قال لعمر انها صغيرة قال ابعث بها إلىّ فبعثها وبعث معها بثوب وقال لها قولى له أبى يقول لك أيصلح لك هذا الثوب فلما جاءت الى عمر صوب النظر اليها وقال قولى له نعم فلما عادت الى على قالت له يا أبة لقد ارسلتنى الى شيخ سوء لقد صوب النظر فىّ حتى كدت اضرب بالثوب انفه .

ثم ولدت أم كلثوم من عمر زيداً فلما قتل عمر تزوجها عون بن جعفر فلم

تلد له وتوفى عنها فتزوجها بعده أخوه محمد بن جعفر ثم تزوجها بعده أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده ، وقد زاد ابن اسحاق فى أولاد فاطمة من على عليه السلام محسناً مات صغيراً وزاد الليث بن سعد رقية ماتت صغيرة أيضاً .

الباب الثاني عشر في ذكر الائمة عليهم السلام

قال احمد فى (الفضائل) : حدثنا أسود بن عامر حدثنا اسرائيل عن عثمان ابن المغيرة عن على بن ربيعة ، قال لقيت زيد بن ارقم فقلت له هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تركت فيكم الثقلين واحد منهما أكبر من الآخر ؟ قال نعم سمعته يقول : تركت فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتى ألا انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ألا فانظروا كيف تخلفونى فيهما فان قيل فقد قال جدك فى كتاب (الواهية) أنبأنا عبدالوهاب الأنماطى عن محمد ابن المظفر عن محمد العتيق عن يوسف بن الدخيل عن جعفر العقيلى عن احمد الحلوانى عن عبد الله بن داهر حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم بمعناه ثم قال جدك ضعيف وابن عبد القدوس رافضى وابن داهر ليس بشىء .

قلت : الحديث الذى رويناه أخرجه احمد فى (الفضائل) وليس فى اسناده احد ممن ضعفه جدى ، وقد أخرجه أبو داود فى سننه والترمذى أيضاً وعامة المحدثين .

وذكره ابن رزين فى (الجمع) بين الصحاح والعجب كيف خفى عن جدى ما روى مسلم فى (صحيحه) من حديث زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

خطيباً بماء يقال له (خم) أو يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد أيها الناس فانما أنا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه النور والهدى فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله فى أهل بيتي قالها مرتين .

فقال حصين بن سبرة لزيد بن أرقم ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته ؟ فقال نعم نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده .

وفى رواية : فقال زيد لا وأيم الله ان المرأة قد تكون مع الرجل العصر أو الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها ولكن أهل بيته عصبته الذين يحرم عليهم الصدقة فقال حصين من هم؟ قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس والثقلان الخطران العظيمان .

وقال احمد فى المسند حدثنا عبدالرزاق بالاسناد المتقدم الى علي عليه السلام بمعناه .

وقال احمد فى (الفضائل) حدثنا محمد بن يونس حدثنا عبد الله بن عائشة أنبأنا اسماعيل بن عمر عن عمر بن موسى عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام عن أبيه عن جده قال : شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس اياي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وامهما وذريتنا من خلفنا وشيعتنا من ورائنا .

وفى رواية : النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني فى كتاب (مرج البحرين) باسناده الى أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح عليه السلام من ركب فيها نجي ومن تخلف عنها غرق .

فصل فى ذكر على بن الحسين

ابن على بن أبى طالب عليه السلام

وهو أبو الأئمة وكنيته أبو الحسن ويلقب بزين العابدين وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله سيدالعابدين لما نذكره فى سيرولد محمد عليه السلام ، والسجاد ، وذى الثفنات والزكى والأمين ، والثفنات (ما يقع على الارض من اعضاء البعير اذا استناخ وغلظ كالركبتين ونحوهما الواحدة ثفنة فكان طول السجود قد أثر فى ثفناته) وأمه أم ولد اسمها غزالة ، وقيل السلافة ، وقيل أم سلمة ، وقيل شاه زنان خلف عليها بعد الحسين زبيدة ؛ وقيل زيد ذكر ناقصته مع عبدالملك بن مروان ومولد على سنة ثمان وثلاثين من الهجرة ؛ وقيل سنة سبع وثلاثين وقيل سنة ثلاث وثلاثين ذكره ابن عساكر ، وعلى من الطبقة الثانية من التابعين وحضر يوم الطفوف مع أبيه ؛ وانما لم يقتل لأنه كان مريضاً وكان عمره يومئذ ثلاثاً وعشرين سنة .

وقال ابن عباس كان على عليه السلام يخاف انقطاع النسل ؛ فقال يوم صفين وقد رأى الحسن والحسين يتسارعان الى القتال ، وقيل انما رأى الحسين لا غير فقال املكوا عنى هذا الغلام لا يهدنى فانى انفس به عن الموت لئلا ينقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) وقال : كان على بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعا ورعا عابداً خايفاً . قال كان ابن عباس اذا رآه قال مرحباً يا لحبيب ابن الحبيب .

قال ابن سعد : كان يخضب بالحناء والكتم ؛ وقيل با لسواد .

وذكر ابن حمدون فى كتاب (التذكرة) عن الزهرى قال : حمل عبد الملك بن مروان علي بن الحسين مقيداً من المدينة فاثقله حديداً ووكل به حفظة

قال فأستاذنتهم فى وداعه فاذنوا فدخلت عليه والقيود فى رجليه والغل فى يديه وهو فى قبة فبكيت وقلت وددت انى مكانك وأنت سالم فقال يا زهرى اتظن ان ما ترى على وفى عنقى يكرثنى اما لو شئت لما كان وانه ليذكرنى عذاب الله ثم اخرج رجليه من القيد ويديه من الغل ثم قال لاجزت معهم على ذا ميلين من المدينة قال فما مضت إلا أربع ليال واذا قد قدم الموكلون الذين كانوا معه الى المدينة يطلبونه فما وجدوه فسألت بعضهم فقالوا إنا نراه متبوعاً انه لنازل ونحن حوله نرصده إذ طلع الفجر فلم نجده ووجدناه حديده .

قال الزهرى : فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألنى عنه فاخبرته فقال قد جاءنى يوم فقده الاعوان فدخل على فقال ما أنا وأنت فقلت اقم عندى قال لا أحب ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة .

وقال بن أبى الدنيا بالاسناد المتقدم حدثنى محمد بن الحسين عن عبد الله ابن محمد غن عبد الرحمان بن حفص القرشى قال : على بن الحسين اذا توضى اصفر لونه فيقال ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء؟ فقال اتدرون بين يدى من أريد أن أقف .

وذكر ابن سعد فى (الطبقات) قال : كان على اذا مشى لايخطر بيديه واذا قام الى الصلاة اخذته رعدة فيقال له مالك ؟ فيقول ماتدرون لمن أريد أن أناجى .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن أبى معشر حدثنى أبو الفرج الأصبهانى قال : وقع حريق فى دار على بن الحسين وهو ساجد فقالوا النار النار يا بن رسول الله فما رفع رأسه حتى طفيت فقيل له ما الذى الهاك عنها فقال النار الآخرى .

وبه قال القرشى جاء رجل الى على بن الحسين فقال له ان فلاناً يقع فيك فقال قم بنا اليه فقام معه وهو يظن انه ينتصر لنفسه فلما وصل اليه قال له يافلان

إن كان ما قلت فى حقاً فغفر الله لى وإن كان باطلا فغفر الله لك .

وبه قال القرشى حدثنا احمد بن عبد الأعلى الشيبانى عن أبى يعقوب المدنى قال كان بين على بن الحسين وبين حسن بن حسن بعض الأمر فجاء حسن ابن حسن الى على بن الحسين وهو جالس فى المسجد مع أصحابه فما ترك شيئاً إلا قاله له وعلى ساكت وانصرف حسن فجاء على فى الليل الى بابه يعتذر اليه فخرج اليه حسن فالتزمه وجعلا يبكيان حتى رحمهما من كان حاضراً ثم قال حسن والله لا عدت فى امر تكرهه ابداً فقال على وأنت فى حل مما قلت لى .

وذكر أبو نعيم فى (الحلية) فقال أنبأنا أبو الحسين محمد بن عبد الله حدثنا أبو بكر الانبارى حدثنا احمد بن الصلت حدثنا قاسم بن ابراهيم العلوى عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه على بن الحسين انه كان يقول فقد الاحبة غربة

قال محمد وسمعته يقول اللهم انى اعوذ بك ان تحسن فى لوامع العيون علانيتى ويقبح سريرتى اللهم كما أسأت وأحسنت الى فاذا عدت فعد على .

قال : وقال ان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار .

قال محمد وكان يسق الماء لطهوره ولا يمكن احداً أن يعينه على طهوره فاذا أقام بالليل بدأ بالسواك ثم توضى ويقضى ما فاته من ورده بالنهار فى الليل وكان ورده فى الليل والنهار الف ركعة .

وأخبرنا عمر بن معمر الكاتب أنبأنا عبد الرحمان بن محمد حدثنا محمد بن على الخياط حدثنا احمد بن محمد بن يوسف العلاف حدثنا عمر بن الحصين القاضى حدثنا محمد بن على بن حمزة عن أبيه عن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان يقول عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالامس نطفة وهو غداً جيفة وعجبت لمن شك فى الله وهو يرى عجايب مخلوقاته ، وعجبت لمن يشك فى النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى ، وعجبت لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء .

قال وكان اذا أتاه سائل يقول مرحباً بمن يحمل زادى الى الآخرة .

وقال أبو نعيم فى (الحلية) حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا أبو معمر حدثنا جرير عن شيبة بن نعامة قال : كان على ابن الحسين يبخل فلما مات وجدوه يعول مائة من أهل بيت بالمدينة ، وفى رواية لا يدرون من يأتيهم بالرزق لأنه كان يبعث به اليهم فى الليل فلما مات على فقدوه وفى رواية كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول صدقة السر تطفىء غضب الرب ، وفى رواية كان أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر حتى مات على بن الحسين .

وقال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن الحسين عن الحميدى عن سفيان الثورى قال أراد على بن الحسين الخروج الى الحج أو العمرة فاتخذت له أخته سكينة بنت الحسين سفرة انفقت عليها الف درهم وأرسلت بها اليه فلما كان بظهر الحرة أمر بها ففرقت فى الفقراء والمساكين .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) بعث المختار بن أبى عبيدة الى على بن الحسين بمائة الف درهم فكره أن يقبلها وخاف أن يردها فتركها فى بيت فلما قتل المختار كتب على الى عبد الملك يخبره بها فكتب اليه خذها طيبة هنيئة وكان على يلعن المختار ويقول كذب على الله وعلينا لأن المختار كان يزعم أنه يوحى اليه .

وقال ابن سعد أنبأنا عبد العزيز بن الخطاب أنبأنا موسى بن أبى حبيب الطايفى عن على بن الحسين أنه قال : التارك للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره الا أن يتقى تقاة ، فقيل له وما يتقى تقاة قال يخاف جباراً عنيداً ان يفرط عليه أو ان يطغى .

وقال ابن سعد: كان على يقول أيها الناس احبونا حب الإسلام فوالله ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً . وفى رواية حتى بغضتمونا الى الناس .

وقال ابن سعد دخل على الكنيف فرأى ذباباً صغاراً يقع على الثياب

وأراد أن يتخذ ثوبا للخلاء على حدة ثم قال كيف اصنع شيئاً لم يصنعه رسول الله ﷺ والناس بعده فتركه قال وقاسم الله ماله مرتين وقال أيضاً قال رجل كيف أصبحت فقال أصبحنا فى قومنا بمنزلة بنى اسرائيل فى آل فرعون يذبحون أبناءنا ويلعنون سيدنا وشيخنا على المنابر ويمنعونا حقنا .

وقال ابن سعد أيضاً كان هشام بن اسماعيل المخزومى والى المدينة وكان يؤذى على بن الحسين ويشتم علياً على المنبر وينال منه فلما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة عزله وأمر به أن يوقف للناس .

قال هشام والله ما اخاف الا من على بن الحسين انه رجل صالح يسمع قوله فاوصى على بن الحسين أصحابه ومواليه وخاصته ان لا يتعرضوا لهشام ثم مر على فى حاجته فما عرض له فناداه هشام وهو واقف للناس الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وقال احمد فى المسند: حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا عبد الله يعنى ابن سعيد ابن هند عن اسماعيل بن أبى الحكيم مولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة انه قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل أرب منها أربا منه من النار حتى انه يعتق اليد باليد والرجل بالرجل والفرج بالفرج .

فقال على بن الحسين لسعيد بن مرجانة أنت سمعت هذا من أبى هريرة قال نعم فقال على ادع لى مطرفاً لغلام له لم يكن له مثله فقال أنت حر لوجه الله أخرجاه فى الصحيحين .

وكان عبد الله بن جعفر قد أعطى علياً فى هذا الغلام عشرة آلاف درهم أو الف دينار ولفظ الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله وذكره .

قال ابن مرجانة فانطلقت به الى على بن الحسين يعنى بالحديث فعمد الى عبد له قد أعطاه عبد الله بن جعفر فيه وذكره .

قلت ولهذا الحديث استحب العلماء ان يعتق الذكر الذكر والانثى الانثى

وذكر أبو نعيم فى (الحلية) وقال كان على يذهب الى زيد بن اسلم فيجلس اليه فقيل له أنت سيد الناس وافضلهم تذهب الى هذا العبد فتجلس اليه ، فقال العلم يتبع حيث كان .

وقال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن محمد بن سنان عن محمد بن اسحاق الثقفى عن محمد بن زكريا أنبأنا ابن عائشة عن أبيه قال حج هشام بن عبد الملك قبل ان يلى الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام فجاء على بن الحسين فوقف الناس له وتنحوا عن الحجر حتى استلمه ولم يبق عند الحجر سواه ، فقال هشام من هذا ؟ فقالوا : لا نعرفه ! فقال الفرزدق الشاعر : لكنى أعرفه ثم اندفع فقال :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
اذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
إن عد أهل التقى كانوا ذوى عدد أو قيل من خير أهل الارض قيل هم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك هذا من بضائره العرب تعرف ما انكرت والعجم
يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا وهو يبتسم
ينمى إلى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الإسلام والأمم
من جده دان فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت له الأمم
ينشق نور الهدى عن صبح غرته كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيم
الله شرفه قدما وفضله جرى بذاك له فى لوحه القلم
كلتا يديه غياث عم نفعهما يستوكفان ولا يعروهما العدم

سهل الخليقة لا يخشى بوادره   يزينه اثنتان الحلق والكظم
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا   رحب الفضاء أريب حين يعتزم
عم البرية بالاحسان فانقشعت   عنها العماية والإملاق والظلم
من معشر حبهم دين وبغضهم   كفر وقربهم ملجأ ومعتصم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم   ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت   والأسد أسد الشرا والرأى محتدم (١)
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم   سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم   ويسترق به الاحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم   فى كل بر ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم   خيم كريم وأيد بالندى هضم
من يعرف الله يعرف أولية ذا   الدين من بيت هذا ناله الامم

هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة فبعث اليه على بالف دينار فردها وقال انما قلت ما قلت غضباً لله ورسوله فما آخذ عليه اجراً فقال على نحن أهل بيت لا يعود الينا ما خرج منا فقبلها الفرزدق وهجى هشاماً فقال :

ايحبسنى بين المدينة والتى   اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد   وعيناً له حولاء باد عيوبها

قلت لم يذكر أبو نعيم فى (الحلية) إلا بعض هذه الابيات الميمية والباقى أخذته من ديوان الفرزدق .

وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن عبد الله الكاتب حدثنا الحسن بن على بن نصر الطوسى حدثنا محمد بن عبد الكريم حدثنا الهيثم بن عدى عن صالح بن حسان قال : قال رجل لسعيد بن المسيب ما رأيت احداً أورع من فلان قال

(١) ـ المحتدم : بالحاء المهملة الملتهب .

فهل رأيت على بن الحسين ؟ قال لا قال ما رأيت احداً أورع منه .

وحكى أبو نعيم أيضاً عن الزهرى قال : ما رأيت هاشمياً افضل من على ابن الحسين ، وكذا قال أبو حازم وقال : ما رأيت أفقه منه .

وحكى الزهرى ، عن عائشة (رض) قالت : رأيت على بن الحسين ساجداً فى الحجر وهو يقول : عبدك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك فما دعوت بها فى كرب إلا وفرج عنى .

وقال الزهرى : كانت الريح اذا هبت سقط على مغشيا عليه من الخوف .

وقال أيضاً خرج يوماً من المسجد فتبعه رجل فسبه فلحقته العبيد والموالى فهموا بالرجل فقال دعوه ثم قال له ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحى الرجل فالق عليه خميصة كانت عليه واعطاه الف درهم فكان الرجل بعد ذلك اذا رآه يقول أشهد انك من أولاد الرسول .

قال ابن أبى الدنيا : حدثنا أبو الحسين الشيبانى حدثنا رجل من ولد عمار ابن ياسر قال كان عند على بن الحسين قوم فاستعجل خادماً له فاخرج شواء من التنور واقبل الخـــادم مجلا وبيده السفود وبين يدى على ولد صغير له فسقط السفود على الصغير فنش ومات فبهت الخادم فنظر اليه على وقال أنت لم تتعمد هذا ، أنت حر لوجه الله تعالى ثم أمر بمواراة الولد .

وقال أبو نعيم حدثنا ابن كيسان حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضى حدثنا على بن عبد الله حدثنا عبد الله بن هارون عن أبيه عن حاتم بن أبى صغيرة عن عمر بن دينـار قال دخل على بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد فى مرضه يعوده فجعل محمد يبكى ويقلق فقال له على ما شأنك فقال على دين قال كم هو ؟ قال خمسة عشر الف دينار فقال هو على .

وقال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن عبد الله الزبيرى عن أبى حمزة الثمالى قال حدثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين قال : قال لى أبى يا بنى لا تصحبن

خمسة ولا توافقهم فى طريق لا تصحبن فاسقاً فأنه يبعك با كلة فما دونها ، ولا بخيلا فانه يقطع بك عن ماله احوج ما كنت اليه ولا كذاباً فانه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد ؛ ولا احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ولا قاطع رحم فانى وجدته ملعوناً فى مواضع من كتاب الله ، وبه قال الثمالى حدثنى ابراهيم بن محمد قال سمعت علي بن الحسين يقول ليلة فى مناجاته (الهنا وسيدنا ومولانا لو بكينا حتى تسقط اشفارنا وانتحبنا حتى تنقطع أصواتنا وقمنا حتى تيبس أقدامنا وركعنا حتى تنخلع أوصالنا وسجدنا حتى تتفقأ أحداقنا واكلنا تراب الأرض طول أعمارنا وذكرناك حتى تكل السنتنا ما استوجبنا بذلك محو سيئة من سيأتنا .

(ذكر وفاته)

اختلفوا فى وفاته على أقوال أحدها : انه توفى سنة أربع وتسعين ، والثانى سنة اثنين وتسعين ، والثالث سنة خمس وتسعين والأول أصح ، لأنها تسمى سنة الفقهاء لكثرة من مات بها من العلماء ، وكان سيد الفقهاء مات فى أولها وتتابع الناس بعده .

سعيد بن المسيب ؛ وعروة بن الزبير . وسعيد بن جبير ، وعامة فقهاء المدينة اسند على الحديث عن أبيه وعمه الحسن وابن عباس وجابر بن عبد الله وانس ابن مالك وأبى سعيد الخدرى وأم سلمة وصفية وعائشة فى آخرين ، وعاش سبعاً وخمسين سنة ، وقيل ثمان وخمسين وهو الاصح ودفن (با لبقيع) .

(ذكر أولاده)

قال ابن سعد فى (الطبقات) ولده أولاد : الحسن درج ؛ والحسين الاكبر درج ؛ ومحمد الباقر وهو أبو جعفر الفقيه والنسل له وسنذكره ، وعبد الله أمهم أم عبد الله بنت الحسن بن على عليه السلام ؛ وعمر ، وزيد المقتول بالكوفة وسنذكره وعلي ؛ وخديجة أمهم أم ولد ؛ وحسين الاصغر وأم علي وتسمي علية وأمهم أم

ولد ، وكلثم وسليمان ، ومليكة لام ولد أيضاً ، والقاسم ، وأم الحسين وام البنين وفاطمة لامهات أولاد شتى ، وقيل وعبيد الله .

﴿ ذكر مقتل زيد ﴾

واختلفوا فى سبب خروجه ، فذكر السدى عن أشياخه قال : قدم زيد ابن على ، ومحمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، وداود بن على بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله بن القسرى وهو وال على العراق فاكرمهم واجازهم ورجعوا الى المدينة فلما ولى يوسف بن عمر العراق وعزل خالد القسرى كتب هشام بن عبد الملك يخبره بقدومهم على خالد وانه احسن جوايزهم وابتاع من زيد ابن على أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ، ثم رد الارض اليه فكتب هشام الى واليه بالمدينة ان يسرحهم اليه ففعل فلما دخلوا عليه سألهم عن القصة فقالوا أما الجواز فنعم وأما الأرض فلا فاحلفهم لحلفوا له فصدقهم وردهم مكرمين .

وذكر هشام بن محمد بن يوسف بن عمر لما عذب خالداً أقر بذلك ثم انكر فقيل له لم فعلت هذا ؟ قال رجوت الفرج فيما بين ذلك .

وقال وهب بن منبه وبعض أرباب السير جرت بين زيد بن على وبين عبد الله بن حسن بن حسن خشونة تسابا فيها وذكر أمهات الاولاد فقدم زيد على هشام بهذا السبب فقال له هشام بلغنى انك تذكر الخلافة ولست هناك قال ولم قال لانك ابن أمة فقال قد كان اسماعيل عليه السلام ابن أمة فضربه هشام ثمانين سوطاً وذكر ابن سعد عن الواقدى : ان زيد بن على قدم على هشام فرفع اليه دين كثيراً وحوايج فلم يقض منها شيئاً واسمعه هشام كلاماً غليظاً قال فخرج من عند هشام فاخذ بيده شاربه وفتله وقال ما أحب احد الحياة إلا ذل ثم مضى الى الكوفة وبها يوسف بن عمر عامل لهشام .

قال الواقدى : وكان دينه خمسمائة الف درهم ، فلما قتل قال هشام : ليتنا قضيناها ، وكان أهون مما صار اليه .

قال الواقدى : وبلغ هشام بن عبد الملك مقام زيد بالكوفة فكتب الى يوسف بن عمر اشخص زيداً الى المدينة فانى أخاف ان يخرجه أهل الكوفة لانه حلو الكلام مع ما يدل به من قرابة رسول الله فبعث يوسف بن عمر الى زيد يأمره بالخروج الى المدينة وهو يتعلل عليه والشيعة تتردد اليه فاقام زيد بالكوفة خمسة أشهر ويوسف بن عمر مقيم بالحيرة فبعث اليه يقول لابد من اشخاصك فخرج يريد المدينة وتبعته الشيعة يقولون أين تذهب ومعك منا مائة الف يضربون دونك ولم يزالوا به حتى رجع الى الكوفة فبايعه جماعة منهم : سلمة بن كهيل ومنصور ابن خزيمة فى آخرين فقال له داود بن على بن عبد الله بن عباس يا بن عم لا يغرنك هؤلاء من نفسك ففى أهل بيتك لك أتم العبر وفى خذلانهم اياهم كفاية ولم يزل به حتى شخص الى القادسية فتبعه جماعة يقولون له ارجع فانت المهدى وداود يقول لا تفعل فهؤلاء قتلوا أباك واخوتك وفعلوا مافعلوا فبايعه منهم خمسة عشر الفاً على كتاب الله وسنة رسوله وجهاد الظالمين ونصر المظلومين واعطاء المحرومين ونصرة أهل البيت على عدوهم فأقام مختفياً على هذا سبعة عشر شهراً والناس يتنابونه من القرى والامصار ثم اذن الناس بالخروج فتقاعد عنه جماعة ممن بايعه ، وقالوا ان الإمام جعفر بن محمد بن على فواعد من وافقه على الخروج فى أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة فخرج فوافا اليه مائتا رجل وعشرين رجلا فقال سبحان الله أين القوم ؟ فقالوا فى المسجد محصورون

وجاء عمر بن يوسف فى جموع أهل الشام فاقتتلوا فهزم زيد ومن معه فجاءه سهم فى جبهته فوقع فادخلوه بيتاً ونزعوا السهم من وجهه فمات وجاؤا به الى نهر فاسكروا الماء وحفروا له ودفنوه واجروا الماء عليه وتفرق الناس وتوارى ولده يحيى بن زيد فلما سكن الطلب خرج فى نفر من الزيدية الى خراسان وجاؤا بأحد ممن حضر دفن زيد الى يوسف بن عمر فدله على قبره فنبشه وقطع رأسه وبعث به الى هشام فنصبه على باب دمشق ثم اعاده الى المدينة فنصبه بها

وصلب يوسف بن عمر بدنه بالكوفة حتى مات هشام بن عبد الملك ، وقام الوليد فامر به فاحرق ؛ وقيل ان هشاماً احرقه ، فلما ظهر بنو العباس على بنى أمية نبش عبد الصمد بن على ، وقيل عبد الله بن على قبر هشام بن عبد الملك فوجده صحيحاً فضربه ثمانين سوطاًوحرقه بالناركما حرق زيد ، وقيل ان يوسف ابن عمر هو الذى احرق زيداًونسفه فى الفرات والاول أصح ؛ وكان سنه يوم قتل اثنتان وأربعون سنة .

وقال ابن سعد : زيد فى الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة ، وسمع الحديث من أبيه وجماعة ، وأمه أم ولد .

وقال الواقدى : لقد شق على هشام قتل زيد وما كان احد من الخلفاء أكره اليه الدماء من هشام بن عبد الملك .

وقد ذكرنا : ان مقتله سنة اثنتين وعشرين ومائة ؛ والواقدى يقول : سنة احدى وعشرين ومائة يوم الأثنين لليلتين خلتامن صفر ؛ وقيل خرج سنة احدى وعشرين ، وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة .

(ذكر خروج ولده يحيى بن زيد)

قال هشام بن محمد : لما قتل زيد بن على هرب ولده يحيى بن زيد الى هشام بدمشق فاقام بها حتى توفى هشام بن عبدالملك وولى الوليدبن يزيد بن عبد الملك فكتب يوسف بن عمر الى نصر بن سيار وكان والياً على خراسان بحديث يحيى ابن زيد وانه عند الجريش عمروبن داود بن صالح فابعث اليه فخذه منه فبعث نصر بن سيار فاخذه من الجريش بعد ان انكر الجريش قصته فجلد نصر الجريش ستمائة سوط ثم ان نصر بن سيار كتب الى الوليد بخبره فكتب اليه ان يطلقه وأصحابه ويؤمنه فدعاه نصر فاخبره الخبر وحذره الفتنة واطلقه فخرج الى سرخس ثم الجوزجان واجتمع اليه جماعة مقدار سبعين رجلا وقيل سبعمائة فخرج فبعث اليه نصر بن سيار عمر بن زرارة فى عشرة آلاف فالتقوا فهزمهم يحيى بن زيد

وقتل عمر بن زرارة ثم خرج سورة بن محمد الكندى فى جمع الى يحيى فالتقوا فرماه مولى لعيسى بن سليمان العنزى بسهم فى وجهه فوقع فجزوا رأسه وصلبوا جسده وكتبوا الى الوليد بخبره فكتب اليهم احرقوا عجل العراق وانسفوه فى اليم نسفا فانزلوا جسده واحرقوه ثم ذروه فى الماء والريح .

وقيل : ان نصر بن سيار بعث الى يحيى بن سالم بن اخرز المازنى فحاربه فقتل يحيى فى المعركة .

وقال الواقدى : أم يحيى ريطة بنت أبى هاشم بن محمد بن على بن أبى طالب عليه السلام ، وكان لزيد بن على ، عيسى . وحسين واسم حسين المكفوف ، وكان لزيد أيضاً محمد وامهم أم ولد ، قتل يحيى بن زيد فى سنة خمس وعشرين ومائة .

فصل فى ذكر محمد الباقر عليه السلام

هو أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن حسن بن على عليه السلام ، وانما سمى الباقر من كثرة سجوده ، بقر السجود جبهته ، أى فتحها ووسعها ، وقيل لغزارة علمه .

قال الجوهرى فى (الصحاح) التبقر التوسع فى العلم . قال وكان يقال لمحمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام الباقر لتبقره فى العلم ويسمى الشاكر والهادى .

وقال ابن سعد : محمد من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة ، كان عالماً عابداً ثقة .

روى عنه الائمة : أبو حنيفة ، وغيره .

قال أبو يوسف ، قلت لأبى حنيفة لقيت محمد بن على الباقر فقال نعم

وسألته يوماً فقلت له أ أراد الله المعاصى ؟ فقال أفيعصى قهراً ، قال أبو حنيفة فما رأيت جواباً أفحم منه .

وقال عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبى جعفر لقد رأيت الحكم عنده كأنه مغلوب ويعنى بالحكم الحكم بن عيينة وكان عالماً نبيلا جليلا فى زمانه .

وذكر المدايني : عن جابر بن عبد الله انه أتى أبا جعفر محمد بن على الى الكتاب وهو صغير فقال له رسول الله يسلم عليك فقيل لجابر وكيف هذا ؟ فقال كنت جالساً عند رسول الله والحسين فى حجره وهو يداعبه فقال يا جابر يولد مولود إسمه على اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده ثم يولد له ولد أسمه محمد فان أدركته يا جابر فاقرأه منى السلام .

وروى : ان أبا جعفر دخل على جابر بعد ما أضر فسلم عليه فقال من أنت ؟ فقال محمد بن على بن الحسين فقال ادن منى فدنى منه فقبل يديه ورجليه ، ثم قال له رسول الله يسلم عليك وذكره .

توفى جابر بن عبد الله سنة ثمان وسبعين بالمدينة ، وهو آخر من مات من أهل العقبة فقد كان محمد الباقر فى زمانه كبيراً لما نذكر فى وفاته .

(ذكر نبذة من كلامه)

قال أبو نعيم فى (الحلية) حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا محمد بن على بن سليمان حدثنا محمد بن عباد حدثنا عبد السلام بن حرب عن زياد بن خيثمة عن محمد بن على انه قال : الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ولا تصيب الذاكر

وقال أبو نعيم حدثنا عثمان بن العثمانى حدثنا أبو على الروذبارى قال سمعت أبا العباس الشرقى يقول سمعت بشر بن الحرث الحافى يقول سمعت ابن داود يقول سمعت سفيان الثورى يقول سمعت منصوريقول سمعت محمد بن على يقول الغنا والعز يجولان فى قلب المؤمن فاذا وصلا الى مكان فيه التوكل أوطناه .

وقال أبو نعيم حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو الربيع الرشديني حدثنا عبد الله بن وهب عن ابراهيم بن نشيط عن عمر مولى غفرة عن محمد بن علي انه قال ما دخل قلب امرء شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخل قل أو كثر .

وقال أبو نعيم : حدثني أبي حدثنا الحسن بن احمد بن محمد بن أبان حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سلمة بن شبيب عن عبد الله بن عمر عن أبي الربيع عن شريك عن جابر الجعفي قال : قال لي محمد بن علي يا جابر اني لمحزون واني لمشتغل القلب قلت وما سبب ذلك فقال يا جابر انه من دخل قلبه صافي دين الله شغله عما سواه ، يا جابر ما الدنيا وما عسى ان يكون هل هو إلا ثوب لبسته أو لقمة أكلتها أو مركب ركبته أو امرأة اصبتها ، يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا لبقاء فيها ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ولم يصمهم عن ذكر الله ماسمعوا باذانهم من الفتنة ولم يعمهم من نور الله ما رؤا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الابرار ان أهل التقوى ايسر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم لك معونة ان نسيت ذكروك وان ذكرت اعانوك قوالين بحق الله قوامين بامر الله فانزل الدنيا منزلة منزل نزلت به وارتحلت عنه أو كمال اصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء واحفظ الله تعالى فيما استرعاك من دينه وحكمته .

وقال أبو نعيم حدثنا الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي حدثنا محمد بن زكريا حدثنا قيس بن حفص حدثنا حسن بن حسن قال كان محمد بن علي يقول سلاح اللئام قبيح الكلام .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن أبي بكر بن عياش عن سعد الاسكاف عن محمد بن علي انه قال والله لموت عالم أحب الى ابليس من موت سبعين عابداً .

وأخبرنا غير واحد عن عبد الوهاب الحافظ أخبرنا عبد المبارك بن عبد

الجبار أنبأنا على بن احمد الملطى عن احمد بن محمد بن يوسف عن ابن صفوان عن أبى بكر القرشى حدثنى ابراهيم بن راشد حدثنا بشر بن حجر الشامى حدثنا مروان بن معاوية عن خالد بن أبى الهيثم عن محمد بن على انه قال : ما اغرورقت عين بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة يوم القيامة وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ولو ان باكياً بكى فى أمة لحرم الله تلك الأمة على النار .

وقد روى هذا المعنى مرفوعاً الى رسول الله ﷺ وقال أبو نعيم حدثنا احمد بن محمد بن القاسم حدثنا محمد بن دريد حدثنا الرياشى عن الأصمعى قال : قال محمد بن على لابنه يابنى اياك والكسل والضجر فانهما مفتاح لكل شر انك ان كسلت لم تؤد حقا وان ضجرت لم تصبر على حق .

قال فى (الحلية) وسئل محمد عن حلية السيف فقال يجوز قد حلت الصحابة سيوفهم .

وقال القرشى بالاسناد المذكور آنفاً حدثنى محمد بن الحسين حدثنى عبدالله ابن اسحاق عن العلا بن ميمون عن افلح مولى محمد بن على قال خرجت مع مولاى حاجاً فلما دخل المسجد نظر الى البيت فبكى حتى علا صوته فقلت بأبى وأمى ان الناس ينظرون اليك فلو رفعت بصوتك قليلا فبكى وقال ويحك لم لا أبكى لعل الله ان ينظر الىّ برحمة منه فافوز بها عنده ، ثم طاف بالبيت وركع عند المقام ورفع رأسه من سجوده فاذا موضعه مبتل من دموعه قال وكان واذا ضحك يقول اللهم لا تمقتنى .

وقال أبو نعيم : حدثنا أبى احمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد القرشى حدثنا احمد بن يحيى قال : قال محمد بن على كان لى أخ فى عينى عظيم والذي عظمه فى عيني صغر الدنيا فى عينه .

وقال القرشي : فقد محمد بن علي بغلة له فقال اللهم لئن رددتها علي لأحمدنك بمحامد ترضاها .

قال ولده جعفر فوجدها . فقال الحمد لله لم يزد عليها فقلت له في ذلك فقال وهل أبقيت شيئاً جعلت الحمد كله لله تعالى .

وذكر أبو نعيم عن أبي حمزة قال : قال محمد بن علي مامن عبادة عند الله تعالى أفضل من عفة بطن أو فرج وما من شيء أحب الى الله تعالى من أن يسأل وما يدفع القضاء إلا الدعاء وان اسرع الخير ثواباً البر والعدل واسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيبا ان يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه ان يأمرهم بما لا يستطيع التحول عنه وان يوذى جليسه بما لا يعنيه .

وقال أبو حمزة : قال لنا عبد الله بن الوليد قال انا محمد بن علي يدخل أحدكم يده كم صاحبه فيأخذ منه مايريد قلنالا فقال اذهبوا فلستم اخوانا كماتزعمون

قال : وكان يحضر اخوانه فيطعمهم اطيب الطعام ويكسوهم احسن الكسوة ويهب لهم الدراهم الكثيرة ويجيز بالخمسمائة إلى الألف ولا يمل من مجالسة الأخوان وكان يقول بئس الاخ أخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيراً .

وقال القرشي حدثنا محمد بن الحسين عن سعيد بن سليمان عن اسحاق بن كثير عن عبيد الله بن الوليد قال : قال محمد بن علي ، من عبد المعنى دون الأسم فانه يخبر عن غايب ، ومن عبد الأسم دون المعنى فانه يعبد المسمى ، ومن عبد الأسم والمعنى فانه يعبد ألهين ، ومن عبدالمعنى بتقريب الأسم الى حقيقة المعرفة فهو موحد .

﴿ ذكر وفاته ﴾

اختلفوا فيها على ثلاثة اقوال . احدها : انه توفى سنة سبع عشرة ومائة ذكره الواقدى والثانى : سنة اربع عشرة ومائة قاله الفضل بن دكين . والثالث : سنة ثمان عشرة ومائة ، واختلفوا فى سنه أيضاً على ثلاثة أقوال ، أحدها : ثمان

وخمسون ، والثانى : سبع وخمسون ؛ والثالث : ثلاث وسبعون والاول أشهر ، لما روينا فى سن أمير المؤمنين على عليه السلام فان محمداً هذا روى ان علياً قتل وهو ابن ثمان وخمسين قال : ومات لها الحسن وقتل لها الحسين ومات لها على بن الحسين

قال جعفر بن محمد هذا وسمعت أبى يقول لعمته فاطمة بنت الحسين أم عبد الله بن حسن قد أتت على ثمان وخمسين فتوفى لها وأوصى ان يكفن فى قيصه الذى كان يتعبد فيه ودفن بالبقيع عند أبيه .

اسند محمد الحديث عن جماعة من الصحابة جابر بن عبد الله وابى سعيد وابن عباس وأنس وأبى هريرة والحسن والحسين ؛ وروى عن خلق من التابعين منهم سعيد بن المسيب والأئمة .

من العجائب ثلاثة انفس كانوا فى زمن واحد وهم علماء اشراف بنوا أعمام كل واحد منهم اسمه على وله ابن اسمه محمد فعلى ابن الحسين زين العابدين ولده محمد هذا المذكور وعلى بن عبد الله بن عباس ولده محمد أبو الخلفاء ؛ وعلى بن عبد الله بن جعفر ولده محمد .

﴿ ذكر أولاد محمد الباقر ﴾

كان له جعفر وعبد الله امهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وابراهيم وأمه أم حكيم بنت أسد بن المغيرة بن الاخنس بن شريق وعلى ، وزينب وامهما أم ولد وأم سلمة لام ولد أيضاً والنسل لجعفر .

فصل فى ذكر ولده جعفر

وهو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام وكنيته : أبو عبد الله ، وقيل أبو اسماعيل ، ويلقب : با لصادق ؛ والصابر والفاضل ؛ والطاهر . واشهر القابه الصادق ، وقد ذكرنا أن أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر .

قال علماء السير : كان قد اشتغل با لعبادة عن طلب الرياسة .

وذكر أبو نعيم فى (الحلية) فقال حدثنا على بن محمد بن محمود حدثنا احمد ابن محمد بن سعيد حدثنى جعفر بن محمد بن هشام حدثنا محمد بن حفص بن راشد عن أبيه عن عمرو بن المقدام قال : كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين .

وذكر أبو نعيم أيضاً عن سفيان الثورى قال : قال جعفر بن محمد ياسفيان اذا انعم الله عليك بنعمة فاحببت بقائها ودوامها فا كثر من الحمد لله والشكر لله عليها فان الله تعالى يقول (لئن شكرتم لأزيدنكم) واذا إستبطأت الرزق فا كثر من الإستغفار فان الله يقول (استغفروا ربكم) الآية (وجعل لكم جنات فى الآخرة ويجعل لكم انهاراً) ياسفيان اذا احزنك أمر من سلطان أو غيره فاكثر من قول (لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة .

وقد روى هذا المعنى مرفوعاً أنبأنا أبو اليمن اللغوى أنبأنا القزاز أنبأنا الخطيب أنبأنا أبو بكر الرمانى أنبأنا احمد بن ابراهيم الأسماعيلى عن محمد بن أبى القاسم السمنانى عن الخليلى بن محمد الثقفى عن عيسى بن جعفر القاضى عن أبى حازم المدنى قال : كنت عند جعفر بن محمد فجاء سفيان الثورى فقال له جعفر أنت رجل يطلبك السلطان وأنا اتقى السلطان فقال سفيان حدثنى حتى اقوم فقال حدثنى أبى عن جدى عن أبيه على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ومن حزنه أمر فليقل (لا حول وقوة إلا بالله العلى العظيم) .

وفى (الحلية) باسناده الى الهياج بن بسطام قال : كان جعفر يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء .

قال : وسئل عن العلة فى تحريم الربا فقال لئلا يتمانع الناس المعروف .

وقال فى (الحلية) أيضاً أوصى جعفر بعض ولده فقال يابنى اقبل وصيتى واحفظ مقالتى فانك ان حفظتها عشت سعيداً ومت شهيداً أو حميداً يا بنى انه من قنع بما قسم له استغنى ومن مد عينيه الى مال غيره مات فقيراً ومن لم يرض بما قسم الله له أتهم الله فى قضائه ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ومن كشف حجاب عورة غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغى قتل به ومن احتفر لأخيه المؤمن قليباً أوقعه الله فيه قريباً ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ؛ يابنى قل الحق وان كان مراً لك وعليك ، واياك والنميمة فانها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال واذا طلبت الجود فعليك بمعادنه .

وذكر أبو نعيم فى (الحلية) أيضاً قال : وقع الذباب على وجه أبى جعفر المنصور وكان جعفر حاضراً عنده فلم يزل يقع عليه حتى ضجر فقال له المنصور يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب فقال جعفر ليذل به الجبابرة فوجم لها أبو جعفر

وقال سفيان الثورى بالأسناد المتقدم قال جعفر من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

قال وكان يتردد اليه رجل من السواد فانقطع عنه فسأل عنه فقال بعض القوم انه نبطى يريد أن يضع منه فقال جعفر أصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه تقواه والناس فى آدم مستوون .

وبه قال الثورى ، سمعت جعفر يقول : عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها فان تكن فى شىء فيوشك ان تكون فى الخمول فان لم يوجد الخمول فنى التخلى وليس كالخمول وان لم يوجد فى التخلى فنى الصمت ، والسعيد من وجد فى نفسه خلوة يشتغل بها .

وأخبرنا غير واحد عن عبد الوهاب بن المبارك أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار أنبأنا على بن عمر القزوينى أنبأنا احمد بن ابراهيم بن ماذان أنبأنا

القاسم بن داود الكاتب أنبأنا أبو بكر القرشي حدثنا عيسى بن أبى حرب والمغيرة ابن محمد قالا حدثنا عبد الاعلى بن حماد بن الحسين بن فضل بن الربيع قال حدثنى عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : حج أبو جعفر أربع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال لى ابعث الى جعفر بن محمد من يأتينى به متعنتاً قتلنى الله إن لم اقتله ، قال فتغافل عنه الربيع لينساه فاعاد عليه القول ثانيا فتغافل عنه فاعاد عليه ثالثاً واغلظ له فى الكلام فارسل الى جعفر فجاء قال الربيع فقلت له يا أبا عبدالله اذكر الله فقد ارسل اليك لأمر عظيم وماأظنك بناج فقال جعفر (لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) ثم دخل على أبى جعفر فسلم فلم يرد السلام وقال أى عدوالله اتخذك أهل العراق اماماً يجيئون اليك بزكاة أموالهم وتلحد فى سلطانى وتبغيه الغوايل قتلنى الله إن لم اقتلك ؟ فقال يا أمير المؤمنين : ان سليمان عليه السلام اعطى فشكر وان ايوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك السنخ فاطرق أبو جعفر مليا ثم رفع رأسه وقال : الىّ الىّ وعندى يا أباعبد الله البرى الساحة السليم الناحية القليل الغايلة جزاك الله من ذى رحم خيراً أو أفضل ما جازى به ذوى الأرحام عن ارحامها ثم تناول يده فاجلسه معه على السدة وغلفه بالغالية حتى ظلت لحيته تقطر ثم اجلسه معه على فراشه وادناه اليه ثم قال فى حفظ الله وكلائته يا ربيع الحق أبا عبد الله جائزته وكسوته انصرف أبا عبد الله فى حفظ الله وكنفه فانصرف ، قال الربيع فلحقته وقلت له رأيت عجباً قبل مجيئك وبعده اعجب منه فاخبرنى بما قلت حين دخلت اليه فقال دعوت الله بدعوات علمنى إياها أبى عن جدى عن أبيه ، قلت وما هى ؟ قال : اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام وكنفنى بكنفك الذى لا يرام أو يضام واغفرلى بقدرتك على ولا اهلك وأنت رجائى اللهم انك أكبر واجل ممن اخاف واحذر اللهم بك ادفع فى نحره واستعيذ بك من شره .

وأخبرنا عبد الوهاب بن على الصوفى أنبأنا سعد الله ومحمد بن عبد الباقى

قالا أنبأنا احمد بن على الطرنيثى أنبأنا هبة الله بن حسن الطبرى أنبأنا على بن محمد ابن عيسى بن موسى أنبأنا على بن محمد بن احمد المصرى حدثنا محمد بن عمرو بن خالد أنبأنا عياض بن أبى طيبة حدثنا ابن وهب قال : سمعت الليث بن سعد يقول حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر فى المسجد رقيت أبا قبيس فاذا رجل جالس يدعو فيقول يارب يارب يارب حتى انقطع نفسه ثم قال رب رب رب حتى انقطع نفسه ثم قال : يا حى يا حى يا حى حتى انقطع نفسه ثم قال : يا رحيم حتى انقطع نفسه ثم قال : يا ارحم الراحمين حتى انقطع نفسه ثم قال : الهى انى اشتهى العنب فاطعمنيه اللهم ان بردى قد اخلق فالبسنى .

قال الليث : فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت الى سلة مملوة عنباً وليس على الارض يومئذ عنب واذا ببردين موضوعين لم ار مثلهما فى الدنيا فاراد أن يأكل فقلت أنا شريكك فقال ولم قلت لانك دعوت وكنت أومن فقال تقدم فكل فتقدمت فاكلت عنباً لم آكل مثله قط ـ ما كان له عجم ـ فاكلنا حتى شبعنا ولم تتغير السلة فقال لا تدخر ولا تخبأ منه شيئاً ثم اخذ احد البردين ودفع الى الآخر فقلت أنا فى غنى عنه فاتزر باحدهما وارتدى بالآخر ثم اخذ البردين اللذين كانا عليه ونزل وهما فى يده فلقيه رجل بالمسعى فقال أكسنى يا ابن رسول الله كساك الله فانى عريان فدفعهما اليه فقلت للذى اعطاه البردين من هذا ؟ فقال جعفر بن محمد بن على الحسين بن على بن أبى طالب قال الليث فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم اقدر عليه .

ومن مكارم اخلاقه : ما ذكره الزمخشرى فى كتاب (ربيع الأبرار) عن الشقرانى مولى رسول الله ﷺ قال خرج العطا ايام المنصور ومالى شفيع فوقفت على الباب متحيراً واذا بجعفر بن محمد قد اقبل فذكرت له حاجتى فدخل وخرج واذا بعطائى فى كمه فناولنى اياه وقال ان الحسن من كل احد حسن وانه منك احسن لمكانك منا وان القبيح من كل احد قبيح وأنه منك اقبح لمكانك

منا ، وانما قال له جعفر ذلك لأن الشقرانى كان يشرب الشراب .

فمن مكارم اخلاق جعفر : انه رحب به وقضى حاجته مع علمه بحاله ووعظه على وجه التعريض وهذا من اخلاق الأنبياء .

وقال الثورى بالأسناد المتقدم ، قلت لجعفر يابن رسول الله اعتزلت الناس فقال ياسفيان فسد الزمان وتغير الاخوان فرأيت الإنفراد اسكن للفؤاد ثم قال :

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب   فالناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا   وقلوبهم محشوة بعقارب

وقال الواقدى : جعفر من الطبقه الخامسة من التابعين من أهل المدينة .

﴿ ذكر وفاته ﴾

قال الواقدى : توفى فى خلافة أبى جعفر المنصور بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعلى قبورهم رخامة مكتوب عليها (بسم الرحمان الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحى الرمم) هذا قبر فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء العالمين ، وقبر على بن الحسين ، ومحمد بن على وجعفر بن محمد عليهم السلام .

واختلفوا فى مبلغ سنه على أقوال ، أحدها : خمس وستون ، والثانى : خمس وخمسون .

وقال الواقدى: احدى وسبعون ، اسند جعفر الحديث عن أبيه محمد ولقى جماعة من التابعين منهم عطاء ابن أبى رباح وعكرمة فى آخرين ، وروى عنه الأئمة سفيان الثورى ومالك ، وشعبة ، وأبو أيوب السجستانى ، وغيرهم ، وقيل انه مات مسموماً .

﴿ ذكر أولاده ﴾

موسى الكاظم وله النسل ، ومحمد ويعرف بالديباج لحسنه ، واسحاق وهو أخ الديباج لأمه وأبيه ، وعلى ظهر بمكة فى ايام المأمون سنة ثلاث ومأتين

وظفر به المأمون وعفى عنه وحمله الى خراسان فاقام عنده حتى مات سنة ثلاث ومأتين وقيل سنة أربع ومأتين وحمل المأمون سريره على عاتقه مسافة كثيرة الى قبره فتعب فقيل له يا أمير المؤمنين لو صليت عليه ورجعت فانك قد تعبت فقال هذه رحم قطعت منذ مأتي سنة ووصلناها اليوم ثم صلى عليه ودفنه .

وقال الواقدى : كان قد بايعه أهل الحجاز وتهامة واستفحل أمره فحج المعتصم فى هذه السنة فاخذه وبعث به الى المأمون فاحسن اليه وكان متعبداً يصوم يوماً ويفطر يوماً وما خرج قط فى ثوب فعاد وهو عليه .

قال هشام : فلما خرجوا بجنازته كان المأمون راكباً فلما رآه ترجل عن دابته ودخل بين العمودين فحمله .

ومن أولاد جعفر اسماعيل وهو الذى ينسب اليه الاسماعيلية وكان اعرج ومحمد هذا أعبد أهل زمانه وهو جدهم الاعلى الذى اليه ينتهى نسبهم وعلى ، وعبد الله ، واسحاق وأم فروة .

وقد رتب محمد بن سعد فى (الطبقات) أولاد جعفر من غير هذا الترتيب فقال : كان له من الولد اسماعيل الاعرج ، وعبد الله وأم فروة وأمهم فاطمة بنت الحسين الاثرم بن حسن بن على بن أبي طالب ، وموسى حبسه هارون ببغداد عند السندى مولى هارون ، فمات فى حبسه ، واسحاق ، وعلى ، ومحمد ، وفاطمة تزوجها محمد بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وامها أم ولد ويحيى ، والعباس وفاطمة الصغرى لامهات أولاد شتى والنسل لموسى الكاظم .

قال الواقدى : وكان لجعفر بن محمد مولى يقال له معتب يبعثه الى مالك بن أنس يسأله عن مسائل فلما حج المنصور بلغه خبر معتب فضربه الف سوط حتى مات.

قال : ولما خرج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بالمدينة هرب جعفر ابن محمد الى ماله بالفرع فاقام معتزلا للقوم حتى قتل محمد وعاد الى المدينة فتوفى بها فى التاريخ الذى ذكرناه .

فصل فى ذكر ولده موسى

ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام ، ويلقب (با لكاظم) والمأمون ، والطيب والسيد ، وكنيته أبو الحسن ويدع بالعبد الصالح لعبادته واجتهاده وقيامه بالليل ، وأمه أم ولد أندلسية ، وقيل بربرية اسمها حميدة

وكان موسى جواداً حليماً وانما سمى الكاظم لأنه كان اذا بلغه عن أحد شىء بعث اليه بمال ، ومولده بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقيل سنة تسع وعشرين ومائة ، وهو من الطبقة السابعة من أهل المدينة من التابعين .

أخبرنا أبو محمد البزاز أنبأنا أبو الفضل بن ناصر أنبأنا محمد بن عبد الملك والمبارك بن عبد الجبار الصيرفى قالا أنبأنا عبد الله بن احمد بن عثمان أنبأنا محمد بن عبد الرحمان الشيبانى ان على بن محمد بن الزبير البجلى حدثهم قال حدثنا هشام بن حاتم الأصم عن أبيه قال حدثنى شقيق البلخى قال خرجت حاجاً فى سنة تسع واربعين ومائة فنزلت القادسية واذا بشاب حسن الوجه شديد السمرة عليه ثوب صوف مشتمل بشملة فى رجليه نعلان وقد جلس منفرداً عن الناس فقلت فى نفسى هذا الفتى من الصوفية يريد ان يكون كلا على الناس والله لأمضين اليه ولأوبخنه فدنوت منه فلما رآنى مقبلا قال يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن الآية فقلت فى نفسى هذا عبد صالح قد نطق على مافى خاطرى لالحقنه ولاسألنه ان يحالنى فغاب عن عينى فلما نزلنا واقصة اذا به يصلى واعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر فقلت أمضى اليه واعتذر فاوجز فى صلاته وقال يا شقيق (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) فقلت هذا من الابدال قد تكلم على سرى مرتين فلما

نزلنا زبالا اذا به قائم على البئر وبيده ركوة يريد ان يستق الماء فسقطت الركوة فى البئر فرفع طرفه الى السماء وقال :

أنت ربى اذا ظمئت الى الماء   وقوتى اذا أردت الطعام
يا سيدى مالى سواها

قال فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فاخذ الركوة وملأها وتوضىء وصلى أربع ركعات ثم مال الى كثيب رمل هناك فجعل يقبض بيده ويطرحه فى الركوة ويشرب فقلت اطعمنى من فضل ما رزقك الله وما انعم الله عليك ؛ فقال يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة فشربت منها فاذا سويق وسكر ما شربت والله ألذ منه ولا أطيب ريحاً فشبعت ورويت واقمت أياماً لا اشتهى طعاماً ولا شراباً ثم لم أره حتى دخلت مكة فرأيته ليلة الى جانب قبة الشراب نصف الليل يصلى بخشوع وانين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما طلع الفجر جلس فى مصلاه يسبح ثم قام الى صلاة الفجر وطاف بالبيت اسبوعاً وخرج فتبعته واذا له غاشية واموال وغلمان وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق ودار به الناس يسلمون عليه ويتبركون به فقلت لبعضهم من هذا فقال موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب عليه السلام فقلت قد عجبت ان تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد

قال أهل السير : كان مقام موسى بالمدينة لانه ولد بها فاقدمه محمد المهدى بغداد فحبسه بها ثم رده الى المدينة لمنام رآه .

ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال لما حبس المهدى موسى بن جعفر رأى المهدى علياً عليه السلام فى المنام فقال له يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم الآية قال الربيع فارسل الى المهدى ليلا فراعنى ذلك فجئته فاذا هو يقرأ الآية وكان من أحسن الناس صوتاً فقال علي بموسى بن جعفر قال فجئته به فعانقه وأجلسه الى جنبه وقال يا أباالحسن

رأيت الساعة أمير المؤمنين وهو يقرأ على هذه الآية أفتومنني ان لا تخرج على ولا على احد من ولدى بعدى فقال والله لا فعلت ذلك أبداً ولا هو من شيمتى فقال صدقت ، ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله .

قال الربيع : فما حكمت أمره ليلا فما أصبح إلا وهو على الطريق مخافة العوايق

وقال المداينى : اقام موسى بالمدينة حتى توفى المهدى والهادى وحج هارون الرشيد فاجتمع بموسى بن جعفر عند قبر رسول الله ﷺ فقال هارون للنبي ﷺ السلام عليك يا بن العم افتخاراً على من حوله فدنى موسى من القبر وقال السلام عليك يا ابة فتغير وجه هارون ثم قال والله يا أبا الحسن هذا هو الفخر والشرف حقاً ثم حمله معه الى بغداد فحبسه بها سنة سبع وسبعين ومائة فاقام فى حبسه الى سنة ثمان وثمانين ومائة فى رجب فتوفى بها .

وذكر الزمخشرى فى (ربيع الابرار) ان هارون كان يقول لموسى خذ (فدكاً) وهو يمتنع فلما الح عليه قال ما اخذها إلا بحدودها . قال وما حدودها قال الحد الأول عدن فتغير وجه الرشيد ، قال والحد الثانى ؟ قال سمرقند فاربد وجهه ، قال والحد الثالث ؟ قال إفريقية فاسود وجهه ، قال والحد الرابع ؟ قال سيف البحر مما يلى الخزر وأرمينة ، فقال هارون فلم يبق لنا شىء فتحول فى مجلسى فقال موسى قد أعلمتك انى ان حددتها لم تردها فعند ذلك عزم على قتله واستكفى أمره .

وذكر الخطيب فى تاريخه قال : بعث موسى من الحبس رسالة الى هاورن يقول له لن ينقضى عنى يوم من البلاء حتى ينقضى عنك يوم من الرخاء حتى نقضى جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون .

واختلفوا فى سنه على أقوال . أحدها : خمس وخمسون سنة ، والثانى : أربع وخمسون ، والثالث : سبع وخمسون ، والرابع : ثمان وخمسون والخامس ستون . ودفن بمقابر قريش وقبره ظاهر يزار ، وقيل مات سنة ثلاث وثمانين ومائة

(ذكر اولاده)

قال علماء السير : وله عشرون ذكراً وعشرون انثى : على الإمام ، وزيد وهذا زيد كان قد خرج على المأمون فظفر به فبعث به الى أخيه على بن موسى الرضا فوبخه وجرى بينهما كلام ، ذكره القاضى المعافى فى (الجليس والانيس) فيه أن علياً قال له سؤة لك يا زيد ما أنت قائل لرسول الله ﷺ إذ سفكت الدماء واخفت السبل واخذت المال من غير حله غرك حمقاء أهل الكوفة ، وقول رسول الله ﷺ ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار وهذا لمن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا لى ولك والله ما نالوا بذلك إلا بطاعة الله فان أردت ان تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعته انك اذن لا كرم على الله منهم . وابراهيم ، وعقيل ، وهارون ، والحسن ، وعبد الله ، وعبيد الله ، واسماعيل ، وعمر ، واحمد ، وجعفر ، ويحيى ، واسحاق ، والعباس ، وحمزة وعبد الرحمان ، والقاسم ، وجعفر الاصغر وقيل محمد ، وخديجة وام فروة واسماء ، وعلية ، وفاطمة الكبرى ، والصغرى ، والوسطى ، وفاطمة أخرى فالفواطم أربع وأم كلثوم ، وآمنة ، وزينب ، وأم عبد الله وزينب الصغرى وأم القاسم ، وحكيمة ، واسماء الصغرى ، ومحموده ، وامامة وميمونة لامهات شتى .

فصل فى ذكر ولده على

هو أبو الحسن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ، ويلقب بالولى والوفى ، وأمه أم ولد تسمى الخيزران .

قال الواقدى : سمع على الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم وكان ثقة يفتى

بمسجد رسول الله ﷺ وهو ابن نيف وعشرين سنة وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة .

وذكر عبد الله بن احمد المقدسى فى كتاب (انساب القرشيين) نسخة يرويها على بن موسى الرضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه على عن أبيه الحسين عن أبيه على عليه السلام عن النبى ﷺ اسناد لو قرىء على مجنون برىء .

قال الواقدى : ولما كان سنة مأتين بعث اليه المأمون فاشخصه من المدينة الى خراسان ليوليه العهد بعده والذى اشخصه فرناس الخادم وابن أبى الضحاك فلما وصل الى نيسابور خرج اليه علماؤها مثل يحيى بن يحيى واسحاق بن راهويه ومحمد بن رافع واحمد بن حرب وغيرهم لطلب الحديث والرواية والتبرك به فاقام بنيسابور مدة والمأمون بمرو ، ثم استدعاه وولاه العهد بعد وفاته وسماه الرضا من آل محمد وضرب اسمه على الدراهم والدنانير وكتب الى الافاق ببيعته وطرح السواد ولبس الخضرة ، وزوجه المأمون ابنته أم حبيب وتزوج المأمون أيضاً ابنته أم الفضل من محمد بن على الرضا وتزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل فى وقت واحد ، ذكره الصولى وغيره يقول فى عقود مختلفة .

﴿ نسخة العهد الذى كتبه المأمون له بيده وانشاءه ﴾

وهو عهد طويل ذكره عامة المؤرخين فى تواريخهم اختصرته (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين لأبى الحسن على بن موسى الرضا من آل محمد ولى عهده من بعده ، أما بعد : فان الله تعالى اصطفى الإسلام ديناً واختار له من عباده رسلا دالين عليه يبشر أولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ما ضيهم حتى انتهت النبوة الى محمد ﷺ على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحى والحجة واقتراب من الساعة فختم الله به النبيين وجعله شاهداً على الامم للمرسلين وانزل عليه كتابه العزيز المجيد الذى لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بالحلال والحرام والنوازل والاحكام وعد فيه وأوعد وخوف وهدد وزجر وحذر وبالغ والذر لتكون له الحجة البالغة على خلقه الصحيح منهم والسقيم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم فبلغ عن الله رسالاته ودعى الى سبيل نجاته بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ثم بالجهاد والغلظة حتى اذا قبضه الله اليه واختار له ما عنده ولديه جعل قوام الدين بالخلافة كما ختم به الرسالة فنظام أمور عباده بالخلافة واتمامها واعزازها والقيام بامر الله فيها بالطاعة التى بها تقام فرايض الله وحدوده وشرائع الإسلام وسننه ويجاهد بها عدوه وجعل لها خلفاء على رعيته فيما استحفظهم من أمر دينه وعبادته وعلى المسلمين الطاعة لهم والمعاونة على اقامة حق الله فى عباده واظهار العدل فى بلاده وامن السبل وحقن الدماء واصلاح ذات البين وفى خلاف ذلك اضطراب أمر المسلمين وقهر دينهم واستعلاء عدوهم وتفريق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة لحق على من استخلفه الله فى أرضه وأئتمنه على خلقه ان يجهد الله نفسه ويؤثر ما فيه رضاه عنه ويعمل بالعدل والاحسان فيما حكمه الله فيه وقلده اياه قال تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة فى الارض) الآية وقد بلغنا عن عمر ابن الخطاب (رض) أنه قال : لو ضاعت سخلة بشاطئ الفرات لخفت ان أوخذ بها ، فى أخبار وآثار كثيرة ولم أزل منذ افضت إلىّ الخلافة أنظر فيمن اقلده أمرها واجتهد فيمن اوليه عهدها فلم أجد من يصلح لها إلا أبا الحسن على بن موسى الرضا لما رأيت من فضله البارع وعلمه النافع وورعه الباطن والظاهر وتخليه عن الدنيا واهلها وميله الى الآخرة وايثاره لها وقد تحقق عندى وتيقنت فيه ما الاخبار عليه متواطئة والالسن عليه متفقة فعقدت له العهد واثقاً بخيرة الله فى ذلك نظراً للمسلمين وايثاراً لاقامة شعائر الدين وطلباً للنجاة يوم يقوم الناس لرب العالمين وكتب عبد الله بخطه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى

ومائتين وقد بايع أهل بيتى وخاصتى وولدى وأهلى وجندى وعبيدى اللهم صل على سيدنا محمد وآله والسلام .

وفى رواية : لم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت الخلافة اليه ينظر فيمن يقلده أمرها وذكر هذا المعنى .

وكتب على خلفه (بسم الله الرحمان الرحيم : والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين أقول : وأنا على بن موسى بن جعفر أن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره ووصل أرحاماً قطعت وأمن نفوساً فزعت بل أحياها بعد ما تلفت مبتغيا رضى رب العالمين لا يريد جزاء من غيره وسيجزى الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين وانه جعل إلى عهده والامر بعده أطال الله بقاه وما أمكننى مخالفته ولله على أن لا أسفك دماً حراماً وابيح فرجاً ولا مالا وان اغير الكفاة جهدى وطاقتى ولا اغير على نفسى حالة من أحوال الآخرة فيما كنت عليه من قبل ولا انال من الدنيا إلا ما تدعو الضرورة اليه وقد جعلت الله على كفيلا فان احدثت أو غيرت أو بدلت كنت للتغيير مستحقاً وللنكال متعرضاً واعوذ بالله من سخط الله واليه أرغب فى التوفيق لطاعته والمباعدة بينى وبين معصيته والسلام .

ثم قرأ العهد فى جميع الآفاق وعند الكعبة وبين قبر رسول الله ومنبره وشهد فيه خواص المأمون واعيان العلماء فمن ذلك شهادة الفضل بن سهل كتب بخطه شهدت على أمير المؤمنين عبد الله المأمون وعلى أبى الحسن على بن موسى ابن جعفر بما أوجبا به الحجة عليهما للمسلمين وابطلا به شبهة الجاهلين ، وكتب فضل بن سهل فى التاريخ المذكور ، وشهد عبد الله بن طاهر بمثل ذلك ، وشهد بمثله يحيى بن أكثم القاضى ؛ وحماد بن أبى حنيفة ، وأبو بكر الصولى ؛ والوزير المغربى ؛ وبشر بن المعتمر فى خلق كثير .

وحكى الصولى : ان المأمون لما بايع على بن موسى اجلسه الى جانبه فقام العباسى الخطيب فتكلم فاحسن وأنشد :

لا بد للناس من شمس ومن قمر ... فأنت شمس وهـذا ذلك القمر

قال علماء السير : فلما فعل المأمون ذلك شغبت بنو العباس ببغداد عليه وخلعوه من الخلافة وولوا ابراهيم بن المهدى والمأمون بمرو وتفرقت قلوب شيعة بنى العباس عنه فقال له على بن موسى الرضا يا أمير المؤمنين النصح لك واجب والغش لا يحل المؤمن ان العامة تكره مافعلت معى والخاصة تكره الفضل ابن سهل فالرأى ان تنحينا عنك حتى يستقيم لك الخاصة والعامة فيستقيم أمرك

وذكر أبو بكر الصولى فى كتاب (الاوراق) ان هارون كان يجرى على موسى بن جعفر وهو فى حبسه كل سنة ثلاثمائة الف درهم وانزله عشرين الفاً فقال المأمون لعلى بن موسى لأزيدنك على مرتبة أبيك وجدك فاجرى له ذلك ووصله بالف الف درهم ولما فصل المأمون عن مرو طالباً بغداد ووصل الى سرخس وثب قوم على الفضل بن سهل فى الحمام فقتلوه ومرض على بن موسى فلما وصل المأمون الى طوس توفى على بن موسى بطوس فى سنة ثلاث ومائتين وقيل انه دخل الحمام ثم خرج فقدم اليه طبق فيه عنب مسموم قد ادخلت فيه الابر المسمومة من غير ان يظهر أثرها فاكله فمات وله خمس وخمسون سنة ، وقيل تسع وأربعون ودفن الى جانب هارون الرشيد .

وزعم قوم ان المأمون سمه وليس بصحيح فانه لما مات على توجع له المأمون وأظهر الحزن عليه وبقى اياماً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً وهجر اللذات ثم أتى بغداد فدخلها فى صفر سنة أربع ومائتين ولباسه ولباس أصحابه جميعاً الخضرة وكذا أعلامهم وكان قد بعث المأمون الحسن بن سهل الى بغداد فهزمهم واختفى ابراهيم بن المهدى ونزل المأمون بقصر الرصافة .

قال الصولى : فاجتمع بنو العباس الى زينب بنت سليمان بن على بن عبدالله

ابن عباس وكانت فى القعدد والسودد مثل المنصور فسألوها ان تدخل على المأمون وتسأله الرجوع الى لبس السواد وترك الخضرة والاضراب مثل ما كان عليه لأنه عزم بعد موت على بن موسى ان يعهد الى محمد بن على بن موسى الرضا وانما منعه من ذلك شغب بنى العباس عليه لأنه كان قد أصر على ذلك حتى دخلت عليه زينب فلما دخلت عليه قام لها ورحب بها وأكرمها فقالت له يا أمير المؤمنين انك على براهلك من ولد أبى طالب والامر فى يدك اقدر منك على برهم والأمر فى يد غيرك أو فى ايديهم فدع لباس الخضرة وعد الى لباس أهلك ولا تطمعن احداً فيما كان منك فعجب المأمون بكلامها وقال لها والله يا عمة ما كلمنى احد بكلام أوقع من كلامك فى قلبى ولا اقصد لما اردت وانا احاكمهم الى عقلك فقالت وما ذاك فقال الست تعلمين ان أبا بكر (رض) ولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ فلم يول احداً من بنى هاشم شيئاً قالت بلى قال ثم ولى عمر فكان كذلك ثم ولى عثمان فاقبل على أهله من بنى عبد الشمس فولاهم الامصار ولم يول احداً من بنى هاشم ثم ولى على عليه السلام فاقبل على بنى هاشم فولى عبد الله بن عباس البصرة ، وعبيد الله ابن عباس اليمن وولى معبداً مكة وولى قثم بن العباس البحرين وما ترك احداً ممن ينتمى الى العباس إلا ولاه فكانت له هذه فى اعناقنا فكافأته فى ولده بما فعلت فقالت لله درك يا بنى ولكن المصلحة لبنى عمك من ولد أبى طالب ما قلت لك فقال ما يكون إلا ما تحبون ثم فكر فى أمره وولاية محمد بن على العهد فرأى أن القواعد تنخرم عليه وربما خرج الأمر من يد بنى العباس وبنى على لسبب الاختلاف وان فى الارض بقايا من بنى أمية فربما وجدوا الفرصة فى تفريق الكلمة واثارة الفتنة فجلس لبنى العباس وجمعهم ودعى بحلة سوداء فلبسها وترك الخضرة ولبس الناس كذلك فلم تلبس الخضرة ببغداد سوى ثمانية ايام .

قال الصولى وغيره : كان المأمون يحب علياً عليه السلام كتب الى الافاق بأن على بن أبى طالب أفضل الخلق بعد رسول الله وان لا يذكر معاوية بخير ومن

ذكره بخير يبح دمه وماله . قال الصولى ومن أشعار المأمون فى على عليه السلام :

الام على حب الوصى أبى الحسن　　وذلك عندى من عجائب ذى الزمن
خليفة خير الناس والأول الذى　　اعان رسول الله فى السر والعلن
ولولاه ما عدت لهاشم امرة　　وكانت على الأيام تقصى وتمتهن
فولى بنى العباس ما اختص غيرهم　　ومن منه أولى بالتكرم والمنن
فاوضح عبد الله بالبصرة الهدى　　وفاض عبيد الله جوداً على اليمن
وقسم أعمال الخلافة بينهم　　فلا زال مربوطاً بذا الشكر مرتهن

وقال أيضاً ، وقيل انها للسيد الحميرى :

احلف بالله وآلائه　　والمرء عما قال مسئول
ان على بن أبى طالب　　على التقى والبر مجبول
وانه كان الإمام الذى　　له على الأمة تفضيل
يقول بالحق ويختاره　　ولا تمانيه الاباطيل
كان اذا الحرب مراها القنا　　وقصرت عنها البهاليل
يمشى الى القرن وفى كفه　　ابيض ماضى الحد مصقول
مشى العفرنا بين اشباله　　اقبل لا تغتاله الغول

ومن اشعار المأمون :

لا تقبل التوبة من تائب　　إلا بحب ابن أبى طالب
أخو رسول الله حلف الهدى　　والأخ فوق الخل والصاحب
ان جمعا فى الفضل يوماً فقد　　فاق أخوه رغبة الراغب
فقدم الهادى فى فضله　　تسلم من اللائم والعائب
ان مال ذو النصب الى جانب　　ملت مع الشيعى فى جانب
أكون فى آل نبى الهدى　　خير نبى من بنى غالب
حبهم فرض نؤدى به　　كمثل حج لازم واجب

وذكر الصولى فى كتاب الاوراق أيضاً قال كان مكتوباً على سارية من سوارى جامع البصرة :

رحم الله علياً　انه كان تقياً

وكان يجلس الى تلك السارية أبو عمر الخطابى واسمه حفص وكان أعور فأمر به فحى فكتب الى المأمون بذلك فشق عليه وامر با شخاصه اليه فلما دخل عليه قال لم محوت أسم أمير المؤمنين على السارية فقال وما كان عليها فقال :

رحم الله علياً　انه كان تقيا

فقال : بلغنى انه كان نبياً ، فقال كذبت بل كانت القاف اصح من عينك الصحيحة ولولا ان ازيدك عند العامة نفاقاً لادبتك ثم أمر باخراجه .

قد ذكرنا وفاة على بن موسى الرضا وكان من الفضلاء الاتقياء الاجواد وفيه يقول أبو نواس :

قيل لى أنت أوحد الناس فى　كل كلام من المقال بديه
لك فى جوهر الكلام فنون　ينثر الدر فى يدى مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى　والخصال التى تجمعن فيه
قلت لا اهتدى لمدح امام　كان جبريل خادماً لابيه

﴿ ذكر أولاده ﴾

محمد الامام أبو جعفر الثانى وجعفر وأبو محمد الحسن وابراهيم وابنة واحدة .

فصل فى ذكر ولده محمد الجواد

هو محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام ، وكنيته : أبو عبد الله ، وقيل أبو جعفر ، ولد سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة وتوفى سنة مائتين وعشرين وهو ابن خمس وعشرين سنة وكان

على منهاج أبيه فى العلم والتقى والزهد والجود ولما مات أبوه قدم على المأمون فاكرمه واعطاه ما كان يعطى اباه وكان قد زوجه المأمون با بنته أم الفضل كما ذكرنا .

واختلفوا هل زوجه بها قبل وفاة أبيه أو بعده فيه قولان ، والامامية تروى خبراً طويلا فيه ان المأمون لما زوجه كان عمر محمد الجواد سبع سنين واشهر وانه هو الذى خطب خطبة النكاح وان العباسيين شغبوا على المأمون ورشوا القاضى يحيى بن اكثم حتى وضع مسائل ليخطىء بها محمد الجواد ويمتحنه وان الجواد خرج عن الجميع ، وهو حديث طويل ذكره المفيد فى كتاب (الارشاد) والله أعلم .

وكان يلقب بالمرتضى والقانع وكانت وفاته ببغداد خامس ذى الحجة ودفن الى جانب جده موسى بن جعفر بمقابر قريش وقبره ظاهر يزار وأمه سكينة وكان له أولاد المشهور منهم على (الامام) .

فصل فى ذكر الهادى

هو على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وكنيته أبو الحسن العسكرى وانما نسب الى العسكرى لان جعفر المتوكل اشخصه من المدينة الى بغداد الى سر من رأى فاقام بها عشرين سنة وتسعة اشهر ويلقب بالمتوكل والنقى وأمه سمانة مغربية .

قال علماء السير : وانما اشخصه المتوكل من مدينة رسول الله الى بغداد لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته فبلغه مقام على بالمدينة وميل الناس اليه فخاف منه فدعى يحيى بن هرثمة وقال اذهب الى المدينة وانظر فى حاله واشخصه الينا .

قال يحيى فذهبت الى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على على وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً اليهم ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل الى الدنيا قال يحيى فجعلت اسكنهم واحلف لهم انى لم أؤمر فيه بمكروه وانه لا باس عليه ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وادعية وكتب العلم فعظم فى عينى وتوليت خدمته بنفسى واحسنت عشرته فلما قدمت به بغداد بدأت باسحاق بن ابراهيم الطاهرى وكان والياً على بغداد فقال لى يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله والمتوكل من تعلم فان حرضته عليه قتله وكان رسول الله خصمك يوم القيامة فقلت له والله ما وقعت منه إلا على كل أمر جميل ثم صرت به الى سر من رأى فبدأت بوصيف التركى فاخبرته بوصوله فقال والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك قال فعجبت كيف وافق قوله قول اسحاق ، فلما دخلت على المتوكل سألنى عنه فاخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته وانى فتشت داره فلم اجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وان أهل المدينة خافوا عليه فاكرمه المتوكل واحسن جايزته واجزل بره وانزله معه سر من رأى .

قال يحيى بن هرثمة فاتفق مرض المتوكل بعد ذلك بمدة فنذر ان عوفى ليتصدقن بدراهم كثيرة فعوفى فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم فرجاً فبعث الى على فسأله فقال يتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً فقال المتوكل من اين لك هذا ؟ فقال من قوله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين) والمواطن الكثيرة هى هذه الجملة ، وذلك لأن النبى ﷺ غزى سبعاً وعشرين غزاة وبعث خمساً وستين سرية وآخر غزواته يوم حنين فعجب المتوكل والفقهاء من هذا الجواب وبعث اليه بمال كثير فقال على هذا الواجب فتصدق أنت بما أحببت

وذكر أبو الحسن المسعودى فى كتاب (مروج الذهب) قال نمى الى المتوكل بعلى بن محمد ان فى منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم وانه عازم على

الوثوب بالدولة فبعث اليه جماعة من الاتراك فهاجموا داره ليلا فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه فى بيت مغلق عليه ؛ وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجه الى الله تعالى يتلو آياً من القرآن فحمل على حاله تلك الى المتوكل وقالوا للمتوكل لم نجد فى بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة وكان المتوكل جالساً فى مجلس الشراب فادخل عليه والكاس فى يد المتوكل فلما رآه هابه وعظمه واجلسه الى جانبه وناوله الكأس التى كانت فى يده فقال والله ماخامر لحمى ودمى قط فاعفنى فاعفاه فقال له انشدنى شعراً فقال على أنا قليل الرواية للشعر فقال لابد فانشده على عليه السلام :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم واسكنوا حفراً يا بئس مانزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم أين الاساور والتيجان والحلل
اين الوجوه التى كانت منعمة من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم فيه سائله تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما اكلوا دهراً وماشربوا فاصبحوا بعد طول الا كل قد أكلوا

فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون ورفع الى على أربعة آلاف دينار ثم رده الى منزله مكرماً .

وقال يحيى بن هبيرة تذاكر الفقهاء بحضرة المتوكل من حلق رأس آدم فلم يعرفوا من حلقه فقال المتوكل ارسلوا الى على بن محمد بن على الرضا فاحضروه فحضر فسألوه فقال حدثنى أبى عن جدى عن أبيه عن جده عن أبيه قال ان الله أمر جبرئيل ان ينزل بياقوتة من يواقيت الجنة فنزل بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه فحيث بلغ نورها صار حرما ، وقد روى هذا المعنى مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

﴿ ذكر وفاته ﴾

توفى على بن محمد بن على بن موسى الرضا فى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين بسر من رأى ومولده فى رجب سنة أربع عشر ومائتين وكان سنه يوم مات أربعين سنة وكانت وفاته فى ايام المعتز بالله ودفن بسر من رأى وقيل انه مات مسموماً .

﴿ ذكر أولاده منهم الحسن الامام ﴾

فصل فى ذكر العسكرى

هو الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وأمه أم ولد اسمها سوسن ، وكنيته : أبو محمد ، ويقال له العسكرى أيضاً ، ولد سنة أحدى وثلاثين ومائتين (بسر من رأى) وتوفى بها سنة ستين ومائتين فى خلافة المعتمد على الله وكان سنه تسعاً وعشرين سنة ، وكان عالماً ثقة روى الحديث عن أبيه عن جده ومن جملة مسانيده حديث فى الخمر عزيز .

ذكره جدى أبو الفرج فى كتابه المسمى (بتحريم الخمر) ونقلته من خطه وسمعته يقول : اشهد بالله لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن على يقول اشهد بالله لقد سمعت عبد الله بن عطا الهروى يقول اشهد بالله لقد سمعت عبد الرحمان ابن أبى عبيد البيهقى يقول اشهد بالله لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد الدينورى يقول اشهد بالله لقد سمعت محمد بن على بن الحسين العلوى يقول أشهد بالله لقد سمعت احمد بن عبد الله السبيعى يقول أشهد بالله لقد سمعت الحسن بن على العسكرى يقول اشهد بالله لقد سمعت أبى على بن محمد يقول اشهد بالله لقد

سمعت أبى محمد بن على بن موسى الرضا يقول أشهد بالله لقد سمعت أبى على بن موسى يقول أشهد بالله لقد سمعت أبى موسى يقول أشهد بالله لقد سمعت أبى جعفر بن محمد يقول أشهد بالله لقد سمعت أبى محمد بن على يقول أشهد بالله لقد سمعت أبى على بن الحسين يقول أشهد بالله لقد سمعت أبى الحسين بن على يقول أشهد بالله لقد سمعت أبى على بن أبى طالب عليه السلام يقول أشهد بالله لقد سمعت محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشهد بالله لقد سمعت جبرئيل يقول أشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول أشهد بالله لقد سمعت اسرافيل يقول أشهد بالله على اللوح المحفوظ انه قال سمعت الله يقول شارب الخمر كعابد الوثن .

ولما روى جدى هذا الحديث فى كتاب تحريم الخمر قال قال أبو نعيم الفضل بن دكين هذا حديث صحيح ثابت روته العترة الطيبة الطاهرة ورواه جماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابن عباس وأبو هريرة ، وأنس ، وعبد الله بن أبى أوفى الاسلمى فى آخرين وقد ذكرنا وفاة الحسن بن على وانها كانت سنة ستين ومائتين .

﴿ ذكر أولاده منهم محمد الامام ﴾

فصل فى ذكر الحجة المهدى

هو محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ، وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم وهو الخلف الحجة صاحب الزمان ، القائم والمنتظر ، والتالى ، وهو آخر الائمة أنبأنا عبد العزيز بن محمود بن البزاز عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج فى آخر الزمان رجل من ولدى أسمه كأسمى وكنيته ككنيتى يملأ الارض

عدلا كما ملئت جوراً . فذلك هو المهدى ، وهذا حديث مشهور .

وقد اخرج أبو داود والزهرى عن على بمعناه وفيه لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله من أهل بيتى من يملأالارض عدلا ، وذكره فى روايات كثيرة ويقال له ذو الاسمين محمد وأبو القاسم قالوا أمه أم ولد يقال لها صيقل .

وقال السدى يجتمع المهدى وعيسى بن مريم فيجيء وقت الصلاة فيقول المهدى لعيسى تقدم فيقول عيسى أنت أولى بالصلاة فيصلى عيسى ورائه مأموماً

قلت فلو صلى المهدى خلف عيسى لم يجز لوجهين احدهما لانه يخرج عن الامامة بصلاته مأموماً فيصير تبعاً ، والثانى لان النبى ﷺ قال لا نبى بعدى وقد نسخ جميع الشرائع فلو صلى عيسى بالمهدى لتدنس وجه لا نبى بعدى بغبار الشبهة .

وعامة الامامية على ان الخلف الحجة موجود وانه حى يرزق ويحتجون على حياته بأدلة منها ان جماعة طالت اعمارهم كالخضر والياس فانه لا يدرى كم لهما من السنين وانهما يجتمعان كل سنة فيأخذ هذا من شعر هذا وهذا من شعر هذا

وفى التوراة ان ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف سنة والمسلمون يقولون الفاً وخمسمائة .

وقال محمد بن اسحاق عاش عوج بن عناق ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ولد فى حجر آدم وعناق أمه وقتله موسى بن عمران وأبوه سيحان وعاش الضحاك وهو بيورسب الف سنة وكذلك طهمورث .

واما من الأنبياء فخلق كثير بلغوا الألف وزادوا عليها كآدم ، ونوح وشيث ونحوهم وعاش قينان تسعمائة سنة وعاش مهلائيل ثمان مائة وعاش نفيل ابن عبد الله سبعمائة سنة وعاش سطيح الكاهن واسمه ربيعة بن عمرو ستمائة سنة وعاش عامر بن الضرب خمسمائة وكان حاكم العرب وكذا تيم الله بن ثعلبة وكذا سام بن نوح وعاش الحرث بن مضاض الجرهمى اربعمائة سنة وهو القائل

(كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا) وكذا ارفخشد وعاش قس بن ساعدة ثلاثمائة وثمانين سنة وعاش كعب بن جمجه الدوسي ثلاثمائة وتسعين سنة وعاش سلمان الفارسي مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة في خلق يطول ذكرهم .

فصل

وقد جمع الأئمة عليهم السلام أبو الفضل يحي بن سلامة الحصكفي قصيدته المشهورة التي انشدنيها جماعة من مشايخنا ببغداد وكان الحصكفي قد ورد بغداد واجتمع بأبي زكريا التبريزي الخطيب وقرأ عليه شيئاً من كلامه وانشده هذه القصيدة وكتب عليها الخطيب وقرأ علي ما يدخل الاذن بلا اذن ومولد الحصكفي ببلاد ميافارقين ببلدة صغيرة يقال لها طبرى ونشأ بحصن كيفا ثم انتقل الى ميا فارقين وكان عالماً فصيحاً في النظم والنثر وتوفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة (والقصيدة :)

أقوت مغانيهم فاقوى الجلد ربعان كل بعد سكن فدفد
أسال عن قلبي وعن احبابه ومنهم كل مقر يجحد
وهل تجيب اعظماً باليه وارسما خالية من ينشد
صاح الغراب فكما تحملوا أمسى بها كأنه مقيد
فقاسموا يوم الوداع كبدي فليس لي منذ تولوا كبد
على الجفون رحلوا وفي الحشى تقلبوا وماء عيني وردوا
وأدمعي مسفوحه وكبدي مقروحه وغلتي ما تبرد
وعبرتي وافيه ومقلتي داميه ونومها مشرد
أيقنت لما أن حدا الحادي لهم ولم أمت أن فؤادي جلمد
كنت على القرب كئيباً مغرما ميتاً فما ظنك بي إذ ابعد
هم الحياة أعرقوا أم أشاموا أم أتهموا أم أيمنوا أم انجدوا
ليهنهم طيب الكرى فانه من حظهم وحظ عيني السهد

هم تولوا با لفؤاد والكرى　　فأين صبري بعدهم والجلد
لولا الضنا احجدت وجدي بهم　　لكن نحولي با لغرام يشهد
تلهفا يا جور حكام الهوى　　وما لمن يظلم فيهم مسعد
ليس على المتلف غرم عندهم　　ولا على القاتل ظلماً قود
وسائل عن حب أهل البيت هل　　اقر اعلاناً به أم أجحد
هيهات ممزوج بلحمي ودمي　　حبهم وهو الهدى والرشد
حيدرة والحسنان بعده　　ثم علي وابنه محمد
جعفر الصادق وابن جعفر　　موسى ويتلوه علي السيد
اعني الرضي ثم ابنه محمد　　ثم علي وأبنه المسدد
الحسن التالي ويتلو تلوه　　محمد بن الحسن المفتقد
فانهم أئمتي وسادتي　　وان لحاني معشر وفندوا
أئمة اكرم بهم أئمة　　أسماؤهم مسطورة تطرد
هم حجج الله على عباده　　وهم اليه منهج ومقصد
كل النهار صوم لربهم　　وفي الدياجي ركع وسجد
قوم أتى في هل أتى مديحهم　　هل شك في ذلك إلا ملحد
قوم لهم في كل ارض مشهد　　لا بل لهم في كل قلب مشهد
قوم منى والمشعران لهم　　والمروتان لهم والمسجد
قوم لهم مكة والابطح والخيف　　وجمع والبقيع الغرقد
قوم لهم فضل ومجد باذخ　　يعرفه المشرك والموحد
ما صدق الناس ولا تصدقوا　　ما نسكوا وافطروا وعيدوا
ولا غزوا واوجبوا حجاً ولا　　صلوا ولا صاموا ولا تعبدوا
لولا رسول الله وهو جدهم　　يا حبذا الوالد ثم الولد
ومصرع الطف فلا أذكره　　وفي الحشي منه لهيب يقد

يرى الفرات ابن الرسول ظاميأ يلقى الردى وابن الدعى يرد
حسبك ياهذا وحسب من بغى عليهم يوم المعاد الصمد
يا أهل بيت المصطفى يا عدتى ومن على حبهم اعتمد
أنتم الى الله غداً وسيلتى فكيف أشقى وبكم اعتضد
وليكم فى الخلد حى خالد والضد فى نار لظى مخلد

وقال آخر :

باربعة اسماء كل محمد وأربعة اسماء كلهم على
وبا لحسنين السيدين وجعفر وموسى اجرنى انى لهم ولى

قلت ومن شرط الامام ان يكون معصوماً لئلا يقع فى الخطأ او يحتاج الى مثقف فيتسلسل الى ما لا نهاية له وانه محال ولانهم حجج الله على عباده ومن شرط الحجة العصمة فى كل وصمة انتهى ذكر الأئمة عليهم السلام فنذكر ما انتهى الينا من اخبار ذريتهم ومحاسن شيمهم وصفاتهم .

(حكاية) أنبأنا عبد الملك مظفر بن غالب الحرى باسناده قال كان عبد الله بن المبارك يحج سنة ويغزو سنة فعل ذلك خمسين سنة قال لما كانت السنة التى حج فيها اخذت فى كمى خمسمائة دينار وخرجت الى موقف الجمال بالكوفة لاشترى جملا فرأيت امرأة على بعض المزابل تنتف ريش بطة ميتة فتقدمت اليها وقلت لم تفعلين هذا ؟ فقالت ياعبد الله لا تسأل عما لا يعنيك قال فوقع فى خاطرى من كلامها شيء فالححت عليها فقالت يا عبد الله قد الجأتنى الى كشف سرى اليك وأنا امرأة علوية ولى أربع بنات يتامى مات أبوهن من قريب وهذا اليوم أربع ما أكلنا شيئاً وقد حلت لنا الميتة فاخذت هذه البطة اصلحها واحملها الى بناتى فنأ كلها فقلت فى نفسى ويحك يا ابن المبارك اين أنت عن هذه فقلت افتحى حجرك ففتحته فصببت الدنانير فى طرف ازارها وهى مطرقة لا تلتفت الىّ قال ومضيت الى المنزل ونزع الله من قلبى شهوة الحج فى ذلك العام ثم تجهزت

الى بلادى و أقمت حتى حج الناس وعادوا فخرجت اتلق جيرانى وأصحابى فجعلت كل من أقول له قبل الله حجك وشكر سعيك يقول وأنت كذلك أما قد اجتمعنا بك فى مكان كذا وكذا وا كثر الناس على فى القول فبت مفكراً فى ذلك فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول لى يا عبد الله لا تعجب فانك اغثت ملهوفة من ولدى فسألت الله ان يخلق ملكاً على صورتك يحج عنك كل عام الى يوم القيامة فان شئت ان تحج وان شئت لم تحج .

وقد رويت لنا هذه الحكاية من طريق آخر ، هو ان ولداً صغيراً لابن المبارك دخل بيت بعض الاشراف فوجدهم يأكلون لحماً فلم يطعموه فجاء الى ابن المبارك وهو يبكى فسأله فقال دخلت بيت فلان وهم يأكلون طبيخاً فلم يطعمونى وكانوا جيرانه فارسل اليهم عبد الله يعتبهم فارسلت اليه العجوز تقول قد احوجتنا الى كشف أحوالنا قد مات صاحب الدار وخلف ايتاماً ولنا خمسة ايام ما أكلنا طعاماً وانى خرجت الى مزبلة فوجدت عليها بطة مية فاخذتها واصلحتها ودخل ابنك ونحن نأكل فما جاز لى ان اطعمه وهو يجد الحلال ويقدر عليه فبكى ابن المبارك وبعث اليهم بخمسمائة دينار ولم يحج فى ذلك العام ورأى المنام .

(حكاية أخرى) حدثنى أبو محمد عبد الوهاب المقرى قال حدثنى جار لى كان لى صاحب من أولاد الحسين عليه السلام وكان رقيق الحال فكنت ابره فسافر فحج فى بعض السنين وعاد وقد حسنت حاله فسألته عن ذلك فقال حججت فى هذه السنة وأنا فقير أمشى قال فبقيت ثلاثة ايام لم اجد طعاماً فبينما أنا امشى واذ قد علق فى قدمى سير واذا هميان فاخذته وفتحته واذا فيه الف دينار فقالت نفسى تصرف فيه واشتر طعاماً واكثر قال فقلت لا والله حتى يظهر أمره فاذا بمناد ينادى عليه فقلت اصاحبه ما تعطى من لقيه قال ما اعطيه شيئاً قلت مائة دينار قال لا قلت فدينار قال فلا دينار فرميته اليه فنظر الى وقال من أين أنت قلت من بغداد قال وما تصنع قلت لا شيء وأنا رجل شريف ومالى حرفة فقال

من أولاد من أنت ؟ قلت من أولاد الحسين قال ومن يعرفك قلت الحاج فجاء جماعة فعرفونى فرمى الىّ الهميان فقال خذه فقلت له فانت ما هان عليك تعطينى منه ديناراً اتعطينى الجميع فقال اعلم انه عندى وديعة جاءت معى من خراسان وأوصانى صاحبه ان لا أعطيه إلا لشريف مستحق من أولاد الحسين وأنت ذاك فاخذته وحسنت حالى .

(حكاية أخرى) أخبرنا جدى أبو الفرج قال أنبأنا أبو بكر بن حبيب العامرى أنبأنا على بن أبى صادق أنبأنا ابن باكويه أنبأنا أبو الحسن الحنظلى أنبأنا عثمان بن على الحيرى أخبرنى أبو الحسن الدربندى قال رأيت ابراهيم بن سعد العلوى وعليه كساءاً فبسطه على البحر ووقف وصلى عليه .

قال جدى فى كتاب (صفة الصفوة) ابراهيم بن سعد أبو اسحاق العلوى من أهل بغداد انتقل الى الشام واستوطنه .

وذكر أبو نعيم فى (الحلية) وحكاه جدى أيضاً فى (الصفوة) عن أبى الحارث الأولاسى قال خرجت من حصن اولاس اريد البحر فقال لى بعض اخوانى لا تخرج فقد هيأت لك عجة حتى تأكل ثم جاء بها فأكلت ثم جئت الى الساحل فاذا ابراهيم بن سعد العلوى قائماً يصلى على الماء فقلت فى نفسى ما اشك انه يريد ان يقول لى أمشى معى على الماء ولئن قال لى لأمشين معه قال فما استحكم الخاطر حتى سلم ثم قال لى هيه يا أبا الحارث أمشى على الخاطر فقلت بسم الله فمشى هو على الماء فذهبت أمشى فغاصت رجلى فالتفت الىّ فقال يا أبا الحارث العجة اخذت برجلك .

وعن أبى الحارث قال رأيته وهو يصلى على الماء فاوجز وسلم وحرك شفتيه واذا بحيتان كثيرة مصفوفة حوله فقلت فى نفسى فأين الصيادون فتفرقت الحيتان فقال لى ابراهيم ما أنت بمطلوب فى هـــذا الأمر ولكن عليك بهذه الرمال فتوارى فيها ما امكنك وتقلل فى الدنيا حتى يأتيك أمر الله ثم غاب عنى .

(حكاية أخرى) قرأت على عبد الله بن احمد المقدسى سنة أربع وستمائة وقال قرأت فى (الملتقط) والملتقط كتاب جدى أبو الفرج قال كان ببلخ رجل من العلويين نازلا بها وكان له زوجة وبنات فتوفى الرجل قالت المرأة فخرجت بالبنات الى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء واتفق وصولى فى شدة البرد فادخلت البنات مسجداً ومضيت لاحتال لهم فى القوت فرأيت الناس مجتمعين على شيخ فسألت عنه فقالوا هذا شيخ البلد فتقدمت اليه وشرحت حالى له فقال اقيمى عندى البينة انك علوية ولم يلتفت على فيئست منه وعدت الى المسجد فرأيت فى طريق شيخاً جالساً على دكة وحوله جماعة فقلت من هذا؟ فقالوا ضامن البلد وهو مجوسى فقلت عسى ان يكون عنده فرج فتقدمت اليه وحدثته حديثى وما جرى لى مع شيخ البلد وان بناتى فى المسجد مالهم شىء يقوتون به فصاح بخادم له فخرج فقال قل لسيدتك تلبس ثيابها فدخل وخرجت امرأته معها جوارى فقال اذهبى مع هذه المرأة الى المسجد الفلانى واحملى بناتها الى الدار فجاءت معى وحملت البنات وقد افرد لنا داراً فى داره وادخلنا الحمام وكسانا ثياباً فاخرة ومال علينا بالوان الأطعمة وبتنا باطيب ليلة فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت واللواء على رأس محمد ﷺ واذا قصر من الزمرد الأخضر فقال لمن هذا القصر ؟ فقيل لرجل مسلم موحد فتقدم الى رسول الله ﷺ فسلم عليه فاعرض عنه فقال يا رسول الله تعرض عنى وأنا رجل مسلم فقال له اقم البينة عندى انك مسلم فتحير الرجل فقال له رسول الله ﷺ نسيت ما قلت للعلوية وهذا القصر للشيخ الذى هى فى داره ، فانتبه الرجل وهو يلطم ويبكى وبث غلمانه فى البلد وخرج بنفسه يدور على العلوية فاخبر أنها فى دار المجوسى فجاء اليه فقال اين العلوية فقال عندى فقال اريدها (قال) ما الى هذا سبيل قال هذه الف دينار وسلمهن الىّ فقال لا والله ولا بمائة الف دينار فلما الح عليه قال له المنام الذى رأيته أنا أيضاً رأيته والقصر الذى رأيته لى خلق وأنت تدل على

باسلامك والله ما نمت ولا احد فى دارى إلا وقد اسلمنا كانا على يد العلوية وعادت بركاتها علينا ورأيت رسول الله ﷺ فقال لى القصر لك ولأهلك بما فعلت مع العلوية وأنتم من أهل الجنة خلقكم الله مؤمنين فى القدم .

(حكاية أخرى) قرأت على عبد الله بن احمد المقدسى بهذا التاريخ قال وجدت فى كتاب الجوهرى عن ابن أبى الدنيا ان رجلا رأى رسول الله ﷺ فى منامه وهو يقول امض الى فلان المجوسى وقل له قد اجيبت الدعوة فامتنع الرجل من اداء الرسالة لئلا يظن المجوسى انه يتعرض له وكان الرجل فى الدنيا فى سعة فرأى الرجل رسول الله ﷺ ثانياً وثالثاً فاصبح فأتى المجوسى وقال له فى خلوة من الناس أنا رسول رسول الله اليك وهو يقول لك قد اجيبت الدعوة فقال له اتعرفنى ؟ قال نعم قال فانى انكر دين الإسلام ونبوة محمد ﷺ فقال أنا أعرف هذا وهو الذى ارسلنى اليك مرة ومرة ومرة فقال أشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ودعى أهله وأصحابه فقال لهم كنت على ضلال ورجعت الى الحق فاسلموا فمن اسلم فما فى يده فهو له ومن أبى فلينزع مالى عنده قال فاسلم القوم وأهله وكانت له ابنة مزوجة من ابن ابنه ثم قال لى اتدرى ما الدعوة قلت لا وأنا اريد ان اسئلك الساعة فقال لما زوجت ابنى صنعت طعاما ودعوت الناس اليه فاجابوا وكان الى جانبنا قوم اشراف فقراء لامال لهم فأمرت غلمانى ان يبسطوا لى حصيراً فى وسط الدار قال فسمعت صبية تقول لامها يا أماه قد آذانا المجوسى برائحة طعامه قال فارسلت اليهن بطعام كثير وكسوة ودراهم للجميع فلما نظروا الى ذلك قالت الصبية للباقيات والله ما نأكل حتى ندعو له فرفعن أيديهن وقلن حشرك الله مع جدنا رسول الله وأمن بعضهم فتلك الدعوة التى اجيبت .

(حكاية أخرى) أخبرنا جدى أبو الفرج باسناده الى ابن الخصيب قال كنت كاتبا للسيدة أم المتوكل فبينا أنا فى الديوان اذا بخادم صغير قد خرج من

عندها ومعه كيس فيه الف دينار فقال السيدة تقول لك فرق هذا فى أهل الاستحقاق فهو من أطيب مالى واكتب لى اسامى الذين تفرقه فيهم حتى اذا جاءنى من هذا الوجه شىء صرفته اليهم قال فضيت وجمعت أصحابى وسألتهم عن المستحقين فسموا الى اشخاصا ففرقت فيهم ثلاثمائة دينار وبقى الباقى بين يدى الى نصف الليل واذا بطارق يطرق على باب دارى فقلت من ؟ فقال فلان العلوى وكان جارى فقلت هذا جارى من مدة ولم يقصدنى فاذنت له فدخل فرحبت به وقلت ما الذى عناك فى هذه الساعة فقال طرقنى الساعة طارق من ولد رسول الله ولم يكن عندى ما اطعمه فاعطيته ديناراً فاخذه وشكرنى وانصرف فلما وصل الى الباب خرجت زوجتى وهى تبكى وتقول أما تستحى يقصدك هذا الرجل وتعطيه ديناراً وقد عرفت استحقاقه اعطيه الكل قال فوقع كلامها فى قلبى وقمت خلفه فناولته الكيس فاخذه وانصرف فلما عدت الى الدار ندمت وقلت الساعة يصل الخبر الى المتوكل وهو يمقت العلويين فيقتلنى فقالت زوجتى لا تخف واتكل على الله وعلى جدهم فبينا نحن كذلك واذا بالباب يطرق والمشاعل والشموع بايدى الخدم وهم يقولون اجب السيدة قال فقمت مرعوبا وكلما مشيت قليلا والرسل تتواتر فادخلونى من دار الى دار حتى أوقفونى عند ستر السيدة وقال لى الخادم السيدة وراء هذا الستر قال فسمعت بكائها وهى تنتحب وتقول يا أحمد جزاك الله خيراً وجزا زوجتك خيراً كنت الساعة نائمة فجاءنى رسول الله وقال لى جزاك الله خيراً وجزا زوجة الخصيب خيراً فما معنى هـــذا فحدثتها الحديث وهى تبكى فاعطتنى دنانير وكسوة وقالت هذا للعلوى وهذا لزوجتك وهذا لك قال وكان ذلك يساوى مائة الف درهم فاخذت المال وجعلت طريقى على بيت العلوى فطرقت الباب فصاح من داخل المنزل هات ما معك يا احمد وخرج وهو يبكى فسألته عن بكائه فقال لما دخلت منزلى قالت لى زوجتى ماهذا الذى معك فعرفتها فقالت قم بنا نصلى وندعو للسيدة ولاحمد وزوجته فصلينا ودعونا ثم نمت

فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول شكرتهم على مافعلوا معك والساعة يأتونك بشيء فاقبله منهم .

(حكاية أخرى) ذكرها المسعودى فى تاريخه عن اسحاق بن ابراهيم بن مصعب وكان على شرطة بغداد انه رأى رسول الله ﷺ فى منامه وهو يقول له اطلق القاتل فانتبه مرعوباً وسأل أصحابه فقالوا عندنا رجل اتهم بقتل فاحضروه وقال له اصدقنى الحديث فقال اخبرك ونحن جماعة نجتمع على الشراب كل ليلة فلما كان بالامس جاءت عجوز كانت تختلف الينا تجلب لنا النساء فدخلت الدار ومعها جارية بارعة الجمال فلما توسطت الدار ورأت ما نحن عليه صاحت صيحة واغمى عليها فادخلتها بيتاً فلما افاقت سألتها عن حالها فقالت يا فتيان الله الله فى فان هذه العجوزة غرتنى فاخبرتنى ان عندها خفاً ليس فى الدنيا مثله فشوقتنى الى النظر الى ما فيه فخرجت معها ثقة بقولها لانظر فيه فهجمت بى عليكم وأنا شريفة وجدى رسول الله وأمى فاطمة بنت رسول الله فاحفظوهم فى قال فخرجت الى أصحابى وعرفتهم حالها وقلت لهم لا تتعرضوا لها فكأنى اغريتهم بها فقاموا اليها وقالوا لما قضيت حاجتك منها صرفتنا عنها قال فقمت دونها وقلت والله ما يصل احد منكم اليها وأنا حى فتفاقم الأمر بيننا الى ان نالتنى جراح وعمدت الى اشدهم حرصاً على هتكها فقتلته ثم حاميت عنها وتخلصت الجارية آمنة واخرجتها سالمة فسمعتها تقول مخاطبة لى سترك الله كما سترتنى وكان لك كما كنت لى وسمع الجيران الضجة فدخلوا الينا والسكين فى يدى والرجل يتشحط فى دمه فرفعت اليك على هذه الحالة فقال اسحاق قدغفرت لك ما كان منك ووهبتك لله ولرسوله قال الرجل فوحق من وهبتنى له لا عدت الى معصيته ابداً .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

(حكاية أخرى) حدثنى جدى أبو الفرج عن عبيد الله قال حدثنى أبى قال سمعت أبا عامر الواعظ يقول فبينما أنا جالس فى مسجد رسول الله ﷺ

إذ جاءنى غلام اسود ومعه رقعة فناولنى اياها فاخذتها وفتحتها فاذا فيها مكتوب بسم الله الرحمان الرحيم متعك الله بمسامرة الفكرة ونعمك بموانسة العبرة وافردك بحب الخلوة يا أبا عامر أنا رجل من اخوانك بلغنى قدومك المدينة فسررت بذلك واحببت زيارتك وبى من الشوق الى مجالستك والاستماع لمحادثتك ما لوكان فوقى لا ظلنى ولو كان تحتى لا قلنى فسألتك بالذى حباك بالبلاغة لما الحقتنى جناح التوصل بزيارتك ، وفى رواية فاحببت زيارتك فوجدت الله قد عذرنى باعذار والسلام .

قال أبو عامر فقمت مع الرسول حتى أتى بى الى قبا فادخلنى منزلا رحباً خرباً وقال قف حتى استأذن لك فوقفت فدخل وقد خرج فقال لى لج فدخلت فاذا بيت مفرد فى الخربة بابه من جريد النخل واذا بكهل قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروباً ومن الخشية محزوناً قد ظهرت فى وجهه احزانه وذهبت من البكاء عيناه ومرضت اجفانه فسلمت عليه فرد على السلام ثم تحرك فاذا هو اعمى زمن مسقام فقال لى يا أبا عامر غسل اللهُ من درن الذنوب قلبك وانبع بالحكمة لبك لم يزل قلبي اليك توافا والى استماع الموعظة مشتاقاً بعثك نورا أعيا الاطباء داؤه وأعجز الواعظين شفاؤه وقد بلغنى نفع مراهمك للجراح فلا تال رحمك الله فى ايقاع الدرياق وان كان مر المذاق فانى ممن يصبر على الم الدواء لما أرجو من الشفاء قال أبو عامر فنظرت الى منظر بهرنى وسمعت كلاماً افظعنى فافكرت طويلا ثم تأتى من كلامى ما تأتى وسهل من صعوبته ما سهل فقلت يا شيخ ارم ببصر قلبك فى ملكوت السماء واجل سمع معرفتك فى سكان الارجاء ترى بحقيقة ايمانك جنة المأوى وتشاهد ما أعد الله فيها للأولياء ثم اشرف على لظا وما اعد الله فيها للأشقياء فشتان ما بين الدارين اليس الفريقان فى الموت سواء قال أبو عامر فان انة وصاح صيحة وزفر زفرة والتوى وقال وقع والله دواؤك على دائى وأرجو ان يكون عندك شفائى زدنى يرحمك الله فقلت له يا أخي

ان الله عالم بسريرتك مطلع على خفيتك شاهدك فى خلوتك بعينه عند استتارك من خلقه ومبارزته فصاح صيحة اعظم من الأولى ثم قال من افقرى وفاقتى من لذنبى وخطيئتى أنت لى يا مولائى واليك ملجائى ومثوائى ثم خر ميتاً .

قال أبو عامر : فاسقط فى يدى وقلت ماذا جنيت على نفسى فخرجت جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من شعر قد ذهب السجود بانفها وجبهتها واصفر لطول القيام لونها وتورمت قدماها فقالت احسنت والله ياهادى قلوب العارفين ومثير أشجان المحزونين لانسى لك هذا المقام رب العالمين يا أبا عامر هذا أبى ابتلى بالسقم منذ عشرين سنة صلى حتى اقعد وصام حتى انحنى وبكى حتى عمى وكان يتمناك على الله ويقول حضرت مجلس أبى عامر مرة فاحيا موات فكرى وطرد وسن نومى وان سمعته ثانياً قتلنى فجزاك الله من واعظ خيراً ومتعك من حكمتك بما اعطاك فلقد ارحته مما كان فيه ثم أكببت عليه تقبل عينيه وتبكى وتقول يا ابتاه يا من اعياه البكاء على ذنبه أبى يا ابتاه يا من قتله ذكر وعيد ربه أبى يا أبتاه يا من قتله وذكر ربه أبى يا ابتاه حليف الحرقة والبكاء وحليف الاستغفار والدعاء ياقتيل المذكرين والخطباء ياصريع الوعاظ والحكماء قال أبو عامر فقلت لها أيتها الباكية لحالك والبادية الثكلى ان أباك نحبه قد قضى وورد دار الجزاء وعاين كلما عمل وعليه يحصى فى كتاب عند رب لا ينسى فمحسن فله الزلفا أومسىء فوارد دار من حزن وأسى فصاحت الجارية كصيحة ابيها وجعلت تعرق عرقا وخرجت مبادرة الى مسجد المصطفى وفزعت الى الصلاة ﷺ وعرفته الخادم ، فقال هذا بصير عليه طعام اقتطعه .

ويروى ان اليهودى بطريق العام فلما صدقت ... سال عن رجل الاخلاص فى التوكل . وأيضاً عن بلوغ المراد منه عن مولانا الصادق عليه السلام وفاء شقيق وقالمامعناه : انه صادق عليه ، نذكر أن قالمن عرضت له حاجة الى مخلوق فليبدأ فيها بالله عزوجل قال فدخلت المسجد فصليت ركعتين فلما قعدت

للتشهد افرغ عليه النوم . قال فرأيت فى منامى انه قال لى يا شقيق تدل العباد على الله ثم تنساه فاستيقظت وقمت فى المسجد حتى صليت العشاء الاخرة وحضر لى كاره فرجل قد . . . جاءه من بعض اصدقائه ما كفاه واغناه .

ومنه دعاؤه وكرامه لابراهيم بن ادهم وهو : يارب قد علمت ما كان منى وذلك لجهلى وخطيئتى فان عاقبتنى عليه فانااهل لذلك وقد عرفت حاجتى فاقضها برحمتك فقضى حاجته فى الحال .

ومنه دعاء سمعه مربوط من هاتف فقاله فخلص من كتافه وهو : يامن لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصفه الواصفون ولاتأخذه سنة ولانوم اجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً يا غياث المستغيثين يا ارحم الراحمين ثم كرر هذا الدعاء فخلصه الله برحمته .

وقال بعض رواة الحديث انه وقع فى مثل ذلك فدعابه فخلص من الكتاف

ومنه دعاء دعى به رجل كان فى المركب فسقط فى البحر فنجاه الله تعالى واعاده الى المركب وهو : يا حى لا إله إلا أنت ثلاث مرات فسمع أهل المركب منادياً ينادى لبيك نعم الرب ناديت . ثم اختطف من البحر حتى وضع فى المركب

ومنه دعاء فى قضاء الدين عن المفضل بن فضالة كان قد ركبه دين وكان يدعو ويلح فيقول : ياذا الجلال والاكرام بحرمة وجهك الكريم اقض عنى دينى فرأى فى المنام من يقول له كم تلح بحرمة وجه الله الكريم اذهب الى موضع كذا وكذا فخذ منه مقدار دينك ولا تزد ففعل وقضى بذلك دينه .

ومنه دعاء استجيب لصاحبه كما سأل . اللهم انى اسألك صحة فى تقوى وطول عمر وحسن عمل ورزقاً واسعاً لا تعذبنى عليه .

ومنه دعاء الطائر واظنه فى هذا الكتاب لكن يمكن ان يكون على حدة وهو أنت يا الله قادر على تغثيره فى سره وجهره وصيانتى عن الاستجارة فى هتك ستره واظهار سره وكشف امره يا اقدر القادرين واقوى الناصرين .

فصل

ورأيت فى كتاب (العبر) تاليف عبد الله بن محمد بن على حاجب النعمان قال ولقد حدثنى اقضى القضاة الماوردى بحكاية عجيبة وصدقها ابن الهدهد وابن الصقر فرّاشا سلار الملقب بجلال الدولة ابن بويه ملك البصرة قبل بغداد وكان المعروف بكبوش قد وزر له واستولى على أمره فقبض على رجل من بناة البصرة وصادره واستأصله وخلاه كالميت وكان يدعو عليه فلما كان فى بعض الأيام ركب بكبوش فى مركب عظيم فصادف الرجل فسبه فقال له الرجل الله بينى وبينك والله لأرمينك بسهام الليل فامر بالايقاع به فضرب حتى ترك ميتاً وقال له سهام الليل هذه سهام النهار قد اصابتك فلما كان بعد ثلاثة أيام من ذلك قبض جلال الدولة على بكبوش واجلس فى حجره على حصير ووكل به من يسىء اليه فدخل الفراشون لكنس الحجرة وشيل الحصير الذى تحته فوجدت رقعة فاخذها الفراشون وسلموها الى ابن الهدهد فراش سلار فقال من طرحها فقالوا ما دخل أحد ولا خرج فقرأت فاذا فيها :

سهام الليل لا تخطى ولكن　　لها امد وللعهد انقضاء
اتهزء (١) بالدعاء وتزدريه　　تأمل فيك ما صنع الدعاء

فاخبر جلال الدولة بحاله وشرح له القصة جميعها فامر الفراشين بضرب فكه حتى تقع اسنانه ففعل به ذلك وعذب بكل نوع حتى هلك .

---

(١) ـ وفى نسخة ·

أتهزء بالدعاء وتزدريه　　تأمل فيك ما صنع الدعاء
سهام الليل لاتخطى ولكن　　لها أمد وللأمد أنقضاء

فصـــل

يتضمن دعاء على عدو اذا كان للانسان عدو داخل تحت تهديد الآيات ومستحق للنقمات فليقل اللهم انك قلت فى الكتاب الكريم فى وصف المستحقين للعذاب الأليم) انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا فى الارض) اللهم وان فلاناً قد سعى فىّ بالفساد وقد منعنا من اقامة الحد عليه المانعله من ظلم نفسه وظلم العباد ومن تطهيره قبل يوم المعاد اللهم وأنت احق باقامة الحد عليه فعجل له ما يستحقه بالفساد الذى اصر عليه اللهم وقلت ومن بغى عليه لينصرنه الله وقلت ولا يحيق المكر السيء إلا باهله)

فهرست مواضيع الكتاب

٩ل ٣

ص

ص

خاتمة الكتاب